مجلة
جامعة القدس المفتوحة
للأبحاث والدراسات

توجه المراسلات والأبحاث على العنوان الآتي:

رئيس هيئة تحرير مجلة جامعة القدس المفتوحة

جامعة القدس المفتوحة

ص. ب: ٥١٨٠٠

هاتف: ٢٩٨٤٤٩١- ٠٢

فاكس: ٢٩٨٤٤٩٢- ٠٢

hsilwadi@qou. edu

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

بريد الكتروني: *sprgs@qou. edu*

هاتف: ٢٩٥٢٥٠٨- ٠٢



جامعة القدس المفتوحة

تصميم: عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

قواعد النشر والتوثيق

تنشر المجلة البحوث والدراسات الأصلية المرتبطة بالتخصصات العلمية لأعضاء الهيئة التدريسية والباحثين في جامعة القدس المفتوحة وغيرها من الجامعات المحلية والعربية والدولية، مع اهتمام خاص بالبحوث المتعلقة بالتعليم المفتوح، وتقبل أيضا الأبحاث المقدمة إلى مؤتمرات علمية محكمة والمراجعات والتقارير العلمية وترجمات البحوث.

يرجى من الأخوة الباحثين الراغبين في نشر بحوثهم الاقتداء بقواعد النشر والتوثيق الاتية:

١. تُقبل الأبحاث باللغتين العربية والإنجليزية.

٢. أن لا يزيد حجم البحث عن ٣٢ صفحة «٧٥٠٠» كلمة تقريبا بما في ذلك الهوامش والمراجع.

٣. أن يتسم البحث بالأصالة ويمثل إضافة جديدة إلى المعرفة في ميدانه.

٤. يقدم الباحث بحثه منسوخا على «CD» أو عبر البريد الالكتروني مع ثلاث نسخ مطبوعة منه، غير مسترجعة سواء نشر البحث أم لم يُنشر.

٥. يرفق مع البحث خلاصة مركزة في حدود «١٠٠- ١٥٠» كلمة. ويكون هذا الملخص باللغة الإنجليزية إذا كان البحث باللغة العربية ويكون باللغة العربية إذا كان البحث باللغة الإنجليزية.

٦. ينشر البحث بعد إجازته من محكمين اثنين على الأقل تختارهم هيئة التحرير بسرية تامة من بين أساتذة مختصين في الجامعات ومراكز البحوث داخل فلسطين وخارجها على أن لا تقل رتبة المحكم عن رتبة صاحب البحث.

٧. أن يتجنب الباحث أي إشارة قد تشير أو تدلل على شخصيته في أي موقع من البحث.

٨. يزود الباحث الذي نشر بحثه بنسخة من العدد الذي نشر فيه، بالإضافة إلى ثلاث مستلات منه.

٩. تدون الإحالات المرجعية في نهاية البحث وفق النمط الآتي: إذا كان المرجع أو المصدر كتابا فيثبت اسم المؤلف، عنوان الكتاب أو البحث، اسم المترجم أو المحقق (مكان النشر، الناشر، الطبعة، سنة النشر) الجزء أو المجلد، رقم الصفحة، أما إذا كان المرجع مجلة فيثبت المؤلف، عنوان البحث، اسم المجلة، عدد المجلة وتاريخها، رقم الصفحة.

١٠. ترتب المراجع والمصادر في نهاية البحث «الفهرس» حسب الحروف الأبجدية لكنية/ عائلة المؤلف ثم يليها اسم المؤلف، عنوان الكتاب أو البحث، (مكان النشر، الناشر، الطبعة، سنة النشر) الجزء أو المجلد.

١١. بإمكان الباحث استخدام نمط «APA» Style في توثيق الأبحاث العلمية والتطبيقية، حيث يشار إلى المرجع في المتن بعد فقرة الاقتباس مباشرة وفق الترتيب الآتي: «اسم عائلة المؤلف، سنة النشر، رقم الصفحة».

المحتويات

الأبحـــــاث:

مجلة
جامعة القدس المفتوحة
للأبحاث والدراسات

الأبحاث

فاعلية برنامج تدريبي مستند إلى العصف الذهني في تنمية التفكير الناقد لدى طلبة الصف السابع *

د. فؤاد عيد الجوالده**
د. مصطفى نوري مصطفى القمش***
د. سهير ممدوح التل****

---

* تاريخ التسليم: ٨/ ٨/ ٢٠١١م، تاريخ القبول: ٢٧/ ٨/ ٢٠١١م.
** أستاذ التربية الخاصة المساعد/ قسم العلوم التربوية والاجتماعية/ جامعة عمان العربية/ عمان/ الأردن.
*** أستاذ التربية الخاصة المشارك/ جامعة البلقاء التطبيقية/ الأردن.
**** أستاذ التربية الخاصة المساعد/ جامعة عمان العربية/ عمان/ الأردن.

ملخص:

هدفت الدراسة إلى الكشف عن فاعلية برنامج تدريبي مستند إلى العصف الذهني في تنمية التفكير الناقد لدى طلبة الصف السابع في المدارس الحكومية، وقد تكوّن مُجتمع الدراسة من جميع طلاب الصف السابع الأساسي الذكور الذين يدرسون مادة العلوم للعام الدراسي ٢٠١٠/ ٢٠١١، وقد بلغ مُجتمع الدراسة (١٣٠٨) طلاب، وتكوّنت عيّنة الدراسة من (٦٠) طالباً موزعين على مجموعتين: تجريبية وضمت (٣٠) طالباً تعلموا باستخدام العصف الذهني، وضابطة تكونت من (٣٠) طالباً تعلموا بالطريقة الاعتيادية، واُستخدم اختبار التفكير الناقد لقياس درجة تنمية مجالات التفكير الناقد بأبعاده السبعة، والتي اهتمت بها الدراسة وهي: الدقة في فحص الوقائع والاستدلال، وتقويم الحجج، والاستنتاج، والتفريق بين الرأي والحقيقة والتصنيف، واستطلاع بعض جوانب الشخصية.

استخدم الباحثون المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، واختبار (T- test)، ومستوى الدلالة في معالجة بيانات الدراسة، وتوصلوا إلى وجود فروق دالة إحصائياً عند مستوى دلالة ($\alpha \leq$ ٠,٠٥) بين مجموعتي الدراسة في تنمية التفكير الناقد، ولصالح المجموعة التجريبية التي تعَلمت باستخدام العصف الذهني، وانتهت الدراسة بعدد من التوصيات.

الكلمات المفتاحية: فاعلية برنامج تدريبي، العصف الذهني.

Abstract:

The present study was designed to explore the effectiveness of the training program based on the brainstorming in developing the critical thinking among 7th graders. The population sample was (1308) male students in the academic year 2010\2011 from all the public primary schools of Amman governorate, whereas, the sample of the current research included (60) male students divided into two groups: the experimental group included (30) students who used brainstorming, while the control group included (30) students who used the normal way of teaching.

The critical thinking test was used to measure the degree of the seven dimensioned critical thinking skills development: accuracy in testing events, induction of the evaluation of arguments, deduction, differentiating between opinions.

The statistical analysis used by the researchers in identifying these resources included: standard deviation (t- test) , and Cronbach Alpha. Results showed a significant difference at ($a \leq 0.05$) on students in developing their critical thinking by using brainstorming in the favor of the experimental group.

Keywords: *effectives of training program, brainstorming.*

مقدمة:

يعاني التعليم في بعض البيئات التعليمية من سيطرة التعليم النظري التقليدي القائم على فلسفة التلقين، وأن المعلم هو المصدر الأول للمعرفة، وقد يكون هذا ليس عيب التعليم نفسه بقدر ما هو مشكلة في مستوى التنفيذ من قبل المعلمين، والتي قد يعود سببها إلى عدم الجدية في العمل. ويظهر هذا الخلل بشكل واضح من خلال تربية الطلبة على العقلية المغلقة، وحصر دورهم فقط في مجرد التلقي والتنفيذ، وبالآتي يُحرم الطالب من واحدة تُعد من أعظم النعم التي وهبها له الخالق سبحانه وتعالى وهي نعمة التفكير (الحميدان، ٢٠٠٥) . وبذلك أصبحت الحاجة كبيرة لإحداث تغيير كلي في نظام التدريس لمواجهة متطلبات القرن الحادي والعشرين، فعلى الرغم من أن نجاح العملية التعليمية التعلمية في تدريس العلوم يتوقف على كثير من العوامل المهمة، كالمناهج الدراسية والإمكانات، والوسائل المادية اللازمة لعملية التدريس والظروف الاجتماعية والبيئة المحيطة بالطلبة، فإن الباحثين في التربية العملية يؤكدون أن السلوك التعليمي لمعلم العلوم وممارسته التدريسية الفعلية التي تُنظم بها الخبرات وتُستخدم البرامج والنشاطات العملية هي من أهم العوامل التي تحدد مدى النجاح في تحقيق الأهداف التدريسية والتربوية للعلوم (زيتون، ٢٠٠٥) . حيث يقوم معلم العلوم بتعويض النقص في المناهج والكتب والأنشطة والتمارين من خلال مرونته وقدرته على التفاعل والتكيف مع الطلبة واستعماله لمدى واسع من الطرائق والإستراتيجيات التدريسية التي تتلاءم مع حاجات الطلبة المختلفة، وتنمي مهارات التفكير الناقد وفهم المفاهيم العلمية لديهم (Darling- Hammond,2000) .

«وتنمية مهارات التفكير الناقد لدى الطالب تُمكنه من الحصول على فهم أعمق للمحتوى، وتُسهل له عملية التعلم، وتُمكنه من مواجهة التحديات، والتفكير الناقد يُسهل تحصيل الإفادة القصوى من التكنولوجيا الحديثة، ويُحسَن من تحصيل الطلبة» (سعادة، ٢٠٠٣) . «فهو يُعلم المساءلة، متى نسأل؟ وكيف نسأل؟ وعن ماذا نسأل؟ ويُعلم تفسير الأحداث بناءً على حجج وبراهين وفق طرق منطقية، بل هو تفكير في الأسباب والمسببات وإعطاء تفسير وحكم» (المصري، ٢٠٠٣: ٥٨) .

ومن هنا يرى الباحثون أنه لا بد من استخدام طرق وإستراتيجيات تدريسية متنوعة ومناسبة لتدريس العلوم، تهتم بمساعدة الطلبة على تطوير فهمهم للمادة العلمية، ولا

نقصد أن الفهم هنا مجرد استيعاب الطالب للمعلومة، وإنما يتخطاها إلى مستويات التفكير الأخرى من حيث مقدوره على تطبيقها وتقويمها، لأن القدرة على التفكير الناقد جزء لا يتجزأ من القدرة على التفكير بصورة عامة.

مُشكلة الدّراسة:

أراد الباحثون الكشف عن قدرة طلاب الصف السابع الأساسي على التفكير الناقد والعمل على بناء برنامج تدريبي مبني على العصف الذهني في تدريسهم لمادة العلوم بهدف تنمية قدرتهم على مثل هذا النوع من التفكير، ودراسة أثر طريقة العصف الذهني في تنمية مهارات التفكير الناقد وفق المبادئ والافتراضات الأساسية لنظريات التعلم الحديثة. هذا وتعد التربية وسيلة المجتمع في تحقيق شخصية الفرد وتنمية قدراته، وتهذيب ميوله واتجاهاته، وصقل فطرته حتى يصبح قادراً على مواجهة التحديات والتطورات التي تواجه المجتمع، إذ يقع على عاتق المؤسسات التربوية إعداد طلاب قادرين على النقد وحرية التعبير في مواجهة التحديات التي فرضتها طبيعة الحياة المعاصرة التي نعيشها في الوقت الحاضر خاصة عندما تكون قدرة الطلبة على أداء المهمات التعليمية محدودة بسب ضعف مهاراتهم أو لأي سببٍ كان. وكما نعرف فإن القدرة على التفكير الناقد جزءٌ لا يتجزأ من القدرة على التفكير بصورة عامة، ولهذا كانت هذه القدرة مهمة في عمليات التدريس ومهاراته،

أهميّة الدّراسة:

تكمن أهمية الدراسة الحالية في أنها تسعى إلى الكشف عن فاعلية برنامج تدريبي مبني على العصف الذهني لتدريس العلوم لطلاب الصف السابع الأساسي في تنمية التفكير الناقد لديهم. **وتحديداً سعت الدراسة الحالية إلى تحقيق ما يأتي**:

١. الإسهام في تنمية قدرات التفكير المختلفة، ومنها التفكير الناقد بشكل خاص لدى الطلبة.

٢. إثارة وتوجيه الانتباه إلى أهمية معالجة موضوعات مهمة جداً في حياتنا مثل قانون الضغط المتعلق بمادة العلوم وما يتطلبه ذلك من طرائق تدريس.

٣. تعريف الطلبة والمدرسين بالعصف الذهني ومبادئه وقواعده وعناصر نجاح هذه الطريقة في التدريس.

٤. ربط العصف الذهني والتفكير الناقد بمادة العلوم.

هدف الدّراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى زيادة جودة المخرج التعليمي حيث إن استخدام العصف الذهني يساعد المعلم على تفعيل دور مشاركة الطالب من خلال إشراكه في الموقف التعليمي، وذلك باتباع إستراتيجية تدريسية تُراعى فيها الفروق الفردية. وتجعل الطالب يشارك مشاركة فعالة، وتعمل على رفع مستوى التفكير من خلال تدفق الأفكار من المشاركين بها، وتنمي التفكير الناقد لديهم. وتحديداً سعت الدراسة الحالية إلى تحقيق الهدف الرئيس الآتي: الكشف عن فاعلية برنامج تدريبي مستند إلى العصف الذهني في تنمية التفكير الناقد لدى طلبة الصف السابع

برنامج تدريبي مبني على العصف الذهني لتدريس العلوم لطلبة الصف السابع الأساسي في تنمية مهارات التفكير الناقد لديهم.

أسئلة الدّراسة:

تحاول الدّراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

حاولت هذه الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي تحديداً:

ما فاعلية برنامج تدريبي مستند إلى العصف الذهني في تنمية التفكير الناقد لطلاب الصف السابع في مبحث العلوم؟ **وانبثق عنه الأسئلة الآتية:**

- السؤال الأول: هل هناك فرق دال إحصائياً عند مستوى دلاله ($\alpha \leq$ ٠,٠٥) بين متوسطي درجات المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية في اختبار التفكير الناقد البعدي الكلي وفي كل مجال من مجالاته؟

- السؤال الثاني: هل هناك فرق دال إحصائياً عند مستوى دلاله ($\alpha \leq$ ٠,٠٥) بين متوسطي درجات المجموعة التجريبية في الاختبارين القبلي والبعدي الكلي وفي كل مجال من مجالاتهما؟

- السؤال الثالث: هل هناك فرق دال إحصائياً عند مستوى دلاله ($\alpha \leq$ ٠,٠٥) بين متوسطي درجات المجموعة الضابطة في الاختبارين القبلي والبعدي الكلي وفي كل مجال من مجالاتهما؟

فرضيات الدراسة:

- لا يوجد هناك فرق دال إحصائياً عند مستوى دلاله ($\alpha \leq$ ٠,٠٥) بين متوسطي درجات المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية في اختبار التفكير الناقد البعدي الكلي وفي كل مجال من مجالاته.

- لا يوجد هناك فرق دال إحصائياً عند مستوى دلاله ($\alpha \leq$ ٠,٠٥) بين متوسطي درجات المجموعة التجريبية في الاختبارين القبلي والبعدي الكلي وفي كل مجال من مجالاتهما.
- لا يوجد هناك فرق دال إحصائياً عند مستوى دلاله ($\alpha \leq$ ٠,٠٥) بين متوسطي درجات المجموعة الضابطة في الاختبارين القبلي والبعدي الكلي وفي كل مجال من مجالاتهما.

حدود الدّراسة:

أجريت الدراسة ضمن الحدود الآتية:

١. حدودٌ مكانيةٌ: تتمثل بمُحافظة البلقاء في المملكة الأردنية الهاشمية.

٢. حدودٌ زمانيةٌ: تتمثل بالفصل الأول من العام الدراسي ٢٠١٠/ ٢٠١١.

٣. حدودٌ بشريةٌ: اقتصرت عينة الدراسة على طلاب الصف السابع الأساسي بمدرسة ماحص الثانوية للبنين ومدرسة الفحيص الثانوية للبنين.

التعريفات الإجرائية:

لغايات هذه الدّراسة يرى الباحثون بعد استعراض بعض التعريفات التي وردت في الأدب التربوي لمصطلحات الدّراسة ثم يخلصون إلى تعريفات إجرائيةٍ وهي كالآتي:

الفاعلية: وقد عرّفها الباحثون إجرائياً بأنّها: مجموعة آثار نتجت من تحقيق الأهداف المنشودة بتطبيق البرنامج التدريبي، ومعرفة حجم التأثير في تنمية التفكير الناقد الذي حدث نتيجة لاستخدام البرنامج التدريبي في فترة زمنية محدودة عند تدريس الوحدة المختارة وقد قيست باختبار التفكير الناقد.

أما البرنامج التدريبي فيعرفه الباحثون إجرائياً بأنّه: مجموعة من الإجراءات والممارسات والنشاطات المنظمة وفق خطوات العصف الذهني التي أعداها الباحث، ومزودة بأنسب الطرق والإجراءات التدريسية من معدات وأدوات ومنظمات بيانية وأوراق عمل لتدريس المجموعة التجريبية الوحدة المختارة.

يرى أزوبرون (Osborn) كما هو مشار إليه في (الطنطاوي، ٢٠٠١: ٥٠) «أن العصف الذهني مؤتمر ابتكاري ذو طبيعة خاصة من أجل إنتاج قائمة من الأفكار يمكن أن تُستخدم كمفاتيح تقود إلى بلورة المشكلة».

كما عرف الكناني العصف الذهني بأنه: هجوم مركز للعقل على الروتين وعادات الفكر الجامدة، وتقوم هذه التسمية على تصور موقف تحدٍ بين طرفين: العقل البشري من جانب، والمشكلة التي تتطلب الحل من جانب آخر (الكناني، ٢٠٠٥: ٢٧) .

وعرف الباحثون **العصف الذهني** إجرائياً بأنّه: أسلوب من أساليب المناقشة الجماعية فيه تتضافر العقول معاً بأسلوب يتسم بالعلمية والموضوعية للتصدي للمشكلات باستحضار أكبر قدر ممكن من الأفكار في فترة زمنية محددة خلال تدريس محتويات الوحدة المختارة، دون أي تقويم للأفكار أثناء استحضارها، وتأجيل إصدار الأحكام لحين الانتهاء.

أما **التفكير الناقد** فقد ذكر عنه سعادة (٢٠٠٣: ١٠٣) «بأن شافيه (Chafee)» حدد معنى له بأنه: «عبارة عن عمل شيء له معنى من العالم الذي يحيط بنا عن طريق الفحص الدقيق لتفكيرنا وتفكير الآخرين، من أجل توضيح الفهم الخاص بنا والعمل على تنميته وتطويره».

وقد عرفته كوتون (Cotton) كما هو مُشار إليه في (Doud & Husin، 2004) بأنه القدرة على تقييم المعلومات، وفحص جميع وجهات النظر في موضوع ما.

أما دونالد (٢٠٠٢: ٢٧) فقد عرفه: «بأنه تركيز الإمكانات والتحرك باتجاه العمل عن طريق تنظيم وتحليل الإمكانات، وتنفيذها وتطويرها وترتيبها حسب الأولوية والاختيار واتخاذ القرارات».

وعرف الباحثون **التفكير الناقد** إجرائياً بأنّه: إكساب الطلبة للقدرات العقلية التي يتضمنها اختبار التفكير الناقد والذي يتضمن الفحص الحذر والدقيق للمعتقدات والأحداث والعمل على تقويم الأبعاد المعرفية المتمثلة في كل من الدقة في فحص الوقائع، والاستدلال، والاستنتاج، وتقويم الحجج والمناقشات، والتفريق بين الرأي والحقيقة، والتصنيف، إضافة إلى بعض جوانب الشخصية المتمثلة بـ: المرونة في تناول الأحداث، ورؤية الوجه الآخر للأحداث، والاتجاه نحو الجديد من الأفكار. ويقاس بدرجة الإجابة على الاختبار المعد لذلك، وفي كل مجال من مجالاته.

الإطار النظري والدراسات السابقة:

يتناول الإطار النظري محورين: المحور الأول تناول العصف الذهني من حيث مفهومه، وأهميته، مبادؤه وقواعده، وصور العصف الذهني، ومزايا العصف الذهني، وإجراءات التدريس باستخدام العصف الذهني، ومعوقات العصف الذهني ومشكلاته، أما المحور

الثاني فقد تناول التفكير الناقد من حيث ماهيته، أهمية تعليم التفكير الناقد، وخصائص التفكير الناقد ومحدداته، ومهارات التفكير الناقد، وأساليب تنمية التفكير الناقد وأخيراً المعوقات التي تواجه تنمية التفكير الناقد. كما يعرض هذا الفصل دراسات سابقة ذات صلة بالدراسة الحالية، وقد صنِّفت في فئتين هي: الدراسات العربية والدراسات الأجنبية، وفيما يأتي عرضٌ لذلك.

المحور الأول العصف الذهني:

♦ **أولاً- أهمية العصف الذهني**: «للعصف الذهني أهمية كبرى في عملية التدريس». **فأهميته للطلاب مشار إليها في** (سيد، ٢٠٠٦: ٢٩٢) **كما يأتي**:

١. يساعد الطلبة على حل المشكلات حلاً إبتكارياً.

٢. يساعد الطلبة على الاستفادة من أفكار الآخرين من خلال تطويرها والبناء عليها.

٣. يساعد على تماسك الطلبة وتكوين علاقات بينهم وتقدير آراء الآخرين.

وأهميته للمعلم مشار إليها في (**الحميدان، ٢٠٠٥: ١٠٥**) .

١. يساعد المعلم على استنتاج أفكار أوسع من حلول تفكير الطلبة.

٢. يجعل المعلم أكثر ديمقراطية واحتراماً للآراء مهما اختلفت وجهات النظر.

٣. يجعل المعلم أحد عناصر العملية التعليمية من خلال مشاركة الطلبة له حيث إن المعلم لا يكون هو القائد الوحيد في حل المشكلة ".

ويذكر طافش (٢٠٠٤) **أن أهمية العصف الذهني تكون على النحو الآتي**:

١. طريقة لها جاذبية بديهة، لأن تأجيل النقد يساعد على خلق مناخ ينمو فيه الإبداع، نظراً لعدم مقاطعة المتحدث وإعطائه الحرية الكاملة للتعبير عن أفكاره مهما كان نوعها ومستواها.

٢. عملية علاجية، حيث يدلي كل متحدث برأيه دون مقاطعة من أحد.

٣. عملية تدريبية، لأنها تساعد في استثارة الخيال، والتدريب على مهارات النقد والتحليل والإبداع للأفكار المتقدمة بعد الإنتهاء من عملية توليدها.

وفي هذا الإطار أشار سيلي (Selley, 2000) إلى أن طريقة العصف الذهني تقوم على اتاحة الفرصة للتعبير الحر عن الأفكار، وبالآتي تزيد من استقلالية الطالب ومحفزاته إذا ما اُستخدمت بشكل واضح ومنظم، وهذا كله يؤدي إلى تحرر العقل من الجمود. كما أنها تسهم في تنمية مهارات الفهم بمستوياته المختلفة، إذا ما وظفت بالشكل الصحيح في

المواقف الصفية، فالأفكار التي تتدفق تتطلب من المتعلم استخدام التأمل في الأفكار من حيث ترتيبها، وتصنيفها، وإخضاعها للنقد، وبالآتي الوصول إلى الحلول النهائية للمشكلة.

♦ **ثانياً- مبادئ العصف الذهني وقواعده**: حتى يتحقق استخدام أسلوب العصف الذهني لابد من الالتزام بمبدأين أساسيين وأربع قواعد مهمة: (غباين، ٢٠٠٨: ٣٧) .

- المبدأ الأول: تأجيل إصدار أي حكم على الأفكار المطروحة أثناء المرحلة الأولى من العصف الذهني.
- المبدأ الثاني: الكمية تولد النوعية بمعنى أن أفكاراً كثيرة من النوع المعتاد يمكن أن تكون مقدَمة للوصول إلى أفكار قيمة أو غير عادية في مرحلة لاحقة من عملية العصف الذهني.

أما القواعد الأربع فهي:

- لا يجوز انتقاد الأفكار التي يشارك فيها أعضاء الفريق أو طلبة الصف مهما كانت هذه الأفكار سطحية أو تافهة.
- تشجيع المشاركين على إعطاء أكبر عدد ممكن من الأفكار دون الإلتفات لنوعيتها.
- التركيز على الكم، إذ إن العدد الكبير من الأفكار ربما يشمل الفكرة الأصيلة.
- الأفكار المطروحة ملك للجميع، ويستطيع أي عضو أن يدمج بين فكرتين.

وتبين قطامي (٢٠٠١) **أن نجاح إستراتيجية العصف الذهني يعتمد على تطبيق أربعة مبادئ هي**:

١. تأجيل إصدار حكم على الأفكار المطروحة في أثناء المرحلة الأولى من عملية العصف الذهني لأن نقداً أو تقويماً لأي فكرة قد يُفقد المشارك المتابعة ويُشعره بالتوتر ويُعوق تفكيره للوصول إلى فكرة أفضل، لذا على الفرد الذي لا يجد أفكاراً في ذهنه التأني لحين مرحلة النقد والتعميم.

٢. الكمية تولد النوعية: أي التركيز في جلسة العصف الذهني على توليد أكبر قدر ممكن من الأفكار مهما كانت جودتها.

٣. إطلاق حرية التفكير: وذلك للوصول إلى حالة من الاسترخاء لانطلاق القدرات الإبداعية لتوليد الأفكار في جو بعيد عن النقد والتقويم.

٤. البناء على أفكار الآخرين: أي تطوير أفكار الآخرين والخروج بأفكار جديدة، فالأفكار المقترحة ليست حكراً على أصحابها فهي حقٌ مُشاع.

٥. ٤. عدم توافر الأدوات اللازمة في الصف: فإذا ما شعر المُعلِّم أنّ الأدوات الأساسية المطلوبة لتنفيذ حصةٍ صفيةٍ مثاليةٍ غير متوافرةٍ سينعكس ذلك على أدائه، واستيعاب الطلبة للحصة الصفية.

♦ **ثالثاً- صور العصف الذهني**: هناك صور مختلفة للعصف الذهني لكل صورة مميزاتها الخاصة بها، فقد يتم العصف الذهني بصورة فردية أو جماعية، أو باستخدام الحاسب الآلي (الكمبيوتر) ، ويمكن الحديث عن كل صورة من الصور السابقة وهي كما يأتي:

- العصف الذهني الفردي: وفي هذا النوع يتم عصف ذهني لكل فرد على حده ثم تُجمع أفكار كل هؤلاء الأشخاص من قبل المعلم بصفته رئيساً للجلسة، ثم تُختار أفضل هذه الأفكار كحل للمشكلة المطروحة (علي، ٢٠٠١) . الخضراء (٢٠٠٥: ١٠١)

- «العصف الذهني الجماعي: وهو الأساس في العصف الذهني حيث إنه طريقة جماعية لإنتاج الأفكار، حيث يجلس الأفراد معاً، ويقومون بإنتاج الأفكار مُتبعين الإجراءات والقواعد الخاصة بهذه الجلسات، وبذلك تتاح الفرصة أمام كل فرد داخل المجموعة ليستفيد من أفكار الآخرين، ويتمكن من بناء أفكار أخرى جديدة» (عبادة، ٢٠٠١: ٤٠) .

- « العصف الذهني الإلكتروني: ويُستعان من خلال بأجهزة الحاسب الآلي (الكمبيوتر) ، وقد يتم ذلك بصورة فردية أو جماعية، واستخدمت أجهزة الحاسب الآلي (الكمبيوتر) في البداية، فكان يتم بصورة فردية، حيث كان الفرد يزوَّد ببعض الكلمات والحلول الخاصة بالمشكلة المطروحة من خلال جهاز الحاسب الآلي (الكمبيوتر) لإثارة المزيد من الأفكار لديه، ثم استخدمت خلال جلسات جماعية، حيث يجلس الأفراد وأمام كل منهم جهاز حاسب آلي (كمبيوتر) ويقوم كل منهم بإنتاج الأفكار حول المشكلة المطروحة دون أن يكون هناك اتصال لفظي بينهم، بينما يتم الاتصال من خلال أجهزة الحاسب الآلي (الكمبيوتر) حيث تكون متصلة معاً، بحيث تظهر جميع الأفكار الخاصة بالمشاركين أمام كل منهم على شاشة الحاسب الآلي (الكمبيوتر)» (عبد الحميد، ٢٠٠٠: ٢٥) .

وقد أستخدم الباحثون العصف الذهني الجماعي لاعتقادهما بأن المجموعة تستطيع أن تضاعف إنتاجها لتنتج بطريقة العصف الذهني في جلسة واحدة ما ينتجه الفرد في جلسات عدة، لأن الجماعة تُساعد على تحفيز أكبر عدد من الأفكار وتوليدها، وبالآتي تتوسع دائرة التفكير.

♦ **رابعاً- مزايا العصف الذهني**: أشار كل من زيتون (٢٠٠٢) ومحمود (٢٠٠٣) وسيد (٢٠٠٦) إلى مزايا العصف الذهني على ما يأتي:

- سهل التطبيق فهولا يحتاج إلى تدريب طويل من قبل مستخدميه في برامج التدريب.
- إقتصادي، أي أنه لا يتطلب عادة أكثر من مكان مناسب لجمع أكبر قدر من الأفكار حول موضوع معين في فترة زمنية قصيرة نسبياً.
- مسلٍّ ومُبهج ويُنمي عادات التفكير المفيدة.
- إستخدام هذه الطريقة لا يستلزم جهوداً كبيرة في الإعداد والتحضير.
- تساعد هذه الطريقة على التفاعل وتبادل المعلومات والتهيئة للموضوع القادم.

وهنا يخالف الباحثون كلاً من زيتون (٢٠٠٢) ومحمود (٢٠٠٣) وسيد (٢٠٠٦) في الإشارة إلى أن العصف الذهني لا يستلزم جهوداً كبيرة في الإعداد والتحضير، ويرى أنه لا توجد طريقة تدريس تسير وفق خطوات علمية منظمة إلا وتحتاج إلى جهود في الإعداد والتحضير، وحتى تنجح أي طريقة لا بد من أن تستلزم جهوداً كبيرة في الإعداد والتحضير. ويخالف الباحثون أيضاً كلاً من زيتون (٢٠٠٢) ومحمود (٢٠٠٣) وسيد (٢٠٠٦) في الإشارة إلى أن العصف الذهني سهل التطبيق فهو لا يحتاج إلى تدريب طويل من قبل مستخدميه في برامج التدريب، ويرى أنه ليس من السهل تطبيقه لأنه يسير وفق مبادئ وقواعد وخطوات، وبالآتي يستلزم المهارة والتدريب الجيد لتطبيقه. لأن هناك صعوبة في التزام الطلبة دوماً بقواعد العصف الذهني الأمر الذي يجعل المعلم متيقظاً لذلك لتنبيه الطالب، وهذا الأمر يجعل تطبيقه ليس سهلاً.

♦ **خامساً- إجراءات التدريس باستخدام العصف الذهني**:

تمر إستراتيجية العصف الذهني في موقف التعلم والتعليم بعدد من المراحل يجب توخي الدقة في أداء كل منها على الوجه المطلوب لضمان نجاحها، **وتتضمن هذه المراحل ما يأتي**: (Parker,2003)

أ. تحديد المعلم للمشكلة أو الموضوع: قد يكون بعض المشاركين على علم تام بتفاصيل الموضوع في حين يكون لدى بعضهم الآخر فكرة بسيطة عنها، وفي هذه الحالة المطلوب من المعلم إعطاء المشاركين الحد الأدنى من المعلومات عن الموضوع، لأن إعطاء المزيد من التفاصيل قد يَحدُ بصورة كبيرة من تفكيرهم ويحصره في مجالات ضيقة ومحدده.

ب. إعادة صياغة الموضوع: حيث يطلب من المشاركين في هذه المرحلة الخروج من نطاق الموضوع على النحو الذي عرف به وأن يحددوا أبعاده وجوانبه من جديد، فقد تكون للموضوع جوانب أخرى.

ت. تهيئة البيئة الصفية: يحتاج الطلبة المشاركين في جلسة العصف الذهني إلى تهيئة الظروف التي تسهم في المشاركة وتوليد الأفكار والمعاني، وتستغرق عملية التهيئة حوالي ٥ دقائق يتدرب المشاركون فيها على الإجابة عن سؤال أو أكثر من أسئلة المعلم.

ويلخص الغبيسي (٢٠٠١) **خطوات التدريس باستخدام العصف الذهني كما يأتي**:

١. طرح سؤال مفتوح النهاية حتى ُتتاح الفرصة لتوليد أكبر قدر ممكن من الأفكار.

٢. وضع السؤال المطروح في دائرة أو مربع وتخرج منه أسهم بالإجابات أو الأفكار. وتقوم كل مجموعة بعملية التسجيل على السبورة، ويتلقى الإجابات المتعلقة بالسؤال المطروح.

٣. لا يتم تقويم الأفكار أو الإجابات أثناء استحضارها.

٤. بعد الإنتهاء من هذه الخطوة تعرض كل مجموعة ما أُنجز أمام المجموعات الأخرى وتدور المناقشة بحيث تستهدف فرز تلك الأفكار وتصنيفها حتى نصل في النهاية إلى الأفكار أو الإجابات الصحيحة.

٥. يسجل المتعلمون تلك الأفكار والإجابات.

٦. يمكن مناقشة أحد الأفكار وبالأسلوب السابق نفسه وهكذا.

ويشير الصويري (٢٠٠١) **إلى إجراءات يمكن القيام بها لتحقيق العصف الذهني هي**:

١. تقسيم الطلبة إلى مجموعات: حيث يكون حجم المجموعة بين (٥– ٨) أفراد.

٢. عرض المشكلة المطروحة للنقاش، وتوضيحها بعناية.

٣. التأكد من أن كل طالب يفهم المشكلة وموضوع النقاش.

٤. تشجيع كل طالب على المشاركة برأيه لحل المشكلة.

٥. التوضيح بأنه لا ينبغي لأحد أن يصدر أحكاماً مسبقة على اقتراحات الآخرين.

تحديد الوقت وإعطاء إشارة البدء والإنتهاء.

٦. الطلب من المتعلمين أن يجيبوا عن الأسئلة التي تتبع الدرس.

أما الباحثون فقد وضعوا خطوات إجرائية لجلسة العصف الذهني وفق البرنامج التدريبي المعد لهذه الدراسة وبالاعتماد على ما جاء سابقاً تتلخص فيما يأتي:

- **أولاً- مرحلة ما قبل العصف الذهني وتضم الخطوات الآتية**:

أ. تذكير الطلبة بقواعد ومبادئ وشروط نجاح عملية العصف الذهني.

ب. توفر الأدوات والمعدات وكل ما يستلزم لإجراء الجلسة.

ت. توزيع الطلبة على شكل مجموعات، كل مجموعة تتكون من رئيس ومقرر لها.

ث. التهيئة المحفزة والتشويق.

ج. تحديد موضوع العصف الذهني.

- **ثانياً– مرحلة بدء العصف الذهني وتضم الخطوات الآتية:**

أ. تحليل موضوع العصف الذهني.

ب. توليد الأفكار.

- **ثالثاً– مرحلة ما بعد العصف الذهني وتضم الخطوات الآتية:**

أ. فرز الأفكار.

ب. التقويم.

ت. طريقة إنهاء الحصة.

♦ **سادساً– معوقات العصف الذهني ومشكلاته:**

تعددت معوقات العصف الذهني ومشكلاته، فقد صنفها سعيد (٢٠٠٠) إلى:

أ. المعوقات الإدراكية: وتتمثل المعوقات الإدراكية بتبني الإنسان طريقة واحدة للنظر إلى الأشياء والأمور فهو لا يدرك الشيء إلا من خلال أبعاد تحددها النظرة المقيدة التي تخفي عنه الخصائص الأخرى لهذا الشيء.

ب. المعوقات النفسية: وتتمثل في الخوف من الفشل، ويرجع هذا إلى عدم ثقة الفرد بنفسه وقدراته على ابتكار أفكار جديدة وإقناع الآخرين بها، وللتغلب على هذا المعوق يجب أن يدعم الإنسان ثقته بنفسه وقدراته على الإبداع وبأنه لا يقل كثيراً في قدراته ومواهبه عن العديد من العلماء الذين أبدعوا وأخترعوا وأكتشفوا.

ت. القيود المفروضة ذاتياً: ويعد هذا المعوق من أكثر المعوقات صعوبة، ويعني أن يقوم الشخص من تلقاء نفسه بوعي أو بدون وعي بفرض قيود لم تفرض عليه لدى تعامله مع المشكلات.

ث. التقيد بأنماط محددة للتفكير: كثيراً ما يذهب بعضهم إلى اختيار نمط معين للنظر إلى الأشياء ثم يرتبط بهذا النمط مطولاً لا يتخلى عنه، كذلك قد يسعى بعضهم إلى افتراض أن هناك حلاً للمشكلات يجب البحث عنه.

ج. التسليم الأعمى للافتراضات: وهي عملية يقوم بها العديد منا بغرض تسهيل حل المشكلات، وتقليل الاحتمالات المختلفة الواجب دراستها.

ح. التسرع في تقويم الأفكار: وهو من المعوقات الاجتماعية الأساسية في عملية التفكير الإبداعي، ومن العبارات التي عادةً ما تفتك بالفكرة في مهدها ما نسمعه كثيراً عند طرح فكرة جديدة مثل: لقد جربنا الفكرة من قبل، من يضمن نجاح هذه الفكرة؟ هذه الفكرة سابقة جداً لوقتها، وهذه الفكرة لن يوافق عليها المسؤولون.

ويمكن أن يضيف الباحثون بعض المعوقات التي واجهتهم في أثناء القيام بطريقة العصف الذهني في تنفيذ البرنامج تتلخص فيما يأتي:

- معوقات تتعلق بمزاجية الطالب بعدم ضرورة التعامل مع الآخرين.
- تشعب عملية العصف الذهني في بعض الأحيان، وتوسعها بشكل كبير دون جدوى من هذا التشعب في تحقيق الهدف المطلوب.
- هناك صعوبة في التزام الطلبة دوماً بقواعد العصف الذهني المشار إليها سابقاً الأمر الذي يجعل المعلم متيقظاً دوماً لذلك، لتنبيه الطالب.

المحور الثاني: التفكير الناقد:

♦ أولاً- ماهيته:

يرى جروان (١٩٩٩) أن التفكير الناقد شكل من أشكال التفكير، وهو أرقى أو أعقد من عمليات التفكير الأساسية، وهو من المفاهيم التربوية المركبة التي تتداخل مع مفاهيم التفكير المختلفة، فينظر إليه مرة على أنه مواز للتفكير المجرد عند بياجيه، أو مستوى التقويم عند بلوم (Bloom) ، ومرة أخرى على أنه متشابه مع إستراتيجية حل المشكلات، وأبعد من ذلك ينظر إليه أحياناً على أنه التفكير المنطقي أو الاستقصاء أو التفكير الإبداعي، وتعد هذه الأشكال مرادفات لشيء واحد، على الرغم من الاختلافات الجوهرية بينها، مما أدى إلى أن يصبح مصطلح التفكير الناقد من أكثر المصطلحات التربوية لُبساً، ويُساء استعماله من قبل كثير من التربويين عند محاولتهم تحديد مهارات التفكير وعملياته مثل: أسلوب حل المشكلات والتفكير التأملي والتفكير التحليلي، والتفكير الواضح والتفكير المنطقي، والتفكير المستقبلي وكشف العيوب والتمييز والتناقض واستخدامها للتعبير عن التفكير الناقد (جروان، ١٩٩٩) . وبالآتي فإن التفكير الناقد ليس خياراً تربوياً، وإنما ضرورة تربوية لا غنى عنها، ويعزى ذلك إلى جملة من الاعتبارات منها أن تنمية القدرة على هذا التفكير عند الطلبة تؤدي إلى فهم أعمق للمحتوى المعرفي الذي يتعلمونه، ذلك أن التعلم في

أساسه عملية تفكير، وأن التفكير يحول عملية إكساب المعرفة من عملية خاملة إلى نشاط عقلي يُفضي إلى إتقان أفضل للمحتوى وإلى ربط عناصره بعضها ببعض (عبيد، ٢٠٠٤).

♦ ثانياً- أهمية تعليم التفكير الناقد:

يعمل تعليم التفكير الناقد على تشجيع روح التساؤل والبحث والاستفهام وعدم التسليم بالحقائق دون القيام بالتحري أو الاكتشاف، وهذا يؤدي إلى توسيع الآفاق العقلية للمتعلمين وجعلهم يبتعدون عن التمحور الضيق حول ذواتهم، ويشجعهم على اكتساب تطورات جديدة لتفسير الأمور، وتطوير أنماط تفكير مبتكرة، وتوسيع العمليات العقلية للمتعلمين بالانطلاق إلى رحاب أوسع من المواقف والمفاهيم، والابتعاد عن الخبرات الحسية، ومساعدة المتعلمين في توسيع نطاق خبراتهم (حبيب، ٢٠٠٣) . ويؤدي التفكير الناقد إلى مراقبة المتعلمين لتفكيرهم وضبطه، وبالآتي تكون أفكارهم أكثر دقة وصحة، وهذا يساعدهم في وضع القرارات في حياتهم اليومية ويُبعدهم عن الانقياد العاطفي والتطرف في الرأي (غانم، ٢٠٠٤) . ويرى الحارثي (٢٠٠١) أن التفكير الناقد يؤدي إلى تطوير تفكير الأشخاص لكي يصبحوا موضوعيين وغير متحيزين، يراعون الدقة والوضوح والعدالة عند اتخاذ القرارات. وتؤكد السرور (٢٠٠٢) أن المواطنة الصالحة تعتمد على التفكير الناقد، لأن الفرد يكون قادراً على التعامل مع الكم الهائل من المعلومات، وقادراً على إيجاد وسيلة للحكم على مصداقية هذه المعلومات، وبذلك أصبح التفكير الناقد شعاراً للعديد من رجال التربية والتعليم، لذلك عمد رجال التربية والتعليم إلى القيام بالدراسات والأبحاث المختلفة لتفعيل مهارات التفكير الناقد في التدريس والمنهاج وتعليم المعلم، فقد وضع ريتشارد بول (Pritchard Paul) كما هو مشار إلية في (السرور، ٢٠٠٢) نظرية للتفكير الناقد في التربية تعطي طريقة لتطوير نظام التعليم، وجعل المدارس مكاناً لتشجيع قدرات الأفراد على التفكير بعمق.

♦ ثالثاً- خصائص التفكير الناقد ومحدداته:

بغض النظر عن الاختلاف في نظرة العلماء للتفكير الناقد إلا أن له بعض الخصائص والمحددات التي يعرف بها، فقد أشار سعادة (٢٠٠٣) إلى أن باير (Beyer) ذكر أن **خصائص التفكير الناقد توفر ما يأتي**:

١. القابليات العقلية المهمة: وتتمثل هذه القابليات بالتشكك والعقل المتفتح وتقدير الدليل والاهتمام بالدقة والوضوح والنظر إلى مختلف وجهات النظر، وتغيير المواقف في ضوء الأسباب الجديدة.

٢. المعايير المناسبة: يتطلب التفكير الناقد تطبيق المعايير المناسبة، وعلى الرغم من الجدل القائم حول حاجة كل مادة دراسية إلى معايير خاصة بها إلا أن بعض هذه المعايير يمكن تطبيقها على جميع المواد.

٣. نوع من المحاولة: وتتمثل في عبارة أو مقترح مدعوم بدليل، وهنا يتضمن التفكير الناقد تحديد المجالات والعمل على تطبيقها وتطويرها.

٤. الإهتمام بالاستنتاج: لا بد من توافر المقدرة على استنتاج الأحكام أو القواعد النهائية من واحدة أو أكثر من المسلمات، ولتحقيق ذلك يتطلب الأمر فحص العلاقات المنطقية بين البيانات والمعلومات المتوافرة.

٥. الاهتمام بوجهات النظر الأخرى: ينظر المفكر الناقد إلى الظاهرة أو القضية أو المشكلة من زوايا مختلفة، آخذاً في اعتباره وجهات نظر الآخرين التي يجب الاستماع إليها والإفادة منها، بهدف الوصول إلى قرار أكثر دقة وصواباً في نهاية الأمر.

أما المحددات التي يُعرف بها التفكير الناقد فقد لخصها المصري (٢٠٠٣) فيما يأتي:

١. يحتاج التفكير الناقد إلى أدلة ومعايير يُتفق عليها قبل البدء بإعطاء حكم أو قرار.

٢. لا يسير التفكير الناقد وفق قواعد وأنظمة محددة وصارمة كما هي الحال في خطوات حل المشكلات وأسلوب البحث العلمي، وإنما هي مجموعة من المهارات الفعلية التي لا تسير وفق نسق معين.

٣. لا يهدف التفكير الناقد إلى الوصول لحل مشكلة أو إعطاء قرار وإنما يهدف إلى تطوير القدرات العقلية لدى الأفراد وفق منظومة مهارات تفكيرية، بحيث يصدرون حكماً أو يتوصلون إلى رأي بشكل موضوعي دقيق. بعيد عن التحيز والمحاباة.

ويرى الحارثي (٢٠٠١) أن التفكير الناقد يتحدد بثلاثة جوانب هي:

أ. الحاجة إلى الأدلة والشواهد التي تدعم الفكرة قبل الحكم على صحتها.

ب. تحديد أساليب البحث المنطقي التي تساعد في تحديد موثوقية الأدلة والشواهد وتقدير مدى مساهمتها في الوصول إلى النتائج المقبولة.

ت. مهارة توظيف الأساليب والأدلة والشواهد السابقة واستخدامها في تقويم الفكرة استخداماً منطقياً.

♦ رابعاً- مهارات التفكير الناقد:

مهارات التفكير الناقد كثيرة، فقد وضع واطسون وجليسر (Watson & Glaser,1991) قائمة احتوت على عدة مهارات للتفكير الناقد منها: تقدير صحة الاستنتاج من بين عدة بدائل، والتعرف إلى الفروض، واختبار صحة نتائجها، واستنباط النتائج، وتفسير المعلومات، وتقويم المناقشات أو الدليل في ضوء مناسبته وأهميته للقضية المطروحة. ووضع باير (Beyer) المشار إليه في عبابنة (٢٠٠٢) عشر مهارات للتفكير الناقد، تتمثل في التمييز بين الحقائق والإدعاءات، تحديد دقة الخبر وصدقه، تحديد صدق المصادر، والقدرة على التنبؤ، وتمييز المعلومات ذات العلاقة عن غير ذات العلاقة، وتعريف الفرضيات غير الواضحة وفهم الأخبار والمناقشات الغامضة والمتداخلة، ومعرفة التناقضات المنطقية، وتحديد قوة المناقشة وأهميتها، والتمييز بين الادعاءات ذات القيمة، والإدعاءات غير ذات القيمة المعتبرة وغير المعتبرة. ومن التصنيفات الحديثة تصنيف فايسون (Faison) المشار إلية في (سوسن، ٢٠٠٨) والذي **يرى بأن هذه المهارات تتكون من**:

١. التفسير أو الإستيعاب: فك الرموز، توضيح المعاني عن طريق (الملاحظات المصفوفات، الجداول) .

٢. التحليل: فحص الأفكار، تعرف المقولات (الطروحات) ، وتحليلها عن طريق (عناصر التفكير، الإنصات، البيانات، التصنيف) .

٣. التقويم: تقويم الحجج، الإدعاءات، تقويم المقولات أو الإشاعات عن طريق (طرح الأسئلة، المصداقية، المعقولية، الثقة) .

٤. تنظيم الذات: نقد الذات، وإصلاح الذات عن طريق: (النقد الذاتي، والتغيير، وتعرف الأخطاء الشخصية في التفكير) .

ومهما كان نوع مهارات التفكير الناقد، يؤكد الباحثون على توظيف مهارات التفكير الناقد في الحياة اليومية بهدف المساهمة الفاعلة في خدمة المجتمع المحلي، وهذه المهارات يجب أن تكون مهارات علمية تعلميه عملية، لتمكن الطلبة من إعادة بناء وتنظيم وتقويم المعلومات التي درسوها في المنهاج.

♦ خامساً- أساليب تنمية التفكير الناقد:

اقترح نيدلز (Needles) المشار إليه في (العتوم، وعلاونة، وجراح، وأبو غزال، ٢٠٠٥) مهارات أو أساليب عدة من شأنها العمل على تنمية التفكير الناقد ومنها:

- تحديد المشكلات تحديدا دقيقا، مما يُسهم في تحديد الأجزاء الرئيسية للبرهان والدليل.
- إدراك وجه الشبه والاختلاف بين الموضوعات والأشياء، وهذا معناه القدرة على التصنيف والتمييز.
- تحديد موضوعات ذات صلة بالموضوع وترتيبها حسب درجة ارتباطها بالموضوع وأهميتها.
- صياغة مجموعة من الأسئلة من شأن الإجابة عليها تحقيق فهم أعمق للمشكلة.
- تقديم معيار أو مجموعة معايير موضوعية للحكم على نوعية الملاحظات والاستنتاجات.
- تحديد مدى ارتباط الموضوعات والرموز ببعضها وبالمشكلة عموماً.
- تركيز العمل على تمييز الصيغ المتكررة، ومحاولة إختزالها والحكم على دقة وموثوقية المصادر.
- تمييز الإتجاهات والتصورات والرؤى المختلفة التي تعالج المشكلة.
- تحديد البيانات والحكم على مدى كفايتها في معالجة المشكلة.
- توقع النتاجات الممكنة والمحتملة لمختلف الظروف والأحداث التي تحيط بالمشكلة موضع التفكير.
- القدرة على تمييز وإستبصار الحلول التي لم تظهر صراحةً بالبرهان والدليل.

ويمكن تنمية التفكير الناقد لدى المتعلمين من خلال ثلاثة أساليب هي (الحيلة، ٢٠٠٢; غانم، ٢٠٠٤; قطامي، ٢٠٠٥; ,Wakefield,1996 Smith, 1999 Cotton ; 1999) :

- **الأسلوب الأول- المستقل أو المباشر في تعليم التفكير الناقد:**

ويتمثل هذا الأسلوب بتعليم التفكير الناقد باعتباره مادة مستقلة خارج المنهاج الدراسي، تُدرس كغيرها من المواد الدراسية عن طريق برامج خاصة بهذا النوع من التفكير، حيث تهدف هذه البرامج إلى الإرتقاء بتفكير الطلبة في كثير من الجوانب التي تتعدى التحصيل. ويرى دعاة هذا الأسلوب بأن الاهتمام بالتفكير بشكل مباشر يركز على المهارة الفكرية وليس على المحتوى الدراسي، فالتركيز على المحتوى يشكل معوقاً أمام تنمية المهارات الفكرية الإبداعية لدى الطلبة. ومن أنصار هذا الأسلوب ديبونو (DeBono) وكوستا (Costa) وبوغرو (Pogrow) .

- **الأسلوب الثاني: أسلوب تعليم التفكير الناقد من خلال المنهاج الدراسي (أسلوب الدمج) :**

ويتمثل هذا الأسلوب بتعليم التفكير الناقد من خلال المناهج الدراسية. ويرى دعاة هذا الأسلوب أن تعليم التفكير الناقد من خلال المنهاج الدراسي أفضل من التفكير الناقد كمادة مستقلة خارج المناهج الدراسية؛ لأنه يساهم في إيجاد تفسير لبعض القضايا بالمواد الدراسية، ويساعد في التغلب على بعض الصعوبات التعليمية. ومن أنصار هذا الأسلوب جاو (Gough) وبوم (Baum) .

- **الأسلوب الثالث: الأسلوب المعرفي في تعليم التفكير الناقد (الجمع بين الأسلوبين السابقين) :**

وفيه يكون تعليم التفكير الناقد بوصفه مادة مستقلة إضافة إلى تضمين مهاراته إلى المحتوى الدراسي. كما يتم تعلم مهارات التفكير الناقد من خلال المهمات الموجودة في الحياة الواقعية مثل إنتاج المشاريع ذات صلة بالحياة اليومية.

♦ سادساً- المعوقات التي تواجه تنمية التفكير الناقد:

أشار العتوم، والجراح، وبشارة (٢٠٠٧) إلى وجود عدد من المعوقات والأسباب والحالات التي تؤدي إلى فشل عملية تنمية التفكير الناقد وهي:

١. إنخفاض مستوى الدافعية للتعلم والإبداع.

٢. تدني مستوى المثابرة والمناقشة والأنشطة والطموح من قبل الطلبة.

٣. صعوبة تحويل الأفكار إلى مواقف عملية تصل إلى درجة الإتقان، مما يولد الإحساس بالإحباط والتراجع.

٤. عدم انتباه الطلبة داخل الغرفة الصفية، مما يولد التشتت في التركيز.

٥. قلة التدريبات والدورات التي يتلقاه طلبة كليات التربية قبل تعيينهم كمعلمين للمدارس في تعليم التفكير.

ويضيف الباحثون معوقات أخرى تتلخص بما يأتي:

١. عدم لفت نظر الطلبة لمسألة التفكير بأنواعه، وعلى رأسه التفكير الناقد من قبل المعلمين في أثناء إعطاء الدروس.

٢. سوء فهم متطلبات القيام بالمهارة وفي كيفية شرح المهارة وتطبيقها من قبل المعلم والطالب.

٣. الالتزام بما هو موجود وعدم التطلع إلى ما وراء الأمور.

دراسات سابقة:

تطرقت العديد من الدراسات السابقة إلى موضوع العصف الذهني، وأثره في تنمية التفكير الناقد، وحظيت بعض الحقول المعرفية باهتمام كبير بهذا الموضوع في حين لم تلق الدراسات المتخصصة في العلوم مثل هذا الاهتمام الكبير، مما دفع الباحثين إلى التعريف ببعض الدراسات القريبة من موضوع بحثهما، والتي استفادا منها في تصميم البحث، وفي إثراء إطاره النظري، وفيما يأتي بيان لأهمها:

أولاً- الدراسات العربية:

أجرى **الزعبي** (٢٠٠٣) دراسة هدفت إلى اختبار أثر كل من طرق الاكتشاف الموجه، والمناقشة، والعصف الذهني في تنمية التفكير الناقد والتحصيل في وحدة الفقه من مقرر التربية الإسلامية لدى طلبة الصف الثامن الأساسي في لواء الكورة، وتكونت عينة الدراسة من (١٩٩) متعلماً ومتعلمة يمثلون الصف الثامن الأساسي، موزعين على (٨) شعب دراسية في أربع مدارس، وقسموا بطريقة عشوائية إلى أربع مجموعات، ولتحقيق الهدف من الدراسة، أعدت أدوات البحث المكونة من البرنامج التعليمي واختبار التحصيل المعرفي واختبار التفكير الناقد، وقد توصلت الدراسة إلى وجود أثر واضح للطرائق الثلاث: (الاكتشاف والمناقشة والعصف الذهني) في التحصيل وتنمية التفكير الناقد بغض النظر عن الجنس وعدم وجود أثر ذي دلالة إحصائية للتفاعل بين الجنس و الطريقة في كل من اختبار التحصيل (المباشر) ، واختبار التفكير الناقد (المباشر) كذلك أظهرت نتائج الدراسة وجود أثر ذي دلالة إحصائية للتفاعل بين الجنس والطريقة في كل من الاختبار التحصيلي البعدي (المؤجل) واختيار الناقد البعدي (المؤجل) . وإن درجة التحسن في التفكير الناقد والتحصيل (قبل و بعد التجربة) عند الإناث كانت أعلى منها عند الذكور من الناحية الإحصائية.

أما دراسة **الدليمي** (٢٠٠٧) فهدفت إلى معرفة أثر إستراتيجيتي العصف الذهني والتعلم التعاوني في تنمية مهارات التعبير الكتابي والتفكير الناقد لدى طلبة المرحلة الثانوية ولتحقيق أهداف الدراسة أختار الباحثون (١٧٦) طالبا وطالبة من طلبة الصف الأول الثانوي العلمي، من مدارس منطقة الكرك التعليمية في العام الدراسي (٢٠٠٥-٢٠٠٦) منهم (٨٧) طالباً و (٨٩) طالبة وقد وزع الطلبة عشوائيا على ثلاث مجموعات. وأعد الباحثون اختباراً في التعبير الكتابي، ودليلا للمعلم في تدريس التعبير الكتابي باستخدام استراتيجيتي العصف الذهني والتعلم التعاوني، وقد توصلت الدراسة لنتائج

من أهمها وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) في اكتساب مهارات التفكير الناقد لدى طلبة الصف الأول الثانوي تعزى إلى إستراتيجيتيْ العصف الذهني والتعلم التعاوني بالمقارنة مع الطريقة الاعتيادية لصالح إستراتيجية العصف الذهني.

دمياطي (١٩٩٨) ، وهي دراسة هدفت إلى قياس أثر استخدام العصف الذهني في تدريس التاريخ في تنمية التفكير لدى طالبات المرحلة المتوسطة بالمدينة المنورة، وتكونت عينة الدراسة من (٧٣) طالبة، تم تقسيمهن إلى مجموعتين إحداهما تجريبية والأخرى ضابطة، وأظهرت نتائج الدراسة تفوق المجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة، وأتضح أن أسلوب العصف الذهني له تأثيره الفاعل في تنمية التفكير.

وأجرى **سليمان** (١٩٩٩) دراسة هدفت إلى التعرف إلى أثر طريقة العصف الذهني في تنمية التفكير الناقد في مادة الفلسفة لدى المرحلة الثانوية في مصر، وتكونت عينة الدراسة من (٣٠) طالباً كمجموعة تجريبية و (٣٢) طالباً كمجموعة ضابطة، وطبق الباحثون اختباراً (كورنيل) للتفكير الناقد قبلي وبعدي على المجموعة التجريبية والضابطة، وأظهرت نتائج الدراسة أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعة الضابطة التي درست بالطريقة التقليدية والمجموعة التجريبية التي درست بالعصف الذهني قبل التدريس. ووجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعة الضابطة التي درست بالطريقة التقليدية والمجموعة التجريبية التي درست بالعصف الذهني بعد التدريس لصالح المجموعة التجريبية.

بينما أجرى **الحربي** (٢٠٠٢) دراسة هدفت إلى قياس أثر استخدام العصف الذهني في تنمية التفكير الناقد، والتحصيل الدراسي لدى عينه مكونة من (٦٣) طالباً من طلاب الصف الأول الثانوي لمادة الأحياء في المملكة العربية السعودية، حيث قُسِّم الطلبة إلى مجموعتين: أحدهما ضابطة والأخرى تجريبية، وأظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط التحصيل البعدي للأهداف المعرفية من تصنيف بلوم لصالح المجموعة التجريبية التي درست باستخدام العصف الذهني.

دراسة **الدوسري** (٢٠٠٥) وهدفت إلى استقصاء أثر كل من طريقتي الاستقصاء والعصف الذهني في تنمية التفكير الناقد في الدراسات الاجتماعية لدى طلاب المرحلة الثانوية في دولة قطر، حيث اختيرت عينة مكونة من (٦٠) طالباً لشعبتين موزعتين بالطريقة العشوائية الأولى مكونة من (٣٠) طالباً درست بالطريقة الاستقصائية، والمجموعة الثانية مكونة من (٣٠) طالباً درست بطريقة العصف الذهني. وقد استخدم اختبار التفكير الناقد بالاعتماد

على إستراتيجية باير (Beyer,1985) وتوصل إلى وجود أثر ذي دلالة إحصائية لكل من طريقة الاستقصاء والعصف الذهني في تنمية جميع مهارات التفكير الناقد.

ثانياً- الدراسات الأجنبية:

أجرى **درايسة (Darayseh ,2003)** دراسة هدفت إلى معرفة أثر برنامج مقترح مبني على إستراتيجيتي الخريطة الدلالية والعصف الذهني في تطوير الاتجاهات والقدرة الكتابية باللغة الإنجليزية لطلبة الصف الأول الثانوي العلمي، وتقويم الدور الذي تؤديه هذه الاستراتيجيات في الارتقاء باتجاهاتهم نحو الكتابة في منطقة الرمثا، حيث تكون مجتمع الدراسة من طلبة الصف الأول الثانوي العلمي كافة في المدارس الحكومية التابعة لمديرية تربية لواء الرمثا في العام الدراسي ٢٠٠٢/ ٢٠٠٣ وتكونت عينة الدراسة من (٢١٢) متعلماً ومتعلمة، موزعين على ثلاث شعب للذكور، وثلاث للإناث اختيرت عشوائياً، وقد تكونت المجموعة التجريبية من شعبتين للذكور وشعبتين للإناث، بينما تكونت المجموعة الضابطة من شعبة للذكور وأخرى للإناث، وقد توصلت الدراسة لنتائج من أهمها، وجود فروق دالة إحصائياً لصالح المجوعة التجريبية التي تم تدريسها وفقاً للبرنامج المقترح.

ودراسة **كوتشري (Kochery, 2003)** التي هدفت إلى دراسة أثر إستراتيجية (IGP) Individual Orientation–Group Interactions –Personal Reflection أي التوجيه الفردي والتفاعل الجماعي وانعكاس التفاعلات الشخصية في إنتاج وتوليد أفكار جديدة، وإستراتيجية (IGP) هي إستراتيجية معدلة لإستراتيجية العصف الذهني تقوم على ثلاث مراحل للأفكار هي: التوجيه الفردي، والتوجيه الذي يقوم على تفاعلات جزء من المجموعة أو الجماعة، والتوجيه الذي يقوم على التفكير (الانعكاس) ، وهو تفكير ناشئ عن خصائص الفرد الشخصية، وهذه المراحل الثلاث تسمح للمشاركين في إنتاج أفكار جديدة بمفردهم، ولو أعطينا الوقت الكافي لهذه الطريقة فسوف نتوقع أن تعمل على تحسين الأفكار خاصة لدى المشاركين ممن يتمتعون بمستوى عالٍ من الفهم و الإدراك حيث أجريت الدراسة على طلاب من ذوي إدراك (عال/ منخفض) ، وأظهرت النتائج أن هذه الإستراتيجية أوجدت عدداً كبيراً من الأفكار المبتكرة على عكس الطريقة المعتادة كما أن الطلبة الذين يتمتعون بمستوى عالٍ من الإدراك أنتجوا عدداً أكثر وأفضل من الأفكار الجديدة.

ودراسة **وولتر (Walter, 2004)** وهي دراسة بحثت في أهمية سؤال الطالب للطالب بتوليد أكبر عدد من الحلول في الفهم الرياضي والعمل في مهمات مفتوحة النهاية عندما يناقش طلاب المدارس الثانوية إستراتيجيات بناء النماذج الرياضية ووضعها. وتكونت عينة الدراسة من ستة طلاب من المرحلة الثانوية يعملون معاً كمجموعة في موضوعات

ما قبل التفاضل لدراسة تفكير الطلبة الرياضي، وإيجاد البراهين وتقويم الحجج. وحُدِّدت الأحداث المهمة والتعريف بها بمشاهد فيديو معينة التقطت ونقلت تصرفات وسلوكيات معينة كلامية وغير كلامية، وتوبع الطلبة عن طريق أنشطة وثيقة الصلة بأسئلة الطلبة بعضهم بعضاً، من خلال تنوع الأسئلة والأفكار التي كشفت أنها كانت أساساً في تحفيز الطلبة لبناء فهم رياضي خاص بهم، وأن لهذه الدراسة تطبيقات مهمة في الممارسة والنشاط الصفي يُمكن المتعلمين الناضجين من التفكير نقدياً والبحث عن إجابات لأسئلتهم.

إجراءات الدّراسة:

مُجتمع الدّراسة:

تكون مجتمع الدراسة الحالية من جميع طلاب الصف السابع الأساسي الذكور الذين يدرسون مادة العلوم في مديرية التربية والتعليم لمحافظة البلقاء خلال الفصل الدراسي الأول من العام الدراسي ٢٠١٠/ ٢٠١١ وعددهم (١٣٠٨) طلاب، موزعين على (١٣) مدرسة حسب الإحصائيات التي حصل عليها الباحثون من المنطقة التعليمية المعنية.

عيّنة الدّراسة:

تكونت عينة الدراسة من (٦٠) طالباً من طلاب الصف السابع الأساسي الذين يدرسون مادة العلوم في مدرستي الفحيص وماحص الثانوية للبنين التابعتين لمديرية تربية البلقاء، وذلك خلال الفصل الدراسي الأول من العام الدراسي ٢٠١٠/ ٢٠١١. واختيرت المدرستان بطريقة (عشوائية) ، فكان عدد المجموعة التجريبية (٣٠) طالباً من مدرسة الفحيص الثانوية للبنين حيث تضم المدرسة (٢) شعبتين للصف السابع، ووزعتا عشوائياً وعن طريق القرعة؛ مثلت الشعبة (أ) المجموعة التجريبية التي ضمت (٣٠) طالباً، وعدد المجموعة الضابطة (٣٠) طالباً من مدرسة ماحص الثانوية للبنين التي تضم (٣) شعب للصف السابع وزِّعت عشوائياً وعن طريق القرعة؛ مثلت الشعبة (ب) المجموعة الضابطة، وقد توزعت عيّنة الدّراسة حسب الجدول الآتي:

الجدول (١)

يبيّن توزيع أفراد عيّنة الدّراسة تبعاً لطريقة التدريس والمجموعة

المجموعة	طريقة التدريس	اسم المدرسة	العدد	الشعبة
تجريبية	البرنامج التدريبي	مدرسة الفحيص الثانوية للبنين	٣٠	أ
ضابطة	البرنامج العادي	مدرسة ماحص الثانوية للبنين	٣٠	ب

إجراءات التكافؤ:

للتأكد من تكافؤ المجموعتين في مستوى التفكير الناقد طبِّق اختبار التفكير الناقد «الاختبار القبلي» حيث اُستخدمت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار (T- test) لعينتين مستقلتين لبيان دلالة الفرق بين كل متوسطين لأداء الطلبة على كل مجال من مجالات اختبار التفكير الناقد القبلية، وحسب متغير المجموعة (التجريبية والضابطة) والجدول (٢) يبين ذلك:

الجدول (٢)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار (T- test) لأداء الطلبة على اختبار التفكير الناقد القبلي الكلي وفي كل مجال من مجالاته وحسب متغير المجموعة (التجريبية والضابطة) .

المجال	المجموعة	عدد الطلبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت	مستوى الدلالة
الدقة في فحص الوقائع	الضابطة	٣٠	٢,٦٩	٠,٦٢٦	-٠,٣٩٩	٠,٦٩٣
	التجريبية	٣٠	٢,٧٤	٠,٥٨٣		
الاستدلال	الضابطة	٣٠	٢,٧٠	٠,٦٠٩	٠,٤٥٦	٠,٦٥٣
	التجريبية	٣٠	٢,٦٧	٠,٦١١		
تقويم الحجج	الضابطة	٣٠	٢,٦٧	٠,٦٤٧	٠,٦٤٤	٠,٥٢٢
	التجريبية	٣٠	٢,٥٦	٠,٦٤٩		
الاستنتاج	الضابطة	٣٠	٢,٦٩	٠,٥٣٤	-٠,٦٣٧	٠,٥٢٧
	التجريبية	٣٠	٢,٧٥	٠,٥٨٢		
التفريق بين الرأي والحقيقة	الضابطة	٣٠	٢,٨٠	٠,٣٥٦	٠,٧٤٤	٠,٤٦٢
	التجريبية	٣٠	٢,٧٢	٠,٥١٨		
التصنيف	الضابطة	٣٠	٢,٨٠	٠,٣٥٦	٠,٤١٥	٠,٦٨٥
	التجريبية	٣٠	٢,٧٨	٠,٤٩٦		
استطلاع بعض جوانب الشخصية	الضابطة	٣٠	٢,٩٣	٠,٢٨٦	٠,٩٢٩	٠,٣٥٤
	التجريبية	٣٠	٢,٨٥	٠,٥٦٠		
الكلي	الضابطة	٣٠	١٩,٤٣	٠,٤٩٥	١,٢٧٤	٠,٢٠٩
	التجريبية	٣٠	١٩,١٧	٠,٦٤٤		

* دالة عند مستوى دلالة ($\alpha \leq$ ٠,٠٥)

يتبين من الجدول (٢) ما يأتي: عدم وجود فرق ذي دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha \leq$ ٠,٠٥) بين متوسطي أداء الطلبة على (اختبار التفكير الناقد القبلي الكلي وفي كل مجال من مجالاته) وحسب متغير المجموعة، حيث بلغت قيمة ت (١,٢٧٤) وبدلالة الإحصائية (٠,٢٠٩) ؛ مما يدل على تكافؤ مجموعتيْ الدراسة (التجريبية والضابطة) على (اختبار التفكير الناقد القبلي الكلي وفي كل مجال من مجالاته) .

وبذلك تبين نتائج التحليل في الجدول (٢) تكافؤ المجموعتين الضابطة والتجريبية في الاختبار القبلي الكلي وفي كل مجال من مجالاته، مما يدل على تكافؤ المجموعتين في اختبار التفكير الناقد القبلي وفي كل مجال من مجالاته.

أداتا الدّراسة:

صمَّم الباحثون أداتين هما: البرنامج التدريبي واختبار التفكير الناقد

أ. **البرنامج التدريبي**: وقد اشتمل على استراتيجيات العصف الذهني الأساسية والتي تهدف إلى تنمية التفكير الناقد لدى الطلبة.

ب. **اختبار التفكير الناقد**: يهدف إلى الكشف عن مدى امتلاك الطلبة لمهارات التفكير الناقد التي حددها الباحثون وهي: الدقة في فحص الوقائع، والاستدلال، وتقويم الحجج، والاستنتاج، والتفريق بين الرأي والحقيقة، والتصنيف، واستطلاع بعض جوانب الشخصية

صدق أداتي وثباتهما:

١. الصدق:

عُرض البرنامج على عشرة محكمين من أعضاء هيئة التدريس في الجامعات: عمان العربية والبلقاء التطبيقية، والحسين بن طلال، والشرق الأوسط الّذين قاموا مشكورين بإبداء وجهات نظرهم حول البرنامج من حيث ملاءمته لأغراض الدراسة وبناءً على ما وردنا من ملاحظات أجري التعديل عليه بالإضافة أو الحذف أو إعادة الصياغة.

أما اختبار التفكير الناقد فقد عرض على عشرة محكمين، طلب منهم تحديد مدى تمثيل كل فقرة للبعد الذي اندرجت تحته ومدى صحة الصياغة اللغوية للعبارات والفقرات ووضوحها، ومدى ملاءمة البدائل (المموهات) لكل عبارة، والتأكد من صحة المحتوى العلمي للأداة. كما طُلب من المحكمين إقتراح أية تعديلات أخرى مناسبة يرون ضرورة إجرائها على عبارات الأداة وفقراتها. وبناءً على ذلك فقد عُدِّلت الصياغة اللغوية لبعض الفقرات والعبارات، واستبدلت العبارات والفقرات التي أشار إليها المحكمون، وبعد التحقق من صدق

المحتوى للاختبار عن طريق التحكيم، تأكد الباحثون من صدق الاختبار من خلال إيجاد الصدق العاملي، ويبين الجدول (٣) تشبع كل جانب (البعد) اختبار بالعامل العام (التفكير الناقد) ، الذي تم إيجاده من خلال إجراء التحليل العاملي للدراسة الاستطلاعية التي قام بها الباحثون على عينة تكونت من (٣١) طالباً من مجتمع الدراسة ومن خارج عينتها.

الجدول (٣)

جدول معاملات تشبع الجوانب (الأبعاد) بالعامل العام (التفكير الناقد)

البعد	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
العامل العام	٠,٨١	٠,٦٨	٠,٦٣	٠,٦٩	٠,٧٠	٠,٧٧	٠,٥٨

يتضح من الجدول أن معاملات تشبع الجوانب (الأبعاد) بالعامل العام (التفكير الناقد) ، تعدُّ ذات دلالة إيجابية لصدق الأداة وصلاحيتها للقياس في الدراسة.

٢. **الثبات**:

استخدم الباحثون إعادة الاختبار (Test- Retest Method) بتطبيق الاختبار على عينة عشوائية مكونة من (٣١) طالباً في الصف السابع الأساسي من مجتمع الدراسة (ومن خارج عينتها) ، وأخذ ٢٥٪ كفئة دنيا و٢٥٪ من الطلبة كفئة عليا، وبعد أسبوعين أعيد تطبيق الاختبار على العينة نفسها، وبلغ معامل ثبات الإعادة (بيرسون) للاختبار ككل (٠,٨٦) ، مما يدل على أن الاختبار حقق درجة مقبولة من الثبات.

كما استخدم الباحثون معامل الاتساق الداخلي (معامل كرونباخ الفا) للاختبار ككل وبلغت قيمته (٠,٩٤) وحُسبت معاملات صعوبة فقرات الاختبار وتمييزها وبلغت معاملات الصعوبة بين (٠,٢٧ –٠,٧٧) في حين تراوحت قيم معاملات التمييز بين (٠,٣٦– ٠,٨٢) ودلت هذه القيم على وجود علاقة ايجابية تشير إلى درجة مقبولة من الاتساق الداخلي بين الأبعاد والدرجة الكلية وجميعها مقبولة لغايات هذه الدراسة.

نتائج الدّراسة ومناقشتها:

◄ أولاً– النتائج المتعلقة بالسؤال الأول والّذي نصه: «هل هناك فرق دال إحصائياً عند مستوى دلالة ($\alpha \leq$ ٠,٠٥) بين متوسطي درجات المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية في اختبار التفكير الناقد البعدي الكلي، وفي كل مجال من مجالاته؟ » واختبار الفرضية الأولى المنبثقة عنه، التي تنص على: « لا يوجد هناك فرق دال إحصائياً عند

مستوى دلالة ($\alpha \leq$ ٠,٠٥) بين متوسطي درجات المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية في اختبار التفكير الناقد البعدي الكلي وفي كل مجال من مجالاته.»

للإجابة عن سؤال الدراسة الأول واختبار فرضيته اُستخدمت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار (T- test) لعينتين مستقلتين، وذلك لمعرفة دلالة الفروق بين متوسطي أداء الطلبة على اختبار التفكير الناقد البعدي الكلي، وفي كل مجال من مجالاته، وحسب متغير المجموعة (التجريبية والضابطة) ، والجدول (٤) يبين ذلك:

الجدول (٤)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار (T- test) لأداء الطلبة على اختبار التفكير الناقد البعدي الكلي وفي كل مجال من مجالاته وحسب متغير المجموعة (التجريبية والضابطة)

المجال	المجموعة	عدد الطلبة	المتوسط الحسابي	الإنحراف المعياري	قيمة ت	مستوى الدلالة
الدقة في فحص الوقائع	الضابطة	٣٠	٣,٠٨	٠,٧٥	٣,٠٠٥	٠,٠٠٤
	التجريبية	٣٠	٣,٢٧	٠,٦٨		
الإستدلال	الضابطة	٣٠	٣,٥٩	٠,٧٩	٣,١٨٤	٠,٠٠٣
	التجريبية	٣٠	٣,٧٧	٠,٦٥		
تقويم الحجج	الضابطة	٣٠	٣,١٥	٠,٩٤	٢,٨٤٨	٠,٠٠٦
	التجريبية	٣٠	٣,٤١	٠,٨٨		
الإستنتاج	الضابطة	٣٠	٣,١٦	٠,٥٨	٢,٧٩	٠,٠٠٧
	التجريبية	٣٠	٣,٣٢	٠,٥٣		
التفريق بين الرأي والحقيقة	الضابطة	٣٠	٢,٩١	٠,٦٧	٤,٦٣٥	٠,٠٠٠١
	التجريبية	٣٠	٣,٢٤	٠,٦٨		
التصنيف	الضابطة	٣٠	٣,٠٥	٠,٧٣	٤,٤٨٧	٠,٠٠٠٣
	التجريبية	٣٠	٣,٣٧	٠,٦٩		
استطلاع بعض جوانب الشخصية	الضابطة	٣٠	٣,١٨	٠,٩٧	٢,٠٧٨	٠,٠٣٨
	التجريبية	٣٠	٣,٣٩	٠,٨٥		
الكلي	الضابطة	٣٠	٢٢,٠٦	٠,٥٤	٣,٦٥٥	٠,٠٠٠٥
	التجريبية	٣٠	٢٣,٦٩	٠,٥٨		

* دالة عند مستوى دلالة ($\alpha \leq$ ٠,٠٥)

يتبين من الجدول (٤) وجود فرق ذي دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha \leq$ ٠,٠٥) بين متوسطي أداء الطلبة على (اختبار التفكير الناقد البعدي الكلي وفي كل مجال من مجالاته) وحسب متغير المجموعة ولصالح أداء المجموعة التجريبية (الذين درسوا باستخدام البرنامج التدريبي المبني على العصف الذهني) بمتوسط حسابي (٢٣,٦٩) مقابل (٢٢,٠٦) لأداء المجموعة الضابطة، حيث بلغت قيمة ت (٣,٦٥٥) وبدلالة الإحصائية (٠,٠٠٠٥).

ولقد أظهرت النتائج بالرجوع للجدول (٢) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq$ ٠,٠٥) بين متوسطي أداء المجموعة الضابطة والتجريبية على اختبار التفكير الناقد القبلي الكلي استناداً إلى قيمة (ت) المحسوبة، حيث بلغت (١,٢٧٤) وبدلالة الإحصائية (٠,٢٠٩) ، مما يدل على أن مجموعتي الدراسة متكافئتان قبل البدء في تطبيق البرنامج التدريبي.وتتفق هذه النتيجة مع دراسة سليمان (١٩٩٩) التي أكدت على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعتين «التجريبية والضابطة» قبل التدريس. وتعد هذه النتيجة منطقية نوعاً ما لعدم تلقي أفراد المجموعتين برامج تدريبية متخصصة يتدربون عليها في مواقف علمية مختلفة لرفع مستوى التفكير الناقد لديهم.لكن بعد تطبيق البرنامج أظهرت نتائج الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq$ ٠,٠٥) بين متوسطي درجات المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية في اختبار التفكير الناقد البعدي الكلي، وفي كل مجال من مجالاته.إذ يلاحظ من الجدول (٤) وجود فرق دال إحصائياً بين متوسط المجموعتين الضابطة والتجريبية في جميع المجالات، مما يؤكد أن الفرق يعزى إلى البرنامج التدريبي، وهذه النتيجة تدل على رفض الفرضية الصفرية وقبول البديلة.فقد حدث تحسن لدى المجموعة التجريبية التي طبق عليها البرنامج التدريبي، وكانت قيمة (ت) المحسوبة بالنسبة للفرق بين متوسطي مجموعتي الدراسة على الاختبار التفكير الناقد البعدي الكلي حسب متغير المجموعة (٣,٦٥٣) وبدلالة إحصائية (٠,٠٠٠٤) ، مما يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq$ ٠,٠٥) بين متوسط أداء المجموعة الضابطة، وبين متوسط أداء المجموعة التجريبية على اختبار التفكير الناقد البعدي الكلي بعد تثبيت أثر اختبار التفكير الناقد القبلي الكلي، وكان الفرق لصالح المجموعة التجريبية التي درست البرنامج التدريبي.وتتفق هذه النتيجة مع دراسة دمياطي (١٩٩٨) التي أظهرت أن أسلوب العصف الذهني له تأثيره الفاعل في تنمية التفكير بشكل عام، وفي هذه الدراسة التفكير الناقد بشكل خاص، وكذلك دراسة سليمان (١٩٩٩) التي أكدت على وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعتين: «التجريبية والضابطة» التي درست بالطريقة التقليدية والتجريبية التي درست بالعصف

الذهني بعد التدريس لصالح المجموعة التجريبية.واتفقت أيضاً مع دراسة كل من الحربي (٢٠٠٢) ودرايسة (Darayseh ,2003) لصالح المجموعة التجريبية.

ويمكن عزو هذه النتيجة كما يراها الباحثون إلى إخضاع المجموعة التجريبية إلى تدريب مباشر في مجال العصف الذهني بطريقة روعي فيها تنظيم المحتوى وفقاً للأنشطة التعليمية التي صُممت بالاعتماد على التخطيط الدقيق في تنظيم المحتوى، وإدارة العملية التعليمية بما يتفق ومستوى المتعلمين وطبيعة المادة المتعلمة، مما ساعد على تنمية التفكير عامة والتفكير الناقد خاصة بصورة تلقائية.في حين لم تتح الفرصة لأفراد المجموعة الضابطة الخضوع لمثل هذا التدريب، وعلى الرغم من ذلك فإننا نلاحظ أن أداء المجموعة التجريبية على الاختبار ككل، وعلى كل مجال من مجالاته كان متواضعاً إلى حدٍ ما حيث كان من المأمول أن تكون النتائج أفضل، ويبدو أن ذلك يتطلب مزيداً من التدريب على هذه المجالات، ولاسيما أن ذلك انعكس على النتيجة الكلية.

◄ ثانياً– النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني والّذي نصه:

«هل هناك فرق دال إحصائياً عند مستوى دلاله ($\alpha \leq$ ٠,٠٥) بين متوسطي درجات المجموعة التجريبية في الاختبارين القبلي والبعدي الكلي، وفي كل مجال من مجالاتهما؟» واختبار الفرضية الثانية المنبثقة عنه، والتي تنص على: «لا يوجد هناك فرق دال إحصائياً عند مستوى دلاله ($\alpha \leq$ ٠,٠٥) بين متوسطي درجات المجموعة التجريبية في الاختبارين القبلي والبعدي الكلي وفي كل مجال من مجالاتهما».

وللإجابة عن سؤال الدراسة الثاني واختبار فرضيته، استخدمت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار (T- test) لعينتين مرتبطتين، وذلك لمعرفة دلالة الفروق بين متوسطي درجات المجموعة التجريبية في اختبار التفكير الناقد القبلي والبعدي الكلي، وفي كل مجال من مجالاتهما، وحسب متغير الاختبار والجدول (٥) يبين ذلك:

الجدول (٥)

نتائج إختبار T- test بين متوسطات درجات المجموعة التجريبية في الإختبارين القبلي والبعدي الكلي وفي كل مجال من مجالاتهما

المجال	الاختبار	عدد الطلبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت	مستوى الدلالة
الدقة في فحص الوقائع	القبلي	٣٠	٣,١٧	٠,٩٦	٣,٠٨	٠,٠٠٤
	البعدي	٣٠	٣,٦٦	٠,٧٩		

المجال	الاختبار	عدد الطلبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت	مستوى الدلالة
الاستدلال	القبلي	٣٠	٢,٨٧	٠,٨٣	٢,٥٣	٠,٠١٤
	البعدي	٣٠	٣,٢٨	٠,٨٢		
تقويم الحجج	القبلي	٣٠	٢,٧٦	٠,٦٧	٢,٦٤	٠,٠٢
	البعدي	٣٠	٣,٠٥	٠,٦٥		
الاستنتاج	القبلي	٣٠	٣,٨٧	٠,٨٧	٢,١٦	٠,٠٤
	البعدي	٣٠	٤,٢٨	٠,٧٢		
التفريق بين الرأي والحقيقة	القبلي	٣٠	٣,٤٩	١,٠٠	٢,٣٨	٠,٠٣
	البعدي	٣٠	٤,٠٥	٠,٨٧		
التصنيف	القبلي	٣٠	٣,٨٨	٠,٥٢	٢,٣٣	٠,٠٣
	البعدي	٣٠	٤,١٦	٠,٣٢		
استطلاع بعض جوانب الشخصية	القبلي	٣٠	٣,٨٣	٠,٩٧	٢,١٦	٠,٠٤
	البعدي	٣٠	٤,٢٨	٠,٨٨		
الكلي	القبلي	٣٠	٢٣,٩٤	١,٠٤	٣,٠١	٠,٠٠٤
	البعدي	٣٠	٢٦,٧٠	١,٢٦		

* دالة عند مستوى دلالة ($\alpha \leq$ ٠,٠٥)

تبين نتائج التحليل في الجدول (٥) أن هناك فروقاً ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq$ ٠,٠٥) بين متوسطي درجات المجموعة التجريبية في الاختبار القبلي والبعدي الكلي، وفي كل مجال من مجالاتهما، ولصالح الاختبار البعدي، مما يعني أن للبرنامج التدريبي أثراً في إحداث هذه الفروق.إذ يلاحظ من الجدول (٥) وجود فرق دال إحصائياً بين متوسطي درجات المجموعة التجريبية على الاختبار القبلي والبعدي الكلي، وعلى جميع المجالات التي اختبرت ولصالح الاختبار البعدي الكلي وفي كل مجال من مجالاته، وهذه النتيجة تدل على رفض الفرضية الصفرية، وقبول البديلة، مما يؤكد أن الفرق يعزى إلى البرنامج التدريبي، فقد كانت قيمة (ت) المحسوبة بالنسبة للفرق بين متوسطات درجات المجموعة التجريبية في الاختبارين القبلي والبعدي الكلي وفي كل مجال من مجالاتهما حسب متغير الاختبار (٣,٠١) وبدلالة إحصائية (٠,٠٠٤) ، مما يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq$ ٠,٠٥) بين متوسطي درجات المجموعة التجريبية

في الاختبارين القبلي والبعدي الكلي، وفي كل مجال من مجالاتهما، وكان الفرق لصالح الاختبار البعدي الكلي وفي كل مجال من مجالاته.وعند الموازنة بين النتائج التي توصلت إليها الدراسة الحالية فيما يخص السؤال الثاني وفرضيته ونتائج الدراسات السابقة، نجد أنها اتفقت مع دراسة كل من الزعبي (٢٠٠٣) ودراسة الدوسري (٢٠٠٥) التي أشارت إلى فاعلية طريقة العصف الذهني في تنمية التفكير الناقد، **ويمكن عزو هذه النتيجة كما يراها الباحثون إلى أسباب عدة هي**:

١. يمكن أن تكون الخطوات التي سارت بها طريقة العصف الذهني، والتي أعدها الباحثون أدَّت دوراً في إبعاد الطلبة عن الجمود الفكري، وعملت على زيادة المرونة العقلية، وبالآتي دُعمت الاستقلالية عند الطالب وعُززت ثقته بنفسه، فأصبحت لديه القدرة على تكوين الرأي والتمييز بين الحقيقة وتقويم الحجج والبراهين وبالآتي تم تنمية هذين المجالين.

٢. قامت طريقة العصف الذهني بتحويل الجهد الفردي لحل مشكلات الدرس إلى أسلوب تعاوني جماعي، وتحويل النظرة الأحادية إلى أكبر عدد من الحلول الممكنة من خلالها يقوم الطلبة باستنتاج الأفكار ومعالجة المعلومات والربط بينها، وبذلك فإنهم يطورون الاستنتاج والاستدلال لديهم وهما مجالين من مجالان من مجالات التفكير الناقد.

٣. طريقة العصف الذهني تعطي مجالاً واسعاً للطالب يتعدى فيه عتبة باب المعلومات الصَمي، ويتجاوزه إلى نافذة التفكير التي يرى من خلالها العالم بصورة أوسع وبأشكال متنوعة، فيتعامل مع مدركاته بالتفكير، وليس بالحفظ، فهو يطور مجالات عدة بذلك، أهمها تصنيف الأشياء فيصبح للتعلم الأثر الأبقى.

٤. إن قيام المجموعات ببث الأحاسيس والانفعالات تجاه المشاهد التي تحدث أمامهم والمنبثقة من الروابط الشخصية واحترام آراء الآخرين، يوفر بيئة تسودها الحرية والديمقراطية والبعد عن الخوف والخجل أثناء تطبيق طريقة العصف الذهني، وأن انفعالاتهم وآراءهم تنعكس على محتوى المادة وبذلك يطورون مجالات عدة أهمها تنمية جوانب الشخصية.

٥. إن طبيعة الأنشطة التعاونية وكسب الوقت الكافي بتحديد العلاقة بين المادة التي يدرسونها وهي وحدة الحرارة، وبين الواقع الحالي الذي نعيشه من تغيرات في المناخ والمشكلات البيئية الأخرى والبحث عن سبل الراحة للإنسان، تجعل كل شخص منا يحاور ذاته، ويعيد النظر في حساباته والبحث عن الحقيقة والتصميم على الإنجاز، وبذلك يطور الطلبة العديد من مجالات التفكير الذاتي أبرزها الدقة في فحص الوقائع.

٦. ربما يساهم مبدأ التعزيز الفوري والثواب والمدح والبعد عن العقاب الذي ينتشر في أجواء طريقة العصف الذهني في أثناء القيام بعملية التعليم وفقها، في رفع مستوى التفكير والتفكير الناقد.

◄ ثالثاً– النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث والّذي نصه:

«هل هناك فرق دال إحصائياً عند مستوى دلاله ($\alpha \leq$ ٠,٠٥) بين متوسطي درجات المجموعة الضابطة في الاختبارين القبلي والبعدي الكلي، وفي كل مجال من مجالاتهما؟ » واختبار الفرضية الثالثة المنبثقة عنه، والتي تنص على: «لا يوجد هناك فرق دال إحصائياً عند مستوى دلاله ($\alpha \leq$ ٠,٠٥) بين متوسطي درجات المجموعة الضابطة في الاختبارين القبلي والبعدي الكلي وفي كل مجال من مجالاتهما.

للإجابة عن سؤال الدراسة الثالث واختبار فرضيته أُستخدمت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار (T- test) لعينتين مرتبطتين وذلك لمعرفة دلالة الفروق بين متوسطي درجات المجموعة الضابطة في اختبار التفكير الناقد القبلي والبعدي الكلي وفي كل مجال من مجالاتهما حسب متغير الاختبار والجدول (٦) يبين ذلك:

الجدول (٦)

نتائج اختبار T- test بين متوسطات درجات المجموعة الضابطة في الاختبارين القبلي والبعدي الكلي وفي كل مجال من مجالاتهما

المجال	المجموعة	عدد الطلبة	المتوسط الحسابي	الإنحراف المعياري	قيمة ت	مستوى الدلالة
الدقة في فحص الوقائع	القبلي	٣٠	٢,٩٨	٠,٧٤	١,٩٢٧	٠,٠٥٦
	البعدي	٣٠	٣,١٢	٠,٦٢		
الإستدلال	القبلي	٣٠	٣,٠٨	٠,٧٨	١,٠٢٨	٠,٣٠٥
	البعدي	٣٠	٣,١٨	٠,٧٦		
تقويم الحجج	القبلي	٣٠	٢,٨٩	٠,٨٦	١,٩٠١	٠,٠٥٩
	البعدي	٣٠	٢,٧٥	٠,٧٨		
الإستنتاج	القبلي	٣٠	٣,١٩	٠,٧٥	٠,٨٠٧	٠,٤٢١
	البعدي	٣٠	٣,١١	٠,٧٨		
التفريق بين الرأي والحقيقة	القبلي	٣٠	٣,٧٥	٠,٦٩	١,٥٦٨	٠,١١٨
	البعدي	٣٠	٣,٦٤	٠,٧٨		

المجال	المجموعة	عدد الطلبة	المتوسط الحسابي	الإنحراف المعياري	قيمة ت	مستوى الدلالة
التصنيف	القبلي	٣٠	٢,٨٧	٠,٨٨	٠,٩٤٦	٠,٣٤٧
	البعدي	٣٠	٢,٧٨	٠,٧٦		
استطلاع بعض جوانب الشخصية	القبلي	٣٠	٢,٨٣	٠,٧٩	١,٨٦٢	٠,٠٦٦
	البعدي	٣٠	٢,٨٨	٠,٨٥		
الكلي	القبلي	٣٠	٢١,٤٨	٠,٨٨	١,٧٩	٠,٠٥٧
	البعدي	٣٠	٢١,٣٦	٠,٩٥		

* دالة عند مستوى دلالة (α ≤ ٠,٠٥)

أظهرت نتائج الدراسة أن الفرق في الأداء القبلي والبعدي للمجموعة الضابطة، ليس ذا دلالة إحصائية في الاختبار القبلي والبعدي الكلي، وفي جميع المجالات، بمعنى أنه لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (α ≤ ٠,٠٥) بين متوسطي درجات المجموعة الضابطة على الاختبار القبلي والبعدي الكلي، وفي كل مجال من مجالاتهما، وهذا يعود لعدم تعرض المجموعة الضابطة إلى البرنامج التدريبي.إذ يلاحظ من الجدول (٦) عدم وجود فرق دال إحصائياً بين متوسطي درجات المجموعة الضابطة على الاختبار القبلي والبعدي الكلي، وفي كل مجال من مجالاتها، وهذه النتيجة تدل على قبول الفرضية الصفرية ورفض البديلة، فقد كانت قيمة (ت) المحسوبة بالنسبة للفرق بين متوسطي درجات المجموعة الضابطة في الاختبارين القبلي والبعدي الكلي، وفي كل مجال من مجالاتهما وحسب متغير الاختبار (١,٧٩) وبدلالة إحصائية (٠,٠٥٧) وعند المقارنة بين النتائج التي توصلت إليها الدراسة الحالية فيما يخص السؤال الثالث وفرضيته، ونتائج الدراسات السابقة نجد أنها اتفقت مع العديد من الدراسات مثل: دراسة كل من الزعبي (٢٠٠٣) ودراسة الدوسري (٢٠٠٥) دراسة ترويا وجراهام (Troia & Graham, 2002) (Louis, 1999) فيما أشير إليه سابقاً.

ويمكن عزو هذه النتيجة كما يراها الباحثون إلى أسباب عدة هي:

١. تتميز طريقة العصف الذهني مقارنةً مع الطريقة العادية بأنها تركز على تعلم الطالب بحيث تجعله المحور الرئيس الذي تدور عليه عملية التعلم، في حين أن البرنامج الاعتيادي لا يوفر هذه الفرصة الكافية للطالب.

٢. اختلاف دور المعلم ودور الطالب في طريقة العصف الذهني عن دوريهما في الطريقة الاعتيادية، ويتجلى دور المعلم أكثر بأن يكون صبوراً على الطلبة في أثناء التحاور وفي أثناء البدء بالعصف الذهني وهذا ما قام به الباحثون بأنفسهم من إتاحة الفرصة للطلاب للتعامل بحرية داخل الغرفة الصفية والمختبر المدرسي.

٣. البرامج الاعتيادية لا توفر الطابع الاجتماعي البنائي كما توفره البرامج المبنية على طرق ذات أسس معرفية اجتماعية، لذلك من الممكن أنه لم تتح الفرصة الكافية للطلاب في العمل بشكل جماعي وروح الفريق الواحد، كما هو الحال في طريقة العصف الذهني التي تؤمن للطلاب الأريحية في الانخراط بالأنشطة.

٤. طريقة العصف الذهني تتطلب من المتعلمين استدعاء خبراتهم السابقة، والقيام بعمليات ذهنية ومهارات فكرية مختلفة، كمهارة اكتساب المعرفة، ومهارات اجتماعية، ومهارات تنظيمية وإدارية وأنشطة تعاونية، وكل هذا يُكسب الطلبة اللذين يتعلمون مهارات تفكيرية مختلفة، وفي مقدمتها التفكير الناقد، في حين لا تتاح الفرصة لمن يتعلمون بالطريقة الاعتيادية.

التوصيات:

في ضوء نتائج الدراسة يوصي الباحثون بما يأتي:

١. أهمية العصف الذهني في تدريس العلوم، وضرورة تدريب المعلمين على مبادئه وقواعده وإجراءاته.

٢. توسعة مجالات إدراك المتعلمين وتحريرهم من النظرة الأحادية القطعية من خلال توظيف العصف الذهني في التدريس.

٣. زيادة وعي المعلمين بأهمية الخلفية المعرفية لدى الطالب، ودوره الفاعل في عملية التعلم.

٤. الاهتمام بصفة خاصة بتعليم التفكير الناقد للطلاب، وعلى اختلاف مستوياته، لكي يصبح بمقدورهم التفكير الصحيح، وتمييز الأحداث بالتفكير المناسب بالمعطيات، ومن خلال تدفق الأفكار.

٥. إجراء دراسات حول طرق أخرى في تنمية التفكير الناقد مثل: الاتصال الفعال والتواصل بين الطلبة.

المصادر والمراجع:

أولاً- المراجع العربية:

١. جروان: فتحي عبد الرحمن، (١٩٩٩) «تعليم التفكير: مفاهيم وتطبيقات. العين: دار الكتاب الجامعي.

٢. الحارثي: إبراهيم بن حمد مسلم، (٢٠٠١) «تعليم التفكير». الرياض: مكتبة الشقري.

٣. حبيب: مجدي عبد الكريم، (٢٠٠٣) «إتجاهات حديثة في تعليم التفكير». القاهرة: دار الفكر العربي.

٤. الحربي: علي سعد، (٢٠٠٢) «أثر طريقة العصف الذهني في تنمية التفكير الناقد والتحصيل الدراسي لتلاميذ الصف الأول الثانوي في مقرر الأحياء بمدينة عرعر». رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية التربية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

٥. الحميدان: إبراهيم بن عبد الله، (٢٠٠٥) «التدريس والتفكير». القاهرة، مركز الكتاب للنشر والتوزيع.

٦. الحيله: محمد محمود، (٢٠٠٢) «طرائق التدريس وإستراتيجياته» الطبعة الثانية، العين: دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة

٧. الخضراء: فادية، (٢٠٠٥) «تعليم التفكير الإبتكاري والناقد (دراسة تطبيقية)». عمان: ديبونو للطباعة والنشر والتوزيع.

٨. دمياطي، : فوزية إبراهيم، (١٩٩٨ «استخدام أسلوب العصف الذهني في تدريس التاريخ وأثره في تنمية التفكير لدى طالبات المرحلة المتوسطة بالمدينة المنورة». مركز البحوث التربوية، جامعة الملك سعود.

٩. الدوسري: راشد أحمد، (٢٠٠٥) «أثر استخدام كل من طريقة العصف الذهني والاستقصاء في تنمية التفكير الناقد في الدراسات الاجتماعية لدى طلبة المرحلة الثانوية في دولة قطر». رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى جامعة عمان العربية.

١٠. دونالد: ج. ترفنجر، كارول: ناساب، (٢٠٠٢) أسس التفكير وأدواته. تدريبات في تعلم التفكير بنوعيه الإبداعي والناقد. ترجمة منير الحوراني، العين: دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة.

١١. الزعبي: إبراهيم أحمد سلامة، (٢٠٠٣) «أثر كل من طرائق الإكتشاف الموجة والمناقشة والعصف الذهني في تنمية مهارات التفكير الناقد والتحصيل في مادة التربية الإسلامية لدى طلبة المرحلة الأساسية العليا في الأردن.» رسالة دكتوراة غير منشورة مقدمة إلى جامعة عمان العربية.

١٢. زيتون: حسن حسين، (٢٠٠٢) «تعليم التفكير مفهومه. أساليبه، مهاراته.» عمان: جهينة للنشر والتوزيع.

١٣. زيتون: عايش محمود، (٢٠٠٥) «أساليب تدريس العلوم.» عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.

١٤. السرور: ناديا، (٢٠٠٢) ، «مدخل إلى تربية المتميزين والموهوبين». عمان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٥. سعادة: جودت، (٢٠٠٣) «تدريس مهارات التفكير» عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.

١٦. سعيد: عبد الخالق سعيد، (٢٠٠٠) «استخدام أسلوب العصف الذهني في تدريس المواد الاجتماعية». المملكة العربية السعودية: وزارة المعارف.

١٧. سليمان: عبد الرحمن سيد، (١٩٩٩) «أثر استخدام أسلوب العصف الذهني في تدريس الفلسفة على تنمية التفكير لدى طلاب المرحلة الثانوية.» رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية التربية في جامعة عين شمس، مصر.

١٨. سيد: عبد الوهاب هاشم، (٢٠٠٦) مصادر فعالية برنامج باستخدام القدح الذهني في تنمية مهارات الإتصال اللغوي لدى تلاميذ الصف الثالث الإعدادي، المؤتمر العلمي الأول (٥– ٦) مارس، جامعة أسيوط، كلية التربية، الوادي الجديد، ص ٢٩٢.

١٩. الصويري: دخيل الله حمد، (٢٠٠١) «الموهبة والإبداع في ظل البيئة التربوية» وقائع المؤتمر العلمي الثاني للمجلس العربي للموهوبين والمتفوقين، ج ٢ عمان– الأردن.

٢٠. طافش: محمود، (٢٠٠٤) «تعليم التفكير مفهومه، أساليبه، مهاراته.» عمان: جهينة للنشر.

٢١. الطنطاوي: رمضان عبد الحميد، (٢٠٠١) . «الموهوبون أساليب رعايتهم وأساليب التدريس لهم» المنصورة، المكتبة العصرية، ط ١، ص ٥٠.

٢٢. عبابنه: نهاد، (٢٠٠٢) «مدى توافر مهارات التفكير الناقد لمحتوى الجزء الثاني في كتابي الكيمياء وعلوم الأرض للصفين التاسع والعاشر الأساسي في الأردن ومدى ممارستها التعليمية.» رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى جامعة اليرموك.

٢٣. عبادة: أحمد، (٢٠٠١) «الحلول الإبتكارية للمشكلات». مركز الكتاب للنشر.

٢٤. عبد الحميد: أسماء محمد، (٢٠٠٠) . «استخدام إستراتيجية العصف الذهني في تنمية التفكير الإبتكاري لدى طلاب كلية التربية بالمنيا.» رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى جامعة المينا.

٢٥. عبيد: إدوارد، (٢٠٠٤) . «أثر إستراتيجية التفكير الاستقرائي والتفكير الحر في التفكير الناقد والإدراك فوق المعرفي والتحصيل لدى طلبة المرحلة الأساسية في مادة الأحياء.» أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الدراسات العليا، جامعة عمان العربية.

٢٦. العتوم: عدنان، والجراح: عبد الناصر، وبشارة: موفق، (٢٠٠٧) . «تنمية مهارات التفكير.» عمان: دار المسيرة.

٢٧. العتوم: يوسف، وعلاونة: شفيق، وجراح: عبد الناصر، وأبوغزال: معاوية، (٢٠٠٥) . «علم النفس التربوي: النظرية والتطبيق»، دار الميسرة، عمان: الأردن.

٢٨. علي: هنية عبد الصمد، (٢٠٠١) . «فعالية استخدام أسلوب العصف الذهني في تنمية المستويات المعرفية الأعلى لدى طالبات الصف الأول الثانوي في مادة التاريخ». رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى جامعة عين شمس القاهرة: مصر.

٢٩. غانم: محمود محمد، (٢٠٠٤) . «التفكير عند الأطفال.» عمان: مكتبة دار الثقافة.

٣٠. غباين: عمر محمد، (٢٠٠٨) . «إستراتيجيات حديثة في تعلم وتعليم التفكير.» عمان: إثراء للنشر والتوزيع.

٣١. الغبيسي: محمد إسماعيل عبد المقصود، (٢٠٠١) . «تدريس الدراسات الاجتماعية تخطيطه وتنفيذه وتقويم عائدة التعليمي.» مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، العين: الإمارات العربية المتحدة.

٣٢. قطامي: نايفة، (٢٠٠١) . «تعليم التفكير للمرحلة الأساسية. "ط١، عمان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٣٣. قطامي: نايفة، (٢٠٠٥) . «تعليم التفكير للأطفال.» عمان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٣٤. الكناني: ممدوح عبد المنعم، (٢٠٠٥) . «سيكولوجية الإبداع وأساليب تنميته.» عمان: دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة.

٣٥. مجيد: سوسن، (٢٠٠٨) . «تنمية مهارات التفكير الإبداعي الناقد.» عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.

٣٦. محمود: عبد الرزاق مختار، (٢٠٠٣) . «أثر استخدام أسلوب القدح الذهني في تنمية مهارات القراءة الإبداعية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية». مجلة البحث في التربية وعلم النفس، كلية التربية، جامعة المينا، ص١١٩.

٣٧. المصري: قاسم، (٢٠٠٣) . «تعليم التفكير في الدراسات الاجتماعية.» إربد: مطبعة الروزانا.

ثانياً المراجع الأجنبية:

1. *Cotton, k. (1999) . Teaching Thinking Skills. School Improvement Research Series. Northwest Regional Educational Laboratory, PORT land.*
2. *Darayseh, AL- Mutassim Ahmad. (2003) . The Effect OF A Proposed Program Based On Semantic Mapping And Brainstorming Strategies On Developing The English Writing Ability And Attitudes Of The First Scientific Secondary Students, Unpublished Thesis Univerity Of Jordan.*
3. *Darling- Hammond, L. (2000) . Teacher Quality And Student Achievement: A Review Of State Policy Evidence. Education Policy Analysis Archives, 8 (1) .*
4. *. Daud, N & Husin, Z. (2004) . Developing Critical Thinking Skills In Computer Aided Extended Rending Classes. , British Journal Of Educational Technology, 33 (4) 477- 487.*
5. *. Kochery , Timothy Seward. (2003) . IGP Brainstorming Investigating A Methodology That Accommodates To Personal Characteristics In Idea-Generating GROUPS, p 17..*
6. *Parker, J. (2003) . The Role Of Metacognition In The Classroom Retrieved October. 10, 2009 From The World Wide Web http: / / www. mwsu. edu- edu/ coe/ projects/ epaper/ eta. htm.*

7. *Seley, N. (2000) . Wrong Answer Welcome. School Science Review 82 In Action. London. Temple Smith.*
8. *Smith, R. (1999) . The Study Of Geography: A Means To Strengthen Student Understanding Of The World And To Build Critical Thinking Skills, Doctoral Dissertation, D. A. I, A 37/ 1, P. 48.*
9. *Wakefield, F. (1996) . Educational Psychology, Learning To Be A Problem Solve, Houghton Mifflin Company, Boston,Toronto.*
10. *Walter, J. G. (2004) . Tracing Mathematical Inquiry: High School Students Mathematizing A Shell, D. A. I, ISBN: O- 496- 6504- 4.*

واقع الخدمات التربوية في غرف المصادر للطلبة ذوي صعوبات التعلّم بالمرحلة الأساسية في محافظة إربد من وجهة نظر أولياء الأمور.*

د. محمد أحمد سليم خصاونه**

* تاريخ التسليم: ٢٩/ ٤/ ٢٠١٢م، تاريخ القبول: ٦/ ١٠/ ٢٠١٢م.

** قسم التربية الخاصة/ كلية التربية/ جامعة حائل/ المملكة العربية السعودية.

ملخص:

هدفت الدراسة إلى التعرف إلى واقع الخدمات التربوية التي تقدم في غرف المصادر للطلبة ذوي صعوبات التعلّم بالمرحلة الأساسية في محافظة إربد من وجهة نظر أولياء الأمور، ومدى توافر تلك الخدمات. وطبقت الدراسة على عينة مكونة من (٣٨٤) من الآباء والأمهات استجابوا لمقياس أعّده الباحث يتكون من (٢٧) فقرة موزعة على أربعة مجالات هي: المشاركة، والاستكشاف وبيئة التعلّم، والتعزيز، والتقويم. وقد بينت النتائج أن مشاركة الأهل في غرف المصادر كانت بدرجة متوسطة، ويرى أولياء الأمور أن معلمي غرف المصادر يولون اهتماماً أكبر باستراتيجية التقويم، ثم استراتيجيات التعزيز، وأخيراً بيئة التعلّم والاستكشاف. كما بيّنت النتائج أنّ وجهات نظر أولياء الأمور تختلف باختلاف الجنس لصالح الأمهات، وتختلف وجهات النظر باختلاف المدرسة لصالح المدرسة الخاصة. وبناء على تلك النتائج أوصت الدراسة بتوصيات عدة.

(**الكلمات المفتاحية**: الطلبة ذوو صعوبات التعلّم، الخدمات التربوية، المرحلة الأساسية، أولياء الأمور، غرفة المصادر)

Abstract:

This study aims at examining the effectiveness of educational services in the resource room provided to students with learning disabilities of primary stage in Irbid District from the parents' point of view. The sample consisted of the parents of those students who have learning disabilities. Those (384) parents have had direct contacts with the resource room they responded to a questionnaire prepared for this study. The questionnaire consisted of (27) items divided into four domains: the parents' participation, learning environment and discovery, reinforcement methods, and evaluation methods. The results revealed that the teachers used a moderate degree of practicing strategies for arousing curiosity, and they used the first domain of parents' participation more frequently, then evaluation methods, and then reinforcement methods and finally evaluation methods. The results showed also that there were significant differences in parents' point of view regarding practicing strategies due to sex in favor of females, and schools' kind in favor of private schools, but there were no significant differences in parents' point of view regarding practicing strategies of arousing curiosity due to class level. In the light of the results, the researcher gave some recommendations.

مقدمة:

يحتاج الأطفال ذوو صعوبات التعلّم Children with Learning Disabilities (LD) إلى تلقي خدمات التربية الخاصة special education services شأنهم في ذلك شأن نظرائهم في الفئات الأخرى، نظراً لما يواجهونه من صعوبات في تعلم المهارات الأكاديمية المختلفة داخل غرفة الدراسة، مما يؤدي بهم في كثير من الأحيان إلى عدم القدرة على الإفادة من الأنشطة والخبرات المقدمة في الصف، ذلك على الرغم من تمتعهم بقدرات عقلية ملائمة تؤهلهم لمواصلة تعليمهم والإفادة منه في مناشط الحياة المختلفة. ونظراً للزيادة المستمرة في أعداد الأطفال ذوي صعوبات التعلّم، واحتياجهم إلى خدمات التربية الخاصة، فقد بدأ المختصون في التركيز عليهم بهدف التعرف إلى مظاهر الصعوبات التي يعانون منها، و خاصة في الجوانب الأكاديمية، والنمائية، واللغوية، والحركية، والانفعالية، والاجتماعية، وتقديم الخدمات التربوية الملائمة. ويشير تقرير منظمة الصحة العالمية (Child Trends of the National Health Interview Surveys, 2006) إلى أن نسبة الأطفال الذين حددوا بأن لديهم صعوبات تعلم في الفترة بين (١٩٩٧ إلى عام ٢٠٠٤) تراوحت بين (٧– ٨٪) ، بينما كانت النسبة (٨٪) في عام (٢٠٠٤) ، وذلك للأطفال في المرحلة العمرية من (٣– ١٧) عاماً. وكانت النسبة (١٠٪) للذكور، و (٦٪) بالنسبة للإناث. ويذكر بنيديكتيس، جاف، وسيجال (Benedictis, Jaffe, & Segal 2006 ,) أنّ واحداً من بين سبعة أطفال في الولايات المتحدة الأمريكية يعانون من صعوبة تعلم. ومن هنا فإن الأطفال ذوي صعوبات التعلّم يحتاجون إلى خدمات تربوية خاصة تساعدهم على التغلب على مشكلاتهم التعلّمية، التي تقدم ضمن فريق واحد متكامل من: الأسرة، والمرشد، وإدارة المدرسة، ومعلم غرفة المصادر؛ ليتمكن الفريق التربوي من تحقيق أهدافه التربوية. ويقوم الفريق المختص عادة بتقويم الحاجات التربوية للطالب من خلال جمع المعلومات الشخصية وتقويمها. التي يترتب عليها قرار وضع الطالب في البيئة الأكثر ملاءمة لحاجاته (البطاينة والرشدان والسبايلة والخطاطبة، ٢٠٠٥) . وتعد غرفة المصادر من أبرز البدائل التربوية المتوافرة في المدارس العادية، وهي غرفة خدمات خاصة تخصص في المدرسة لتقديم الخدمات التربوية لذوي الاحتياجات الخاصة. ويتلقى الطلبة الملتحقون بغرف المصادر حصصاً معينة في الجوانب التي يظهرون فيها مشكلات وفق جدول محدد، أما الحصص الأخرى ففي الصف العادي (Learner,2003) . وقد برز الإحساس بهذه المشكلة، والرغبة في دراسة واقع الخدمات التربوية التي يقدمها معلم غرفة المصادر للطلبة ذوي صعوبات التعلّم من وجهة نظر أولياء الأمور من خلال ملاحظة الباحث للعلاقة بين أولياء

الأمور ومعلمي غرف المصادر، و نتيجة لتزايد حجم ظاهرة صعوبات التعلّم التي أصبحت مشكلة من أهم المشكلات الملحة التي من يفترض دراستها من أجل ضمان نجاح العملية التعليمية واستمراريتها، وأن ترك هذه المشكلة دون مواجهة واعية يؤدي إلى إعاقة التعلّم، وتوليد ضغوط نفسية وتربوية ومادية واجتماعية، تشمل الفرد والأسرة والمجتمع. ومن هنا فقد شكلت الآراء السابقة الخلفية النظرية للدراسة في بناء أداة البحث، وقد اُستخلصت فقرات أداة الدراسة من الاستراتيجيات التي وضعها هؤلاء المنظرون.

تعد العوامل الأسرية من المتغيرات المهمة التي ترتبط بتحصيل المتعلم بشكل عام، وصعوبات التعلّم التي يتعرض لها بشكل خاص، فالظروف الأسرية التي يعيشها المتعلم كالظرف الاجتماعي والاقتصادي، وحجم الأسرة والمكان وتناسبه مع حجم الأسرة، يؤثر في إيجاد جو إيجابي أو سلبي. كما أن لأساليب الوالدين التي تُتبع مع الأبناء التي ترتبط بشكل أساسي بالمستوى الثقافي أثراً في جعلهم متوافقين أو غير متوافقين مع ذاتهم. فضلاً عن أن أهم البديهات التي يؤكد عليها في الحقل التربوي هو مد الجسور بين البيت والمدرسة. لأنه لا يمكن تحقيق الأهداف المرجوة دون تعاون إيجابي مثمر بين البيت والمدرسة، وخاصة في المراحل الأولى (الوقفي، ٢٠٠٣) . ويشكل الطفل في حياة الأسرة جانباً مهماً في بنائها وتكوينها، فالأسرة أكثر المؤسسات تأثيراً في الفرد، لذلك يولي مجال التربية الخاصة اهتماماً كبيراً بالعلاقات التفاعلية بين المعلّمين وأولياء الأمور، وإرشاد أولياء الأمور ودعمهم وتدريبهم حسب الحاجة، وتقويم مستوى رضاهم عن البرامج التعليمية التي تقدم للأطفال ذوي صعوبات التعلّم (يحيى، ٢٠٠٣) .

وتعاني الأسر التي لديها أطفال من ذوي صعوبات التعلّم كغيرها من أسر ذوي الحاجات الخاصة العديد من الآثار التي لها تأثير جديّ في تكيف الأسرة، وتشير الزعبي (١٩٩٣) إلى أن أبرز المشكلات التي تواجهها أسر الأطفال ذوي صعوبات التعلّم بشكل عام هي: زيادة العدوانية والشعور بالقلق والتوتر، والصعوبات المالية. ويؤدي أولياء الأمور دورا مؤثرا في تشجيع أبنائهم ذوي صعوبات التعلّم بالذهاب إلى غرفة المصادر، ويحتاج أولياء الأمور كذلك إلى أن تتاح لهم الفرص الكافية للمشاركة في فاعلية الخدمات التربوية التي تقدم لأبنائهم. وأما أولياء الأمور الذين يرتابون من فاعلية تعليم أبنائهم ذوي صعوبات التعلّم في غرفة المصادر، وهم بحاجة إلى تزويدهم بالمعلومات وبرامج التدريب وإرشادهم مما يعود عليهم بفائدة كبيرة، لذلك فهم بحاجة إلى الشعور بالاطمئنان إزاء التقدم الذي سيحرزه أطفالهم في غرفة المصادر. **ويمكن إجمال عدد من النشاطات التي تؤدي إلى تعاون مثمر بين ولي الأمر والمدرسة بما يأتي:**

١. الحصول على معلومات من الآباء حول طفلهم من بداية السنة.

٢. التواصل مع الآباء لإخبارهم بالإنجازات التي حققها أطفالهم وكذلك المشكلات التي تحدث.

٣. الاتصال بالآباء في البداية المبكرة للمشكلة التعليمية والسلوكية، وطلب تغذية راجعة عن كيفية التعامل مع المشكلة على أفضل وجه.

٤. دعوة الآباء إلى الاجتماعات الرسمية المتعلقة بالطفل.

ومن المهم جداً أن تقوم الأسرة بالمساعدة والمشاركة في تقديم الخدمات التربوية في غرفة المصادر. ويجب إبلاغ الأهل بشكل مستمر بضرورة مشاركتهم في جميع القرارات المتعلقة بطفلهم بدءا بالتعرف إلى الطفل، والمشاركة في اجتماعات الفريق المتعدد التخصصات، والتخطيط التربوي الفردي، واتخاذ القرارات المتعلقة بالوضع التربوي للطفل، ومدى تقدمه أو عدمه ومشكلاته الاجتماعية الانفعالية. ويمكن تنظيم لقاء يضم أهالي ذوي صعوبات التعلّم بحيث تجتمع بشكل دوري كي تتبنى برامج التوعية والتثقيف التي تتبعها المناقشات الجماعية.

يعدُّ التواصل مع الوالدين أحد الأدوار التي يؤديها معلمو غرف المصادر، إذ يتوجب عليهم عقد اجتماعات دورية مع الأهالي حول مستوى تقدم الطلبة، وإسناد أدوار وتوصيات خاصة بالأهالي تشعرهم بأهمية ما يقدّمونه من أفكار تنعكس على تطوير أبنائهم، وقد أشارت الدراسات إلى فاعلية البرامج التعاونية بين المدرسة والبيت في تدعيم سلوكات الطلبة الأكاديمية والتقليل من السلوكات الاجتماعية غير المرغوبة.

ردود فعل الوالدين إزاء صعوبات التعلّم:

إنّ الاعتراف بأنّ الطفل لدية صعوبات تعلم، يعد أكثر صعوبة على الوالدين، فغالباً ما يوصف الطفل على أنّه مصاب بتلف دماغي، أو أنّه خامل وكسول، أو لدية تحصيل متدن، أو أنّه مضطرب انفعاليا. وكل هذه التسميات تترك الوالدين في حيرة من أمرهما، ويعتريهما شعور بالاكتئاب وفقدان الأمل، وقد يشعران بالإحراج؛ لأنّ طفلهما يعاني من صعوبات تعلم. وتشير الدراسات إلى أنّ ردود أفعال الوالدين إزاء أطفالهم الذين يعانون من صعوبات تعلم، تختلف عن ردود فعل أباء الأطفال العاديين، وتتفاوت هذه الانفعالات بتفاوت حدة المشكلة، ودرجة وضوحها، بالإضافة إلى عوامل أخرى، مثل: المستوى الاقتصادي للوالدين، وكذلك المستوى الاجتماعي، والمستوى الثقافي. **ويمكن تلخيص ردود أفعال الوالدين إزاء صعوبات التعلّم بما يأتي**:

١. الإنكار، ورفض الفكرة القائلة بأن الطفل لدية مشكلة، مما يؤدي إلى حرمانه من تلقي الخدمات التربوية الخاصة.

٢. الشعور بالذنب، إذ يبدأ الوالدان بلوم بعضهما بعضاً، خاصة إذا كان أحدهما يعاني من مشكلة مماثلة.

٣. الحزن، والانسحاب من الحصول على الخدمات، إذ يصبح الوالدان شديدي الحماية لطفلهما، ويحرمانه من الالتحاق بالمؤسسات التي تعنى بتقديم الخدمات المتخصصة بهذا النوع من الصعوبات، وبالتالي يحدان من قدراته.

٤. تقبل الأطفال ذوي صعوبات التعلّم.

أهمية الدراسة:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من خلال ما يأتي:

١. تعد من الدراسات القليلة في محافظة إربد لدراسة واقع الخدمات التربوية التي تقدمها غرفة المصادر للطلبة ذوي صعوبات التعلّم.

٢. أهمية التعرف إلى أراء أولياء الأمور في واقع الخدمات التي تقدمها غرف المصادر.

٣. إنّ نتائج الدراسة قد تمكن الإدارات التعليمية على اختلاف مستوياتها من الإفادة منها، وذلك من خلال تزويد المربين والمهتمين بتعليم الأطفال ذوي صعوبات التعلّم بفهم أعمق لمدى تأثير الخدمات التربوية المقدمة للأطفال ذوي صعوبات التعلّم على التحصيل الأكاديمي لديهم، وبالتالي وضع استراتيجية أفضل تضمن توفير خدمات تربوية مناسبة لهؤلاء الطلبة.

مشكلة الدراسة و أسئلتها:

الغرض من هذه الدراسة هو التعرف إلى واقع الخدمات التربوية في غرف المصادر للطلبة ذوي صعوبات التعلّم في المرحلة الأساسية في محافظة إربد من وجهة نظر أولياء الأمور **حيث تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:**

١. ما درجة توافر الخدمات التربوية بغرفة المصادر للطلبة ذوي صعوبات التعلّم في مدارس المرحلة الأساسية بمحافظة إربد من وجهة نظر أولياء الأمور؟

٢. هل يختلف واقع الخدمات التربوية التي تقدمها غرفة المصادر للطلبة ذوي صعوبات التعلّم باختلاف المستوى الصفي وجنس ولي الأمر ونوع المدرسة؟

هدف الدراسة:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف إلى واقع الخدمات التربوية في غرف المصادرللطلبة ذوي صعوبات التعلّم في المرحلة الأساسية في محافظة إربد من وجهة نظر أولياء الأمورومعرفة الفروق بين الآباء والأمهات وبين المدارس الحكومية والخاصة. ومن الأهداف الثانوية لهذه الدراسة بناء أداة لقياس هذا الجانب من جوانب العملية التدريسية.

التعريفات الإجرائية:

تضمنت الدراسة عدداً من المفاهيم يمكن تعريفها على النحو الآتي:

◄ **١. الخدمات التي تقدمها غرف المصادر:**

ويقصد بها: توظيف ماهر للكفاءة بشكل يؤدي إلى تحقيق الهدف الذي وجدت من أجله. أوهي: امتلاك الفرد لجميع المعارف والاتجاهات والمهارات اللازمة لأداء مهمة ما على نحو يمكن المعلّم من إنجازها بأقل وقت وتكاليف ممكنة. ويقصد بالواقع في هذه الدراسة مدى الخدمات المقدمة في غرف المصادر كما يقدرها أولياء أمور الطلبة ذوي صعوبات التعلّم باستخدام أدوات الدراسة.

◄ **٢. الطلبة ذوو صعوبات التعلّم:**

هم أولئك الذين تظهر لديهم اضطرابات في واحدة أو أكثر من العمليات النفسية الأساسية التي تتضمن فهم واستعمال اللغة المكتوبة أو المنطوقة، وتظهر في اضطرابات السمع والتفكير والكلام والقراءة والتهجئة والحساب. وتعود إلى إصابة وظيفية في الدماغ، وليس لها أي علاقة بأي إعاقة من الإعاقات، سواء أكانت عقلية أم سمعية أم بصرية أم غيرها (سعيد، ٢٠٠٢) .

ويقصد بالطلبة ذوي صعوبات التعلّم في هذه الدراسة الحالية بأنّهم الطلبة الذين تمت إحالتهم إلى غرفة المصادر من قبل مربي الصف ومدير المدرسة والمرشد التربوي، والذين شُخِّصوا بالأدوات والمقاييس المتوافرة بالمدرسة، وتم التأكد من أنهم يعانون من صعوبات التعلّم.

◄ **٣. غرفة المصادر:**

هي قاعة في المدرسة العادية ذات مساحة مناسبة، تحقق أهداف العملية التعليمية بسهولة ويسر، وتتوسط غرفة المصادر صفوف المدرسة؛ لتسهيل حركة الطلبة الذين

يحتاجون إلى نوع من التدريب المكثف والمركز، وتعدّ غرف المصادر أحدث الطرق المستخدمة حاليا في تقديم خدمات التربية العلاجية للطلبة ذوي صعوبات التعلّم في إطار المدرسة العادية، ويقصد بغرفة المصادر في هذه الدراسة بأنها غرفة خدمات خاصة تُخصّص في المدرسة لتقديم الخدمات التربوية لذوي صعوبات التعلّم حيث يتلقون خدمات تربوية في جوانب القصور الأكاديمي لديهم في الغرفة بالإضافة إلى بعض الخدمات التربوية في الصف الدراسي العادي بالاتفاق بين معلم غرفة المصادر ومعلم غرفة الصف.

◄ **٤. معلم غرفة المصادر:**

معلم متخصص يحمل درجة علمية في التربية الخاصة أو صعوبات التعلّم، ويتمتع بقدرات عالية ومهارات تمكّنه من التعامل مع الطلبة ذوي صعوبات التعلّم والتواصل معهم، ومعالجة نقاط الضعف الموجودة لديهم (قراءة، وكتابة، وحساب، .... الخ) . والتي تظهر في حياة الطفل، وقد تترافق بإعاقة حسية أو عقلية أو انفعالية أو اجتماعية ولا تعتبر هذه الإعاقات سببا لها.

◄ **٥. الخدمات التربوية التي تقدمها غرف المصادر للطلبة ذوي صعوبات التعلّم:**

تتمثل الخدمات التربوية التي يقدمها معلموغرف المصادر للطلبة ذوي صعوبات التعلّم بالعمل على تسهيل المهارات الأكاديمية في المدرسة العادية، بالإضافة إلى التشخيص والتقويم المستمر. وتتبنى الدراسة الحالية تصوراً لفاعلية الخدمات التربوية التي يقدمها معلم غرفة المصادر للطلبة ذوي صعوبات التعلّم، وذلك من خلال الاطلاع على العديد من المقاييس في هذا المجال والأدب النظري والدراسات السابقة. ويمكن تحديد الخدمات التي تقدمها غرف المصادر في هذه الدراسة في أربعة مجالات رئيسة وهي: (المشاركة، والاستكشاف وبيئة التعلّم، والتعزيز، والتقويم) .

محددات الدراسة:

١. اقتصرت هذه الدراسة على أولياء أمور الطلبة ذوي صعوبات التعلّم في المدارس الحكومية والخاصة التابعة لمديرية تربية إربد الثانية التي يتوافر فيها معلم غرفة مصادر للعام الدراسي ٢٠١٠– ٢٠١١م.

٢. تحددت نتائج هذه الدراسة بالأدوات التي اُستخدمت، ودلالات صدقها وثباتها، ومدى مناسبتها لأفراد عينة الدراسة.

الدراسات السابقة:

أجري عدد قليل من الدراسات على واقع الخدمات التربوية في غرف المصادر للطلبة ذوي صعوبات التعلّم من وجهة نظرأظاًأولياء الأمور؛ لذا راجع الباحث ما تيسر له من دراسات حول هذا الواقع فقد قام جيربر (Gerber,1999) التي هدفت إلى معرفة مدى فاعلية التعليم الجماعي (مجموعات متعاونة) من وجهة نظر الطلبة العاديين والطلبة ذوي صعوبات التعلّم الذين دمجوا بتلك المجموعات وأولياء أمورهم، وقد أظهرت النتائج أن الطلبة العاديين وذوي صعوبات التعلّم وأولياء الأمور جميعهم أظهروا مستويات مرتفعة من القناعة والرضا عن هذا النموذج، كما عبر أولياء الأمور عن أملهم باستمرار هذا النموذج وتعميمه على المستويات الصفية المختلفة، لما له من فائدة في تطوير مهارات الاتصال والتواصل.

وفي دراسة للخزاعي (٢٠٠١) التي هدفت إلى معرفة مستوى إتقان معلمي غرف المصادر لمهارات التدريس الفعال، تكونت عينة الدراسة من (٥٠) معلماً ومعلمة من معلمي غرف المصادر في عمان لُوحظ أداؤهم التدريسي باستخدام مقياس مكون من ثلاثة أبعاد هي: التخطيط والتدريس، والإدارة الصفية، والتقويم. وقد أشارت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى إتقان معلمي غرف المصادر لمهارات التدريس الفعّال على بعدي التدريس والإدارة الصفية. كما أشارت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى إتقان معلمي غرف المصادر لمهارات التدريس الفعّال تعزى إلى متغير التخصص لصالح معلمي التربية الخاصة على أبعاد المقياس الثلاثة.

وأشارت النتائج أيضا إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى إتقان معلمي غرف المصادر لمهارات التدريس الفعال تعزى إلى متغير الخبرة التدريسية.

وفي دراسة فوجن و إلبوم و بوردمان (Vaughn, Elbaum, Boardman 2001) اتّضَح أن تعليم ذوي صعوبات التعلّم في بيئة أقل تقييداً أدى إلى زيادة التقبل الاجتماعي، وتنمية المهارات الاجتماعية، وتكوين الصداقات، وارتفاع مستوى تقدير الذات لديهم.

وفي دراسة عواد (٢٠٠٢) والتى هدفت إلى التعرف إلى اتجاهات المعلّمين: (معلمو الفصول العادية، ومعلمو التربية الخاصة) نحو تدريس الطلبة ذوي صعوبات التعلّم في الفصول العادية مع أقرانهم العاديين أو في الفصول الخاصة في المدارس الابتدائية التي يطبق فيها برنامج صعوبات التعلّم بالبحرين، وأشارت النتائج إلى أن اتجاهات معلمي التربية الخاصة كانت أكثر إيجابية من اتجاهات معلمي الفصول العادية، كما كانت اتجاهات معلمي الرياضيات أكثر إيجابية من اتجاهات معلمي اللغة العربية نحو تطبيق

سياسة الدّمج، و لم توجد فروق بين اتجاهات معلمي ومعلمات اللغة العربية، بينما كانت اتجاهات معلمي الرياضيات أكثر إيجابية من اتجاهات المعلّمات.

وفي دراسة العابد (٢٠٠٣) التي هدفت إلى التعرف إلى المشكلات التي تواجه معلمي غرف المصادر، أشارت النتائج إلى أن مشكلات معلمي طلبة صعوبات التعلّم في غرف المصادر تركزت في المشكلات المتعلقة بـ: أولياء الأمور والعالم الخارجي، وفلسفة التربية والتعليم، ومدى وضوح دور المعلّم وطبيعته، والمصادر والوسائل التعليمية، وطلبة صعوبات التعلّم، وتنظيم البرامج والتخطيط في الغرفة، وأخيراً مشكلات الإحالة والتشخيص.

وقام القريوتي، والغزو، والحميدي (٢٠٠٤) بدراسة هدفت إلى التعرف إلى مدى فاعلية فصول التربية الخاصة في دولة الإمارات العربية المتحدة من وجهة نظر المعلّمين. واشتملت عينة الدراسة على (١٣٢) معلماً ومعلمة منهم (٢٥) من الذكور و (١٠٧) من الإناث. وقد اُستخدم مقياس أُعِدّ من قبل الباحثين للتعرف إلى مدى فاعلية فصول التربية الخاصة. مثلت خمسة أبعاد وهي: البيئة التعليمية، والتشخيص، والهيئة التدريسية، والتعاون، والبرامج. وقد أظهرت نتائج الدراسة أن فاعلية فصول التربية الخاصة بمدارس وزارة التربية والتعليم الإماراتية بلغت ٦٦٪ وذلك حسب استجابة أفراد عينة الدراسة، كما أظهرت نتائج الدراسة عدم وجود اختلاف في وجهات نظر المعلّمين في مدى فاعلية فصول التربية الخاصة يعزى إلى اختلاف الجنس وسنوات الخبرة.

وهدفت دراسة عواد والإمام (٢٠٠٧) إلى التعرف إلى واقع الخدمات التربوية التي تقدم في غرف المصادرللطلبة ذوي صعوبات التعلّم بالمرحلة الأساسية في الأردن من وجهة نظر المعلّمين، ومدى توافر تلك الخدمات باختلاف نوع التعليم: (حكومي، وخاص، وكالة الغوث) ، والموقع الجغرافي للمدرسة، والحكم على درجة توافر الخدمات التربوية باختلاف خبرة المعلّم، وجنسه، وتكونت عينة الدراسة من (١٥٠) معلماً ومعلمة لغرف المصادر، تم اختيارهم عشوائياً من المدارس الحكومية، والخاصة، والمدارس التابعة لوكالةالغوث، وكانت العينة ممثلة لأقاليم الأردن الثلاثة: (وسط، وشمال، وجنوب) ، طبقت عليهم استبانة تقويم الخدمات التربوية بغرف المصادر للطلبة ذوي صعوبات التعلّم، متضمنة خمسة محاور للخدمات التربوية هي: (الكشف والتعرف المبكر، والتقويم والتشخيص، والتدريس العلاجي، والوسائط التعليمية، والخدمات التنظيمية والإدراية) ، وقد أسفرت المعالجة الإحصائية للبيانات عن النتائج الآتية: تتوافر الخدمات التربوية في غرف المصادر بدرجة متوسطة، وتبين وجود فروق دالة إحصائياً في درجة توافر الخدمات التربوية في غرف المصادر بين المدارس الحكومية، والخاصة، ومدارس وكالة الغوث، وذلك لصالح المدارس الخاصة. كما وجدت فروقاً في درجة توافر الخدمات التربوية في غرف المصادر تعزى

إلى الموقع الجغرافي للمدرسة، وذلك لصالح أقليم الوسط (العاصمة) . ووجدت فروقاً في الحكم على درجة توافر خدمات التشخيص والعلاج لصالح المعلّمين الأقل خبرة، بينما لم توجد فروق في بقية الخدمات تعزى لخبرة المعلّم، ووجدت فروقاً تعزى إلى جنس المعلّم في الحكم على توافر خدمات التعرف والتشخيص والعلاج لصالح الأناث، وفي خدمات الوسائط والتنظيم والإدارة لصالح الذكور.

وهدفت دراسة (الغرايبة، ٢٠٠٨) إلى التعرف إلى فاعلية الخدمات التربوية التي يقدمها معلم غرفة المصادر للطلبة ذوي الصعوبات التعلّمية في محافظة عجلون، واشتملت عينة الدراسة على جميع معلمي غرف المصادر في المدارس الحكومية التابعة لمديرية تربية عجلون للعام الدراسي٢٠٠٧/ ٢٠٠٨ والبالغ عددهم (٢٣) معلماً ومعلمة يمثلون (٢٣) مدرسة، ومن جميع معلمي اللغة العربية الذين يدّرسون الطلاب من الصف الثاني حتى السادس الأساسي في المدارس الحكومية التي يتوافر فيها معلم غرفة مصادر في مديرية تربية عجلون والبالغ عددهم (٨٠) معلماً ومعلمة يمثلون (٢٣) مدرسة، ومن عدد من أولياء أمور الطلبة ذوي صعوبات التعلّم الملتحقين في غرف المصادر للعام الدراسي٢٠٠٧/ ٢٠٠٨ بلغ قوامهم (٩٠) ولي أمر، ويمثلون (٩٠) طالبا وطالبة، وقد أشارت النتائج إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى فاعلية الخدمات التربوية التي يقدمها معلم غرفة المصادر باختلاف المقيّم: (معلم غرفة المصادر، وأولياء الأمور، ومعلمي اللغة العربية) . كما أشارت النتائج إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في فاعلية الخدمات التربوية التي يقدمها معلم غرفة المصادر للطلبة ذوي الصعوبات التعلّمية تعزى لمتغير الجنس.

ويستخلص الباحث من الدراسات السابقة ما يأتي:

إن معظم الدراسات التي تناولت فاعلية الخدمات التربوية التي يقدمها معلم غرفة المصادر للطلبة ذوي صعوبات التعلّم من وجهة نظر أولياء الأمور قليلة، وخاصة على المستوى المحلي. لذلك جاءت هذه الدراسة مكمّلة للدراسات السابقة في رفد وتعميق دراسة فاعلية الخدمات التربوية التي يقدمها معلم غرفة المصادر للطلبة ذوي صعوبات التعلّم، الأمر الذي يدعم هذه الدراسة ويجعلها تشكل أرضية خصبة لغيرها من الدراسات في المستقبل.

الطريقة والإجراءات:

عينة الدراسة:

تكونت عينة الدراسة من (٣٨٤) فرداً من أولياء الأمور اختيروا من جميع مناطق

مديرية إربد الثانية بمحافظة إربد، والجدول (١) يوضح توزيع عينة الدراسة حسب متغيري الجنس ونوع المدرسة (خاصة وحكومية)

الجدول (١)

توزيع عينة الدراسة حسب متغيرات الجنس ونوع المدرسة.

الجنس	نوع المدرسة	المجموع
ذكور (الآباء)	خاصة	٨٨
	حكومية	١٠٥
	مجموع	**١٩٣**
إناث (الأمهات)	خاصة	٨٤
	حكومية	١٠٧
	مجموع	**١٩١**
المجموع الكلي		**٣٨٤**

أداة الدراسة:

اولاً: استبانة تقويم الخدمات التربوية بغرف المصادر للطلبة ذوى صعوبات التعلّم، وأعدت استبانة تقويم الخدمات التي تقدم بغرف المصادر للطلبة ذوي صعوبات التعلّم في ضوء الأدب النظري في مجال صعوبات التعلّم، وقد قام الباحث بالخطوات الآتية لبناء الاستبانة:

حدد الباحث مجالات الخدمات التربوية التي تقدمها غرف المصادر للطلبة ذوي صعوبات التعلّم.

حُدِّدت فقرات كل بعد من خلال استمارة أسئلة قُدمت إلى معلمي غرف المصادر ومعلماتها وأولياء الأمور والمتخصصين في هذا الميدان.

وبعد مناقشة هذه الخصائص حُدِّدت سبع وعشرين فقرة موزعة على أربعة مجالات، هي: المجال الأول ويتعلق باستراتيجيات مشاركة الأهل ويتألف من (٨) فقرات، والمجال الثاني ويتعلق ببيئة التعلّم والاستكشاف ويتألف من (١٠) فقرات. أما المجال الثالث فيتعلق باستراتيجيات التعزيز التي يستخدمها المعلّمون، ويتألف من (٤) فقرات، ويتعلق المجال الرابع باستراتيجيات التقويم، ويتكون من (٥) فقرات. وكل فقرة من فقرات الاستبانة لها تدريج خماسي يتكون من (دائماً، وغالباً، وأحياناً، ونادراً، وإطلاقاً) ، ويجاب على

الاستبانة من خلال قراءة الفقرات ووضع إشارة على التدريج الذي يراه أولياء الأمور ملائماً لتقويم الخدمات المقدمة لأبنائهم.

صدق الأداة وثباتها:

عُرض المقياس بصورته الأولية ويتكون من أربعة أبعاد، على (١٠) أعضاء هيئة تدريس في كليات التربية في: جامعة اليرموك، وجامعة عمان العربية للدراسات العليا، وجامعة البلقاء التطبيقية، والجامعة الهاشمية من المختصين في مجال التربية الخاصة، والقياس والتقويم، ومن ذوي الخبرة والكفاءة في مجال الدراسة، وذلك للحكم على مدى ملاءمة الفقرات وسلامة الصياغة اللغوية، ومدى انتماء الفقرات للأداة ككل. وقام الباحث بحذف بعض الفقرات وتعديلها وفقاً لآراء المحكمين، حيث اعتبر الباحث إجماع (٨٠٪) من المحكمين كافيا لتغيير الفقرة أو حذفها أو إضافة فقرات جديدة. وعليه فقد تكونت الأداة بصورتها النهائية من (٢٧) فقرة. كما استخدم الباحث أيضاً طريقة ثبات الاتساق الداخلي باستخدام طريقة كرونباخ ألفا؛ وذلك بحساب معاملات الارتباط بين فقرات الاختبار والعلامة الكلية للاستبانة من مختلف المجالات، ومعاملات الارتباط لفقرات كل مجال من مجالات الاستبانة. والجدول (٢) يبين قيم ثبات الاتساق الداخلي لكل مجال من مجالات الاستبانة.

الجدول (٢)

قيم معاملات الاتساق الداخلي لفقرات مجالات الاستبانة.

الرقم	المجال	قيمة معامل الثبات
١	مشاركة الأهل	٠,٨٤
٢	بيئة التعلّم والاستكشاف	٠,٨٩
٣	طرق التعزيز	٠,٧٢
٤	طرق التقويم	٠,٨٢
٥	الكلي	٠,٩٦

طريقة تصحيح الأداة:

تكونت الاستبانة من (٢٧) فقرة موزعة على أربعة مجالات، وكل فقرة لها تدريج من خمس فئات: (دائماَ، وغالباً، وأحياناً، ونادراً، وإطلاقاً) ، وتراوحت قيم الفقرات من (١) إلى (٥) ، وتشير العلامة (١) إلى (إطلاقاً) ، والعلامة (٢) إلى (نادراً) ، والعلامة (٣) إلى أحياناً،

والعلامة (٤) إلى غالباً، و العلامة (٥) إلى (دائماً) .ولتحديد قيم درجات الممارسة (درجة منخفضة، ودرجة متوسطة، ودرجة مرتفعة) التي تساعد في تفسير النتائج اُستخرج مدى كل فقرة، وذلك بطرح أدنى قيمة من أعلى قيمة ثم القسمة على ثلاثة مستويات، (٥– ١=٤، ٤÷٣=١,٣٣) حيث تضاف القيمة (١,٣٣) إلى أدنى درجة، وهكذا.لتصبح المستويات على النحو الآتي:

المدى (من ١,٠٠ – ٢,٣٣) يشير إلى ممارسة بدرجة منخفضة.

المدى (من ٢,٣٤ – ٣,٦٧) يشير إلى ممارسة بدرجة متوسطة.

المدى (من ٣,٦٧ فأكثر) يشير إلى ممارسة بدرجة مرتفعة.

إجراءات الدراسة:

بعد التأكد من صدق أداة الدراسة وثباتها تم الحصول على إذن من وزارة التربية والتعليم في المملكة الأردنية الهاشمية ووزِّعت الاستبانة أولاً على عينة الدراسة حيث وُزِّعت (٤٣٠) من المقياس على أولياء أمور الطلبة في المدارس الحكومية والخاصةالتابعة لمديرية التربية والتعليم في منطقة إربد الثانية وتم استعادة (٣٨٤) منها.

المعالجة الإحصائية:

حُلِّلت البيانات باستخدام برنامج الرزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية «SPSS» حيث اُستخرج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وتحليل التباين الثلاثي.

نتائج الدراسة ومناقشتها:

بعد أن جمعت البيانات وحللت باستخدام برنامج «SPSS» كانت النتائج على النحو الآتي:

أولاً– النتائج المتعلقة بالسؤال الأول ونصه: «**ما درجة توافر الخدمات التربوية بغرفة المصادر للطلبة ذوي صعوبات التعلّم في مدارس المرحلة الأساسية بمحافظة إربد من وجهة نظر أولياء الأمور؟** .»

للإجابة عن هذا السؤال حُسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمجالات استبانة قياس درجة توافر الخدمات التربوية بغرفة المصادر للطلبة ذوي

صعوبات التعلّم من وجهة نظر أولياء الأمور حسب كل مجال من مجالات الاستبانة كما هو مبين في الجدول (٣) .

الجدول (٣)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والرتب لمجالات استبانة قياس درجة توافر الخدمات التربوية بغرفة المصادر للطلبة ذوي صعوبات التعلّم من وجهة نظر أولياء الأمور.

رقم المجال	الترتيب	المجال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١	١	مشاركة الأهل	٣,٦٤	١,٢٦
٤	٢	التقويم	٣,٢٤	١,٣٦
٣	٣	التعزيز	٣,٠٢	١,٤٨
٢	٤	االاستكشاف وبيئة التعلّم	٢,٨٩	١,٣٧
		المتوسط الحسابي الكلي للاستبانة	٣,١٩	١,٣٧

يتبين من الجدول (٣) أن المجال الأول الذي يتعلق باستراتيجة مشاركة الأهل، وهو المجال الأكثر استخداماً من قبل المعلّمين من وجهة نظر أولياء الأمور بمتوسط حسابي بلغ (٣,٦٤) ، وانحراف معياري مقداره (١,٢٦) ، ويليه المجال الرابع الذي يتعلق باستراتيجة التقويم التي يستخدمها المعلّم بمتوسط حسابي بلغ (٣,٢٤) ، وانحراف معياري مقداره (١,٣٦) ، ثم يأتي المجال الثالث الذي يتعلق باستراتيجة التعزيز، حيث بلغ المتوسط الحسابي لهذا المجال (٣,٠٢) وانحراف معياري (١,٤٨) ، ويأتي أخيراً المجال الثاني الذي يتعلق بالاستكشاف وبيئة التعلّم، حيث بلغ المتوسط الحسابي لهذا المجال (٢,٨٩) وانحراف معياري (١,٣٧) ، بينما جاء المتوسط الكلي لاستجابات الطلبة على المقياس (٣,١٩) وانحراف معياري (١,٣٧) .أي أن توافر الخدمات التربوية بغرفة المصادر للطلبة ذوي صعوبات التعلّم من وجهة نظر أولياء الأمور كانت بدرجة متوسطة حسب المعايير التي حددها الباحث، وكانت جميع المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد العينة حول توافر الخدمات التربوية بغرفة المصادر للطلبة ذوي صعوبات التعلّم من وجهة نظر أولياء الأمور بدرجة (متوسطة) أيضاً.

ولبيان درجة توافر الخدمات التربوية بغرفة المصادر للطلبة ذوي صعوبات التعلّم من وجهة نظر أولياء الأمور حسب مجال أسلوب مشاركة الأهل، حُسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفقرات المجال كما هو وارد في الجدول (٤) .

الجدول (٤)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفقرات مجال استراتيجة مشاركة الأهل.

مشاركة الأهل				
الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة
٢	يحرص معلم غرفة المصادر على مشاركة الأهل في وضع الخطة التربوية والتعليمية وتنفيذها.	٤,٤٠	١,٠٢٥	١
٨	يدعو معلم غرفة المصادر الأهل للمشاركة في مجالس الآباء.	٣,٩٧	١,٣١٠	٢
١	يشارك معلم غرفة المصادرالأهل في عملية التقويم والتشخيص لطفلهم.	٣,٨١	١,١٤٢	٣
٣	يحرص معلم غرفة المصادر على مشاركة الأسرة في تنفيذ أساليب تعديل السلوك.	٣,٧٠	١,٢٦٥	٤
٤	يتقبل معلم غرفة المصادر الملاحظات التي يبديها أهل الطفل.	٣,٥٩	١,٢٩٧	٥
٥	يطلع معلم غرفة المصادرالأهل على خطة العمل مع الطفل.	٣,٤٠	١,٣٤٤	٦
٦	يوضح معلم غرفة المصادر للأهل كيفية تعاملهم مع مشكلة طفلهم.	٣,٢٨	١,٢٨١	٧
٧	يقابل معلم غرفة المصادر أولياء الأمور بشكل منتظم لتوجيههم وإرشادهم.	٢,٩٥	١,٤٣٤	٨
الكلي		٣,٦٤	١,٢٦	

يتضح من الجدول (٤) أن عدد فقرات هذا المجال (٨) فقرات حيث احتلت الفقرة «يحرص معلم غرفة المصادر على مشاركة الأهل في وضع الخطة التربوية والتعليمية وتنفيذها» والفقرة «يدعو معلم غرفة المصادر الأهل للمشاركة في مجالس الآباء» والفقرة «يشارك معلم غرفة المصادر الأهل في عملية التقويم والتشخيص لطفلهم» على أعلى المتوسطات، ودرجة ممارستها جاءت مرتفعة حسب مستويات المدى التي حددها الباحث. أما بقية الفقرات فقد كانت درجة ممارستها بدرجة متوسطة.

ولبيان درجة توافر الخدمات التربوية بغرفة المصادر للطلبة ذوي صعوبات التعلّم من وجهة نظر أولياء الأمور حسب مجال التقويم، فقد حُسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفقرات المجال كما هو وارد في الجدول (٥).

الجدول (٥)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفقرات مجال التقويم.

المجال الرابع: التقويم				
الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة
٥	يحرص معلم غرفة المصادر على تصحيح الواجبات البيتية بشكل دائم.	٣,٦٤	١,٢٩٧	١
٢	يكلف معلم غرفة المصادر الطلبة بواجبات بيتية بشكل دائم.	٣,٤٦	١,٣٤٢	٢
٣	يعلق معلم غرفة المصادر بألفاظ لبقة على كل مهمة.	٣,٤٠	١,٤٧٤	٣
٤	يستخدم معلم غرفة المصادر الأسئلة الشفوية كأسلوب للتقويم.	٣,٢٩	١,٤١٣	٤
١	يقدم معلم غرفة المصادر الحل الصحيح للطلبة ليقارنوا أداءهم مع النموذج.	٢,٤٠	١,٢٩٣	٥
	الكلي	٣,٢٤	١,٣٦	

يتضح من الجدول (٥) أن عدد فقرات هذا المجال (٥) فقرات حيث كانت الفقرة «يحرص معلم غرفة المصادر على تصحيح الواجبات البيتية بشكل دائم» أعلى متوسط، والفقرة «يقدم معلم غرفة المصادر الحل الصحيح للطلبة ليقارنوا أداءهم مع النموذج» أقل متوسط، ولكن ممارسة جميع فقرات هذا المجال جاءت بدرجة متوسطة.

ولبيان درجة توافر الخدمات التربوية بغرفة المصادر للطلبة ذوي صعوبات التعلّم من وجهة نظر أولياء الأمور حسب مجال التعزيز حُسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفقرات المجال كما هو وارد في الجدول (٦) .

الجدول (٦)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفقرات مجال التعزيز.

المجال الثالث: التعزيز				
الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة
٤	يستخدم معلم غرف المصادر لوحة الشرف لتعليق أسماء الناجحين.	٣,٥١	١,٣٣٢	١
٣	يستخدم معلم غرف المصادر كلمات (أحسنت، ممتاز...) باستمرار.	٣,١٧	١,٤٣١	٢
٢	يقيم استجابات الطلبة ويتفاعل معها.	٣,٠٧	١,٤٧٧	٣
١	يكافئ معلم غرفة المصادر الطلبة بالدرجات.	٢,٣١	١,٢٤٣	٤
	الكلي	٣,٠٢	١,٤٨	

يتضح من الجدول (٦) أن عدد فقرات هذا المجال (٤) فقرات حيث كانت الفقرة «يستخدم معلم غرفة المصادر لوحة الشرف لتعليق أسماء الناجحين» أعلى متوسط ولكن ممارسة هذا الإجراء جاء بدرجة متوسطة، والفقرة «يكافئ معلم غرفة المصادر الطلبة بالعلامات» أقل متوسط وممارسة هذا الإجراء كانت بدرجة قليلة.

ولبيان درجة توافر الخدمات التربوية بغرفة المصادر للطلبة ذوي صعوبات التعلّم من وجهة نظر أولياء الأمور حسب مجال الاستكشاف وبيئة التعلّم حُسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفقرات المجال كما هو وارد في الجدول (٧) .

الجدول (٧)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفقرات مجال الاستكشاف وبيئة التعلّم.

المجال الثاني: الاستكشاف وبيئة التعلّم				
الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة
٢	يطرح معلم غرفة المصادر موضوعاً جديداً في بداية كل حصة.	٣,٦٢	١,٢٠٣	١
١	يشكل معلم غرفة المصادر الطلبة ضمن مجموعات.	٣,٢٣	١,٣٨٩	٢
٤	يتوصل الطلبة إلى الحل دون تدخل المعلّم مباشرة.	٣,١٧	١,٤٢٦	٣
٥	يسأل الطلبة معلم غرف المصادر باستمرار حول موضوع الدرس	٣,١٠	١,٣١٢	٤
٣	يستخدم البطاقات والسجلات المناسبة.	٣,٠٨	١,٤٧٤	٥
٨	يعطي معلم غرفة المصادر الطلبة الفرصة الكافية للإجابة.	٢,٩٤	١,٤٥٣	٦
١	ينوع معلم غرفة المصادر بطرق التدريس.	٢,٦١	١,٣٩١	٧
٦	يستخدم معلم غرفة المصادر الكثير من وسائل التعليم.	٢,٥٣	١,٣٥٥	٨
١٠	يستخدم معلم غرف المصادر أنشطة تحتوي على الكثير من المثيرات.	٢,٣٨	١,٤٣١	٩
٧	يستخدم أسلوب التغذية الراجعة الايجابية.	٢,٣١	١,٢٤٦	١٠
الكلي		٢,٨٩	١,٣٧	

يتضح من الجدول (٧) أن عدد فقرات هذا المجال (١٠) فقرات فقد كانت الفقرة:

«يطرح معلم غرفة المصادر موضوعاً جديداً في بداية كل حصة» أعلى متوسط، وكانت درجة ممارسة تلك الفقرات متوسطة باستثناء الفقرة: «يستخدم أسلوب التغذية الراجعة الإيجابية» فقد حصلت على أقل متوسط، وممارسة هذا الإجراء جاء بدرجة قليلة.

وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة جيربر (Gerbar,1999) التي أظهرت أن الطلبة ذوي صعوبات التعلّم وأولياء الأمور أظهروا مستويات مرتفعة من القناعة والرضا عن نموذج التعليم الجماعي داخل غرفة المصادر.وتتفق أيضا مع نتائج دراسة (عواد والإمام، ٢٠٠٧) التي أشارت إلى توافر الخدمات التربوية في غرف المصادر بدرجة متوسطة.

ويعزو الباحث هذه النتيجة إلى أن الأشخاص الذين يقدمون الخدمات التربوية للطلبة ذوي صعوبات التعلّم في غرفة المصادر هم من المعلّمين والمعلّمات الذين لديهم الخبرة والتخصص والذين خضعوا للتدريب، وهم مؤهلون للتعامل مع هؤلاء الطلبة، ووضع الخطط التربوية والتعليمية الفردية لهم واستخدام استراتيجيات التدريس المناسبة، وكذلك تشخيص الطلبة ذوي صعوبات التعلّم بشكل دقيق وتحديد الصعوبات التعلّمية لديهم ومعرفة مدى حاجتهم إلى الخدمات التربوية.ويمكن تفسير هذه النتيجة ايضاً في أن معلمي غرف المصادر يرغبون في تطوير أساليبهم التدريسية بما يتلاءم مع استراتيجيات التدريس وطرقه واساليبه الحديثة وضمن إمكاناتهم وإمكانات المدرسة التي يعملون فيها.

ثانياً: النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني ونصه «هل تختلف واقع الخدمات التربوية التي تقدمها غرفة المصادر للطلبة ذوي صعوبات التعلّم باختلاف المستوى الصفي من وجهة نظر الآباء عن وجهة نظر الأمهات في المدارس الحكومية عنها في المدارس الخاصة؟»

وللإجابة عن هذا السؤال، اُستخرجت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أولياء الأمور على استبانة توافر الخدمات التربوية بغرفة المصادر للطلبة ذوي صعوبات التعلّم من وجهة نظر أولياء الأمور حسب متغيرات الجنس (الآباء والأمهات) والصف، ونوع المدرسة حكومية، أو خاصة كما هو مبين في الجدول (٨) .

الجدول (٨)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أولياء الأمور حسب متغير الجنس، والصف ونوع المدرسة.

الجنس	الصف الدراسي	نوع المدرسة	المتوسط	الانحراف
ذكور	الثالث و الرابع	خاصة	٨٤,٧٦	١٣,٠٨
		حكومية	٨١,٨١	١١,٠٤
		كلي	٨٣,٢٤	١٢,٠٨
	الخامس و السادس	خاصة	٨٥,٢٩	٩,٣٧
		حكومية	٨١,٦٧	١٢,٣٤
		كلي	٨٣,٢٦	١١,٢٣

الجنس	الصف الدراسي	نوع المدرسة	المتوسط	الانحراف
ذكور	كلي	خاصة	٨٥,٠٩	١٠,٨٨
		حكومية	٨١,٧١	١١,٨٥
		كلي	٨٣,٢٥	١١,٥٢
إناث	الثالث و الرابع	خاصة	٩٢,١٣	١٢,٧٧
		حكومية	٨٩,٠٤	١٢,٤٠
		كلي	٩٠,٢٩	١٢,٥٦
	الخامس و السادس	خاصة	٨٩,٩١	١٠,٨٢
		حكومية	٨٧,٩٣	١٢,٦٦
		كلي	٨٨,٨٥	١١,٨٣
	كلي	خاصة	٩٠,٧٣	١١,٥٥
		حكومية	٨٨,٤١	١٢,٥٠
		كلي	٨٩,٤٣	١٢,١٢
الكلي	الثالث و الرابع	خاصة	٨٨,٢٨	١٣,٣٦
		حكومية	٨٥,٨٧	١٢,٣٠
		كلي	٨٦,٩٣	١٢,٧٩
	الخامس و السادس	خاصة	٨٧,٥٨	١٠,٣٣
		حكومية	٨٤,٦١	١٢,٨٣
		كلي	٨٥,٩٥	١١,٨٤
	كلي	خاصة	٨٧,٨٤	١١,٥٣
		حكومية	٨٥,٠٩	١٢,٦١
		كلي	٨٦,٣٣	١٢,٢٠

يلاحظ من الجدول (٨) أن متوسط استجابات الآباء كان (٨٣,٢٥) والانحراف المعياري (١١,٥٢) ، أما متوسط استجابات الأمهات فقد كان (٨٩,٤٣) والانحراف المعياري (١٢,١٢) ؛ أي أن متوسط استجابات الأمهات أعلى ظاهرياً من متوسط استجابات الآباء، ومتوسط استجابات أولياء أمور الطلبة من الصفين الثالث والرابع (٨٦,٩٣) والانحراف

المعياري (١٢,٧٩) ، وهو أعلى ظاهرياً من متوسط استجابات أولياء أمور الطلبة من الصفين الخامس والسادس، والذي بلغ (٨٥,٩٥) وانحراف معياري (١١,٨٤) .بينما كان متوسط استجابات أولياء أمور الطلبة الذين يدرسون في المدارس الخاصة (٨٧,٨٤) والانحراف المعياري (١١,٥٣) ، وكان متوسط استجابات أولياء أمور الطلبة الذين يدرسون في المدارس الحكومية (٨٥,٠٩) والانحراف المعياري (١٢,٦١) أي أن متوسط استجابات أولياء أمور طلبة المدارس الخاصة أعلى ظاهرياً من متوسط استجابات أولياء أمور طلبةالمدارس الحكومية.ولمعرفة دلالة تلك الفروق اُستخدم تحليل التباين الثلاثي كما هو مبين في الجدول (٩) .

الجدول (٩)

تحليل التباين الثلاثي للكشف عن أثر المتغيرات في استجابات أولياء أمور الطلبة على استبانة توافر الخدمات التربوية بغرفة المصادر للطلبة ذوي صعوبات التعلّم من وجهة نظر أولياء الأمور في محافظة إربد.

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف المحسوبة	مستوى الدلالة
الجنس	٣٦١٧,٥٢٣	١	٣٦١٧,٥٢٣	٢٥,٩٤١	٠٠٠.
الصف	٤٨,١٥٦	١	٤٨,١٥٦	٣٤٥.	٥٥٧.
نوع المدرسة	٧٥٥,٧١٠	١	٧٥٥,٧١٠	٥,٤١٩	٠٢٠.
الخطأ	٥٢٤٣٤,٠١٢	٣٧٦	١٣٩,٤٥٢		
الكلي	٥٧٠٢٨,٣١٠	٣٨٣			

يبين الجدول (٩) أن هناك فروقاً ذات دلالة إحصائية في استجابات أولياء أمور الطلبة على استبانة توافر الخدمات التربوية بغرفة المصادر للطلبة ذوي صعوبات التعلّم من وجهة نظر أولياء الأمور تعزى إلى الجنس لصالح الأمهات لأن متوسط استجابات الأمهات كانت أعلى من متوسط استجابات الآباء، وإلى نوع المدرسة لصالح المدارس الخاصة؛ لأن متوسط استجابات الآباء الذين يدرسون ابناءهم في مدارس خاصة أعلى من متوسط استجابات الآباء الذين يدرسون أبناءهم بمدارس حكومية، ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية تعزى إلى المستوى الصفي.

ويمكن تفسير هذه النتيجة بأن الأمهات أكثر اتصالاً مع معلمي غرف المصادر من الآباء مما يتيح للامهات الاطلاع على الطرق والاستراتيجيات التي يستخدمها معلمو غرف المصادر مثل: التقويم والتعزيز.

كما دلت النتائج على أنّ هناك فروقاً ذات دلالة إحصائية تعزى إلى نوع المدرسة لصالح المدارس الخاصة، أي أن أولياء أمور طلبةالمدارس الخاصة يرون أن معلمي غرف المصادر يستخدمون استراتيجيات توافر الخدمات التربوية بشكل أفضل من طلبة المدارس الحكومية، ويمكن تفسير هذه النتيجة بأن التفاعل الصفي بين المعلّمين وأولياء أمور الطلبة في المدارس الخاصة أكثر فاعلية؛ وذلك لأسباب منها: قلة عدد الطلبة في غرفة المصادر، وتشديد المدارس الخاصة على معلمي غرف المصادر لاتباع أحدث طرق التدريس، وتركيزها على جودة التعليم؛ للمحافظة على سمعة المدرسة لاستقطاب المزيد من الطلبة.كما بينت النتائج أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية تعزى إلى المستوى الصفي، ويمكن تفسير هذه النتيجة بأن أساليب معلمي غرف المصادر في التعامل مع الطلبة لا يختلف باختلاف الصف.

التوصيات التربوية:

في ضوء نتائج الدراسة يوصي الباحث بما يأتي:

١. العمل على إعداد دليل للمعلم يرفع من كفاءة المعلّمين يساعد على تقديم الخدمات التربوية بغرفة المصادر للطلبة ذوي صعوبات التعلّم.

٢. عقد ورش تدريبية مشتركة بين معلمي غرف المصادرفي المدارس الخاصة والحكومية.

٣. ضرورة وجود فريق متعدد التخصصات: (معلم غرفة المصادر، ومعلم الصف، وطبيب، وأخصائي ونفسي، وأخصائي اجتماعي، والمرشد التربوي) بحيث يكون العمل بصورة تعاونية في تشخيص صعوبات التعلّم، وتقرير أحقية الطالب في تلقي خدمات التربية الخاصة، ووضع برنامج التدريس العلاجي الملائم للتغلب على الصعوبات التي يعاني منها.

٤. تيسير سُبل التعاون فيما بين الأسرة وفريق التقويم متعدد التخصصات، في تحديد نقاط القوة والضعف لدى الطالب، مع توضيح دور كل من المدرسة والأسرة في متابعة برنامج التدريس العلاجي وتنفيذه.

٥. تنظيم دورات تدريبية لمعلمي غرف المصادر للتعرف إلى أساليب التقويم الشمولي لصعوبات التعلّم، والاتجاهات الحديثة في تدريس ذوي صعوبات التعلّم، وكيفية التطبيق العملي على طلابهم داخل الغرفة.

٦. إجراء دراسات تتبعيه للأطفال ذوي صعوبات التعلّم والذين استفادوا من خدمات غرف المصادر وملاحظة مدى التحسن في أداء هؤلاء الأطفال.

المصاد والمراجع:

أولاً- المراجع العربية:

١. بطاينة، أسامة والرشدان، مالك والسبايلة، عبيد والخطاطبة، عبد المجيد. (٢٠٠٥) . صعوبات التعلّم: النظرية والممارسة. الطبعة الأولى، عمان، دار المسيرة.

٢. خزاعي، أحمد. (٢٠٠١) . مستوى إتقان معلمي غرف المصادر لمهارات التدريس الفعال. رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية: عمان، الأردن.

٣. الزعبي، ناجية. (١٩٩٣) . بناء أداة لقياس فاعلية معلم التربية الخاصة. رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

٤. سعيد، جميل. (٢٠٠٢) . أثر غرف مصادر التعلّم على تنمية التحصيل الدراسي للطلبة ذوي صعوبات التعلّم في اللغة العربية. رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية: عمان، الأردن.

٥. العابد، واصف. (٢٠٠٣) . مشكلات معلمي غرف مصادر المدرسة الأساسية. رسالة ماجستير، جامعة عمان العربية للدراسات العليا، عمان.

٦. عواد، أحمد أحمد. (٢٠٠٢) . اتجاهات المعلّمين نحو تجربة دمج التلاميذ ذوي صعوبات التعلّم في الفصول العادية. المؤتمر القومي الثامن لاتحاد هيئات رعاية الفئات الخاصة والمعوقين بجمهورية مصر العربية (معاً على طريق الدمج الشامل لذوي الاحتياجات.

٧. عواد، أحمد والإمام، محمد. (٢٠٠٧) . واقع الخدمات التربوية في غرف المصادر للطلبة ذوي صعوبات التعلّم بالمرحلة الأساسية في الأردن. المؤتمر السنوي الرابع عشر للإرشاد النفسي بجامعة عين شمس، مصر.

٨. الوقفي، راضي. (٢٠٠٣) . صعوبات التعلّم، منشورات كلية الأميرة ثروت، الطبعة الأولى، عمان، الأردن.

٩. يحيى، خوله. (٢٠٠٣) . إرشاد ذوي الاحتياجات الخاصة. دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان.

ثانياً- المراجع الأجنبية:

1. *Benedicts, Tina de, Jaffe, Joelline, & Segal, Jeanne (2006) . Learning Disabilities: Types, Symptoms, Diagnosis, and Causes. http:/ / www. helpguide. org/ mental/ learning disabilities.*
2. *Bentum, Kwesi E. (2003) . Dose reading instruction in learning disability resource rooms really work? A longitudinal study. Reading Psychology; (24) 3/ 4, p361.*
3. *Calhoon, Fuchs, Mary Beth, and Lynn S. (2003) . The effects of peer-assisted learning strategies and curriculum- based measurement on the mathematics performance of secondary students with disabilities. Remedial & Special Education; (24) 4, p235.*
4. *Child Trends of the National Health Interview Surveys (2006) . Learning disabilities. www. childtrendsdatabank. org*
5. *Crockett, J. B. & Kauffman, J. M. (1999) . The least restrictive environment: Its origins and interpretations in special education. Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum Associates.*
6. *Elbaum, B. (2002) . The self concept of students with learning disabilities: A Meta analysis of comparisons across different placements. Learning Disabilities Research & Practice; (17) 4, p216- 226.*
7. *Englert, Carol Sue, Wu, Xiuwen, Zhao, Yong (2005) . Cognitive tools for writing: Scaffolding the performance of students through Technology. Learning Disabilities Research & Practice; (20) 3, p184- 198.*
8. *Gerber. (1999) . Consumer Per Spectives on The collaborative Teaching Model: Views of Students with and without LD and Their Parents. Handicapped and Gifted Children, 20 (5) , 288- 296.*
9. *Klingner, J. K. & Vaughn, S. (1999) . Student's perception of instruction in inclusion classrooms: Implication for students with learning disabilities. Exceptional Children, 66 (1) , p23- 37.*
10. *Lerner, J. (2003) . Learning disabilities: Theories, diagnosis and teaching strategies. (9th Ed.) . Boston, MA, Houghton Mifflin Company.*

11. *O'Reilly, Mark F. ; Lancioni, Giulio; Gardiner, Marianne; Tiernan, Roisin; Lacy, Claire (2002) . Using a problem- solving approach to teach classroom skills to a student with moderate intellectual disabilities within regular classroom settings. Journal of Disability, Development and Education, (49) 1, p95- 104.*
12. *Vaughn, S. , Elbaum, B. , & Boardman, A. G. (2001) . The social functioning of students with learning disabilities: Implication for inclusion. Exceptionality, 9 (1) , p49- 67.*
13. *Prater, Mary Anne. (2003) . Learning disabilities in children's and adolescent literature: How are characters portrayed?. Learning Disability Quarterly, (26) 1, p47- 62.*
14. *The National Information Center for Children and Youth with Disabilities (NICHCY) . (2004) . Learning disabilities. http:/ / www. nichcy. org/ resources/ LD1. asp*
15. *Vaughn, S. , Elbaum, B. , & Boardman, A. G. (2001) . The social functioning of students with learning disabilities: Implication for inclusion. Exceptionality, 9 (1) , p49- 67.*

مستوى ممارسة معلمي الصفوف الثلاثة الأولى لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي لدى طلبتهم في محافظة عجلون بالأردن*

د. عمار الفريحات**

* تاريخ التسليم: ٣/ ١٢/ ٢٠١١م، تاريخ القبول: ٣٣/ ١/ ٢٠١٢م.
** أستاذ علم النفس المساعد/ جامعة البلقاء التطبيقية/ كلية عجلون الجامعية/ الأردن.

ملخص:

هدفت هذه الدراسة التعرف إلى مستوى ممارسة معلمي الصفوف الثلاثة الأولى لأساليب التفكير الإبداعي لدى طلبتهم في محافظة عجلون بالأردن، تكونت عينة الدراسة من (٢٠٠) معلم ومعلمة من معلمي الصفوف الثلاثة الأولى، استخدم الباحث استبانة مكونة من (٦٣) فقرة، وقد أظهرت نتائج الدراسة: إن درجة ممارسة معلمي الصفوف الثلاثة الأولى لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي لدى طلبتهم كانت متوسطة على المجموع الكلي للأداة، وفي مجالات: الحرية في التعبير، والاتجاه الإيجابي نحو الإبداع، وطرق التدريس، وطرق التقويم، والبيئة الصفية، وتحفيز الإبداع، كما أشارت الدراسة إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في درجة ممارسة معلمي الصفوف لثلاثة الأولى في محافظة عجلون لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي تبعًا لمتغير: الجنس، والخبرة، والمؤهل العلمي على جميع مجالات أداة الدراسة

Abstract:

This study aimed at recognizing the level of practice of the teachers of the first three primary school grades for the methods that encourage creative thinking in their students in Ajloun Governorate in Jordan.The study sample included (200) teachers (males and females) who teach the first three primary school class levels.The researcher used a questionnaire that consisted of (63) item.The results showed that: teachers' degree of practice of the methods that encourage creative thinking in their students was moderate on the instrument total score and in the fields of freedom of expression, positive perspectives toward creativity teaching methods, methods of evaluation, class environment, and creativity motivation.The study also shows that there were no significant statistical differences related to the degree of teachers' practice to encourage students' creative thinking according to variables of: sex, experience, and qualification on all of the domains of the study instrument

مقدمة:

إن الهدف الأسمى من التربية هو تنمية التفكير بجميع إشكاله لدى كل فرد، ويعد الاهتمام بالتفكير الإبداعي لدى الطلبة ضرورة تفرضها طبيعة هذا العصر؛ ذلك أن التقدم العلمي والتقني المعاصر، والانفجار المعرفي الهائل، والتزايد السريع لاستخدامات تطبيقات المعرفة الإنسانية– والذي يعد من نتاج الإبداعات البشرية– أكبر دليل على الدور الذي يؤديه التفكير والإبداع في رقي المجتمعات الإنسانية، التي تؤمن بأن الثروة الحقيقة لأي أمة تكمن في الثروة الفكرية الخلاقة والبناءة التي تنتج من عقول مبدعة، لتخلص المجتمع والأفراد من أسر وقيد النمطية، في سبيل المساعدة على تطوير أساسيات التقدم في شتى مناحي الحياة (الغامدي، ٢٠٠٩) .وقد أشارت معظم البحوث إلى أن الإبداع مهم في تحسين عملية حل المشكلات بتزويد الأفراد بأدوات حل المشكلة، ويزيد من فاعلية اتخاذ القرار، وبالتالي تطور المجتمع وتقدمة، الأمر الذي يتطلب إعداد الأفراد إعدادًا يجعلهم قادرين على صياغة الحلول الجديدة (Mathers,2001) .ونظرًا لأهمية الإبداع في إحداث التطور في المجالات كافة ترى جميع المؤسسات، وفي شتى المجالات التربوية والسياسية والاقتصادية ضرورة تنميته لدى أفرادها لتكون قادرة على النمو والتطور (Carling,2000) .وتؤدي المدرسة دوراً أساسيًا في تنمية مهارات التفكير الإبداعي، ويشير جيلفورد أن هدف المدارس يجب أن يكون تحسين مهارات التفكير الإبداعي لدى الطلاب، بإثارة الأنشطة الصفية التي تساعد الطالب على أن يكون متقصياً، ومكتشفاً.وتهيئ له المناخ الآمن ليشعر بالحرية لاكتشاف إمكاناته (Fobes,2001) .كما يؤكد تورانس على مجموعة من العوامل التربوية التي يمكن أن تنمي الإبداع لدى الطلبة في المدرسة، وهي: الاعتراف بالقوى الكامنة لديهم، واحترام أسئلتهم وأفكارهم، وطرح الأسئلة المثيرة والأصيلة، وتنمية قدرتهم على تحديد المشكلة، وتنمية المهارات الإبداعية لحل المشكلات (Higgin, 2000) .ويرى تريفنجر (Trefinger ,1995) أن هناك مجموعة من العناصر يجب أن تتوافر في المدرسة المثيرة للإبداع هي: قيادة تربوية قوية تركيز على تعليم الطلاب المهارات اللازمة للتفكير، وقادرة على توفير بيئة تربوية آمنة ومشجعة ومنظمة.ويرى أن المدرسة المطورة هي المدرسة التي تهتم بتطبيق المبادئ الأساسية في التربية السليمة وتمارس التطوير المستمر، وتهتم بنوعية الإنجاز، وتنمي الابتكار.ويقدم دنيل (Daniel,2001) توصيات عدة لبيئة مدرسية مثيرة للتفكير الإبداعي منها: دعم الأفكار والاستجابات غير العادية وتعزيزها، واستخدام الفشل بطريقة مقبولة بحيث يدرك الأطفال الخطأ في مناخ داعم، ومراعاة اهتمامات الطلاب وأفكارهم في الغرفة الصفية متى يكون ذلك ممكناً، وإعطاء الحرية للطلاب لأن يفكروا ويطوروا أفكارهم

المبدعة، وإيجاد جو من الاحترام المتبادل والتقبل بين الطلاب والمدرسين حتى يستطيع الطلاب المشاركة في التعليم والإبداع ويتعلموا من بعضهم بشكل مستقل في المجالات المختلفة، وتشجيع النشاطات الإبداعية في المجالات المختلفة (الفنون، الأدب، الصناعة، ...الخ) ؛ إذ إن الإبداع يدخل في المجالات كافة، وتشجيع نشاطات التعليم المتباعد وتزويدهم بالمصادر المختلفة، والاستماع للطلاب بجو من الدعم والدفء، وتزويدهم بالحرية والأمن في تفكيرهم، والسماح للطلاب أن يشاركوا في عملية اتخاذ القرار وذلك بتزويدهم بخيارات متنوعة، ودعم أفكارهم، وحلولهم للمشكلات التي يواجهونها ودعم استقلاليتهم بذلك.ويمكن أن تقوم المدرسة بدعم الإبداع، وقد تقوم أيضا بإعاقته، ويشير امبيل وجاردنير (Gardner,1989,Ambile,1983) الوارد في عبدالله (Abdallah,1996) أن الأطفال كلهم يولدون مبدعين، وأن روح الإبداع لديهم تجعلهم ينظرون إلى العالم بشكل مبدع، لغاية الصف الثالث والرابع فإن هذا الحماس للاستكشاف يخبو فجأة وبشدة، فالمدارس تعوق الإبداع عندهم: بممارسة الرقابة والإشراف المقيدين للحرية، والتركيز للى الحفظ، وعدم إعطاء الطلاب فرصة لإيجاد ما هو جيد ومبدع.ويشير هيجن (Hig-gins,2000) إلى مجموعة من العوامل التي تعوق التفكير الإبداعي داخل المدرسة منها: عدد الطلاب داخل الصف، ومتطلبات التقويم، وقابليات التلاميذ.ويورد كوسي (Casey,1994) بعض العوامل المعوقة للتفكير الإبداعي في المدرسة وهي: النظرة التقليدية للمدرس بأنه هو مصدر المعرفة الوحيد، وعدد الطلاب في الصف ومساحته، الجو المهدد في المدارس، وأنماط التدريس التقليدية، واتجاهات المدرسين السلبية نحو الإبداع.وفي هذا الإطار يؤدي المعلم دوراً أساسياً في تنمية التفكير الإبداعي لدى الطلاب.ويذكر نورتن (Norton,1994) عدداً من صفات المعلم المبدع وهي: يحسن استخدام الطرق والاستراتيجيات التدريسية الجديدة والمفيدة للطلاب، ويأخذ أفكار الطلاب كلّها بعين الاعتبار ويساعدهم في التعبير عنها بطريقة مفيدة، ويفكر ويخطط ويجاهد ليجعل التعلم ذا معنى للطلبة، ويبحث عن طرق جديدة ومختلفة وممتعة في التدريس، وينوع في طرق التدريس في أثناء عرضه للمادة، ويقوم بتنسيق نشاطات التعليم الإبداعية وتنظيمها، ويكيف ويعدل أفكار المواد لتتلاءم مع احتياجات طلاب صفه، ولديه القدرة على التعامل مع المشكلات الصفية وحلها.ويبين اجاروال (Aggarwal,1999) أن المعلم إذا ما أراد تشجيع الإبداع وتنميته داخل الصف فعليه اتباع الخطوات الآتية: تشجيع الطلاب حتى يتعلموا اختلاف الرأي البناء، وتشجيع الطلاب ليحاكوا الأشخاص المبدعين ويقلدوهم، وتزويد الطلاب بالخبرات المثيرة لهم، وجعل البيئة الصفية المتمتعة بالدفء والأمن، وتزويدهم بالإرشاد والنصيحة الضرورية من أجل تنمية الدافعية لديهم، وتركهم ليسألوا أسئلة غريبة، ومكافأتهم على التخيل وطرح

الأفكار الفردية، والإظهار للطلاب على أن أفكارهم قيمة، وتزويدهم بفرص للتعليم الذاتي، وتزويدهم بالمواد التي تنمي الخيال لديهم، وطرح الأسئلة التي تتحدى قدرات الطلاب ولا تحرجهم، والتركيز على المكافأة أكثر من العقاب، ويحترم الطلاب، وتزويدهم بالأنشطة المشجعة للتفكير مثل الدراما والمسرح، ويشجع الحوار والمناقشة بين الطلاب، وينوع بأساليب التقويم داخل الصف، ويشجع الطلاب على التقويم الذاتي، واستخدام استراتيجيات إثارة الطلاب كالعصف الذهني.هذا وتورد (زحلوقه، ٢٠٠٢) بعض السلوكيات التي يمكن أن يقوم بها المعلمون وتحد من الإبداع منها: العقاب على التساؤل والاكتشاف، والتركيز على أساليب تربوية تهتم بالنواحي اللفظية، وإجبار الطلبة على الالتزام بطريقته على التفكير والتعبير، واتجاه المعلمين لمعاقبة الطلاب الذين يظهرون أدلة على التفكير الإبداعي، اتجاه المعلمين على مكافأة الطلبة الذين يبدون سلوك الطاعة والإذعان والمسايرة.تفضيل المعلم للطالب الذكي بالمعنى التقليدي وعدم تفضيله للطالب المبدع.

وتحتل مرحلة التعليم الأساسي مكانة مهمة في السلم التعليمي، إذ إنها تمثل الحلقة الأولى في السلم التعليمي، لذلك فإن تنمية التفكير الإبداعي لتلاميذ هذه المرحلة يمكن أن يساعد في بناء الإنسان القادر على مواجهة المشكلات، والمتزود بالمنهج الذي يوصل إلى طرق التفكير الإبداعي (باعويضان، ٢٠١٠) .فثمة حقيقة مقررة وهي أن التفكير الإبداعي يتأسس منذ الطفولة المبكرة، إذ إن كل طفل مشروع مبدع، فبدايات التفكير الإبداعي ومقوماته لدى الطفل تتمثل في تلك الخصائص التي تميز هذه المرحلة، مثل اهتمامه بالاستكشاف والاستطلاع، والتجريب والتعرف إلى مكونات أو عناصر الشيء، والقدرة على التخيل التي تظهر في مواقف وأنشطة لعبة الإيهامي، وكثرة الأسئلة التي يحاول أن يحصل منها على إشباع لجوعه العقلي وحاجاته إلى البحث والاستقصاء (المشرفي، ٢٠٠٣) .وقد أشار تورانس (Torrance, 1993) إلى أن سنوات المدرسة الابتدائية هي السنوات الحرجة في تنمية الإبداع والتفكير الإبداعي.وان تنمية الاتجاهات الإبداعية، وطرق التفكير الإبداعي قد يكون لها أثر كبير في سنوات الدراسة الابتدائية.وقد أكد هونك (Hong,2006) أن تطوير مراحل عملية التفكير لدى الطلبة يقتضي أن يبدأ بها قبل، من خلال تزويد الطلبة بأنشطة منظمة تغني تعلم التفكير الإبداعي لديهم بشكل متسلسل، بالإضافة إلى تزويدهم بمهارات التواصل الإدراكي والاجتماعي التي تبدأ أولا من تعامل الطفل مع الأفراد المحيطين به.ويعد المعلم من أهم عوامل نجاح برامج تعليم التفكير الإبداعي، لأن النتائج المتحققة من تطبيق أي برنامج لتعليم التفكير الإبداعي تتوقف بدرجة كبيرة على نوعية التعليم الذي يمارسه المعلم داخل فصول الدراسة (Carter, 1992) .ويتضح مما سبق أهمية الدور الذي تؤديه المدرسة في تنمية مهارات التفكير الإبداعي باعتبارها البيئة التربوية المنظمة لتحقيق

ذلك، وهذا لا يتم إلا بوجود معلم قادر على اتباع الأساليب المثيرة للتفكير التي تتخذ من المتعلم محوراً لها، وتشجيع الطالب على التفكير ومواجهتهم بأشكال مقبولة من التحدي، وإشاعة جو الحوار والمناقشة المثير للأفكار، وتشجيع الجديد منها، بعيدًا عن أساليب التلقين والاسترجاع فقط.لذا تأتي هذه الدراسة.

مشكلة الدراسة:

يعد المعلم في جميع المراحل الدراسية الأساس الأول في عملية التعليم، ويمثل حجر الزاوية للعملية التعليمية، ومفتاح النجاح لأي برنامج مدرسي.ويؤدي المعلم أيضا دوراً أساسياً في تنمية مهارات التفكير لدى الطلبة.وتعد مرحلة التعليم الأساسي الفترة التي يرسي فيها الطالب الأسس لكثير من جوانب شخصيته؛ فالمعارف والاتجاهات والمهارات التي يكتسبها التلميذ في هذه المرحلة تمثل الركائز الأصيلة التي يعتمد عليها نموه في المراحل الآتية، وتترك آثارها المتميزة على معالم شخصيته، ومدى توافقه الشخصي والاجتماعي؛ إذ ينمو حب الاستطلاع لديه، وتزداد قدراته اللغوية والعددية، وتزداد محصلته اللغوية، ويتحول تفكيره من تفكير حسي إلى تفكير مجرد.وغيرها من الخصائص المعرفية والعقلية التي تمكّن المعلم من تنمية مهارات التفكير الإبداعي لديه باستخدام الأنشطة والبرامج اللازمة لذلك، ومن خلال إيجاد البيئية التربوية المناسبة، إلا أنه يمكن أن يكون استخدام المعلم للأساليب التقليدية في التدريس، التي يكون التركيز فيها على الحفظ والاسترجاع دون مراعاة لقدرات التلميذ على الاكتشاف، وأساليب التقويم التي يركّز فيها على الإجابة المحددة لأسئلة المدرس معوقة لنمو المهارات الإبداعية عند التلاميذ.نظرًا لاهتمام جميع الأنظمة التربوية بالإبداع وتنميته، ونظرًا للدور الفعال للمعلم فيه؛ وتأتي هذه الدراسة للتعرف إلى الأساليب التي يستخدمها معلمي الصفوف الثلاثة الأولى في الأردن في تنمية مهارات التفكير الإبداعي لدى طلبتهم **وذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية**:

١. ما مستوى ممارسة معلمي الصفوف الثلاثة الأولى في محافظة عجلون في الأردن لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي من وجهة نظرهم؟

٢. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين تقديرات معلمي الصفوف الثلاثة الأولى في محافظة عجلون، لمستوى ممارستهم لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي تبعاً لجنس المدرس (ذكر، أنثى) ؟

٣. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين تقديرات معلمي الصفوف الثلاثة الأولى في محافظة عجلون لمستوى ممارستهم لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي تبعا لسنوات خبرة المدرس (أقل من ٥ سنوات، من ٥- ١٠ سنوات، أكثر من ١٠ سنوات) ؟

٤. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين تقديرات معلمي الصفوف الثلاثة الأولى في محافظة عجلون لمستوى ممارستهم لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي تبعاً للمؤهل العلمي للمدرس (دبلوم متوسط، بكالوريوس، ما بعد البكالوريوس) ؟

أهمية الدراسة:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من أهمية الموضوع الذي تتناوله، والمتعلق بأساليب تشجيع التفكير الإبداعي في الغرفة الصفية، وكذلك من أهميه الدور الذي يؤديه المعلم في تشجيع التفكير الإبداعي لدى الطلبة، كما تبرز أهمية هذه الدراسة من أهمية المرحلة التعليمية التي تتناولها، التي تتشكَّل فيها معالم شخصية الطفل.**إضافة إلى ذلك يمكن أن تسهم هذه الدراسة في أنها:**

١. تساعد معلمي الصفوف الثلاثة الأولى ومعلماتها على الارتقاء بمستوياتهم الأدائية، من خلال الكشف عن بعض الجوانب التربوية لواقع أساليب التدريس التي يستخدمها معلمو الصفوف الثلاثة الأولى في الأردن.

٢. توجه أنظار المؤسسات القائمة على إعداد المعلمين إلى مكامن الضعف في برامج الإعداد؛ لإعادة النظر فيها، بما يوجه هذه البرامج نحو التطوير الشامل لمكونات البرنامج.

٣. تسهم في تطوير الإشراف التربوي في إعداد نموذج لوسيلة تقويم أداء معلم المرحلة الأساسية في مجال تنمية التفكير الابتكاري

٤. تعزز ميدان الدراسات والبحوث العربية والأردنية بدارسة حديثة في تحديد الأساليب التي يجب أن يستخدمها المعلمون لتشجيع التفكير الإبداعي لدى تلاميذ الصفوف الثلاثة الأولى، وبخاصة أن هناك ندرة- حسب علم الباحث- للدراسات التي تتناول أساليب تشجيع التفكير الإبداعي التي يمكن أن يستخدمها المعلمون لتنمية مهارات التفكير الإبداعي لدى التلاميذ في هذه الصفوف

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

١. التعرف إلى مستوى ممارسة معلمي الصفوف الثلاثة الأولى في محافظة عجلون في الأردن لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي من وجهة نظرهم

٢. التعرف إلى الفروق بين تقديرات معلمي الصفوف الثلاثة الأولى في محافظة عجلون لمستوى ممارستهم لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي تبعا إلى المتغيرات: الجنس، الخبرة، المؤهل العلمي.

حدود الدراسة:

تتحدد هذه الدراسة بالمحددات الآتية:

- محدد بشري: اقتصرت هذه الدراسة على عينة من معلمي الصفوف الثلاثة الأولى في محافظة عجلون في الأردن.

- محدد مكاني: اقتصرت هذه الدراسة على المدارس الحكومية والخاصة التابعة لمديرية التربية والتعليم في محافظة عجلون، التي توجد فيها الصفوف الثلاثة الأولى.

- محدد زماني: تحددت بزمن تطبيقها خلال الفصل الدراسي الثاني للعام الدراسي (٢٠١٠– ٢٠١١)

- محدد موضوعي: يتعلق بأداة الدراسة ودلالات صدقها وثباتها ومدى اشتمال فقراتها لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي، ومدى صدق استجابة أفراد العينة لهذه الفقرات.

التعريفات الإجرائية:

◄ **مهارات التفكير الإبداعي**: قدرة عقلية فردية، وذات مراحل متعددة ينتج عنها فكر أو عمل جديد يتميز بأكبر قدر من الطلاقة والمرونة والأصالة والحساسية للمشكلات، فهو يتضمن القدرة على تكوين تنظيمات وأبنية جديدة للأفكار والمواقف.(العتوم وآخرون، ٢٠٠٨)

◄ **أساليب تشجيع التفكير الإبداعي**: هي الطرق والأساليب التي يتبعها المعلم في المواقف التعليمية المختلفة، التي تيسر ظهور الإبداع، و تنتج عن التفاعلات بين المعلم والطالب، وقد صنفت لأغراض هذه الدراسة ضمن مجالات هي: حرية التعبير عن الرأي، وتقبل الإبداع، وطرق التدريس والتقويم، والبيئة الصفية، وتحفيز الإبداع.

◄ **مدى الممارسة**: هي كل ما يقوم به معلمو الصفوف الثلاثة الأولى من أساليب لتشجيع التفكير الإبداعي بتفاعلهم مع التلاميذ سواء أكان ذلك قبل الحصة أم خلالها أم بعدها، وتقاس باستجابة المعلمين والمعلمات على أداة الدراسة.

◄ **معلمو الصفوف الثلاثة الأولى**: هم جميع معلمي ومعلمات الصفوف الثلاثة الأولى الذين يقومون بالتدريس في المدارس التابعة لمديرية تربية محافظة عجلون في الفصل الدراسي الأول (٢٠١٠– ٢٠١١) .

الدراسات السابقة:

أجرى **عوض** (١٩٩٤) دراسة هدفت إلى التعرف إلى واقع ممارسة معلمي اللغة العربية للمهارات الإبداعية أثناء التعليم من أجل تنمية التفكير الإبداعي لدى طلبة المرحلة الأساسية.تكونت عينة الدراسة من (١٦٢) معلماً ومعلمة، استخدم الباحث استبانة تبين المجالات الخمسة للمهارات الإبداعية التي توقع ممارستها.وتوصلت الدراسة: إلى أن ممارسات المعلمين الإبداعية في أثناء تدريسهم، ومن وجهة نظرهم مقبولة، ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في ممارسات معلمي اللغة العربية للمرحلة الأساسية في أثناء التعليم تعزى إلى جنس المعلم في مجالات: الطلاقة، والمرونة، والأصالة، في حين توجد فروق ذات دلالة إحصائية في ممارسات المعلمين للمهارات في أثناء التعليم، تعزى إلى الجنس في المجالين: التفاصيل، والحساسية للمشكلات، وفي الدرجة الكلية لصالح المعلمين الذكور.

وأجرت **الباقر** دراسة (١٩٩٧) هدفها تقويم دور معلمات الرياضيات في المرحلة الإعدادية في تنمية الإبداع لدى تلميذات تلك المرحلة في دولة قطر، تكونت عينة الدراسة من (٣١) معلمة من معلمات الرياضيات بالمرحلة الإعدادية في قطر، وتلميذات الفصول التي يقمن بالتدريس لها في المدارس الحكومية بقطر.وطبقت الباحثة بطاقة الملاحظة على معلمات عينة البحث حيث تمت ملاحظة كل معلمة خلال ثلاث حصص، مدة كل حصة (٤٥) دقيقة، وبذلك بلغ العدد الإجمالي للحصص (٩٣) حصة.كانت نتائج الدراسة أن درجة ممارسة معلمات عينة البحث للأنشطة التعليمية الإيجابية المشجعة والمثيرة للإبداع لدى تلميذاتهن في حجرة الدراسة في فئة التقدير (ضعيف) .كما أظهرت النتائج أن درجة ممارسة معلمات عينة البحث للأنشطة التعليمية السلبية التي تعوق الإبداع لدى تلميذاتهن في حجرة الدراسة في فئة التقدير »قليلة إلى حد ما»، كما لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين درجات الممارسة لمجموعات عينة البحث في الأنشطة التعليمية موضوع البحث تعزى لمتغير الخبرة.أي أن الخبرة ليس لها دور في درجة ممارسة معلمات عينة البحث للأنشطة التعليمية المشجعة والمثيرة للإبداع لدى تلميذاتهن في حجرة الدراسة.

كما أجرت **قشوع** (٢٠٠١) دراسة هدفت إلى معرفة وجهة نظر طلبة الصف الثامن الأساسي في الدور الذي يقوم به معلم العلوم في تنمية التفكير الإبداعي لديهم، تكونت العينة من (٤٤١) طالباً وطالبة، اختيروا بالطريقة العنقودية العشوائية البسيطة، وقد اُستخدمت في الدراسة أداتان: الأولى مقياس دور معلم العلوم في تنمية التفكير الإبداعي، واختبار القدرة على التفكير الإبداعي.وقد بينت نتائج الدراسة أن دور معلم العلوم في تنمية التفكير الإبداعي كان متوسطاً من وجهة نظر الطلبة، كما دلت النتائج أيضا على وجود

فروق إحصائية للجنس لصالح الإناث، وأيضا لمستوى التحصيل لصالح ذوي التحصيل العلمي المرتفع، ولم تكشف النتائج عن وجود فروق في التفاعل المشترك بين الجنس وبين مستوى التحصيل العلمي

وهدفت دراسة **خريشة** (٢٠٠١) التعرف إلى مستوى مساهمة معلمي التاريخ للمرحلة الثانوية في تنمية مهارات التفكير الناقد والإبداعي لدى طلبتهم، ومعرفة أثر جنس المعلم وخبرته ومؤهله في ذلك، وتحديد العلاقة بين آراء المعلمين حول مستوى مساهمتهم في تنمية مهارات التفكير، وبين مستوى مساهمتهم من خلال ملاحظة مباشرة داخل حجرة الدراسة.تكونت عينة الدراسة من (٣٣) معلماً من معلمي التاريخ للمرحلة الثانوية في مديرية التربية والتعليم لقصبة المفرق، طُبقت عليهم استبانة للتعرف إلى آرائهم في مستوى مساهمتهم في تنمية مهارات التفكير الناقد والإبداعي، وبطاقة ملاحظة التعرف إلى مستوى مساهمتهم من خلال ملاحظتهم داخل حجرة الدراسة.وتكونت كل من الاستبانة والبطاقة من (٥٥) مظهراً سلوكيًا تسهم في تنمية مهارات التفكير العليا منها (٢٤) مظهراً للتفكير الناقد و (٣١) مظهراً للتفكير الإبداعي.دلت النتائج على تدني مستوى مساهمة معلمي التاريخ في تنمية التفكير الناقد والإبداعي والمهارات مجتمعة سواء من خلال آراء المعلمين أم من خلال ملاحظتهم داخل حجرة الدراسة، فقد كان مستوى مساهمتهم أقل من المستوى المقبول تربوياً (٨٥٪) ، ولم تظهر فروق دالة إحصائيًا بين آراء معلمي التاريخ أو نتيجة لملاحظتهم داخل حجرة الدراسة في مستوى مساهمتهم في تنمية مهارات التفكير، تعزى إلى جنس المعلم أو خبرته أو مؤهله.ولم تظهر علاقة دالة إحصائيًا بين آراء المعلمين في مستوى مساهمتهم في تنمية مهارات التفكير وبين مستوى مساهمتهم في تنمية تلك المهارات نتيجة لملاحظتهم داخل حجرة الدراسة.

وأما الدراسة التي أجرتها **خصاونه** (٢٠٠١) فهدفت إلى معرفة درجة ممارسة معلمي التاريخ للمرحلة الأساسية العليا لمظاهر سلوكية ذات صلة بالإبداع، ومستوى الإبداع لدى طلبتهم، وتكونت عينة الدراسة من جميع معلمي مديرية إربد الثانية، و(٥٣٤) طالباً وطالبة، واستخدمت الباحثة بطاقة ملاحظة من إعدادها، واختبار تورانس للتفكير الإبداعي، أظهرت النتائج عدم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين عناصر التفكير الإبداعي لدى الطلبة، ودرجة ممارسة معلمي التاريخ لمظاهر سلوكية ذات صلة بالإبداع، وكذلك عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط ممارسة معلمي التاريخ للمظاهر السلوكية تعزى إلى الجنس، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مدى اكتساب طلبة معلمي التاريخ لمهارة الطلاقة والأصالة والعلامة الكلية تعزى إلى الجنس أو للصف.في حين كانت هناك فروق ذات دلالة إحصائية تعزى للجنس في اختبار المرونة ولصالح الذكور.

كما هدفت دراسة **زيدان، والعودة** (٢٠٠٨) التعرف إلى استخدام معلمي المرحلة الأساسية الدنيا لأنماط التفكير الإبداعي في تدريس العلوم بمحافظة الخليل، تكونت عينة الدراسة من (٨٠) معلماً ومعلمة، طور الباحثان أداة للدراسة، وهي بطاقة ملاحظة، تكونت من (٤٦) فقرة.وقد أظهرت نتائج الدراسة أن درجة استخدام معلمي المرحلة الأساسية الدنيا لأنماط التفكير الإبداعي في العلوم، كان بدرجة كبيرة بنسبة (٧٢,٦) ، وقد أظهرت نتائج الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى إلى متغير الخبرة في مجالي طرق التدريس، والأسئلة التقويمية، إذ كانت الفروق لصالح سنوات الخبرة (٥- ١٠سنوات) و (أكثر من ١٠سنوات) مقارنة مع الخبرة (أقل من ٥ سنوات) ، كما أظهرت الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى: إلى جنس المعلم، أو اختصاصه، أو للمؤهل العلمي.

هدفت دراسة **العازمي، والقلاف، وخضر** (٢٠٠٨) التعرف إلى دور المعلم في تنمية التفكير الابتكاري لدى طلبة المرحلة الثانوية في الكويت.وأعدت لهذا الغرض استبانة مكونة من (٤٣) فقرة، طبقت على عينة من معلمي المرحلة الثانوية بنظاميها في جميع التخصصات، وبلغ عددهم (١٤٠) معلماً.وقد أظهرت نتائج الدراسة: أن للمعلم دوراً فعالاً في تنمية عوامل التفكير الابتكاري والإبداع وذلك من خلال الممارسات اليومية مع طلابه باحترامهم، وإتقانه لعمله وإخلاصه فيه.وأن للمعلم دوراً فعالاً نحو متطلبات تربية الإبداع وتنمية التفكير الابتكاري لدى طلبة المرحلة الثانوية وذلك بالممارسات اليومية مع الطلاب مثل: قبوله الأفكار الجديدة التي تطرح من قبلهم، واحترام أرائهم، وتنمية جوانب الانضباط والالتزام.وأن للمعلم دوراً فعالاً في الأساليب التنظيمية في تربية الإبداع وتنمية التفكير الابتكاري لدى طلبة المرحلة الثانوية، وذلك باختيار الطلبة لموضوعات أبحاثهم بأنفسهم، وعمل تقارير لتدعيم خبراتهم التربوية، وتدريبهم على القيام بتدريبات صفية جديدة، كما أشارت الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بالنسبة لمتغيرات المنطقة التعليمية، ونوع المدرسة، التخصص، وأن هناك فروقاً دالة إحصائياً تعود لمتغير الجنس ولصالح الإناث.

وأجرى **الزعبي، والهواملة، والشديفات** (٢٠٠٩) دراسة هدفت التعرف إلى درجة ممارسة معلمي ومعلمات التربية الإسلامية في المرحلة الثانوية لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي في محافظة المفرق في الأردن من وجهة نظرهم، استخدم الباحثون الأسلوب الوصفي، واستبانة طورت بعد التحقق من صدقها وثباتها، وقد وزعت الاستبانة على مجتمع الدراسة المكون من (١٢٦) معلماً ومعلمة، وكشفت نتائج الدراسة أن معلمي والتربية الإسلامية ومعلماتها يمارسون بدرجة كبيرة في مجال تقبل الإبداع، وبدرجة متوسطة في الممارسات المتعلقة بحرية التعبير عن الرأي، وتقديم الكتب، وطرق التدريس،

وطرق التقويم، وأظهرت نتائج الدراسة أيضا عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في درجة ممارسة معلمي التربية الإسلامية للعوامل المشجعة للتفكير الإبداعي تعزى لمتغيري: المؤهل العلمي، و سنوات الخبرة.

وهدفت دراسة **الغامدي** (٢٠٠٩) إلى تحديد مدى ممارسة معلمي التربية الإسلامية في المرحلة الثانوية بمدينة مكة المكرمة لمهارات تنمية التفكير ألابتكاري.اعد الباحث بطاقة لملاحظة أداء معلمي التربية الإسلامية من حيث تنمية مهارات التفكير لدى الطلاب، مكونة في صورتها النهائية من (٥٠) مهارة موزعة على أربعة محاور: المهارات الخاصة بمهارة الطلاقة، المهارات الخاصة بمهارة الأصالة، المهارات الخاصة بمهارة المرونة، المهارات الخاصة بمهارة الحساسية للمشكلات.وطبّقت بطاقة الملاحظة على عينة من معلمي التربية الإسلامية بالمرحلة الثانوية بمدارس مكة عددها (٣٠) معلماً.اختيروا بطريقة عشوائية طبقية، وقد أشارت نتائج الدراسة إلى أن متوسط أداء معلمي التربية الإسلامية (عينة الدراسة) الكلي لمهارات تنمية التفكير الابتكاري (المتضمنة في بطاقة الملاحظة) بلغ (١٦١) ، وتندرج هذه القيمة في المستوى (ضعيف) ، وتدل على ضعف امتلاك معلمي التربية الإسلامية (عينة الدراسة) لمهارات تنمية التفكير الابتكاري، وعدم الكفاية التدريسية لمعلمي التربية الإسلامية للسلوكيات التدريسية التي يظهرها المعلمون في نشاطهم التعليمي داخل حجرة الدراسة، التي تعمل على استثارة والتفكير الابتكاري وتنميته.

من خلال استعراض الدراسات السابقة نلاحظ:

أن هناك تباينًا في درجة ممارسة المعلمين الذين شملتهم الدراسات لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي، إذ أشارت دراسة (الباقر، ١٩٩٧؛ خريشه، ٢٠٠١؛ الغامدي، ٢٠٠٩) إلى درجة ممارسة ضعيفة، وأشارت دراسة (عوض، ١٩٩٤) إلى درجة ممارسة مقبولة، وأشارت دراسة (الزعبي، والهواملة، والشديفات، ٢٠٠٩) إلى درجة ممارسة متوسطة، في حين أشارت دراسة (زيدان والعودة، ٢٠٠٩) إلى درجة ممارسة مرتفعة.كما أظهرت نتائج الدراسات السابقة أن هناك تباينًا في درجة ممارسة المعلمين الذين شملتهم الدراسات لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي بالنسبة لمتغير الجنس فقد أشارت دراسة (خريشه، ٢٠٠١؛ خصاونه، ٢٠٠١؛ زين، والعودة، ٢٠٠٨) إلى عدم وجود فروق بين المعلمين والمعلمات في درجة ممارستهم لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي، في حين أشارت دراسة (قشوع، ٢٠٠١؛ العازمي، والقلاف، وخضر، ٢٠٠٨) أن هناك فروقاً بين المعلمين والمعلمات في درجة ممارستهم لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي ولصالح الإناث، في حين أشارت دراسة (عوض، ١٩٩٤) إلى عدم وجود فروق بين الجنسين من المعلمين في

درجة ممارستهم لأساليب تشجيع الإبداع في مجالات الطلاقة والمرونة والأصالة، وكذلك أظهرت الدارسة أن هناك فروقاً، ولصالح المعلمين الذكور في الدرجة الكلية، وعلى مجالي الحساسية للمشكلات والتفاصيل.في حين أشارت دراسة (الخصاونة، ٢٠٠١) إلى عدم وجود فروق بين الجنسين من المعلمين في درجة ممارستهم لأساليب تشجيع الإبداع في مجالات الطلاقة والأصالة والعلامة الكلية.وأن هناك فروقاً ولصالح المعلمين الذكور في مجال المرونة.كما أظهرت نتائج الدراسات السابقة أن هناك تباينًا في درجة ممارسة المعلمين الذين شملتهم الدراسات لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي بالنسبة لمتغير الخبرة، فقد أشارت دراسة (الباقر، ١٩٩٧؛ خريشة، ٢٠٠١؛ الزعبي، والهواملة، والشديفات، ٢٠٠٩) إلى عدم وجود فروق بين المعلمين في درجة ممارستهم لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي تعزى إلى متغير الخبرة، في حين أشارت دراسة (زين، والعودة، ٢٠٠٨) إلى أن هناك فروقاً بين المعلمين في درجة ممارستهم لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي، تعزى إلى متغير الخبرة ولصالح المعلمين الأكثر خبرة.أما بالنسبة لمتغير المؤهل العلمي، فقد أشارت دراسة (خريشة، ٢٠٠١؛ زين والعودة، ٢٠٠٨؛ الزعبي، والهواملة، والشديفات، ٢٠٠٩) إلى عدم وجود فروق بين المعلمين في درجة ممارستهم لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي، تعزى إلى متغير المؤهل العلمي.

تتفق الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في تناولها موضوع أساليب تشجيع التفكير الإبداعي لدى الطلبة، إلا أنها تختلف عنها في عينة الدراسة، التي تشكلت من معلمي الصفوف الثلاثة الأولى، إذ نلحظ أن عينات الدراسات السابقة متخصصة بمبحث محدد وفي مراحل تعليمية متقدمة.ولم تتطرق أي منها إلى معلمي الصفوف الثلاثة الأولى بالرغم من أهمية هذه الصفوف.

تتشابه هذه الدراسة مع الدراسات السابقة من حيث تناولها لمتغيرات الجنس، والخبرة، والمؤهل العلمي؛ إلا أن التباين في نتائج الدراسات السابقة يجعل من الأهمية القيام بإجرائها؛ لذا فقد استفادت هذه الدراسة من تلك الدراسات في تطوير أداتها، والإجراءات المتبعة.وجاءت مكملة لها، إذ أضافت بعدًا في الأداة لم تتناوله أي من الدراسات السابقة وهو بعد الاتجاه الإيجابي نحو الإبداع، والبيئة الصفية كبعدين مهمين في تشجيع الإبداع.

الطريقة والإجراءات:

منهج الدراسة:

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي لمناسبته طبيعة الدراسة، والذي يتناول

دراسة أحداث وظواهر وممارسات قائمة موجودة متاحة للدراسة والقياس دون تدخل الباحث في مجرياتها (الاغا، ٢٠٠٢) وفي هذه الدراسة استخدم الباحث استبانة للتعرف إلى مستوى ممارسة معلمي الصفوف الثلاثة الأولى لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي لدى طلبتهم من وجهة نظرهم، في ضوء متغيرات: الجنس، الخبرة، المؤهل العلمي.

مجتمع الدراسة وعينتها:

تكون مجتمع الدراسة الحالية من جميع معلمي الصفوف الثلاثة الأولى في المدارس الحكومية والخاصة التابعة لمديرية تربية وتعليم عجلون في الفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي (٢٠١٠– ٢٠١١) ، والبالغ عددهم (٣١١) معلماً ومعلمة، حسب إحصائيات قسم التخطيط في المديرية.حيث اختيرت مديرية تربية وتعليم عجلون بوصفها مجتمعاً متيسراً (Available Population) .وذلك لأسباب منها: توفير عينة الدراسة، والإمكانات لتسهيل إجراءات الدراسة، وتطبيق أداتها.واشتملت عينة الدراسة على جميع أفراد المجتمع المذكور، وقد استجاب (٢٠٠) معلم على الأداة المستخدمة من هذه الدراسة والجدول (١) يوضح توزيع عينة الدراسة حسب متغيرات الدراسة.

الجدول (١)

توزيع أفراد العينة تبعا للمتغيرات الدراسة

المتغير		التكرار	النسبة المئوية
الجنس	ذكر	٢٥	٪١٢,٥
	أنثى	١٧٥	٪٨٧,٥
	المجموع	٢٠٠	٪١٠٠
الخبرة	أقل من ٥ سنوات	٨٥	٪٤٢,٥
	٥– ١٠ سنوات	٩٠	٪٤٥
	أكثر من ١٠ سنوات	٢٥	٪١٢,٥
	المجموع	٢٠٠	٪١٠٠
المؤهل العلمي	دبلوم متوسط	٣٥	٪١٧,٥
	بكالوريوس	١٢٠	٪٦٠
	ما بعد البكالوريوس	٤٥	٪٢٢,٥
	المجموع	٢٠٠	٪١٠٠

أداة الدراسة:

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة مستوى ممارسة معلمي ومعلمات الصفوف الثلاثة الأولى لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي لدى طلبتهم من وجهة نظرهم، ولجمع البيانات اللازمة أعد الباحث أداة الدراسة؛ وذلك باطلاعه على المراجع والدراسات ذات الصلة كدراسة (زيدان والعودة، ٢٠٠٨؛ والزعبي، والهوامله، والشديفات، ٢٠٠٩؛ الغامدي، ٢٠٠٩) ، وقد تكونت أداة الدراسة بصورتها الأولية من (٧٠) فقرة، وزعت على خمسة مجالات هي: الحرية في التعبير، الاتجاه الإيجابي نحو الإبداع، طرق التدريس والتقويم، البيئة الصفية، تشجيع الإبداع.

صدق الأداة:

بعد أن أعدَّت أداة الدراسة بصورتها الأولية، عُرضت على محكمين متخصصين في مجالات: القياس والتقويم، وعلم النفس التربوي، والمناهج وطرق التدريس وعددهم (١٠) ، إذ رصد الباحث ملحوظاتهم، واقتراحاتهم، حول مدى مناسبة الفقرات، وانتمائها للمجال الذي تنتمي له، ومدى وضوحها، ومدى سلامة صياغتها اللغوية، وبعد تفريغ ملحوظاتهم أخذ الباحث بآراء المحكمين واقتراحاتهم، إذ اختيرت الفقرات التي وافق عليها (٨٠٪) من المحكمين بعد مراجعتها، وحذفت الفقرات التي لم تحقق هذه النسبة، وعليه أصبح عدد فقرات الأداة (٦٣) فقرة موزعة على مجالاتها كما هي موضحة في الجدول (٢) .

الجدول (٢)

يبين عدد فقرات أداة الدراسة حسب كل مجال من مجالاتها

الرقم	المجال	عدد الفقرات	أرقام الفقرات في الأداة
١	الحرية في التعبير	١١	١،٥، ١٠، ١٢، ١٥، ٢٠، ٢٣، ٣٠، ٣٧، ٤٦، ٥٧
٢	الاتجاه الإيجابي نحو الإبداع	٨	٧، ١٧، ٢٨، ٣٥، ٤٧، ٥٣، ٥٨، ٦٣
٣	طرق التدريس	١٦	٣، ٩، ١١، ١٨، ٢١، ٢٢، ٢٦، ٣٢، ٣٦، ٣٩، ٤١، ٤٣، ٤٨، ٥٢، ٥٩، ٦٢
	التقويم	٩	٢، ٨، ١٣، ١٩، ٢٧، ٣٤، ٤٠، ٥١، ٦٠
٤	البيئة الصفية	٩	٤، ١٤، ٢٩، ٣٣، ٤٢، ٥٠، ٥٥، ٥٦، ٦١
٥	تشجيع الإبداع	١٠	٦، ١٦، ٢٤، ٢٥، ٣١، ٣٨، ٤٤، ٤٥، ٤٩، ٥٤
المجموع		٦٣	

كما حُسب صدق الاتساق الداخلي، وذلك بتطبيق الأداة على عينة استطلاعية مكونة من (١٥) معلماً من مجتمع الدراسة الأصلي، ومن غير عينة الدراسة، إذ حسب الباحث معاملات الارتباط بين درجة كل مجال من مجالات الأداة، والمجالات الأخرى، وكذلك كل مجال بالدرجة الكلية للأداة، والجدول (٣) يوضح ذلك.

الجدول (٣)

معاملات ارتباط كل مجال من مجالات أداة الدراسة مع الدرجة الكلية

المجال	الحرية في التعبير	الاتجاه الإيجابي نحو الإبداع	طرق التدريس	التقويم	البيئة الصفية	تشجيع الإبداع	الأداة ككل
الحرية في التعبير	١						
الاتجاه الإيجابي نحو الإبداع	(**) ٠،٦٦	١					
طرق التدريس	(**) ٠،٥٠	(**) ٠،٥٦	١				
التقويم	(**)٠،٥٢	(**) ٠،٥١	(**) ٠،٥٨	١			
البيئة الصفية	(**) ٠،٥٤	(**) ٠،٦٥	(**) ٠،٥٧	(**) ٠،٥٥	١		
تشجيع الإبداع	(**) ٠،٦٤	(**) ٠،٧٥	(**) ٠،٧٧	(**) ٠،٦٥	(**) ٠،٦٩	١	
الأداة ككل	(**) ٠،٧١	(**) ٠،٦٧	(**) ٠،٦٩	(**) ٠،٦٧	(**) ٠،٦٥	(**) ٠،٦٠	١

إجراءات الثبات:

اُستخرجت معاملات الثبات عن طريق الاختبار وإعادة الاختبار، وذلك بإعادة تطبيق الأداة على العينة الاستطلاعية، وبفاصل زمني مقداره أسبوعان، واُستخرج معامل ارتباط (بيرسون) بين مرتي التطبيق للأداة ككل، وحُسب معامل الثبات باستخدام معادلة كرونباخ ألفا.هذا ويبين الجدول (٤) معاملات الثبات للأداة ككل وللمجالات الفرعية للأداة.

الجدول (٤)

معاملات الثبات للمجالات الفرعية وللأداة ككل

طريقة الحساب المجالات	ارتباط بيرسون بالإعادة	معامل كرونباخ ألفا
الحرية في التعبير	*٠،٧٤	*٠،٨٢
الاتجاه الإيجابي نحو الإبداع	*٠،٧٢	*٠،٧٤
طرق التدريس	*٠،٨٧	*٠،٨٧

طريقة الحساب المجالات	ارتباط بيرسون بالإعادة	معامل كرونباخ ألفا
التقويم	٠،٧٠**	٠،٦٩**
البيئة الصفية	٠،٨٥**	٠،٨٣**
تشجيع الإبداع	٠،٨٢**	٠،٧٩**
الأداة ككل	٠،٨٤**	٠،٨٩**

مما سبق يتضح لنا أن أداة الدراسة تتمتع بدلالات صدق وثبات مقبولة تبرر استخدامها لأغراض هذه الدراسة.

تصحيح الأداة:

أعطى الباحث لكل فقرة وزنًا متدرجًا وفق مقياس ليكرت الخماسي لتقدير درجة الممارسة (كبيرة جداً، كبيرة، متوسطة، قليلة، قليلة جداً) وتُمثل رقماً (١، ٢، ٣، ٤، ٥) على الترتيب.وبذلك تتراوح درجات الاستجابة على هذه الأداة ما بين (٦٣×٥=٣١٥) كدرجة عليا، و (٦٣×١ =٦٣) كدرجة متدنية، ومن أجل معرفة درجة ممارسة المعلمين لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي اعتمد الباحث المعيار الآتي: درجة (عالية) ؛ إذا كان متوسط الإجابة أكثر من (٣،٥) ، ودرجة متوسطة إذا كان متوسط الإجابة (٢,٥– ٣،٥) ، ودرجة ضعيفة إذا كان متوسط الإجابة أقل من (٢،٥) .

المعالجة الإحصائية:

للإجابة عن أسئلة الدراسة استخدمت المعالجات الإحصائية الآتية: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للسؤال الأول، واختبار (ت) ، واختبار تحليل التباين الأحادي للسؤالين الثالث والرابع.

نتائج الدراسة ومناقشتها:

◄ نتائج السؤال الأول والذي ينص على: **ما مستوى ممارسة معلمي الصفوف الثلاثة الأولى في محافظة عجلون في الأردن لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي من وجهة نظرهم.**

للإجابة عن هذا السؤال؛ أُستخرجت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لكل فقرة من فقرات الأداة ولكل مجال من مجالاتها وهي كالآتي.

١. مستوى ممارسة معلمي الصفوف الثلاثة الأولى في محافظة عجلون في الأردن لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي على مجالات الدراسة ككل.

جاء ترتيب مستوى ممارسة معلمي الصفوف الثلاثة في محافظة عجلون في الأردن لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي على مجالات أداة الدراسة حسب الدرجة الكلية لكل مجال على النحو المبين في الجدول (٥) .

الجدول (٥)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وترتيب مستوى ممارسة عينة الدراسة لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي على مجالات الأداة ككل

الرقم	المجال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى الممارسة
١	طرق التدريس	٣,٢٥	٠,٩٢	متوسطة
٢	البيئة الصفية	٣,١٥	٠,٧٨	متوسطة
٣	تحفيز الإبداع	٣,٠٢	٠,٨٤	متوسطة
٤	الاتجاه الإيجابي نحو الإبداع	٢,٧٨	٠,٨٧	متوسطة
٥	الحرية في التعبير	٢,٦٤	١,٠٢	متوسطة
٦	طرق التقويم	٢,٦٠	١,١٦	متوسطة
المجموع الكلي		٢,٧٥	١,٠٤	متوسطة

يتضح من الجدول رقم (٥) أن المتوسط الحسابي للدرجة الكلية للأداة للمجالات الخمسة هو (٢,٧٥) وبانحراف معياري (١,٠٤) وهذه القيمة تشير إلى أن مستوى ممارسة معلمي لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي كانت متوسطة، وأن مجال طرق التدريس جاء بالمرتبة الأولى وبمتوسط حسابي (٣,٢٥) وبمستوى ممارسة متوسطة، وجاء مجال البيئة الصفية في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (٣,١٥) وبمستوى ممارسة متوسطة، أما مجال تحفيز الإبداع فجاء بالمرتبة الثالثة بمتوسط حسابي (٣,٠٢) وبمستوى ممارسة متوسطة، في حين احتل مجال الاتجاه الإيجابي نحو الإبداع المرتبة الرابعة بمتوسط حسابي (٢,٧٨) وبمستوى ممارسة متوسطة، وجاء مجال الحرية في التعبير في المرتبة الخامسة بمتوسط حسابي (٢,٦٤) وبمستوى ممارسة متوسطة، وأخيرا جاء مجال التقويم في المرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي (٢,٦٠) وبمستوى ممارسة متوسطة.ويعزو الباحث ذلك إلى عوامل عدة منها: أن الطرق التي يستخدمها المعلمون في عملية التدريس ما زالت تركز على الحفظ والتلقين واستخدام الأسئلة النمطية ذات الإجابات المحددة، وإلى عدم تأهيلهم في مجال

التفكير الإبداعي؛ إذ إن من المعوقات التي تحول دون استخدام المعلمين لأساليب تنمية التفكير الإبداعي عدم تلقي التوجيهات بهذا الخصوص، وعدم الإلمام بماهية هذه الأساليب، وعدم اهتمام معلمي الصفوف الثلاثة بتهيئة ملائمة لتنمية التفكير الإبداعي، وقد يرجع ذلك أيضا إلى: قصر الوقت المخصص للمنهج، والكم الكبير من المحتوى الدراسي المعطى للطلاب، مما يقلل الفرص المتاحة لمناقشة ما يطرحه الطلاب، وقد يرجع ذلك إلى عدم معرفة المعلمين لبعض الطرق التدريسية والاستراتيجيات المساعدة على تنمية التفكير الإبداعي: مثل العصف الذهني والأسئلة السابرة، وإلى نظرة المعلم إلى أن عملية التدريس نقل للمعرفة؛ لذلك لا يستخدم طرقاً تساعد على تحدّى تفكير الطلبة وتنميته، وإلى انشغال المعلم واهتمامه الرئيسي بتغطية المادة الدراسية تلبية لرغبات المسؤولين الذي يحكمون على عمل المعلم بمقدار ما يقطعه من المادة الدراسية، وعدم توافر المواد التعليمية المناسبة التي تساعد تنمية مهارات التفكير ومنها الكتاب المناسب، وتركيز برامج إعداد المعلمين على مجرد تعريف المعلمين نظرياً بمهارات التفكير وإهمالها لطرق تنمية تلك المهارات العليا ووسائلها وعدم معرفة المعلمين المعرفة الكافية بخصائص نمو المتعلم في المراحل المختلفة؛ مما جعلهم يتوقعون القليل منه، وبالتالي النظر إليه على أنه قادر على ممارسة مهارات التفكير.كما أن هناك قصوراً واضحاً في برامج إعداد المعلمين وتأهيلهم قبل الخدمة وفي أثنائها؛ إذ إنها تركز على الجوانب النظرية، وتهمل أو لا تعطي الجوانب العملية الاهتمام الكافي.فهي تزود المعلمين بثروة كبيرة من المعلومات والمعارف عن الأمور التربوية المختلفة، إلا أنها لا تزوده بالطرق والوسائل العملية والإجرائية التي تساعده في ترجمة هذه الأمور إلى واقع وممارسة عملية.وهذه النتيجة تتفق مع دراسة كل من: (الزعبي، والهواملة، والشديفات، ٢٠٠٩) التي أشارت إلى درجة ممارسة متوسطة لمعلمي التربية الإسلامية لأساليب تشجيع الإبداع لدى طلبتهم، حين أنها اختلفت مع نتيجة دراسة كل من: (الباقر، ١٩٩٧؛ خريشه، ٢٠٠١؛ الغامدي، ٢٠٠٩) التي أشارت إلى درجة ممارسة ضعيفة، ودراسة (عوض، ١٩٩٤) التي أشارت إلى درجة ممارسة مقبولة ودراسة (زيدان والعودة، ٢٠٠٩) التي أشارت إلى درجة ممارسة مرتفعة.

٢. مستوى ممارسة معلمي الصفوف الثلاثة الأولى في محافظة عجلون في الأردن لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي على كل مجال من مجالات الأداة على حدة.

وللتعرف إلى مستوى ممارسة معلمي الصفوف الثلاثة الأولى لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي، ضمن كل مجال من مجالات الأداة، حسبت المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، ومستوى الممارسة لكل مجال على حدة، وفيما يأتي عرض لذلك:

♦ مجال طرق التدريس:

الجدول (٦)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وترتيب مستوى ممارسة عينة الدراسة لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي على مجال طرق التدريس

تسلسل الفقرة	ترتيب الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى الممارسة
١٦	١	أتجنب التلقين في التدريس	٣,٦٠	٠,٨٥	مرتفعة
١٥	٢	أنوع في أساليب التدريس بما يتناسب مع طبيعة المادة المطروحة والموقف التعليمي	٣,٥٨	٠,٦٧	مرتفعة
٦	٣	أوظف مواد من البيئة المحلية في تفسير المفاهيم المطروحة	٣,٥٥	٠,٧٥	مرتفعة
١٠	٤	أراعي الفروق الفردية في قدرات الطلبة ومستوياتهم	٣,٥٠	٠,٧٧	مرتفعة
١٤	٥	أعدل في خطتي الدراسية؛ تبعا للموقف التعليمي	٣,٤٤	١,٠٢	متوسطة
٨	٦	أنوع في طرح الأفكار بطريقة تتسم المرونة	٣,٣٤	١,٠١	متوسطة
٤	٧	أركز على طرق التدريس الحديثة كالمناقشة، والعصف الذهني، وحل المشكلات	٣,٢١	٠,٦٤	متوسطة
٣	٨	أختار أهداف الدرس ووسائل التنفيذ بما ينمي التفكير الابتكاري	٣,١١	٠,٩٠	متوسطة
٧	٩	أخطط لأنشطة تعليمية تسمح للتلاميذ بالعمل الجماعي وتبادل الأفكار	٢,٩٠	٠,٧٤	متوسطة
١	١٠	أنظم عناصر الدرس بشكل متسلسل ومنطقي	٢,٧٥	٠,٧٨	متوسطة
٢	١١	أمهد للدرس بأنشطة مثيرة للتفكير	٢,٦٥	٠,٨٧	متوسطة
١٣	١٢	أحث المتعلمين على إثارة أفكار متعددة حول الموضوع الواحد	٢,٦٣	٠,٩٣	متوسطة
٥	١٣	أبتكر وسائل تعليمية جديدة تساعد على تنمية التفكير الابتكاري لدى الطلبة	٢,٦١	١,٠٣	متوسطة
١٢	١٤	أوجه الطلبة إلى إيجاد العلاقات بين الأفكار المطروحة لهم	٢,٥٩	٠,٨٢	متوسطة
٩	١٥	أخطط لأنشطة تتطلب البحث والاستقصاء وإصدار أحكام وحلول بديلة	٢,٥٣	١,١١	متوسطة
١١	١٦	أطلب من الطلبة إعطاء استخدامات جديدة للأشياء المألوفة	٢,٤٧	١,١٦	متدنية
		المجال الكلي	٣,٢٥	٠,٩٢	متوسطة

أسفرت نتائج التحليل المبينة في الجدول (٦) أن المتوسطات الحسابية تراوحت ما بين (٣,٦٠- ٢,٤٧) وبانحراف معياري تراوح بين (٠,٨٥- ١,١٦) وبمستوى ممارسة تراوحت بين المرتفعة والمتدنية، فقد جاءت الفقرة (١٦) في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (٣,٦٠) وانحراف معياري (٠,٨٥) وبمستوى ممارسة مرتفعة، ثم تلتها الفقرة (١٥) في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (٣,٥٨) وبانحراف معياري (٠,٦٧) ، وبمستوى ممارسة مرتفعة، وجاءت الفقرة (٦) بالمرتبة الثالثة بمتوسط حسابي (٣,٥٥) وبانحراف معياري (٠,٧٥) وبمستوى ممارسة مرتفعة، وجاءت الفقرة (١١) بالمرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي (٢,٤٧) وبانحراف معياري (١,١٦) ، وقد جاء مستوى الممارسة الكلية للمجال متوسطة بوسط حسابي (٣,٢٥) وانحراف معياري (٠,٩٢) ، وقد جاء ترتيب هذا المجال بالنسبة لدرجة ممارسته من المعلمين في الدرجة الأولى مقارنة مع غيره من مجالات أداة الدراسة.ويعزو الباحث ذلك إلى اهتمام معلمي الصفوف الثلاثة الأولى بالإطار التربوي العام الذي يركز على أن عملية التدريس هي نقل للمعلومات والمعارف المتضمنة بالمنهاج الدراسي المقرر، وبأساليب تعتمد على مدى حفظ الطلبة لهذه المعلومات، التي تقاس عادة بالاختبارات المحددة التي يدل حصول الطالب على علامة النجاح فيها أنه أتقنها، وبشكل حرفي دون النظر بعيداً في استثمار الطرق التدريسية الحديثة في التدريس بشكل يشجع على التفكير الإبداعي.

♦ مجال البيئة الصفية:

الجدول (٧)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية مستوى ممارسة عينة الدراسة لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي على مجال البيئة الصفية

تسلسل الفقرة	ترتيب الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى الممارسة
٧	١	أتجنب الانفعال الزائد والصرامة والعبوس في الاستجابة لسلوكيات الطلاب	٣,٦٧	٠,٧٢	مرتفعة
٤	٢	أوفر جواً صفياً خالياً من القلق مفعماً بالحرية والمرح	٣,٦٦	٠,٦٧	مرتفعة
٩	٣	أستخدم ألفاظاً واضحة ومحددة في التواصل اللفظي في الغرفة الصفية	٣,٥٤	٠,٦٢	مرتفعة
١	٤	لا أمانع إذا رغب الطالب في تغيير مكان جلوسه	٣,٣٤	٠,٧٨	متوسطة

تسلسل الفقرة	ترتيب الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى الممارسة
٥	٥	أحرص على إيجاد بيئة صفية مشجعة على التفكير الابتكاري	٣,٣٠	٠,٨٣	متوسطة
٢	٦	أغير من نمط جلوس الطلاب التقليدي في غرفة الصف إلى أوضاع جديدة أخرى	٣,١٢	٠,٩٠	متوسطة
٦	٧	أعمل على إشباع حاجات الطلبة وميولهم	٢,٦٠	١,٠١	متوسطة
٣	٨	أختار أساليب الإدارة الصفية التي تجعل الطالب محوراً للنشاط الصفي	٢,٦٨	١,٠٦	متوسطة
٨	٩	أوفر المصادر والخامات الضرورية لإنتاج و إخراج أفكار التلاميذ	٢,٥٥	١,٠٨	متوسطة
		المجال الكلي	٣,١٥	٠,٧٨	متوسطة

أسفرت نتائج التحليل المبينة في الجدول (٧) أن المتوسطات الحسابية تراوحت ما بين (٣,٦٧- ٢,٥٥) وبانحراف معياري تراوح بين (٠,٧٢- ١,٠٨) وبمستوى ممارسة تراوحت بين المتوسطة والمرتفعة، فقد جاءت الفقرة (٧) في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (٣,٦٧) ، وانحراف معياري (٠,٦٧) ، وبمستوى ممارسة مرتفعة، ثم تلتها الفقرة (٤) في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (٣,٦٦) وبانحراف معياري (٠,٦٧) وبمستوى ممارسة مرتفعة، وجاءت الفقرة (٨) بالمرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي (٢,٥٥) وبانحراف معياري (١,٠٨) وقد جاءت الممارسة الكلية للمجال متوسطة بوسط حسابي (٣,١٥) وانحراف معياري (٠,٧٨) ، وقد جاء ترتيب هذا المجال بالنسبة لدرجة ممارسته من المعلمين في الدرجة الثانية مقارنة مع غيره من مجالات أداة الدراسة، ويعزو الباحث ذلك إلى أن المعلمين يروْن أن البيئة الصفية التي تسهل للمتعلم حفظ المحتوى التعليمي المقرر، والبيئة التي يجلس فيها الطالب بهدوء يستمع لما يقدم له من المعلم هي البيئة التربوية الأنسب والأمثل للطالب؛ لذا فإن إجابات المعلمين جاءت بهذا الشكل.

♦ تحفيز الإبداع:

الجدول (٨)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وترتيب مستوى ممارسة عينة الدراسة
لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي على مجال تحفيز الإبداع

تسلسل الفقرة	ترتيب الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الممارسة
٥	١	أشجع الطلبة على الثقة بأنفسهم وانه يمكنهم النجاح بالاعتماد على أنفسهم	٣,٦٠	٠,٧١	مرتفعة
٤	٢	أشجع الطلبة على التنظيم والتخطيط وعدم العشوائية أثناء المناقشات	٣,٥٨	١,٠٠	مرتفعة
٣	٣	أحفز الطلبة على طرح التساؤلات، والتأكد من صحة الأفكار المطروحة	٣,٥٠	٠,٨٤	مرتفعة
٦	٤	أوجه التلاميذ إلى النظر للقضايا من زوايا عدة	٣,٤١	٠,٦٩	متوسطة
١٠	٥	أعزز روح المثابرة والتنافس الإيجابي بين الطلبة	٣,٣٠	٠,٨٦	متوسطة
١	٦	أوفر للطالب الوقت الكافي للتفكير في أي أمر	٣,٢٥	٠,٨١	متوسطة
٨	٧	أحفز الطلبة على إكمال الأفكار الناقصة	٢,٨٩	٠,٧٩	متوسطة
٧	٨	أوفر مواقف تثير التحدي، وتشجّع السلوكيات المغايرة البناءة وتقبلها	٢,٧٨	١,٠٢	متوسطة
٩	٩	أساعد الطلبة على تعزيز أنفسهم حينما يحققون أفكاراً جديدة لم تكن قد ظهرت من قبل	٢,٦٧	٠,٩٨	متوسطة
٢	١٠	أشجع الأفكار الجديدة والغريبة التي تصدر من التلاميذ	٢,٦٢	٠,٧٣	متوسطة
		المجال ككل	٣,٠٢	٠,٨٤	متوسطة

أسفرت نتائج التحليل المبينة في الجدول (٨) أن المتوسطات الحسابية تراوحت ما بين (٣,٦٠– ٢,٦٢) وبانحراف معياري تراوح بين (٠,٧١– ٠,٧٣) ، وبمستوى ممارسة تراوحت بين المرتفعة والمتوسطة، فقد جاءت الفقرة (٥) في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (٣,٦٠) وانحراف معياري (٠,٧١) ، وبمستوى ممارسة مرتفعة، ثم تلتها الفقرة (٤) في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (٣,٥٨) وبانحراف معياري (١,٠٠) ، وبمستوى ممارسة مرتفعة، وجاءت الفقرة (٣) بالمرتبة الثالثة بمتوسط حسابي (٣,٥٠) ، وبانحراف معياري (٠,٨٤) ، وبمستوى ممارسة مرتفعة، وجاءت الفقرة (٢) بالمرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي (٢,٦٢) وبانحراف معياري (٠,٧٣) وبمستوى ممارسة متوسطة.وقد جاء مستوى الممارسة الكلية للمجال متوسطة بوسط حسابي (٣,٠٢) وانحراف معياري (٠,٨٤) ، وقد جاء ترتيب هذا المجال بالنسبة لدرجة ممارسته من المعلمين في الدرجة الثالثة مقارنة

مع غيره من مجالات أداة الدراسة، ويعزو الباحث ذلك إلى أن تركيز المعلمين على جانب التحصيل وتشجيعه كاف للتشجيع على الإبداع.

♦ الاتجاه الإيجابي نحو التفكير الإبداعي:

الجدول (٩)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وترتيب مستوى ممارسة عينة الدراسة لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي على مجال الاتجاه الإيجابي نحو التفكير الإبداعي

تسلسل الفقرة	ترتيب الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى الممارسة
٧	١	أعطي الطلبة المبدعون فرصة لمساعدة الطلبة الضعفاء في الصف	٣,٦٠	٠,٨١	مرتفعة
٦	٢	أرحب بأسئلة الطلاب خارج المقرر الدراسي	٣,٥٥	٠,٧٢	مرتفعة
١	٣	أحترم خيالات التلاميذ	٣,٣٣	٠,٨٩	متوسطة
٢	٤	أرحب بالأفكار الجديدة التي يقدمه التلميذ	٣,٠٠	٠,٧٦	متوسطة
٨	٥	أظهر إعجابي عند حل الطالب لمشكلة ما بطريقة إبداعية	٢,٨٥	١,٠١	متوسطة
٣	٦	أقدر الأفكار الإبداعية للطلبة	٢,٦٣	٠,٩١	متوسطة
٥	٧	أفتح المجال للمتعلم للبحث في شيء محدد بعمق	٢,٥٠	٠,٩٣	متوسطة
٤	٨	أسعي للكشف عن معوقات الإبداع عند المتعلمين	٢,٤٤	١,١٣	متدنية
		المجال ككل	٢,٧٨	٠,٨٧	متوسطة

أسفرت نتائج التحليل المبينة في الجدول (٩) أن المتوسطات الحسابية تراوحت ما بين (٢,٤٤- ٣,٦٠) وبانحراف معياري تراوح بين (٠,٨١- ١,١٣) ، وبدرجة تراوحت بين الدرجة المرتفعة والدرجة المتدنية، فقد جاءت الفقرة (٧) في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (٣,٥٥) وانحراف معياري (٠,٨١) ، وبمستوى ممارسة مرتفعة، ثم تلتها الفقرة (٦) في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (٣,٥٥) ، وبانحراف معياري (٠,٨٨) ، وبمستوى ممارسة مرتفعة، وجاءت الفقرة (١) بالمرتبة الثالثة بمتوسط حسابي (٣,٣٣) وبانحراف معياري (٠,٨٩) ، وبمستوى ممارسة متوسطة، وجاءت الفقرة (٤) بالمرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي (٢,٤٤) وبانحراف معياري (١,١٣) .وقد جاء مستوى الممارسة الكلي للمجال متوسط بوسط حسابي (٢,٧٨) وانحراف معياري (١,٠٢) ، وقد جاء ترتيب هذا المجال بالنسبة لمستوى ممارسته من المعلمين في الدرجة الرابعة مقارنة مع غيره من مجالات أداة الدراسة، ويعزو الباحث ذلك إلى أن هذا المجال يرتبط بغيره من مجالات

الأداة، التي يعتقد معلمو الصفوف الثلاثة الأولى أن تنفيذها داخل الغرفة الصفية يمكن أن يكون على حساب الحصة الدراسية المحددة بوقت معين ومحتوى تدريسي على المعلم أن ينفذه، كما يمكن عزو ذلك إلى اعتقاد المعلمين أن الأساليب التدريسية التي يستخدمونها في الحصة تعكس اهتمامهم بتحصيل الطالب ومدى استيعابه للمقررات وتقبله لها ضمن وقت ومحتوى الحصة الدراسية.

♦ مجال الحرية في التعبير:

الجدول (١٠)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وترتيب مستوى ممارسة عينة الدراسة لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي على مجال الحرية في التعبير

تسلسل الفقرة	ترتيب الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى الممارسة
٨	١	أعطي كل تلميذ حقه في أن يعبر عن ذاته من خلال الأفكار التي يطرحها	٣,٤٨	٠,٨٢	متوسطة
٤	٢	أفتح المجال لمناقشة الطالب للأفكار التي اطرحها	٣,٢٣	٠,٩٢	متوسطة
٧	٣	لا أصدر أحكاماً على استجابات التلاميذ أو اعبر عن آراء كابحة لتفكيرهم	٣,٢٠	١,١١	متوسطة
٦	٤	أستمع إلى التلاميذ وأصغي إليهم وإتاحة الفرصة أمامهم للكشف عن أفكارهم	٣,١٢	٠,٨٣	متوسطة
١٠	٥	أترك المجال للطالب للنظر للموضوع المطروح من زوايا متعددة	٣,١١	٠,٧٦	متوسطة
١١	٦	ألتزم الحياد تجاه الكثير من مناقشات الطلاب	٢,٩١	٠,٦٧	متوسطة
١	٧	أترك الحرية للطالب للتعبير عن آرائه وحقوقه واحترمها	٢,٥٦	٠,٨٧	متوسطة
٥	٨	أقوم بتأجيل رأيي في الموضوع المطروح بعد رأي الطلبة	٢,٤٥	١,١٠	متدنية
٢	٩	أسمح للطالب في أن يعبر عن تذمره من النشاطات التي يظهر أنها متناقضة	٢,٤٣	١,٠٩	متدنية
٣	١٠	أعطي الوقت الكافي للطلاب ليعبروا عن أفكارهم	٢,٣٧	١,١٢	متدنية
٩	١١	أتقبل الاختلاف الطلابي معي في المواضيع المطروحة	٢,١٥	١,١٥	متدنية
		المجال ككل	٢,٦٤	١,٠٢	متوسطة

أسفرت نتائج التحليل المبينة في الجدول (١٠) أن المتوسطات الحسابية تراوحت ما بين (٢,١٥– ٣,٤٨) ، وبانحراف معياري تراوح بين (٠,٨٢– ١,٢٠) ، وبممارسة تراوحت

بين الدرجة المتوسطة والدرجة المتدنية، فقد جاءت الفقرة (٨) في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (٣,٤٨) وانحراف معياري (٠,٨٢) وبمستوى ممارسة متوسطة، ثم تلتها الفقرة (٤) في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (٣,٤٥) وبانحراف معياري (٠,٩٠) وبمستوى ممارسة متوسطة، وجاءت الفقرة (٩) بالمرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي (٢,١٥) وبانحراف معياري (١,١٥) وبمستوى ممارسة متدنية.وقد جاء مستوى الممارسة الكلي للمجال متوسط بوسط حسابي (٢,٦٤) وانحراف معياري (١,٠٢) .وقد جاء ترتيب هذا المجال بالنسبة لمستوى ممارسته من المعلمين في الدرجة الخامسة مقارنة مع غيره من مجالات أداة الدراسة، ويعزو الباحث ذلك إلى أن المعلم محدد بوقت لإنهاء متطلبات المنهاج خلال الفصل الدراسي، وهذا ما يُتابع من قبل الإشراف والإدارة وبالتالي فإن المعلم يرى أن فتح المجال للطالب للتعبير بحرية عن رأيه يمكن أن يأخذ الحصة خارج إطار الدرس، وبالتالي يشعر بإضاعة الحصة دون تحقيق شئ متصل بالمادة الدراسية؛ لذا فهو حريص على أن ينهي المقرر الدراسي المحدد له، وأحياناً قد تكون هناك صعوبة في ضبط الحصة الدراسية حال السماح لكل طالب بأن يعبر عما يريد، وبخاصة في هذه المرحلة.

♦ مجال طرق التقويم:

الجدول (١١)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وترتيب مستوى ممارسة عينة الدراسة لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي على مجال طرق التقويم

تسلسل الفقرة	ترتيب الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى الممارسة
٩	١	أساعد المتعلم كي يصل إلى الإجابة بنفسه	٣,٤٥	١,١١	متوسطة
٨	٢	أنوع بأساليب تقويم الطلبة	٣,٣٣	٠,٩٣	متوسطة
٥	٣	أوجه أسئلة تستثير خيال الطلبة	٣,٢٣	٠,٩٠	متوسطة
٤	٤	أراعي في التقويم بان يراعي الفروق الفردية بين المتعلمين	٢,٧٩	٠,٨٩	متوسطة
٣	٥	أطلب من الطلبة إعطاء اكبر عدد ممكن من الإجابات للسؤال الواحد	٢,٦٦	١,١١	متوسطة
٢	٦	أبتعد عن إصدار الأحكام النقدية على إجابات الطلبة	٢,٥٦	١,٠١	متوسطة
٦	٧	أوجه العديد من الأسئلة ذات النهايات المفتوحة مثل: ماذا يحدث لو........؟	٢,٤٧	١,٠٣	متدنية
١	٨	أضمن بعض الاختبارات أسئلة غير مألوفة تتطلب مهارات عليا من التفكير	٢,٤٤	١,١٣	متدنية

تسلسل الفقرة	ترتيب الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى الممارسة
٧	٩	أطلب من الطالب تكوين إجابات أولية، ثم اطلب منه أن يسبرها مرة أخرى	٢,٣٥	١,١٨	متدنية
		المجال ككل	٢,٦٠	١,١٦	متوسطة

أسفرت نتائج التحليل المبينة في الجدول (١١) أن المتوسطات الحسابية تراوحت ما بين (٣,٤٥– ٢,٣٥) وبانحراف معياري تراوح بين (١,١١– ١,١٨) ، وبمستوى ممارسة تراوحت بين المتوسطة والمتدنية، فقد جاءت الفقرة (٩) في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (٣,٤٥) وانحراف معياري (١,١١) وبمستوى ممارسة متوسطة، ثم تلتها الفقرة (٨) في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (٣,٣٣) وبانحراف معياري (٠,٩٣) ، وبمستوى ممارسة متوسطة، وجاءت الفقرة (٩) بالمرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي (٢,٣٥) وبانحراف معياري (١,١٨) .وقد جاء مستوى الممارسة الكلية للمجال متوسطة بوسط حسابي (٢,٦٠) وانحراف معياري (١,١٦) ، وقد جاء ترتيب هذا المجال بالنسبة لدرجة ممارسته من المعلمين في الدرجة السادسة والأخيرة مقارنة مع غيره من مجالات أداة الدراسة.ويعزو الباحث ذلك إلى جمود نظم التقويم التي تجرى في المدارس، إذ ما زالت هناك حزمة من التعليمات الخاصة بالاختبارات والتقويم تعود إلى استرجاع المعلومات من ذاكرة المتعلم قصيرة المدى، ولم يرق التقويم بعد ليشمل طرق التقويم الحديث التي تدفع الفرد لإنتاج معرفة جديدة، أو توظيف معارفه في مواقف جديدة، يتمكن بها من حل مشكلات خاصة بالموقف الذي يتعلمه.وتركيز بعض المعلمين على استخدام أسئلة تقويمية تركز على الحفظ والاسترجاع والفهم، وفي حال استخدام بعض المعلمين أسئلة تحتاج إلى مهارات عليا في التفكير، لا يمنح الطالب الوقت الكافي للإجابة عنها؛ إذ إنها تحتاج إلى وقت أطول مما تحتاجه أسئلة الحفظ والاسترجاع، والمعلم مرتبط بمدة زمنية محدودة لإنهاء حصته

◄ نتائج السؤال الثاني الذي ينص على: **هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين تقديرات معلمي الصفوف الثلاثة الأولى في محافظة عجلون لمستوى ممارستهم لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي تبعا لجنس المدرس (ذكر، أنثى)** ؟

للإجابة على هذا السؤال استخدم الباحث اختبار (ت) ، لحساب الفروق بين متوسطات تقديرات معلمي الصفوف لثلاثة الأولى في محافظة عجلون لدرجة ممارستهم لأساليب

تشجيع التفكير الإبداعي في مجالات المقياس موضع الدراسة تبعاً لمتغير جنس المدرس، والجدول (١٢) يوضح ذلك.

الجدول (١٢)

نتائج اختبار (ت) للفروق في متوسطات درجات تقديرات معلمي الصفوف الثلاثة الأولى في محافظة عجلون لدرجة ممارستهم لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي في مجالات المقياس موضع الدراسة تبعاً لمتغير جنس المدرس

المجال	جنس المعلم	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	الدلالة
الحرية في التعبير	ذكر	٣٠	٣٧,١	٥,٠٤٢٨	٠,٦٠	غير دال
	أنثى	١٧٠	٣٧,٩	٤,٩٦١٦		
الاتجاه الإيجابي نحو لإبداع	ذكر	٣٠	٣٨,٤	٧,٣٨٩١	١,٦٨	غير دال
	أنثى	١٧٠	٣٩,٨	٦,٤٥٦٤		
طرق التدريس	ذكر	٣٠	١٨,٩	٤,٠٣٢١	١,٠٢	غير دال
	أنثى	١٧٠	١٩,٦	٣,٤٠١٧		
طرق التقويم	ذكر	٣٠	٣٩,٨	٨,١٧٣٥	٠,٦٧١	غير دال
	أنثى	١٧٠	٤٠,١	٨,٣٦٩٠		
البيئة الصفية	ذكر	٣٠	٣٤,٤	٧,١٨٤٧	٠,٣٩	غير دال
	أنثى	١٧٠	٣٣,٩	٦,٦٥٤٢		
تحفيز الإبداع	ذكر	٣٠	١٧,٥	٥,٢٥٠٢	١,٢٢	غير دال
	أنثى	١٧٠	١٨,٣	٤,٧٦٥٠		
الدرجة الكلية	ذكر	٣٠	٤١،٥٦	١٠،٥٢	٠،٥٢	غير دال
	أنثى	١٧٠	٤٣،١٥	١٢،٠٢		

تشير الواردة في الجدول (١٢) إلى أنه لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq$ ٠,٠٥) في متوسطات درجات تقديرات معلمي الصفوف لثلاثة الأولى في محافظة عجلون لدرجة ممارستهم لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي في مجالات المقياس موضع الدراسة تبعاً لمتغير جنس المدرس، ويعزو الباحث ذلك إلى أن معلمي الصفوف الثلاثة الأولى من الجنسين، على حد سواء يحملون تصوراً مشتركاً عن ماهية هذه المهارات مما أدى إلى وجود موقف موحد نحو مهارات التفكير وكيفية تشجيعها لدى الطلبة، فجاءت

تقديراتهم واحدة.وقد يعود السبب إلى أن لهم خصائص متشابهة من حيث المؤهلات العلمية، والدوراتً التدريبية التي تدربوا فيها والصفوف التي يدرسونها، ومستويات الطلبة المتشابهة، بالإضافة إلى أنهم جميعا يستخدمون الكتب المدرسية المقررة نفسها. وهذه النتيجة تتفق مع دراسة كل من: (خريشه، ٢٠٠١؛ خصاونه، ٢٠٠١؛ زين، والعودة، ٢٠٠٨) التي أشارت إلى عدم وجود فروق بين المعلمين والمعلمات في درجة ممارستهم لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي، في حين أنها اختلفت مع نتيجة دراسة كل من (قشوع، ٢٠٠١؛ العازمي، والقلاف، وخضر، ٢٠٠٨) والتي أشارت إلى أن هناك فروق بين المعلمين والمعلمات في درجة ممارستهم لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي ولصالح الإناث

◄ نتائج السؤال الثالث الذي ينص على: **هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين تقديرات معلمي الصفوف الثلاثة الأولى في محافظة عجلون لمستوى ممارستهم لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي تبعا لسنوات خبرة المدرس (أقل من ٥ سنوات، من ٥- ١٠ سنوات، أكثر من ١٠ سنوات)** ؟

للإجابة عن السؤال الثالث استخدم الباحث اختبار تحليل التباين الأحادي، لحساب الفروق بين متوسطات تقديرات معلمي الصفوف الثلاثة الأولى في محافظة عجلون لدرجة ممارستهم لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي في مجالات المقياس موضع الدراسة تبعاً لمتغير سنوات الخبرة، والجدول (١٣) يوضح ذلك

الجدول (١٣)

نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي للفروق في متوسطات تقديرات معلمي الصفوف الثلاثة الأولى في محافظة عجلون لدرجة ممارستهم لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي في مجالات المقياس موضع الدراسة تبعاً لمتغير سنوات الخبرة.

المجال	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف)	مستوى الدلالة
الحرية في التعبير	بين المجموعات	٣٥,١٠	٢	١٧,٥٥	١,١٧	غير دال
	داخل المجموعات	٢٩٤٧,٠٩	١٩٧	٩٥،١٤		
	المجموع	٢٩٨٢,١٩	١٩٩			
الاتجاه الإيجابي نحو لإبداع	بين المجموعات	٣٦,٤	٢	١٨,٢	٠,٤١	غير دال
	داخل المجموعات	٨٥٧٨,٦	١٩٧	٤٣,٥		
	المجموع	٨٦١٤,٩	١٩٩			

المجال	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف)	مستوى الدلالة
طرق التدريس	بين المجموعات	٢٣,٣	٢	١١,٦٥	٠,٩٦	غير دال
	داخل المجموعات	٢٣٧١,٧	١٩٧	١٢,٠٣		
	المجموع	٢٣٩٥,٠	١٩٩			
طرق التقويم	بين المجموعات	١٠٠,٧	٢	٥٠,٣٦	٠,٧٣	غير دال
	داخل المجموعات	١٣٤٣٤,٧	١٩٧	٦٨,١٩		
	المجموع	١٣٥٣٥,٥	١٩٩			
البيئة الصفية	بين المجموعات	٣٤,٦٥	٢	١٧,٣٢	٠,٤٠	غير دال
	داخل المجموعات	٨٤٦٠,٣	١٩٧	٩٤ ،٤٢		
	المجموع	٨٨٠٦,٧	١٩٩			
تشجيع الإبداع	بين المجموعات	٤٣,٢	٢	٢١,٦	١,٨١	غير دال
	داخل المجموعات	٢٣٤٥,٩	١٩٧	١١,٩٠		
	المجموع	٢٣٨٩,٠	١٩٩			
الدرجة الكلية	يبن المجموعات	٣٨,٥٤	٢	١٩,٢٧	١,٢٤	غير دال
	داخل المجموعات	٣٠٤٠,٧٩	١٩٧	١٥,٤٣		
	المجموع	٣٠٧٩,٣٣	١٩٩			

يلاحظ من النتائج الواردة في الجدول (١٣) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجة ممارسة معلمي الصفوف الثلاثة الأولى في محافظة عجلون لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي تعزى إلى متغير عدد سنوات الخبرة على جميع مجالات أداة الدراسة، مما يدل على أن عدد سنوات الخبرة، ليس لها تأثير جوهري في درجة ممارسة معلمي الصفوف الثلاثة الأولى في محافظة عجلون لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي. ويعزو الباحث السبب في ذلك إلى أن عدد سنوات خدمة المعلم لا تعبر بالضرورة تعبيراً صادقاً عن خبرته الحقيقية؛ إذ إن كثيراً من المعلمين يكتفون بما تعلموه واكتسبوه من خلال برامج إعدادهم، ولا يتابعون نموهم المهني بعد تخرجهم، وفي أثناء ممارستهم العملية، وبذلك تصبح سنوات خدمتهم عبارة عن تكرار للسنة الأولى من تلك الخدمة، وهذا يؤدي إلى جعل عملية التدريس من وجهة نظرهم عملية روتينية لا تجديد، ولا ابتكار فيها، وهذا أدى إلى تساوي تقديراتهم بغض النظر عن سنوات خدمتهم.كما أن للدورات

التدريبية التي تعقدها وزارة التربية والتعليم للمعلمين الجدد، التي تهدف إلى إكسابهم الأساليب والمهارات الضرورية للقيام بعملية التدريس الصفي على الوجه الأمثل، دوراً في تقليل من الفجوة المتوقعة بين المعلمين ذوي الخبرة القليلة والمتوسطة، وبين ذوي الخبرة الطويلة فيما يتعلق بطرق التدريس ودرجة ممارستهم لمبادئ تشجيع الإبداع في التدريس الصفي، التي قد تنجم عن الفرق في عدد سنوات الخبرة.وهذه النتيجة تتفق مع دراسة كل من: (الباقر، ١٩٩٧؛ خريشة، ٢٠٠١؛ الزعبي، والهواملة، والشديفات، ٢٠٠٩) التي أشارت إلى عدم وجود فروق بين المعلمين في درجة ممارستهم لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي تعزى إلى متغير الخبرة، في حين أنها تختلف مع نتيجة دراسة (زيدان، والعودة، ٢٠٠٨) التي أشارت إلى أن هناك فروقاً بين المعلمين في درجة ممارستهم لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي تعزى إلى متغير الخبرة ولصالح المعلمين الأكثر خبرة

◄ نتائج السؤال الرابع والذي ينص على: **هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين تقديرات معلمي الصفوف الثلاثة الأولى في محافظة عجلون لمستوى ممارستهم لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي تبعاً للمؤهل العلمي للمدرس (دبلوم متوسط، بكالوريوس، ما بعد البكالوريوس)** ؟ .

للإجابة على السؤال الرابع استخدم الباحث اختبار تحليل التباين الأحادي، لحساب الفروق بين متوسطات تقديرات معلمي الصفوف لثلاثة الأولى في محافظة عجلون لدرجة ممارستهم لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي في مجالات المقياس موضع الدراسة تبعاً لمتغير المؤهل العلمي، والجدول (١٤) يوضح ذلك

الجدول (١٤)

نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي للفروق في متوسطات تقديرات معلمي الصفوف لثلاثة الأولى في محافظة عجلون لدرجة ممارستهم لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي في مجالات المقياس موضع الدراسة تبعاً لمتغير المؤهل العلمي.

المجال	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف)	مستوى الدلالة
الحرية في التعبير	بين المجموعات	٨٧,٥	٢	٤٣,٧٥	١,٨٦	غير دال
	داخل المجموعات	٤٦١١,٩	١٩٧	٢٣,٤١		
	المجموع	٤٦٩٩,٤	١٩٩			

المجال	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف)	مستوى الدلالة
الاتجاه نحو الإبداع	بين المجموعات	٣٧,٢٢	٢	١٨,٦١	٠,٥٠	غير دال
	داخل المجموعات	٧٢٢٢,٧	١٩٧	٣٦,٦٦		
	المجموع	٧٥٩٤,٩	١٩٩			
طرق التدريس	بين المجموعات	٧٩,٩	٢	٣٩,٩٥	١,٨٢	غير دال
	داخل المجموعات	٤٣١٢,١	١٩٧	٢١,٨٨		
	المجموع	٢٢٩٥,٠	١٩٩			
طرق التقويم	بين المجموعات	٢٠٨,٦	٢	١٠٤,٣	١,٥٦	غير دال
	داخل لمجموعات	١٣١٢٦,٨	١٩٧	٦٦,٦٣		
	المجموع	١٣٣٣٥,٤	١٩٩			
البيئة الصفية	بين المجموعات	٨٥,٣	٢	٤٢,٦٥	٠,٩٨	غير دال
	داخل المجموعات	٨٥٢١,٥	١٩٧	٤٣,٢٥		
	المجموع	٨٧٠٦,٨	١٩٩			
تشجيع الابداع	بين المجموعات	٣٥,٨	٢	١٧,٩	١,٥١	غير دال
	داخل المجموعات	٢٣٢٨,٢	١٩٧	١١,٨١		
	المجموع	٢٣٧٣,٠	١٩٩			
الدرجة الكلية	بين المجموعات	٣٦,٤	٢	١٨,٢	٠,٤١	غير دال
	داخل المجموعات	٨٥٧٨,٦	١٩٧	٤٣,٥		
	المجموع	٨٦١٤,٩	١٩٩			

يلاحظ من النتائج الواردة في الجدول (١٤) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجة ممارسة معلمي الصفوف الثلاثة الأولى في محافظة عجلون لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي تعزى إلى متغير المؤهل العلمي على جميع مجالات أداة الدراسة، مما يدل على أن المؤهل العلمي ليس له تأثير جوهري في درجة ممارسة معلمي الصفوف الثلاثة الأولى في محافظة عجلون لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي.ويمكن أن يعود السبب في ذلك إلى أن معلمي الصفوف الثلاثة الأولى يتلقون برامج تدريب وإعداد، قد تكون متشابهة في مضامينها، وانطلاقا من مرتكزات خطة التطوير التربوي التي تتبناها وزارة التربية والتعليم، التي أصبحت هي الإطار المرجعي لجميع برامج الإعداد والتدريب

والتأهيل، وتسعى إلى إكساب المعلمين قدراً مشتركاً من المعارف والاتجاهات والمهارات ومنها مهارات التفكير الإبداعي بصرف النظر عن مؤهلاتهم فقد جاءت تقديراتهم متشابهة، إضافة إلى أن الإعداد الأكاديمي لمعلمي الصفوف الثلاثة الأولى في خططه الدراسية متشابهة في جميع جامعات المملكة الأردنية الهاشمية؛ إذ يعين للتدريس في هذه الصفوف من يحمل درجة البكالوريوس في تربية الطفل أو معلم صف، بالإضافة إلى بعض التعيينات لحملة الدبلوم تربية الطفل أو التربية الابتدائية، وخطط هذه التخصصات تحتوي على بعض المواد التي لها علاقة بتعلم التفكير.وهذه النتيجة تتفق مع دراسة كل من دراسة (خريشة، ٢٠٠١؛ الزعبي، والهواملة، والشديفات، ٢٠٠٩) التي أشارت إلى عدم وجود فروق بين المعلمين في درجة ممارستهم لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي تعزى إلى متغير المؤهل العلمي.

التوصيات:

١. عقد دوراَت تدريبية لمعلمي الصفوف الثلاثة الأولى، في أثناء الخدمة لإكسابهم مهارات تنمية التفكير الإبداعي.

٢. عقد دوراَت تدريبية لمعلمي الصفوف الثلاثة لتدريبهم على إتقان مهارات التقويم والتفكير والتحليل والإبداع في المواقف الصفية.

٣. تطوير مناهج الصفوف الثلاثة الأولى بحيث ترتبط ارتباطاً مباشرة بمهارات التفكير الإبداعي، وتضمينها أنشطة لتنميتها، والعمل على تضمين مهارات التفكير الإبداعي في المحتوى المقرر

٤. تطوير نماذج الإشراف التربوي بحيث تحتل أساليب تشجيع التفكير الإبداعي التي يستخدمه معلم الصفوف الثلاثة الأولى جزءاً مهماً منها.

٥. الاستفادة من أداة الدراسة الحالية في تطوير نماذج الاشراف المستخدمة لتقويم اداء معلمي الصفوف الثلاثة الاولى.

٦. إعادة النظر في مقررات الخطط الدراسية لتخصصات معلم الصف وتربية الطفل بحيث تحتوى على مساقات لها علاقة بمهارات، وأساليب تنمية التفكير وخاصة التفكير الإبداعي، ومساقات القياس والتقويم بحيث تحتل مساحة أكبر مما هي عليه الآن.

٧. إجراء المزيد من الدراسات المتعلقة بهذا الميدان، وتناول متغيرات لم تتطرق لها هذه الدراسة.

المصادر والمراجع:

أولاً- المراجع العربية:

١. الأغا، احسان.(٢٠٠٢) .البحث التربوي وعناصره، ومناهجه وأدواته، ط٤، غزه، الجامعة الإسلامية.

٢. باعويضان، اوري عبد الله.(٢٠١٠) .السمات الإبداعية لدى المعلمات وقدرتها التنبؤية بالتفكير الإبداعي لتلاميذهن.رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

٣. الباقر، نصرة رضا حسن.(١٩٩٧) .دراسة تقويمية لدور معلمات رياضيات المرحلة الإعدادية في تنمية الإبداع لدى تلميذات تلك المرحلة في دولة قطر.مجلة دراسات في المناهج وطرق التدريس، (٤٣) : الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس: القاهرة

٤. خريشة، علي كايد سليم (٢٠٠١) .مستوى مساهمة معلمي التاريخ بالمرحلة الثانوية في تنمية مهارات التفكير الناقد والإبداعي لدى طلبتهم.مجلة مركز البحوث التربوية، جامعة قطر، السنة العاشرة، (١٩) ، ١٣- ٤٥

٥. خصاونة، فاتن.(٢٠٠١) .درجة ممارسة معلمي التاريخ للمرحلة الأساسية العليا لمظاهر سلوكية ذات صلة بالإبداع ومستوى الإبداع لدى طلبتهم.رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

٦. زحلوقه، مها.(٢٠٠٢) .طريقة التفكير النقدي والإبداعي في تعليم المتفوقين.مجلة الرسالة التربوية المعاصرة، ٣ (١) .

٧. الزعبي، ابراهيم احمد، والهواملة، ماهرشفيق، والشديفات، صادق حسن.(٢٠٠٩) .درجة ممارسة معلمي ومعلمات التربية الإسلامية في المرحلة الثانوية لأساليب تشجيع التفكير الإبداعي في محافظة المفرق بالأردن من وجهة نظرهم.مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والنفسية.١ (١) ، ١١٤- ١٥٤

٨. زيدان، عفيف حافظ، والعودة، فداء احمد.(٢٠٠٨) .درجة استخدام معلمي المرحلة الأساسية الدنيا لأنماط التفكير الإبداعي في تدريس العلوم في محافظة الخليل.مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) ، (١٦) ، (٢) ، ٦٦٧- ٩٩١

٩. العازمي، عبد الله سالم، والقلاف، نبيل عبد الله، وخضر، إنعام سيد (٢٠٠٨) دور المعلم في تنمية الإبداع والتفكير الإبتكاري لدى طلبة المرحلة الثانوية في دولة الكويت. المؤتمر العلمي لكلية العلوم التربوية_دور المعلم في عصر التدفق المعرفي- جامعة جرش- الأردن- في الفترة١- ٣/ ٤/ ٢٠٠٨

١٠. العتوم، عدنان يوسف، والجراح، عبد الناصر ذياب، وبشارة، موفق.(٢٠٠٧) .تنمية مهارات التفكير نماذج نظرية وتطبيقات عملية.عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع

١١. عوض، محمد.(١٩٩٤) .قياس المهارات الإبداعية لدى معلمي اللغة العربية في المرحلة الأساسية.رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن

١٢. الغامدي، فريد بن علي.(٢٠٠٩) مدى ممارسة معلم التربية الإسلامية بالمرحلة الثانوية لمهارات تنمية التفكير الابتكاري.مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والنفسية، (١) (١) ، ٣١٠- ٣٨٥

١٣. قشوع، فاتنة.(٢٠٠١) .دور معلم العلوم في تنمية التفكير ألابتكاري من وجهة نظر طلبة الصف الثامن الأساسي.رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بيرزيت، فلسطين

١٤. المشرفي، انشراح إبراهيم (٢٠٠٣) فاعلية برنامج مقترح لتنمية كفايات تعليم التفكير الإبداعي لدى الطالبات المعلمات بكلية رياض الأطفال.مجلة الطفولة والتنمية.(٢) (٣) ، ١٦٧- ١٨٥

ثانياً- المراجع الأجنبية:

1. *Abdallah,Adam.(1996) .Fostering creativity in student teachers. Community Review, 14, 7- 52*
2. *Aggarwal.J.C (1999) : Essentials of Education Psychology.Delhi.Vikas publishing house PVT.LID*
3. *Carling.C.(2000) .Be as Creative as You Like but Don't Rock the Boat. Training Journal ,14 (16) , 12- 14.*
4. *Carter ,M (1992) .Training Teachers For Creative Learning Experiences. Child Care Information.No.85.*
5. *Casey, M.Beth; Tucker, Edwin C.(1994) .Problem- centered classrooms. Phi Delta Kappan, 76 (2) , 139*
6. *Daniel,Fasko,Jr.(2001) .Education and Creativity ,Creativity Research Journal,13 (4) , 317- 327*

7. *Fobes, Richard (1996) .Creative problem solving: Futurist, ,30 (1) , 19*
8. *Higgins, Marilyn; Morgan, James.(2000) .The Role of Creativity in Planning: The 'Creative Practitioner 'Planning Practice & Research,--Feb- May2000,.15 (1/ 2) , 117*
9. *Hong,A., (2006) Supporting Creativity ,Early Child Today Journal,20 (5) , 3- 15*
10. *Mathers, Killer.(2001) .WhyStudyCreativity.www.bafflostate.edue/ center/ creativity/ Resources/ Reading- Room/ Directory- cps.html (30/ 7/ 2010) .*
11. *Norton.Jane Lynns (1999) Creative thinking and Reflective Practioner. Journal of Instructional Psychology, 21 (2) , 139*
12. *Treffinger, D.J.(1995) .Creative Problem Solving: Overview and Educational Implications Educational.Psychology Review, 7 (3) , 301- 31*
13. *Torrance, E,P.(1993) .The Nature of Creativity as Manifest in Testing. In R.J.Sternberg (Ed) ,The Nature of Creativity (PP.43- 75) .New York: Press Syndicate of the University of Cambridge.*

مصادر التوتر المهني لدى مدربي الألعاب الرياضية في الجامعات الأردنية (دراسة مقارنة)*

د. رائد محمد الرقاد**
د. ناجح محمد ذيابات***
د. أيمن عواد غريب****

* تاريخ التسليم: ١٢/ ٥/ ٢٠١٢م، تاريخ القبول: ٢٦/ ٦/ ٢٠١٢م.
** أستاذ مشارك/ قسم العلوم الأساسية/ كلية عمان الجامعية/ جامعة البلقاء التطبيقية.
*** أستاذ مشارك/ قسم العلوم الأساسية/ كلية عمان الجامعية/ جامعة البلقاء التطبيقية.
**** أستاذ مساعد/ قسم العلوم الأساسية/ كلية عمان الجامعية/ جامعة البلقاء التطبيقية.

ملخص:

هدفت الدراسة إلى معرفة مصادر التوتر المهني لدى مدربي الألعاب الرياضية في الجامعات الأردنية، واستخدم الباحثون المنهج الوصفي، وتكون مجتمع الدراسة من (١٣٢) مدرباً ومدربةً من العاملين في الجامعات الأردنية في الفصل الدراسي الأول للعام الجامعي ٢٠١١/ ٢٠١٢، وقد اختيروا بالطريقة العمدية، حيث أُستخدم مقياس ماركو لقياس التوتر المهني تكونت من (٣٤) فقرة، خضعت لمعامل الصدق والثبات، وقد حُلّلت البيانات إحصائياً باستخدام المتوسط الحسابي، والانحراف المعياري، والنسبة المئوية، واختبار (t test for independent sample) لدلالة الفروق.

وقد أشارت الدراسة إلى أن مصادر التوتر المهني جاءت ضمن مستويين (عال، وسط) ، كذلك أظهرت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في الجامعات الأردنية تعزى إلى متغير الجنس، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير الجامعة بالنسبة لمحاور: (العمل مع الطلاب، والإمكانات، والراتب) ، وبينت الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية تميل لصالح الجامعات الخاصة بالنسبة لمحاور (الدعم الإداري، والعلاقة بين المدربين) .وقد أوصى الباحثون بضرورة توسيع وزيادة المنشآت الرياضية وإعادة النظر في سلم الرواتب في الجامعات الأردنية.

الكلمات المفتاحية: التربية الرياضية، مصادر التوتر المهني.

Abstract:

The study aimed to identify the sources of tension that the professional trainers of sports in Jordanian universities face.The researchers used the descriptive method.The study population consisted of (132) coached and trained workers in Jordanian universities in the first semester of the academic year 2011/ 2012, and was chosen intentionally.The Marco scale was used to measure the sources of vocational tension.It consisted of (34) items, subjected to the coefficient of validity and reliability.The data were analyzed statistically using the arithmetic mean, standard deviation, and the percentage, and test (t test for independent sample) to denote the differences.The study pointed out that the sources of career tension career came within two levels (high, medium) .The results also showed no statistically significant differences in the Jordanian universities due to the variable of sex, and no of statistically significant differences attributed to the University for the axes (working with students, potential , salary) , and the presence of statistically significant differences in favor of private universities for the axes (administrative support, and the relationship between the trainers) .The researchers recommended the need to expand and increase sports' facilities and to review the ranking of salaries in Jordanian universities

Keywords: *Physical Education, sources of occupational stress.*

مقدمة:

يعدُّ علم النفس الرياضي من العلوم المهمة التي تدرس النواحي النفسية والشخصية، التي تؤثر تأثيراً إيجاباً أو سلباً على المستويات والأداء لدى المدربين، فهناك العديد من العوامل النفسية التي تؤثر في تحديد المستوى الرياضي المطلوب، والنشاط الرياضي بصورة عامة، حيث يحدث التوتر كظاهرة نفسية نتيجة لمؤثرات داخلية وخارجية، الأمر الذي ينعكس على أداء المدرب الرياضي أثناء المنافسة، ويحتل موضوع التوتر الذي يعدُّ أحد المظاهر النفسية مركزاً مهمَّاً في علم النفس العام، وفي علم النفس الرياضي خاصة لما له من آثار واضحة، ومباشره على اختلال الوظائف النفسية، أو الوظائف الجسمية، أو كليهما، وفي المجال الرياضي يواجه المدربون العديد من المواقف التي ترتبط ارتباطا مباشراً، ووثيقا بالقلق سواء أثناء التدريب الرياضي أو المنافسات الرياضية (علاوي، ١٩٩٨، ص١٧) .

تعد دراسة التوتر (stress) ، من الجوانب المهمة في دراسات علم النفس الرياضي، وذلك لما لها من أهمية في حياة الرياضيين، فالضغوط النفسية هي تعبير عن حالة الإجهاد أو الضغط المهني سواء أكان ضغطاً عقلياً أم جسمياً، وتحدث نتيجة للحوادث التي تسبب التوتر، والقلق والإزعاج.أو تحدث نتيجة للصفات العامة التي تسود بيئة العمل، أو أنها تحدث نتيجة للتفاعل بين المسببات، وأن حدة الضغط تتوقف على مدى استجابة الفرد للتأثر بهذه العوامل في إثناء التفاعل مع الموقف، وتتمثل الضغوطات الحياتية للإنسان المعاصر بعوامل عدة منها: شيوع القلق، والتوتر، والخوف، لا بل قد يمتد إلى أبعد من ذلك من المظاهر المرضية، وتأتي الضغوط التي يواجهها الفرد في مجال العمل في مقدمة هذه الضغوط التي يقع تحت وطأتها ذلك الفرد (حسني، محمود، ١٩٩٣، ص١٢٢) .

ويؤثر التوتر في الشخصية الإنسانية، وبالتالي في أداء الرياضي من خلال ثلاثة جوانب هي: الجانب المعرفي، ويتمثل هذا التأثير في بعض المتغيرات مثل: مدى الانتباه، والتركيز، والذاكرة، والقدرة العقلية، وصعوبة التنبؤ، والاستجابة ببطء.والجانب الانفعالي، حيث يزداد التوتر الفسيولوجي والنفسي وينخفض الإحساس، ويظهر الاكتئاب.والجانب السلوكي مثل التغيب عن العمل، ونقص الميول، وسلبية الاتجاهات، واضطرابات عادات النوم (محمد، ٢٠٠٥، ص٢٢) .

هذا ويعدُّ التوتر من المفاهيم المتداولة بين علماء النفس، فقد تعرض بعضهم إلى مناقشة مصادر التوتر للوصول إلى تغيير كامل لأسباب هذه الظاهرة، فالمدرب الذي يعاني

من درجة عالية من التوتر النفسي يتأثر سلباً من الناحية الفسيولوجية والنفسية، وبالتالي تتناقص قدرته على الإبداع والإنتاج نتيجة لمعاناته، وقلة واقعيته، وينعكس ذلك سلباً على الفرد نفسه، وعلى المؤسسة التي يعمل فيها، والمجتمع الذي يعيش فيه.وتعرف الضغوط النفسية التي تؤدي إلى التوتر على إنها إدراك الفرد لعدم قدرته على مواجهة أحداث، أو متطلبات مهنته، التي تشكل تهديداً لذاته وتتسبب في حدوث معدلات عالية من الانفعالات السلبية التي يصاحبها تغيرات فسيولوجية كرد فعل تنبيهي لتلك الضغوط (السمادوني، ١٩٨٩، ص١٨٦).

إن مهنة التدريب تتطلب من المدربين النمو والتقدم المعرفي من حيث متابعة التطور العلمي والتكنولوجي، والإلمام بأحدث الأساليب والطرق التربوية وأساليب التدريب الرياضي حيث تتطلب القدرة على التعرف على حاجات وخصائص المتدربين الإنمائية، ومراعاة الفروق الفردية، والمساهمة في تشخيص المشكلات النفسية وحلها، وإن هذه المطالب وغيرها تشكل في مجموعها عبئاً كبيراً يقع على عاتق المدربين مما يتسبب بالتالي في زيادة الضغوط لديهم، ويعد التقدم الرياضي في القرن الحالي انعكاساً لمدى الاهتمام بالرياضة في العالم سواءً كان بالنسبة للمدربين أم بالنسبة للاعبين، ولعل من أبرز الجوانب المهمة هو الجانب النفسي لهم، إذ يتعرضون للعديد من الضغوط النفسية سواء في فترات التدريب أم فترات المنافسات (هياجنه، ٢٠٠٦، ص٣٢).

وقد جذبت هذه الظاهرة اهتمام بعض الباحثين في علم النفس الرياضي في السنوات الأخيرة، واهتموا بدراستها في إطار بعض الدراسات والنظريات المرتبطة بهذه الظاهرة في مجال بعض الوظائف والمهن الأخرى خارج المجال الرياضي والممارسة الرياضية التي ينظر إليها على أنها مهن ضاغطة على الفرد، وتؤدي إلى انخفاض مستوى إنجازاته وعدم رضا عن عمله أو مهنته أو نشاطه وتؤدي في النهاية إلى تقاعده أو تركه لمهنته سواءً بإرادته أم بدون إرادته في حال عدم قدرته على مقاومة أو مواجهة هذه التوترات والضغوط، ومحاولة التكيف الإيجابي معها (علاوي، ١٩٩٨، ص٤٩).

مشكلة الدراسة:

أصبح التوتر المهني ظاهرة عامة في ميدان الخدمات الإنسانية والاجتماعية، والتدريب واحد من هذه الميادين، ويعدُّ المدربون من أكثر الناس عرضة للتوتر، حيث تشير نتائج العديد من الدراسات إلى أن مهنة التدريب من أكثر المهن التي تسبب توتراً على العاملين فيها، حيث يطلب من المدرب بذل جهداً كبيراً لتحقيق المستوى الفني والتدريب العالي، وهذا يتطلب الإعداد النفسي، والبدني، والمهاري بصورة عالية (الطحاينة وحتاملة، ٢٠٠٩، ص٤٦).

يتميز المدرب عمله بالجهد البدني العالي، والذي لا يستطيع أن يتحمله مع تقدمه في العمر، كما أن هناك العديد من الأسباب الأخرى التي يمكن أن تؤدي إلى إيجاد ظاهرة التوتر عند مدربي الألعاب الرياضية، فالعديد من هؤلاء المدربين يشعر بأن الجهد الذي يبذله في العمل لا يساوي المردود المادي والمعنوي (المنشاوي، ١٩٩٤، ص١٤٧؛ الكيلاني، ١٩٨٧، ص٣٨)

ومن خلال ملاحظة الباحثين في الميدان الرياضي لسلوك العديد من مدربي الألعاب الرياضية في الجامعات الأردنية وتصرفاتهم، فقد وجدوا أن المدربين يتميزون بالعصبية والتوتر، ولذلك ارتأى الباحثون أن يتعرفوا على مصادر التوتر المهني لدى مدربي الألعاب الرياضية في الجامعات الأردنية، في دراسة مقارنة والمحاولة لوضع بعض الحلول والاقتراحات التي تؤدي إلى علاج هذه الظاهر إن وجدت، وذلك من أجل رفع مستوى المدرب وتطوير عملية التدريب.

أهمية الدراسة:

يعدُّ موضوع التوتر هاجساً كبيراً للكثير من العلماء ومجالاً خصباً للبحث والتنقيب، وخاصة في المجال الرياضي، ولقد حظيت دراسات التوتر على الاهتمام الواسع من قبل الباحثين في المجال النفسي والتربوي والمجال الرياضي، وتزداد أهمية دور المدرب في المجتمع بصفة خاصة في الآونة الأخيرة للنهوض والارتقاء بمستوى الفرد في الأنشطة الرياضية المختلفة، ويقوم المدرب بمسؤولية توجيه وإرشاد لاعبيه ومساعدتهم لتحقيق أهداف معينة والوصول إلى حلول معقولة للمشكلات التي تؤثر في العملية التدريبية وفي مستوى أدائهم خلال المنافسات والبطولات، فالمدرب الرياضي يعد من الشخصيات التربوية القيادية المهمة التي تؤثر تأثيراً مباشراً في التطور الشامل والمتزن لشخصية اللاعب الرياضي (محمد، ٢٠٠١، ص٣٥) .لذلك وجد الباحثون أهمية كبيرة للقيام بدراسة مصادر التوتر المهني لدى مدربي الألعاب الرياضية في الجامعات الأردنية.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية التعرف إلى:

١. ما مصادر التوتر المهني لدى مدربي الألعاب الرياضية في الجامعات الأردنية.

٢. الفروق في مصادر التوتر المهني لدى مدربي الألعاب الرياضية في الجامعات الأردنية تبعا إلى متغيري الجنس والجامعة.

تساؤلات الدراسة:

في ضوء أهداف الدراسة وضع الباحثون الأسئلة الآتية:

١. ما مصادر التوتر المهني لدى مدربي الألعاب الرياضية في الجامعات الأردنية؟ .

٢. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (∞ = ٠,٠٥) في التوتر المهني لدى مدربي الألعاب الرياضية في الجامعات الأردنية تُعزى إلى متغير الجنس؟ .

٣. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (∞ = ٠,٠٥) في التوتر المهني لدى مدربي الألعاب الرياضية في الجامعات الأردنية تعزى إلى متغير الجامعة؟ .

مصطلحات الدراسة:

◄ **التوتر المهني**: هو عدم التوافق بين متطلبات العمل من جهة، وقدرات الفرد وإمكانات العمل المتوافرة من جهة أخرى مما يؤدي إلى اضطراب في الأداء الوظيفي للمدرب.

◄ **المدرب الرياضي**: هو الشخصية التي يقع على عاتقها القيام بتخطيط وتنظيم الخطوات التنفيذية لعمليات التدريب وتوجيه اللاعبين خلال المنافسات.

مجالات الدراسة:

- المجال البشري: المدربون الذين يقومون بعملية التدريب للألعاب الرياضية في الجامعات.
- المجال المكاني: الجامعات الأردنية الحكومية والخاصة: (الأردنية، واليرموك، والعلوم والتكنولوجيا، والهاشمية، والبلقاء التطبيقية، ومؤتة، والحسين، والطفيلة التقنية، والألمانية الأردنية، والإسراء، والزيتونة، وفيلادلفيا، وعمان الأهلية، وجرش، والأمريكية الخاصة، والزرقاء الخاصة، وجدارا، والبتراء، والعلوم التطبيقية) .
- المجال الزماني: أجريت الدراسة في الفصل الدراسي الأول للعام الجامعي ٢٠١١/ ٢٠١٢.

الدراسات السابقة:

استعرض الباحثون عدداً من الدراسات، التي تناولت موضوع الضغوطات والتوترات المهنية، وقد قام الباحثون في حدود الإمكانات المتاحة، بدراسة ومراجعة العديد من

الدراسات والأبحاث المختلفة حول موضوع الدراسة، وتم فصلها على أساس دراسات عربية وأخرى أجنبية، وقد تم ترتيبها زمنياً على النحو الآتي:

الدراسات العربية:

أجرى: (**الطحاينة، حتامله**، ٢٠٠٩) ، دراسة هدفت للتعرف إلى المستويات ومصادر الضغوط المهنية التي توجه معلمي التربية الرياضية في محافظة الزرقاء، والتعرف كذالك إلى العلاقة بين هذه الضغوط ورغبة المعلمين بترك التدريس، وقد استخدم الباحثان المنهج الوصفي، وتكونت عينة الدراسة من (٩٦) معلما ومعلمة أجابوا على مقاييس الضغوط المهنية الذي أعده: (علاوي، ١٩٩٨) والمكون من (٣٦) فقرة موزعة على ستة مجالات هي: التعامل مع الطالب، والإمكانات المادية، الراتب الشهري والمكافآت، الإشراف التربوي، العلاقة مع الزملاء والعلاقة مع إدارة المدرسة.حيث أظهرت النتائج أن مستوى الضغوط المهنية لدى معلمي التربية الرياضية كان مرتفعاً بشكل عام وأن أكثر المصادر المسببة للضغوط المهنية بحسب ترتيبها التنازلي كانت العوامل المرتبطة بالراتب الشهري والمكافآت، التعامل مع الطلاب، العلاقة مع الإدارة، العلاقات مع الزملاء، والإمكانات المادية وأخير العوامل المرتبطة بالإشراف التربوي.وأشارت النتائج كذلك إلى وجود علاقة ارتباطيه دالة بين رغبة المعلم بترك التدريس والضغوط المهنية التي يواجهها، وخاصة العوامل المتعلقة بالراتب الشهري والضغوط المتعلقة بالتعامل مع الطلاب.واوصت الدراسة بضرورة زيادة رواتب ومكافآت المعلمين، وإعداد برامج ودورات تدريبية للمعلمين في كيفية مواجهة الضغوط بالطرق والأساليب العلمية لاحتوائها، والتغلب عليها.

أجرى (**عبدالرحيم، الزروق**، ٢٠٠٧) ، دراسة هدفت للتعرف إلى بعض الضغوط المهنية التي تواجه مدرسي التربية البدنية في مرحلة التعليم الأساسي في طرابلس، وتكونت عينة الدراسة من (٢٤٠) مدرساً، حيث استخدم الباحثان المنهج الوصفي، واعتمدا على أدوات جمع البيانات بناء على قائمة الضغوط المهنية لمدرسي التربية البدنية التي تضم (٣٨) عبارة موزعة على ستة محاور التي صمَّمها (محمد علاوي، ١٩٩٨) .وقد أسفرت أهم النتائج أن المرتب الشهري وأسلوب الحياة الصعبة والتغيرات الاقتصادية الحادثة في المجتمع تعدّ جميعها من العوامل المهمّة، والمرتبطة بالضغوط المهنية.وأوصت الدراسة بزيادة التشجيع المادي، والمعنوي من قبل قطاعات التعليم، وبضرورة توفير الأدوات اللازمة لجميع المدارس.

أجرى (**المشري**، ١٩٩٩) ، دراسة هدفت للتعرف إلى معرفة العلاقة الدالة بين الضغوط المهنية والتوافق لدى معلمي ومعلمات التربية البدنية في منطقة طرابلس، واستخدم المنهج

الوصفي بالأسلوب المسحي، وقد اختيرت العينة بالطريقة العشوائية، حيث بلغت عينة الدراسة (٥٥٨) معلماً ومعلمةً، وقد توصلت الدراسة بأنه لا توجد علاقة إيجابية جوهرية بين الضغوط المهنية، والتوافق النفسي لدى معلمي ومعلمات التربية البدنية لمرحلة التعليم الأساسي لمنطقة طرابلس.

أجرى (**المنشاوي، ١٩٩٤**) ، دراسة هدفت للتعرف إلى الضغوط المهنية لدى مدربي المعاقين حركيا وعلاقتها بتقدير الذات، اختيرت العينة بالطريقة العشوائية حيث اُستخدام الاستبانة كوسيلة لجمع البيانات، وبلغت عينة الدراسة (٣٠) مدرباً، وكانت أهم النتائج أن الضغوط التي يعاني منها المدربون كان ترتيبها على النحو الآتي: (مشكلات ترتبط بالوسائل، والإمكانات، والعائد المادي، وعلاقة المدرب بالإدارة، ومشكلات ترتبط بالعملية التدريبية) .

أجرى (**الكيلاني، ١٩٨٧**) ، دراسة هدفت للتعرف إلى الضغوط التي يعاني منها مدرسو التربية الرياضية، واتبع الباحث المنهج الوصفي مستخدما الأسلوب المسحي، وبلغت عينة الدراسة (٥٦) مدرسا في محافظة الغربية، اُستخدمت الاستبانة وسيلةً لجمع البيانات، وأظهرت النتائج وجود ضغوط يعاني منها مدرسو التربية الرياضية، وكانت على النحو الآتي: (الضغوط الاجتماعية، والضغوط الإدارية، والضغوط المهنية) .

الدراسات الأجنبية:

أجرى **(Onifade & Odedeey, 2001)** ، دراسة هدفت إلى معرفة التوتر المهني لمعلمي التربية الرياضية في نيجيريا، اُستخدم المنهج الوصفي، وتكونت عينة الدراسة من (١١٥) معلماً للتربية الرياضية، وأشارت الدراسة إلى أن عدم توافر الكتب المدرسية كان أكثر العوامل المسببة للتوتر، تلاه عدم توافر الميزانيات المخصصة للأنشطة الرياضية، ثم الطلاب، وعدم توافر الإمكانات الرياضية.

أجرى **(Stilger, Etzil, & Lontz, 2001)** ، دراسة هدفت لمعرفة الضغوط التي يتعرض لها المدربون في الجامعات الأمريكية، استخدم الباحثون المنهج الوصفي، وتكونت عينة الدراسة من (١٤٥) مدرباً ومدربةً، وقد توصلت الدراسة إلى أن الأمور المادية، والأمور الأكاديمية كانت أهم مصدرين للضغوط التي يعاني منها المدربون طول العام.كما أظهرت النتائج أن مستوى الضغط يتغير مع الزمن حيث وصل إلى أعلى مستوياته في منتصف الفصل وفى نهاية الفصل، الثاني.وأشارت الدراسة أيضاً، إلى أن مستوى الضغوط عند المدربات كان أعلى منه عند المدربين، إلا أن الفارق بينهما لم يكن ذا دلالة إحصائية.

التعليق على الدراسات السابقة:

نلاحظ من الدراسات السابقة أنها تطرقت إلى التوتر بشكل عام عند مدرسي التربية الرياضية، سواء كان في مجال الضغوط أم في أسلوب الحياة والتغيرات الاقتصادية، والتعامل مع اللاعبين، والإمكانات، ولقد استفاد الباحثون من اشتقاق فكرة بحثهم عن مصادر التوتر المهني في الجامعات الأردنية: (الحكومية والخاصة) ، حيث أراد الباحثون أن يعرفوا ما مدى تأثير هذه المصادر على مدربي الألعاب الرياضية.

وأدرك الباحثون أهمية الدراسات كمرجع لهم في توصياتهم على بعض صياغة المحاور، واُستخدم المنهج الوصفي، والوسائل الإحصائية المستخدمة في الدراسات السابقة، فقد هدفت الدراسات إلى وضع حلول لمصادر التوتر، وزيادة التشجيع المادي والمعنوي، وإعداد برامج لمعلمين التربية الرياضية في كيفية مواجهة التوترات بالطرق والأساليب العلمية (عبدالرحيم، الزروق، ٢٠٠٧؛ محمد، ٢٠٠٥) .

ومن خلال العرض السابق للدراسات السابقة، تبين للباحثين أن أغلب الدراسات السابقة، أشارت إلى ضرورة إعادة النظر في محاور التوتر المهني، وأن استخدام المنهج الوصفي يتفق مع ما استخدمه الباحثون في دراستهم الحالية، وعلى حد علم الباحثين لم يحظ مدربو الألعاب الرياضية في الجامعات الأردنية بأي من هذه الدراسات، ولذلك فإن هذه الدراسة جاءت متميزة عن غيرها، بأنها تناولت مصادر التوتر المهني لدى مدربي الألعاب الرياضية في الجامعات الأردنية (دراسة مقارنة) ، (الطحاينة، والحتاملة، ٢٠٠٩؛ المشتري، ١٩٩٩) .

إجراءات الدراسة:

منهج الدراسة:

استخدام الباحثون المنهج الوصفي بالصورة المسحية لإجراء الدراسة وذلك لمناسبته وطبيعة الدراسة.

مجتمع وعينة الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة وعينتها من المجتمع الكلي لجميع المدربين في الجامعات الأردنية في الفصل الدراسي الثاني للعام الجامعي ٢٠١١/ ٢٠١٢ وعددهم (١٣٢) مدرباً.حيث اُستخدم المسح الشامل لمفردات مجتمع الدراسة، ووزّعت (١٣٢) استبانة، وعند استردادها وجد الباحثون أن (١٢٦) استبانة من المجتمع الأصلي صالحة للتحليل

الإحصائي كما هو مبين في الجدول (١) :

الجدول (١)

توزيع أفراد مجتمع الدراسة تبعاً لتصنيف الجامعات ونسبتهم المئوية في كل جامعة

تصنيف الجامعة	الجنس	التكرار	النسبة المئوية	النسبة المئوية لمجموع مجتمع الدراسة
الجامعات الحكومية	ذكور	٦٦	٥٢,٤٪	١٠٠٪
	اناث	٢٢	١٧,٥٪	
الجامعات الخاصة	ذكور	٢٦	٢٠,٦٪	
	اناث	١٢	٩,٥٪	

أداة الدراسة:

١. استخدم الباحثون مقياس موراكو (Moracco, 1982) ، بعد تعديله ليتناسب مع البيئة الأردنية وبيئة الجامعات الأردنية، ويتضمن المقياس (٣٤) فقرة موزعة على خمسة محاور رئيسة أعدت بطريقة ليكرت بثلاث فئات (دائماً، أحياناً، نادراً) على النحو الآتي:

- المحور الأول: الدعم الإداري (٨) فقرات.
- المحور الثاني: العمل مع الطلاب (٨) فقرات.
- المحور الثالث: العلاقة مع المدربين (٨) فقرات.
- المحور الرابع: الإمكانات (٦) فقرات.
- المحور الخامس: الراتب (٤) فقرات.

٢. تكون سلم الاستجابة للأداة من ثلاث استجابات بناءً على درجة تقويم كل فقرة من الفقرات من قبل

المدربين وفقاً لمقياس ليكرت الثلاثي: دائماً (٣) درجات، وأحيانا (٢) درجة، ونادراً (١) درجة

٣. من خلال مراجعة الدراسات السابقة، وتبعاً لسلم الاستجابة ميز الباحثون بين ثلاث نسب مئوية في تفسير نتائجهم على النحو الآتي: ١٠٠٪- ٧٥٪ عالٍ، ٧٤,٦٪- ٥٥,٣٪ متوسط، ٥٥٪- ٣٣,٣٪ ضعيف.

صدق الأداة:

للتحقق من صدق الأداة عُرضت على هيئة من المحكمين من حمله درجة الدكتوراه

المختصصين في مجال التربية الرياضية (ملحق ١) ، لإبداء الرأي في كل مجال من المجالات التي وضعت الأداة لقياسها التي بموجبها يكون قياس مصادر التوتر المهني. وإبداء الرأي كذلك في فقرات كل مجال وصياغة كل فقره.وبعد دراسة أراء وملاحظات المحكمين تبين أن هناك إجماعاً على صدق المجالات ومناسبتها لقياس مصادر التوتر المهني لدى مدربي الألعاب الرياضية الأردنية، وورود بعض الملاحظات حول الفقرات من حيث الصياغة والهدف والإضافة وبعد إجراء التعديلات تم بناء الاستبانة، حيث اعتبرت الإجراءات التي اتبعت في بناء الاستبانة، وأراء المحكمين دليلا على صدقها.

ثبات الأداة:

لقد اُستخدم اختبار كرونباخ ألفا لقياس مدى ثبات أداة القياس حيث بلغت قيمة ألفا (٨٦,٥٢٪) وهي نسبة جيدة كونها أعلى من النسبة المقبولة.

الجدول (٢)

مصادر التوتر المهني لدى مدربي الألعاب الرياضية في الجامعات الأردنية

الرقم		قيمة الفا
	محور الدعم الإداري	
١	اشعر بعدم دعم إدارة الجامعة	٨٧,٠٨٪
٢	أشعر بأن عميد شؤون الطلبة في الجامعة لا يقدر عملي	٨٦,٩٧٪
٣	أشعر بأن رأيي غير مهم بالنسبة لمدير النشاط الرياضي بالجامعة	٨٧,٥٨٪
٤	أشعر بأن مدير النشاط الرياضي يعطيني قليلا من السلطة للقيام بمسؤولياتي	٨٧,٤٩٪
٥	أشعر بأن مدير النشاط الرياضي متعال على المدربين	٨٦,٧١٪
٦	أشعر بأنني لا أستطيع التكلم بصراحة مع مدير النشاط الرياضي حول ما يدور من مشاكل	٨٧,٣١٪
٧	اشعر بضعف التقدير للعمل الجيد من قبل إدارة الكلية أو الجامعة	٨٧,٠٧٪
٨	اشعر بان مدير الدائرة لا يقدر الجهد الذي أقوم به	٨٧,٩٩٪
	محور العمل مع الطلاب	
١	أشعر بأن طلابي لا يستجيبون للتدريب	٨٤,٤٦٪
٢	أحاول تحفيز الطلاب الذين يرغبون في التدريب	٨٦,٨٥٪
٣	أشعر بعدم قدرتي على التجديد في أساليب التدريب	٨٥,٧٤٪
٤	أشعر بأنني غير قادر على ضبط الطلاب	٨٤,٤٣٪

الرقم		قيمة الفا
٥	أشعر بعدم مشاركة الأهالي في حل مشاكل الطلاب	٨٦,٨٥٪
٦	أشعر بأن مشاكل عدم انضباطية بعض الطلاب تأخذ مني الوقت الكبير لمعالجتها	٨٦,٦٦٪
٧	يوجد الكثير من الطلاب المشاركين في الالعاب الرياضية	٨٦,٥٤٪
٨	اشعر باختلافات في أراء الأهالي نحو حل مشاكل الطلاب	٨٥,٤٦٪
	محور العلاقة بين المدربين	
١	أشعر بأن بعض المدرسين في الجامعة لا يقدر قيمة عملي في التربية الرياضية	٨٦,٧٣٪
٢	أشعر بأن مناخ العمل في الجامعة يتميز بالخلافات الدائمة بين العاملين	٨٦,٢٧٪
٣	أشعر بأن هناك منافسة بين المدربين بدل روح التعاون	٨٦,٨٠٪
٤	أشعر بأن بعض المدربين لا يشاركون في تحمل مسؤولية النظام في الجامعة	٨٦,٩٧٪
٥	أشعر بالشللية بين المدربين في الجامعة	٨٧,٨٨٪
٦	أشعر بأن وجودي في الملاعب يقلل من أهميتي عن المدرسين	٨٦,٩٣٪
٧	اشعر بضعف العلاقة الاجتماعية بين المدربين في الجامعات	٨٧,٣٢٪
٨	اشعر بضعف الاتصالات بين الزملاء في الجامعة	٨٦,٧٠٪
	محور الإمكانات	
١	أشعر بقلة الملاعب الضرورية لقيامي بالعمل	٨٤,٥٨٪
٢	أشعر بأن عدد ساعات التدريب قليل لتحقيق أهداف التربية الرياضية	٨٥,٦٢٪
٣	أشعر بعدم تخصيص مبلغ كاف للصرف على الأنشطة الرياضية	٨٤,٢٣٪
٤	أشعر بأنه لا يوجد وقت كاف للراحة خلال يوم العمل	٨٥,٦٩٪
٥	أشعر بقلة الأدوات الرياضية اللازمة لعملي في حصة التدريب	٨٤,٧١٪
٦	أشعر بالعبء الثقيل من تدريب العديد من فرق الجامعة	٨٦,٥٥٪
	محور الراتب	
١	أشعر بأن راتبي غير مساو لواجباتي ومسؤولياتي	٨٦,٦٠٪
٢	أشعر بأنني أعمل براتب غير مناسب	٨٦,١٢٪
٣	اشعر بان مهنتي لا توفر لي الأمان المادي المطلوب	٨٦,١١٪
٤	اشعر بان راتبي لا يسد المستلزمات الرئيسة لحياتي	&٨٦,٣٥

ن= ١٢٦ قيمة الفا= ٨٦,٥٢٪

المعالجة الإحصائية:

لقد حُلِّلت البيانات عن طريق برنامج المعالجات الإحصائية spss الذي تضمن:

- الإحصاء الوصفي (المتوسط الحسابي والانحراف المعياري، والنسبة المئوية) .
- اختبار (t test for independent sample) لدلالة الفروق.
- اختبار كرونباخ ألفا.

عرض النتائج ومناقشتها:

للإجابة عن التساؤل الأول:– ما مصادر التوتر المهني لدى مدربي الألعاب الرياضية في الجامعات الأردنية؟ .تم استخراج الوسط الحسابي والانحراف المعياري والنسبة المئوية على اتجاهات العينة نحو فقرات القياس وتم التوصل إلى النتائج كما هو مبين في الجدول (٣)

الجدول (٣)

مصادر التوتر المهني لدى مدربي الألعاب الرياضية في الجامعات الأردنية لمحور الدعم الإداري.

الرقم	المحور	الجامعات الحكومية			الجامعات الخاصة		
	محور الدعم الإداري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية
١	اشعر بعدم دعم إدارة الجامعة	٢,٣٢	٠,٥٣٧	٪٧٧,٣	٢,١٦	٠,٤٩٥	٪٧٢
٢	أشعر بأن عميد شؤون الطلبة في الجامعة لا يقدر عملي	٢,١٥	٠,٥٥٨	٪٧١,٦	٢,٣٨	٠,٧١٤	٪٧٩
٣	أشعر بأن رأيي غير مهم بالنسبة لمدير النشاط الرياضي بالجامعة	٢,٠٦	٠,٦٣٢	٪٦٨,٦	٢,٠٨	٠,٧٤٩	٪٦٩,٣
٤	أشعر بأن مدير النشاط الرياضي يعطيني قليلا من السلطة للقيام بمسؤولياتي	٢,٠٣	٠,٨٠٩	٪٦٧,٦	٢,٢٩	٠,٧٣٢	٪٧٦,٣
٥	أشعر بأن مدير النشاط الرياضي متعال على المدربين	١,٨٩	٠,٧٦٥	٪٦٣	٢,٠٨	٠,٨١٨	٪٦٩,٣
٦	أشعر بأنني لا أستطيع التكلم بصراحة مع مدير النشاط الرياضي حول ما يدور من مشاكل	١,٩٩	٠,٧٦٦	٪٦٦,٣	١,٣٩	٠,٥٩٥	٪٤٦,٣
٧	اشعر بضعف التقدير للعمل الجيد من قبل إدارة الكلية أو الجامعة	٢,٢٨	٠,٦٤٢	٪٧٦	٢,١١	٠,٦٠٦	٪٧٠,٣
٨	اشعر بان مدير الدائرة لا يقدر الجهد الذي أقوم به	٢,١٢	٠,٦٧٥	٪٧٠,٦	١,٧١	٠,٦١١	٪٥٧
	المجال العام	٢,١١	٠,٦٧٣	٪٧٠,٣	٢,٠٢	٠,٦٦٥	٪٦٧,٥

القيمة العظمى للفقرة الواحدة = ٣ ن (حكومية) = ٨٨
القيمة العظمى للمجال (٢٤) درجة ن (خاصة) = ٣٨

يتضح من الجدول (٣) ، أن متوسط الأوزان النسبية للجامعات الحكومية والجامعات الخاصة ما بين (٧٧,٣٪ – ٦٣٪) ، و (٧٩٪ – ٤٦,٣٪) ، حيث أشارت القيمة الكلية لمجال محور الدعم الإداري بشكل عام في الجامعات الحكومية للوسط الحسابي (٢,١١) ، والنسبة المئوية (٧٠,٣٪) ، وفي الجامعات الخاصة الوسط الحسابي (٢,٠٢) ، والنسبة المئوية (٦٧,٦٪) .

الجدول (٤)

مصادر التوتر المهني لدى مدربي الألعاب الرياضية في الجامعات الاردنية لمحور العمل مع الطلاب.

الرقم	المحور	الجامعات الحكومية			الجامعات الخاصة		
	محور العمل مع الطلاب	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية
١	أشعر بأن طلابي لا يستجيبوا للتدريب	٢,٠١	٠,٧٣٥	٦٧٪	١,٨٩	٠,٧٢٧	٦٣٪
٢	أحاول تحفيز الطلاب الذين يرغبون في التدريب	٢,٨٠	٠,٤٠٦	٩٣,٣٪	٢,٦٨	٠,٥٧٤	٨٩,٣٪
٣	أشعر بعدم قدرتي على تجديد في أساليب التدريب	٢,١٠	٠,٧٢٨	٧٠٪	٢,١٣	٠,٧٠٤	٧١٪
٤	أشعر بأنني غير قادر على ضبط الطلاب	١,٣٥	٠,٥٦٨	٤٥٪	١,١٦	٠,٤٩٥	٣٨,٦٪
٥	أشعر بعدم مشاركة الأهالي في حل مشاكل الطلاب	٢,١٩	٠,٥٨٤	٧٣٪	٢,٢١	٠,٧٧٧	٧٣,٦٪
٦	أشعر بأن مشاكل عدم انضباطية بعض الطلاب تأخذ مني الوقت الكبير لمعالجتها	١,٨٦	٠,٧٤٦	٦٢٪	١,٦١	٠,٥٩٥	٥٣,٦٪
٧	يوجد الكثير من الطلاب المشاركين في الألعاب الرياضية	١,٩٥	٠,٦٩٣	٦٥٪	٢,١٨	٠,٧٦٦	٧٢,٦٪
٨	اشعر باختلافات في أراء الأهالي نحو حل مشاكل الطلاب	٢,٢٠	٠,٥٧١	٧٣,٣٪	١,٩٧	٠,٧١٦	٦٥,٦٪
	المجال العام	٢,١٥	٠,٦٢٨	٧١,٦٪	١,٩٧	٠,٦٦٩	٦٥,٦

القيمة العظمى للفقرة الواحدة = ٣ ن (حكومية) = ٨٨

القيمة العظمى للمجال (٢٤) درجة ن (خاصة) = ٣٨

يتضح من الجدول (٤) ، أن متوسط الأوزان النسبية للجامعات الحكومية والجامعات الخاصة ما بين (٩٣,٣٪ – ٤٥٪) ، و (٨٩,٣٪ – ٣٨,٦٪) ، حيث أشارت القيمة الكلية لمجال محور العمل مع الطلاب بشكل عام في الجامعات الحكومية للوسط الحسابي (٢,١٥) ، والنسبة المئوية (٧١,٦٪) ، وفي الجامعات الخاصة الوسط الحسابي (١,٩٧) ، والنسبة المئوية (٦٥,٦٪) .

الجدول (٥)

مصادر التوتر المهني لدى مدربي الألعاب الرياضية في الجامعات الأردنية لمحور العلاقة بين المدربين.

الرقم	المحور	الجامعات الحكومية			الجامعات الخاصة		
	محور العلاقة بين المدربين	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية
١	أشعر بأن بعض المدرسين في الجامعة لا يقدر قيمة عملي بالتربية الرياضية	٢,٣٢	٠,٥٣٧	٧٧,٣٪	٢,١٨	٠,٦٥٢	٧٢,٦٪
٢	أشعر بأن مناخ العمل في الجامعة يتميز بالخلافات الدائمة بين العاملين	٢,١١	٠,٧١٨	٧٠,٣٪	١,٨٧	٠,٦٦٥	٦٢,٣٪
٣	أشعر بأن هناك منافسة بين المدربين بدل روح التعاون	١,٨٣	٠,٦٢٩	٦١٪	١,٥٣	٠,٦٠٣	٥١٪
٤	أشعر بأن بعض المدربين لا يشاركون في تحمل مسؤولية النظام في الجامعة	١,٩٥	٠,٦٢٣	٦٥٪	١,٥٥	٠,٦٨٦	٥١,٦٪
٥	أشعر بالشللية بين المدربين في الجامعة	٢,٣٠	٠,٧٧٥	٧٦,٦٪	١,٦٨	٠,٧٧٥	٥٦٪
٦	أشعر بأن وجودي في الملاعب يقلل من أهميتي عن المدرسين	١,٩٧	٠,٨٢٣	٦٥,٦٪	١,٥٣	٠,٧٩٧	٥١٪
٧	اشعر بضعف العلاقة الاجتماعية بين المدربين في الجامعات	٢,٣٩	٠,٧٣٤	٧٩,٦٪	١,٩٧	٠,٨٥٤	٦٥,٦٪
٨	اشعر بضعف الاتصالات بين الزملاء في الجامعة	٢,٢٠	٠,٥٧١	٧٣,٣٪	١,٩٦	٠,٧٣٥	٦٦,٦٪
المجال العام		٢,١٣	٠,٦٧٦	٧١٪	١,٧٧	٠,٧٢٠	٥٩,٣٪

القيمة العظمى للفقرة الواحدة = ٣ ن (حكومية) = ٨٨

القيمة العظمى للمجال (٢٤) درجة ن (خاصة) = ٣٨

يتضح من الجدول (٥) ، أن متوسط الأوزان النسبية للجامعات الحكومية والجامعات الخاصة ما بين (٧٩,٦٪– ٦١٪) ، و (٧٢,٦٪– ٥١٪) حيث أشارت القيمة الكلية لمجال محور العلاقة بين المدربين بشكل عام في الجامعات الحكومية للوسط الحسابي (٢,١٣) ، والنسبة مئوية (٧١٪) ، وفي الجامعات الخاصة الوسط الحسابي (١,٧٧) ، والنسبة المئوية (٥٩,٣٪) .

الجدول (٦)

مصادر التوتر المهني لدى مدربي الألعاب الرياضية في الجامعات الأردنية لمحور الإمكانات

الرقم	المحور	الجامعات الحكومية			الجامعات الخاصة		
	محور الإمكانات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية
١	أشعر بقلة الملاعب الضرورية لقيامي بالعمل	٢,٤٠	٠,٧٨١	٪٨٠	١,٩٧	٠,٧٤٩	٪٦٥,٦
٢	أشعر بأن عدد ساعات التدريب قليلة لتحقيق أهداف التربية الرياضية	٢,٣٠	٠,٧٣٠	٪٧٦,٦	١,٨٧	٠,٨١١	٪٦٢,٣
٣	أشعر بعدم تخصيص مبلغ كاف للصرف على الأنشطة الرياضية	٢,٧٠	٠,٥٠٦	٪٩٠	٢,٢٤	٠,٧٨٦	٪٧٤,٦
٤	أشعر بأنه لا يوجد وقت كاف للراحة خلال يوم العمل	١,٦٨	٠,٧٢٠	٪٥٦	١,٧٩	٠,٧٧٧	٪٥٩,٦
٥	أشعر بقلة الأدوات الرياضية اللازمة لعملي في حصة التدريب	٢,١٠	٠,٨٤٥	٪٧٠	١,٨٩	٠,٨٦٣	٪٦٣
٦	أشعر بالعبء الثقيل من تدريب العديد من فرق الجامعة	١,٦٦	٠,٧٠٩	٪٥٥,٣	١,٨٩	٠,٧٦٤	٣٪٦
	المجال العام	٢,١٤	٠,٧١٥	٪٧١,٣	١,٩٤	٠,٧٩١	٪٦٤,٦

القيمة العظمى للفقرة الواحدة = ٣ ن (حكومية) = ٨٨

القيمة العظمى للمجال (١٨) درجة ن (خاصة) = ٣٨

يتضح من الجدول (٦) ، أن متوسط الأوزان النسبية للجامعات الحكومية والجامعات الخاصة ما بين (٩٠٪– ٥٥,٣٪) ، و (٧٤,٦٪– ٥٩,٦) حيث أشارت القيمة الكلية لمجال محور العلاقة بين المدربين بشكل عام في الجامعات الحكومية للوسط الحسابي (٢,١٤) ، والنسبة مئوية (٧١,٣٪) ، وفي الجامعات الخاصة الوسط الحسابي (١,٩٤) ، والنسبة المئوية (٦٤,٦٪) .

الجدول (٧)

مصادر التوتر المهني لدى مدربي الألعاب الرياضية في الجامعات الأردنية لمحور الراتب

الرقم	المحور	الجامعات الحكومية			الجامعات الخاصة		
	محور الراتب	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية
١	أشعر بأن راتبي غير مساو لواجباتي ومسؤولياتي	٢,٢٦	٠,٨٠٩	٧٥,٣٪	٢,٦٦	٠,٥٣٤	٨٨,٦٪
٢	أشعر بأنني أعمل براتب غير مناسب	٢,٣٢	٠,٧٨١	٧٧,٣٪	٢,٦٦	٠,٥٣٤	٨٨,٦٪
٣	اشعر بان مهنتي لا توفر لي الأمان المادي المطلوب	٢,٢٧	٠,٧٠٧	٧٥,٦٪	٢,٤٧	٠,٧٢٥	٨٢,٣٪
٤	اشعر بان راتبي لا يسد المستلزمات الرئيسة لحياتي	٢,٤٩	٠,٥٨٧	٨٣٪	٢,٦٨	٠,٥٧٤	٨٩,٣٪
	المجال العام	٢,٣٣	٠,٧٢١	٧٧,٨٪	٢,٦١	٠,٥٩١	٨٧٪

القيمة العظمى للفقرة الواحدة = ٣ ن (حكومية) = ٨٨

القيمة العظمى للمجال (١٢) درجة ن (خاصة) = ٣٨

يتضح من الجدول (٧) ، أن متوسط الأوزان النسبية للجامعات الحكومية والجامعات الخاصة ما بين (٨٣٪– ٧٥,٣) ، (٨٩,٣٪– ٨٢,٣٪) حيث أشارت القيمة الكلية لمجال محور العلاقة بين المدربين بشكل عام في الجامعات الحكومية للوسط الحسابي (٢,٣٣) ، والنسبة مئوية (٧٧,٨٪) ، وفي الجامعات الخاصة الوسط الحسابي (٢,٦١) ، والنسبة المئوية (٨٧٪) .

الجدول (٨)

لوسط الحسابي والانحراف المعياري والنسب المئوية لمصادر التوتر المهني للجامعات الاردنية على مجالات الدراسة

الرقم	المحور	الجامعات الحكومية			الجامعات الخاصة		
		الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية
١	الدعم الإداري	٢,١١	٠,٦٧٣	٪ ٧٠,٣	٢,٠٢	٠,٦٦٥	٪ ٦٧,٥
٢	العمل مع الطلاب	٢,١٥	٠,٦٢٨	٪ ٧١,٦	١,٩٧	٠,٦٦٩	٪ ٦٥,٦
٣	العلاقة بين المدربين	٢,١٣	٠,٦٧٦	٪ ٧١	١,٧٨	٠,٧٢٠	٪ ٥٩,٣

الرقم	المحور	الجامعات الحكومية			الجامعات الخاصة		
		الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية
٤	الإمكانات	٢,١٤	٠,٧١٥	٪ ٧١,٣	١,٩٤	٠,٧٩١	٪ ٦٤,٦
٥	الراتب	٢,٣٣	٠,٧٢١	٪٧٧,٨	٢,٦١	٠,٥٩١	٪ ٨٧
المجال العام		٢,١٧	٠,٦٨٢	٪ ٧٢,٤	٢,٠٦	٠,٦٨٧	٪ ٦٨,٦

أما بالنسبة إلى ترتيب محاور التوتر المهني للجامعات الحكومية، وبتحليل بيانات الجدول (٣) ، (٤) ، (٥) ، (٦) ، (٧) ، يشير الجدول (٨) ، إلى أن متوسط النسب المئوية محاور التوتر المهني كانت متوسطة على المحاور كافة حيث تراوح متوسط النسب المئوية للاستجابة بين (٧٠,٣٪– ٧٧,٨٪) ، وترتيبها على الآتي:

الأول: محور الراتب بنسبة (٧٧,٨٪) .

الثاني: محور العمل مع الطلاب بنسبة (٧١,٦٪) .

الثالث: محور الإمكانات بنسبة (٧١,٣٪) .

الرابع: محور العلاقة بين المدربين بنسبة (٧١٪) .

الخامس: محور الدعم الإداري بنسبة (٧٠,٣٪) .

أما بالنسبة إلى ترتيب محاور مصادر التوتر المهني في الجامعات الخاصة، وبتحليل بيانات الجدول (٣) ، (٤) ، (٥) ، (٦) ، (٧) ، يشير الجدول (٨) ، إلى أن متوسط النسب المئوية لمحاور مصادر التوتر المهني للجامعات الخاصة كانت متوسطة على المحاور كافة حيث تراوح متوسط النسب المئوية للاستجابة بين (٥٩,٣٪– ٨٧٪) ، وترتيبها على التوالي:–

الأول: محور الراتب بنسبة (٨٧٪) .

الثاني: محور الدعم الإداري بنسبة (٦٧,٥٪) .

الثالث: محور العمل مع الطلاب بنسبة (٦٥,٦٪) .

الرابع: محور الإمكانات بنسبة (٦٤,٦٪) .

الخامس: محور العلاقة بين المدربين (٥٩,٣٪) .

مناقشة النتائج:

◄ مناقشة النتائج المتعلقة بالسؤال الأول: **ما مصادر التوتر المهني لدى مدربي الألعاب الرياضية في الجامعات الأردنية؟**

يتضح من الجدول (٣) ، أن هناك اتفاقاً إيجابياً في درجة التوتر بالنسبة للمدربين في الجامعات الأردنية لمحور الدعم الإداري، وذلك لأن المجال العام أكبر من متوسط أداة القياس (٢) ، فبالتالي يظهر أن الفقرة (١) ، (أشعر بعدم دعم إدارة الجامعة) ، هي أعلى الفقرات إيجابية بالنسبة لفقرات مجال الدعم الإداري في الجامعات الحكومية، حيث حققت أعلى نسبة مئوية فكانت (٧٧،٣٪) ، ووسطها الحسابي (٢،٣٢) ، حيث أن مصادر التوتر المهني للمدربين في الجامعات الحكومية لمحور الدعم الإداري كانت متوسطة على جميع الفقرات، إذ تراوح متوسط النسب المئوية على هذه الفقرات بين (٦٣٪– ٧٧،٣٪) ، وأن المجموع الكلي لمصادر التوتر وصل متوسط النسب المئوية إلى (٧٠،٣٪) ، وهذا يدل أن مصادر التوتر لمحور الدعم الإداري في الجامعات الحكومية جاءت متوسطة، مما يشير إلى أن هذا المحور يشكل مصدراً من مصادر التوتر لدى المدربين بنسبة متوسطة بالنسبة إلى الجامعات الحكومية، ويفسر الباحثون ذلك إلى عدم تقدير الإدارة لجهود المدرب وإنجازاته في بعض الأحيان، وأن مثل هذه النتائج جاءت متفقة مع دراسة (محمد، ٢٠٠١؛ هياجنه، ٢٠٠٦) ، ولم تتفق مع نتائج دراسة (عمران، ١٩٩٦) .أما بالنسبة للجامعات الخاصة، فإن الفقرة (٢) ، (أشعر بأن عميد شؤون الطلبة في الجامعة لا يقدر عملي) ، هي أعلى الفقرات إيجابية بالنسبة لفقرات مجال، حيث حققت أعلى نسبة مئوية فكانت (٧٩٪) ، ووسطها الحسابي (٢,٣٧) ، حيث إن مصادر التوتر المهني للمدربين في الجامعات الخاصة لمحور الدعم الإداري كانت متوسطة على جميع الفقرات، إذ تراوح متوسط النسب المئوية للاستبانة على هذه الفقرات بين (٤٦,٣٪– ٧٩٪) ، وأن المجموع الكلي لمصادر التوتر وصل متوسط النسبة المئوية (٦٧,٥٪) ، مما يشير إلى أن هذا المحور يشكل مصدراً من مصادر التوتر لدى المدربين بنسبة متوسطة، ويفسر الباحثون ذلك إلى عدم تقدير الإدارة لجهود المدرب وإنجازاته في بعض الأحيان، وأن مثل هذه النتائج جاءت متفقة مع دراسة (محمد، ٢٠٠١؛ الكيلاني، ١٩٨٧) ، .

أما الجدول (٤) ، يوضح أن هناك اتفاقا إيجابياً في درجة التوتر بالنسبة للمدربين في الجامعات الحكومية لمحور العمل مع الطلاب حيث جاءت الفقرة (٢) ، (أحاول تحفيز الطلاب الذين يرغبون في التدريب) ، هي أعلى الفقرات إيجابية بالنسبة لفقرات مجال العمل مع الطلاب، حيث حققت أعلى نسبة مئوية فكانت (٩٣،٣٪) ، ووسطها الحسابي (٢،٨٠) ،

حيث كانت مصادر التوتر للمدربين لمحور العمل مع الطلاب متوسطة على جميع الفقرات، إذ تراوح متوسط النسب المئوية للاستجابة على هذه الفقرات بين (٤٥٪– ٩٣،٣٪) ، وأن المجموع الكلي لمصادر التوتر وصل متوسط النسب المئوية (٧١،٥٪) وهذا يدل أن مصادر التوتر لمحور العمل مع الطلاب جاءت متوسطة، مما يشير إلى أن هذا المحور يشكل مصدراً من مصادر التوتر لدى المدربين بنسبة متوسطة، ويفسر الباحثون السبب في ذلك إلى عوامل عدة تتمثل في اتجاهات الطلاب السلبية وضعف دافعيتهم للتعلم وعدم اهتمامهم بالمشاركة في التدريب والنشاطات اللامنهجية وغيرها من الأسباب التي تؤدي إلى شعور المدرب بالتوتر وتكوين اتجاهات سلبية نحو الطلاب، وأن هذه الإجابات واضحة وتهدف إلى أن تتضمن القدرة على ضبط الطلاب، والقدرة على تجديد أساليب التدريب وأن مثل هذه النتائج جاءت متفقة مع ما جاء في دراسة) محمد، ٢٠٠١؛ الطحاينة، حتامله، ٢٠٠٩) .أما بالنسبة للجامعات الخاصة فإن هناك اتفاقاً سلبياً في درجة التوتر بالنسبة للمدربين ناتج عن العمل مع الطلاب، وذلك لأن المجال العام أقل من متوسط أداة القياس (٢) ، حيث جاءت الفقرة (٢) ، (أحاول تحفيز الطلاب الذين يرغبون في التدريب) ، هي أعلى الفقرات إيجابية بالنسبة لفقرات مجال العمل مع الطلاب، وحققت أعلى نسبة مئوية فكانت (٨٩,٣) ، ووسطها الحسابي (٢,٦٨) ، حيث إن مصادر التوتر للمدربين لمحور العمل مع الطلاب كانت متوسطة على جميع الفقرات، إذ تراوح متوسط النسب المئوية للاستجابة على هذه الفقرات بين (٣٨,٦ – ٨٩,٣) ، وأن المجموع الكلي لمصادر التوتر وصل متوسط النسب المئوية (٦٥,٦٪) ، مما يشير إلى أن هذا المجال يشكل مصدراً من مصادر التوتر لدى المدربين بنسبة متوسطة، ويفسر الباحثون السبب في ذلك إلى عوامل عدة تتمثل في اتجاهات الطلاب السلبية وضعف دافعيتهم للتعلم وعدم اهتمامهم بالمشاركة في التدريب والنشاطات اللامنهجية وغيرها من الأسباب التي تؤدي إلى شعور المدرب بالتوتر وتكوين اتجاهات سلبية نحو الطلاب، وأن مثل هذه النتائج جاءت متفقة مع ما جاء في دراسة (الكيلاني، ١٩٨٧؛ onifade odedeey,2001) .

ويوضح الجدول (٥) ، أن هناك اتفاقاً إيجابياً في درجة التوتر بالنسبة للمدربين في الجامعات الحكومية لمحور العلاقة بين المدربين، حيث جاءت فقرة (٧) ، (أشعر بضعف العلاقة الاجتماعية بين المدربين في الجامعات) ، أعلى الفقرات إيجابية بالنسبة لفقرات مجال العلاقة بين المدربين، حيث حققت أعلى نسبة مئوية، فكانت (٧٩،٦٪) ، ووسطها الحسابي (٢،٣٩) ، حيث كانت مصادر التوتر للمدربين لمجال العلاقة بين المدربين كانت متوسطة على جميع الفقرات، إذ تراوح متوسط النسب المئوية للاستجابة على هذه الفقرات بين (٦١٪– ٧٩،٦٪) ، وأن المجموع الكلي لمصادر التوتر وصل إلى متوسط النسب المئوية

(٧١٪) ، وهذا يدل أن مصادر التوتر لمحور العلاقة بين المدربين في الجامعات الحكومية جاءت متوسطة، مما يشير إلى أن هذا المحور يشكل مصدراً من مصادر التوتر لدى المدربين بنسبة متوسطة.ويفسر الباحثون ذلك بإمكانية وجود عدد من المدربين ذوي الدافعية العالية تجاه العملية التدريبية والراغبين في التعاون مع الإدارة والزملاء، بالإضافة إلى عدم وجود خلافات بين المدربين، مما يؤدي إلى شعور مدرب الألعاب الرياضية بالراحة الجسدية والنفسية، وبالتالي يتولد لدى المدرب شعور بالراحة وعدم التوتر.أما بالنسبة إلى الجامعات الخاصة، فإن هناك اتفاقاً سلبياً في درجة التوتر بالنسبة للمدربين لمحور العلاقة بين المدربين، وذلك لأن المجال العام أقل من متوسط أداة القياس (٢) ، حيث جاءت فقرة (١) ، (أشعر بأن بعض المدرسين في الجامعة لا يقدر قيمة عملي في التربية الرياضية) ، أعلى الفقرات إيجابية بالنسبة لفقرات مجال العلاقة بين المدربين، حيث حققت أعلى نسبة مئوية، فكانت (٧٢,٦٪) ، ووسطها الحسابي (٢,١٨) ، حيث كانت مصادر التوتر للمدربين لمجال العلاقة بين المدربين كانت متوسطة على جميع الفقرات، إذ تراوح متوسط النسب المئوية للاستجابة على هذه الفقرات بين (٥١٪ ٧٢,٦٪) ، وأن المجموع الكلي لمصادر التوتر وصل متوسط النسب المئوية (٥٩,٣٪) ، مما يشير إلى أن هذا المجال يشكل مصدراً من مصادر التوتر لدى المدربين بنسبة متوسطة، ويفسر الباحثون بإمكانية وجود عدد من المدربين ذوي الدافعية العالية تجاه العملية التدريبية والراغبين في التعاون مع الإدارة والزملاء، بالإضافة إلى عدم وجود خلافات بين المدربين، مما يؤدي إلى شعور مدرب الألعاب الرياضية بالراحة الجسدية والنفسية، وبالتالي يتولد لدى المدرب شعور بالراحة وعدم التوتر.وأن مثل هذه النتائج جاءت غير متفقة مع دراسة (عمران، ١٩٩٦؛ المنشاوي، ١٩٩٤) ، التي أشارت إلى أن العلاقة مع الزملاء لا تشكل مصدراً مهماً للتوتر عند المدربين.

ويوضح الجدول (٦) ، أن هناك اتفاقاً إيجابياً في درجة التوتر بالنسبة للمدربين في الجامعات الحكومية لمجال الإمكانات، حيث جاءت فقرة (٣) ، (اشعر بعدم تخصيص مبلغ كاف للصرف على الأنشطة الرياضية) ، أعلى الفقرات إيجابية بالنسبة لفقرات مجال الإمكانات، حيث حققت أعلى نسبة مئوية فكانت (٩٠٪) ، ووسطها الحسابي (٢،٧٠) ، حيث كانت مصادر التوتر للمدربين لمجال الإمكانات كانت متوسطة على جميع الفقرات، إذ تراوح متوسط النسب المئوية للاستجابة على هذه الفقرات بين (٥٥,٣٪– ٩٠٪) ، وأن المجموع الكلي لمصادر التوتر وصل متوسط النسبة المئوية (٧١,٣٪) ، وهذا يدل على أن مصادر التوتر لمحور الإمكانات جاءت متوسطة، مما يشير إلى أن هذا المحور يشكل مصدراً من مصادر التوتر لدى المدربين بنسبة متوسطة، ويفسر الباحثون السبب في شعور المدرب بالتوتر في هذا المجال إلى مجموعة من العوامل التي تتمثل في قلة الإمكانات

المادية المتوافرة في الجامعات الحكومية بشكل عام، وعدم توافر الميزانيات اللازمة لشراء الأجهزة، والأدوات الرياضية والاتفاق على الأنشطة الرياضية، وأن مثل هذه النتائج جاءت متفقة مع دراسة كل من (عبدالرحيم، الزروق، ٢٠٠٧؛ Onifade & Odedeey 1200) ، .أما بالنسبة للجامعات الخاصة فإن هناك اتفاقاً سلبياً في درجة التوتر بالنسبة للمدربين في الجامعات الخاصة لمحور الإمكانات، حيث جاءت فقرة (٣) ، (اشعر بعدم تخصيص مبلغ كاف للصرف على الأنشطة الرياضية) ، أعلى الفقرات إيجابية بالنسبة لفقرات مجال الإمكانات، وحققت أعلى نسبة مئوية فكانت (٧٤,٦٪) ، ووسطها الحسابي (٢,٢٤) ، حيث إن مصادر التوتر للمدربين لمجال الإمكانات كانت متوسطة على جميع الفقرات، إذ تراوح متوسط النسب المئوية للاستجابة على هذه الفقرات بين (٥٩,٦٪– ٧٤,٦٪) ، وأن المجموع الكلي لمصادر التوتر وصل متوسط النسب المئوية (٦٤,٦٪) ، مما يشير إلى أن هذا المجال يشكل مصدراً من مصادر التوتر لدى المدربين بنسبة متوسطة، ويعزو الباحثون السبب في شعور المدرب بالتوتر في هذا المجال إلى مجموعة من العوامل التي تتمثل في قلة الإمكانات المادية المتوافرة في الجامعات الحكومية بشكل عام، وعدم توافر الميزانيات اللازمة لشراء الأجهزة، والأدوات الرياضية والاتفاق على الأنشطة الرياضية، وأن مثل هذه النتائج جاءت متفقة مع دراسة كل من: (عبدالرحيم، وعبدالرحمن، ١٩٩٩؛ Onifade & Odedeey,2001).

ويوضح الجدول (٧) ، أن هناك اتفاقاً إيجابياً في درجة التوتر بالنسبة للمدربين في الجامعات الأردنية (الحكومية والخاصة) لمحور الراتب، حيث جاءت الفقرة (٤) في الجامعات الحكومية، (أشعر بأن راتبي لا يسد المستلزمات الرئيسة لحياتي) ، أعلى الفقرات إيجابية بالنسبة لفقرات مجال الإمكانات، حيث حققت أعلى نسبة مئوية فكانت (٨٣٪) ، ووسطها الحسابي (٢,٤٩) ، حيث كانت مصادر التوتر للمدربين لمجال الإمكانات عالية على جميع الفقرات، إذ تراوح متوسط النسب المئوية للاستجابة على هذه الفقرات بين (٧٥,٣٪– ٨٣٪) ، وأن المجموع الكلي لمصادر التوتر وصل متوسط النسب المئوية (٧٧,٨٪) ، مما يشير إلى أن هذا المحور يشكل مصدراً من مصادر التوتر لدى المدربين بنسبة عالية في الجامعات الحكومية.أما بالنسبة للجامعات الخاصة، جاءت فقرة (٤) ، (أشعر بأن راتبي لا يسد المستلزمات الرئيسة لحياتي) ، أعلى الفقرات إيجابية بالنسبة لفقرات مجال الراتب، وحققت أعلى نسبة مئوية فكانت (٨٩,٣٪) ، ووسطها الحسابي (٢,٦٨) ، حيث إن مصادر التوتر للمدربين لمجال الراتب كانت عالية على جميع الفقرات، إذ تراوح متوسط النسب المئوية للاستجابة على هذه الفقرات بين (٨٢,٣٪– ٨٩,٣٪) ، وأن المجموع الكلي لمصادر التوتر وصل متوسط النسب المئوية (٨٧٪) ، مما يشير إلى أن هذا

المحور يشكل مصدراً من مصادر التوتر لدى المدربين بنسبة عالية، ويفسر الباحثون ذلك بأن هذه النتيجة متوقعة في ظل الظروف والأوضاع الاقتصادية الصعبة التي يعيشها المدرب، مما يولد لدى المدرب شعور بالتوتر ويدفعه إلى التفكير في ترك المهنة، وأن مثل هذه النتائج جاءت متفقة مع دراسة كل من: (المشري، ١٩٩٩؛ عمران، ١٩٩٦؛ هياجنه، ٢٠٠٦) ، بالنسبة للجامعات الأردنية الحكومية والخاصة.

أما الجدول (٨) فيشير بشكل عام إلى أن درجة مصادر التوتر المهني لدى مدربي الألعاب الرياضية في الجامعات الحكومية متوسطة، حيث وصل متوسط النسب المئوية للاستجابة إلى (٧٢,٤ ٪) ، ويرى الباحثون أن مثل هذه النتائج جاءت منسجمة مع ما أشارت إليه كل من دراسة: (عبدالرحيم، والزروق ٢٠٠٧؛ الطحاينة، وحتاملة، ٢٠٠٩) .وأن درجة مصادر التوتر المهني لدى مدربي الألعاب الرياضية في الجامعات الخاصة متوسطة، حيث وصل متوسط النسب المئوية للاستجابة إلى (٦٨,٦٪) ، ويرى الباحثون أن مثل هذه النتائج جاءت منسجمة مع ما أشار إليه كل من: (الكيلاني، ١٩٨٧؛ محمد، ٢٠٠١) ، ولم تتفق مع ما جاءت به دراسة (المشري، ١٩٩٩) .

◄ التساؤل الثاني:- **هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة** (α= ٠,٠٥) **في التوتر المهني لدى مدربي الألعاب الرياضية في الجامعات الأردنية تُعزى إلى متغير الجنس؟** .لقد تم استخدام اختبار **(t test for independent sample)** حيث تم التوصل إلى النتائج الآتية كما هو مبين في جدول (٩) :

الجدول (٩)

الوسط الحسابي والانحراف المعياري وقيمة (ت) تبعا لمتغير الجنس في الجامعات الأردنية

الرقم	لمحور	الجنس	الجامعات الحكومية				الجامعات الخاصة			
		ذكور = ٦٦ اناث = ٢٢	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ت	مستوى الدلالة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ت	مستوى الدلالة
١	الدعم الاداري	ذكور	٢,٠٧	٠,٥٠٠	-٠,٤٠٩	غير دال	٢,٣٣	٠,٤٢٦	-٠,٧٩٧	غير دال
		اناث	٢,١٥	٠,٤٢٤			٢,٤٣	٠,١٧٢		
٢	العمل مع الطلاب	ذكور	٢,١٨	٠,٢٥٥	١,٤٩١	غير دال	٢,٢٤	٠,٣٢٨	١,٢٥٥	غير دال
		اناث	٢,٠٣	٠,٣٣٨			٢,٠٤	٠,٣٣٢		
٣	العلاقة بين المدربين	ذكور	١,٨٨	٠,٤٢٥	-٠,٣٠٤	غير دال	٢,٢٠	٠,٤٤٩	٠,٠٠٠	غير دال
		اناث	١,٩٣	٠,٤٩٧			٢,٢٠	٠,٣٦٧		

الرقم	لمحور	الجنس	الجامعات الحكومية				الجامعات الخاصة			
		ذكور = ٦٦ اناث = ٢٢	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ت	مستوى الدلالة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ت	مستوى الدلالة
٤	الامكانات	ذكور	١,٨٣	٠,٣٨٠	-٠,٨١٧	غير دال	١,٩٠	٠,٥٣٠	-١,٤٤٩	غير دال
		اناث	١,٩٥	٠,٤١٦			٢,٢٥	٠,٤٠٤		
٥	الراتب	ذكور	١,٦٢	٠,٦٩٩	١,٦٢٦	غير دال	١,٦٥	٠,٦٢٥	٠,٥٢٧	غير دال
		اناث	٢,٠٥	٠,٧٧٩			١,٥٠	٠,٤٧٤		

قيمة (ت) الجدولية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) = ٢,٠٩

يشير الجدول (٩) ، أن قيمة (ت) المحسوبة ليست ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) بالنسبة لمتغيرات الدراسة في الجامعات الحكومية، وبالتالي لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مصادر التوتر المهني لدى مدربي الألعاب الرياضية في الجامعات الحكومية تُعزى إلى متغير الجنس، أما بالنسبة للجامعات الخاصة، فإن قيمة (ت) المحسوبة ليست ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (∞ = ٠,٠٥) بالنسبة لمتغيرات الدراسة، وبالتالي لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مصادر التوتر المهني لدى مدربي الألعاب الرياضية في الجامعات الخاصة تُعزى إلى متغير الجنس، ويعزو الباحثون أن هذه الدلالة لمصادر التوتر المهني في الجامعات الأردنية ركَّزت على النواحي الإدارية والمالية والعمل مع الطلاب مع عدم مراعاة الفروق بين الذكور والإناث في مصادر التوتر المهني، وهذا يتفق مع دراسة (الطحاينة، وحتاملة، 2009؛ Stilger, Lantz, 2000) .

◄ التساؤل الثالث:- **هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α=٠,٠٥) في التوتر المهني لدى مدربي الألعاب الرياضية للجامعات الأردنية تعزى إلى متغير الجامعة؟** .لقد اُستخدم اختبار (t test for independent sample) حيث تم التوصل إلى النتائج الآتية كما هو مبين في الجدول (١٠) :

الجدول (١٠)

الوسط الحسابي والانحراف المعياري وقيمة (ت) تبعاً لمتغير الجامعة

الرقم	المحور	الجامعة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ت	مستوى الدلالة
١	الدعم الاداري	حكومية	٢,٠٩	٠,٤٧٧	-٢,٢٢٣	دال
		خاصة	٢,٣٦	٠,٣٧٠		

الرقم	المحور	الجامعة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ت	مستوى الدلالة
٢	العمل مع الطلاب	حكومية	٢,١٥	٠,٢٨٢	-٠,٤١٥	غير دال
		خاصة	٢,١٨	٠,٣٣٤		
٣	العلاقة بين المدربين	حكومية	١,٩٠	٠,٤٣٨	-٢,٦٣١	دال
		خاصة	٢,٢٠	٠,٤١٨		
٤	الامكانات	حكومية	١,٨٦	٠,٣٨٧	-١,٠٦٧	غير دال
		خاصة	٢,٠٠	٠,٥١٣		
٥	الراتب	حكومية	١,٧٣	٠,٧٣٥	٠,٦٦٦	غير دال
		خاصة	١,٦٠	٠,٥٧٨		

قيمة (ت) الجدولية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) = ٢,٠٩

يشير الجدول (١٠) ، أنه اُستخدم اختبار (t test for independent sample) ، حيث تبين أن قيمة (ت) المحسوبة ليست ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) ، وبالتالي لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية في مصادر التوتر المهني لدى مدربي الألعاب الرياضية في الجامعات الأردنية (الحكومية والخاصة) ، بالنسبة لمتغيرات العمل مع الطلاب، والإمكانات، والراتب.أما بالنسبة لمتغير الدعم الإداري، والعلاقة بين المدربين فقد أظهرت النتائج أن قيمة (ت) المحسوبة ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) ، وأنه يوجد فروق ذات دلالة إحصائية في مصادر التوتر المهني لدي مدربي الألعاب الرياضي في الجامعات الأردنية تعزى إلى متغير الجامعة، حيث تبين أن الفروقات تميل لصالح الجامعات الخاصة ذات المتوسط الحسابي الأعلى، ويعزو الباحثون ذلك إلى أن مدربي الألعاب الرياضية في الجامعات الخاصة يحظون بدعم أكثر من قبل إدارة الجامعة، وأن العلاقة بين المدربين لا باس بها حيث أكدت الدراسة بعدم وجود تنافس أو خلافات بين المدربين، وهذا يتفق مع دراسة (محمد، ٢٠٠١؛ الطحاينة، حتاملة، ٢٠٠٦).

الاستنتاجات:

في ضوء عرض نتائج الدراسة ومناقشتها يستنتج الباحثون ما يأتي:-

- ♦ أولا:- الحاجة إلى الاهتمام بالمدرب الرياضي لأنه يعد من الشخصيات التربوية والقيادية التي تؤثر تأثيراً مباشراً على شخصية اللاعب.
- ♦ ثانياً:- الحاجة إلى زيادة المنشأت الرياضية والملاعب في الجامعات الأردنية.
- ♦ ثالثاً:- الحاجة إلى زيادة الدعم المادي والإداري لمدربي الألعاب الرياضية في الجامعات الأردنية.
- ♦ رابعاً:- الحاجة إلى زيادة رواتب مدربي الألعاب الرياضية في الجامعات الأردنية.

التوصيات:

في ضوء هذه الدراسة وما تحقق من الأهداف، والاستنتاجات المسندة من العرض والتحليل الإحصائي لبيانات الدراسة يوصي الباحثون بما يأتي:

- ♦ أولا: ضرورة إقامة وتوسيع المنشات الرياضية الحالية وزيادة المبالغ المقررة للأنشطة الرياضية الجامعية.
- ♦ ثانياً: ضرورة زيادة رواتب مدربي الألعاب الرياضية في الجامعات الأردنية لمواجهة تدني المستوى الاقتصادي وارتفاع و ارتفاع مستوى المعيشة.
- ♦ ثالثاً: إعداد برامج ودورات تدريبية للمدربين في كيفية مواجهة التوتر وتبصرهم بالطرق والأساليب العلمية لاحتوائها والتغلب عليها.

المصادر والمراجع:

أولاً- المراجع العربية:

١. الطحاينة، زياد وحتامله، محمود (٢٠٠٩) . مصادر الضغوط المهنية لدى معلمي التربية الرياضية في محافظة الزرقاء ورغبتهم بترك التدريس، كلية التربية الرياضية، المؤتمر العلمي الرياضي السادس، الجامعة الأردنية، ص٣٩– ٥٤.

٢. السمادوني، ابراهيم (١٩٨٩) . تقدير المعلم للضغوط المهنية وعلاقته بوجه الضبط الداخلي والخارجي وبعض التغيرات الديمجرافية، كلية التربية، المؤتمر الثاني للمعلم، جامعة قناة السويس، ص١٧٠– ١٩٨.

٣. الشقيرات، محمد (٢٠٠٠) . الضغوط النفسية وتأثيرها على الصحة النفسية والصحة الجسمية وعلاقتها ببعض العوامل الديموغرافية عند أعضاء هيئة التدريس في جامعة مؤتة، مجلة جامعة أسيوط، ص٢٥٠– ٢٨٠.

٤. الطالب، نزار والويس، كامل (١٩٩٣) . علم النفس الرياضي، در الحكمة للطباعة والنشر، بغداد.

٥. الفاعوري، فايزة (١٩٩٠) . الضغوط المهنية التي تواجه معلمات التربية الخاصة في الأردن، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، الأردن.

٦. الفرماوي، حمدي (١٩٩٠) . مستوى ضغط المعلم وعلاقته ببعض المتغيرات، أبحاث المؤتمر السنوي الثالث للطفل المصري ، تنشئته ورعايته، مركز دراسات الطفولة ، جامعة عين شمس ص٦٨– ٩٥.

٧. الكيلاني، محمد (١٩٨٧) . دراسة تحليلية للضغوط التي يعاني منها مدرسو التربية الرياضية ، المؤتمر العلمي، تطور علوم الرياضة، المجلد الثالث ، كلية التربية الرياضية ، جامعة المنيا، ص٣٣– ٦٠.

٨. المشري، بلعيد (١٩٩٩) . العلاقة بين الضغوط المهنية والتوافق النفسي لدى معلمي ومعلمات التربية البدنية في منطقة طرابلس، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية البدنية، جامعة الفاتح.

٩. المنشاوي، رياض (١٩٩٤) . الضغوط المهنية لدى مدربي المعاقين حركيا وعلاقتها في تقدير الذات، المؤتمر العلمي ، كلية التربية الرياضية، جامعة المنيا، ص١٣٧– ١٦٧.

١٠. باهي، مصطفى واشرف، مسعد (١٩٩٥) . الضغوط النفسية لدى مدربي رياضة المبارزة، المؤتمر العلمي، كلية التربية الرياضية، جامعة المنيا، ص٢٢- ٥٥.

١١. حداد، بولص (٢٠٠٥) . مصادر الضغط لدى حكام الألعاب الجامعية في الأردن، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن.

١٢. حسني، محمد ومحمود، حسني (١٩٩٣) . ضغوط العمل لدى المعلمين وعلاقتها بنمط السلوك القيادي لناظري المدرسة، مجلة الأبحاث التربوية، (٣٤) ، كلية التربية، جامعة الأزهر، ص١٢٠- ١٥٥.

١٣. راتب، أسامة كامل (١٩٩٧) . علم نفس الرياضة، القاهرة، دار الفكر العربي.

١٤. سمرين، هاني (١٩٩٥) . مصادر ومستويات القلق النفسي لدى لاعبي ولاعبات المنتخبات الجماعية في الأردن، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية الرياضية الجامعة الأردنية، عمان.

١٥. عبدالرحيم، محمد والزروق، وجمال بلقاسم (٢٠٠٧) . دراسة الانفعالات والضغوط المهنية لمدرسي ومدرسات التربية البدنية بمرحلة التعليم الأساسي في طرابلس، المؤتمر العلمي الأول، دور كليات وأقسام ومعاهد التربية الرياضية في تطوير الرياضة العربية، كلية التربية الرياضية، الجامعة الأردنية، الأردن ص ٣٥١- ٣٦١.

١٦. عبدالرحيم، محمد وعبدالرحمن، الاء (١٩٩٩) . دراسة تقويم طرق التدريس المستخدمة في كلية التربية البدنية بجامعة الفاتح، مجلة المؤتمر الأول، كلية التربية البدنية غات، ص١١١- ١٤٠.

١٧. علاوي، محمد (١٩٩٨) . مدخل في علم النفس الرياضي، ط ١، مركز الكتاب للنشر، القاهرة.

١٨. عمران، صبري (١٩٩٦) . دراسة مقارنة للضغوط النفسية لدى بعض العاملين في مجال الرياضي في محافظة الغربية والمنيا، رسالة الماجستير، كلية التربية الرياضية، جامعة طنطا.

١٩. محمد، جمال (٢٠٠١) . الضغوط النفسية المرتبطة في المنافسة الرياضية لدى النشء الرياضي (دراسة ارتقائية – مقارنة) ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة حلوان، القاهرة.

٢٠. محمد، عبد العزيز (٢٠٠٥) . سيكولوجية مواجهة الضغوط في المجال الرياضي، القاهرة: مركز الكتاب للنشر.

٢١. هياجنة، أحمد (٢٠٠٦) . مصادر القلق النفسي لدى لاعبي ولاعبات كرة اليد في الأردن، بحث منشور، مجلة العلوم التربوية والنفسية، مجلد ٧ العدد ٤ ص ٢٩– ٦٠.

ثانياً- المراجع الأجنبية:

1. *Moracco, Dan ford, and Ray Mond, (1982) , The factorial validity of the teacher occupational stress factor questionnaire, Educational and Psycholgical Measurement,42.*
2. *Onifade, A. , & Odedeyi, O. (2001) . Occupational stress factors among Nigerian physical education leaders. Journal of the International Council for Health, physical education and Recreation, 37 (3) ,6- 10.*
3. *Stilger, V. G. , Etzel, E. F. , & Lantz, C. (2000) . Life- stress sources and symptoms of collegiate student athletic trainers. Journal of Athletic Training ,36 (4) ,401- 407.*

من بلاغة الخِطاب عندُ أبي بكر الصدِّيق
ـ رضيَ اللّه عَنه ـ
خُطبته لمـَّا بُويـع بالخلافة نموذجًا
دراسة تحليلية *

د. حسين أحمد علي أبو كتة الدراويش**

* تاريخ التسليم: ٢٢/ ١٢/ ٢٠١٠م، تاريخ القبول: ٢٦/ ٣/ ٢٠١١م.
** أستاذ مشارك، دائرة اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة القدس/ أبو ديس/ القدس/ فلسطين.

ملخص:

يوضح هذا البحث الأساليب البيانية، في خطبة أبي بكر الصديق، رضي **الله** عنه، لما بويع بالخلافة، في تلك الفترة الزمنية الحرجة، من حياة الأمة الإسلامية، تلك الخطبة التي لا يزال صداها ماثلاً حتى اليوم.

ويتكون هذا البحث من ثلاثة محاور رئيسية، هي:

- المحور الأول: في بلاغة الصديق، ودقة فهمه لآي الذكر الحكيم.
- والمحور الثاني: في نصين اثنين من كلام الصديق، رضي **الله** عنه.
- والمحور الثالث: في الأساليب البيانية، في خطبة الصديق بعد مبايعته بالخلافة.

وقد كشف هذا البحث عن بلاغة الصديق المتميزة، في هذه الخطبة، فهي تحفة فنية، أدبية، سياسية، تؤتي أكلها في كل وقت وحين.

وما أجدرنا ساسة وأدباء وخطباء بالاقتداء بها، مبنىً ومعنىً.

Abstract:

This research explains the rhetorical styles in the speech of Abu Bakir As- Sidiq- Gods bless him – when he was proclaimed Caliph during a very critical period in the life of the Islamic nation. The significance of this speech is still echoed till this present time. ***The research is based on three main aspects:***

First aspect: *The eloquence of Abu Bakir As- Sidiq and his precise comprehension of the Quranic verses.*

Second aspect: *Two texts are quoted from the speech of Abu Bakir As- Sidiq.*

Third aspect: *The rhetorical styles in the speech of Abu Bakir As- Sidiq.*

This research reveals the outstanding eloquence of Abu Bakir As- Sidiq's speech: it is an artistic, literary and political masterpiece that serves its purpose and knows no time or place boundaries.

It's worthy of us as politicians, scholar, and orators to take this speech as a model both for its structure and significance.

مقدمة:

القرآن الكريم هو كتاب الله البليغ المعجز، الذي لا يصل إلى بلاغته أحد من البشر. ثم يأتي بعده الحديث النبوي الشريف، من حيث البلاغة والبيان. ويأتي بعدهما بيان الصحابة، رضوان الله عليهم، وعلى رأسهم أبو بكر الصدِّيق، رضي الله عنه، فبيانه أبلغ بيان بعد بيان النبي، صلى الله عليه وسلم، ومن بلاغة الصدِّيق خطبته لمَّا بويع بالخلافة، تلك الخطبة التي قيلت في فترة زمنية حرجة، من حياة الأمة الإسلامية، فكانت آية في البيان، ونظرًا لأهميتها كانت هذه الدراسة حولها، لتوضيح أبرز الأساليب البيانية فيها.

وقد جاءت هذه الدراسة في تلخيص، ومقدمة وتمهيد، وثلاثة محاور رئيسية، وخاتمة. أما التلخيص فقد أورد الباحث فيه خلاصة موجزة للدراسة. وأما المقدمة فقد بيَّن الباحث فيها معالم الدراسة وأهميتها. **وأما التمهيد فقد جاء في خمس نقاط هي**:

الأولى: تعريف موجز بالصدِّيق، رضي الله عنه.

والثانية: حدود البحث وأبعاده.

والثالثة: دوافع البحث وأسبابه.

والرابعة: صعوبات البحث ومشكلاته.

والخامسة: منهج البحث وطريقته.

وأما محاور البحث فهي ثلاثة، هــي:

المحور الأول: في بلاغة الصديق، ودقة فهمه لآي الذكر الحكيم.

والمحور الثاني: نصان اثنان من أدب الصديق، رضي الله عنه، يدلان على بلاغته.

والمحور الثالث: أبرز الأساليب البيانية، في تلك الخطبة.

وأخيراً جاءت الخاتمة متضمنة نتائج البحث، وأهم التوصيات.

تمهيد:

النقطة الأولى: تعريف موجز بالصدِّيق، رضي الله عنه:

أبو بكر الصديق هو أول الخلفاء الراشدين، وأول من آمن بالرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، من الرجال، ولد بمكة سنة (٥١ ق. هـ) ، ونشأ سيداً من سادات قريش، وغنياً

من كبار موسريهم، وعالماً بأنساب القبائل، كانت له في عصر النبوة مواقف كثيرة، فشهد الحروب واحتمل الشدائد، وبذل الأموال في سبيل **الله**، ونصرة رسول **الله**، صلى **الله** عليه وسلم.

بويع بالخلافة يوم وفاة النبي، صلى **الله** عليه وسلم، في السنة (١١ هـ) ، فحارب المرتدين والممتنعين عن دفع الزكاة، وافتتحت في أيامه بلاد الشام، وقسم كبير من العراق. كان موصوفاً بالحلم، والرأفة بالعامة، وكان خطيباً بليغاً لسناً، وشجاعاً بطلاً، تولى الخلافة مدة سنتين، وثلاثة أشهر، ونصف الشهر، توفي في المدينة المنورة سنة (١٣ هـ) . وله في كتب الحديث: مائة واثنان وأربعون حديثاً. قيل: كان لقبه الصديق في الجاهلية. وقيل: في الإسلام، لتصديقه النبي، صلى **الله** عليه وسلم، في خبر الإسراء [١] .

والنقطة الثانية: حدود البحث وأبعاده:

يُبين هذا البحث أبرز الأساليب البيانية في خطبة الصديق لما بويع بالخلافة، وقد تواترت الروايات والمصادر في ذكر هذه الخطبة حتى وصلت إلينا ثابتةً النسبة إلى أبي بكر الصدِّيق، وربما يكون قصرها ووجازتها من أسباب حفظها، وسهولة تدوينها حتى وصلت إلينا كما هي بألفاظها. فهي تقع في ما يقرب من أربعة أسطر، وهذا سهَّل أمر حفظها، وتناقلها عبر الأجيال، حتى وصلت إلينا سليمةً من التحريف والانتحال.

والنقطة الثالثة: من دوافع البحث ما يأتي:

١. بلاغة أدب الصحابة على وجه العموم، ورغم بلاغة هذا الأدب السامي، إلا أنه كما يقول أبو الحسن الندوي، رحمه **الله** تعالى: «لم يحظ من دراسة الأدباء والباحثين وعنايتهم، ما حظي به الأدب الصناعي، مع أنه هو الأدب الذي تجلت فيه عبقرية اللغة العربية وأسرارها، وبراعة أهل اللغة ولباقتهم، وهو مدرسة الأدب الأصيلة الأولى» [٢] . وهذا الكلام على قدرٍ عالٍ من الصحة فلم أجد أية دراسة سابقة تعالج بلاغة خطبة الصدِّيق سابقة الذكر.

٢. أهمية خطبة الصديق هذه، وعظيمة خطرها، يقول في ذلك الإمام محمد عبده، رحمه **الله** تعالى: »هذه الخطبة التي ألقاها الصديق عند توليه الخلافة، هي أعظم ما كتب في شأن الولاية الإمارة».

٣. هذه الخطبة تحفة فنية في الأداء البياني، علاوة عما فيها من صدق وعدل، وهذه الصفات توجب الكتابة في بلاغتها، للاقتداء بها في الصدق، وتوفير الزمان عن الناس، بإيراد المراد بأسهل عبارة، وأيسر خطاب.

والنقطة الرابعة: صعوبات البحث ومشكلاته.

ثمة مشكلات عدة اعترضت البحث منها:

١. عدم وجود المصادر والمراجع التي تتحدث عن بلاغة الصديق، رغم كثرة المصادر والمراجع التي تحدثت عن سيرة الصديق ووفرتها، إلا أن هذه المصادر والمراجع قد أغفلت الحديث عن بلاغة الصديق بعامة، وأغفلت الحديث عن بلاغة خطبته هذه بخاصة.

٢. اكتناز البلاغة في خطبة الصديق، فالبلاغة فيها عميقة ودقيقة، وكامنة في كل جملة منها، إلى درجة أنها تكاد تستعصي على الدراسة، وتنغلق في وجه الباحث، مما يجعل من الصعوبة بمكان الدخول إلى مخبَّآتها الدفينة، واكتشاف أسرارها الخفية.

٣. التحرج من أي كلام، أو وصف يتعلق بالصديق وبلاغته، فالخطأ في حق الصديق في أثناء الكتابة عنه أو عن خطبته يختلف عن الخطأ بحق غيره، لتميزه بالصحبة للنبي، صلى **الله** عليه وسلم فله وافر المحبة والتقدير والحشمة.

والنقطة الخامسة: منهج البحث وطريقته:

نظرا للصعوبات السابقة، والمشكلات التي اعترضت طريق البحث، **فقد سلك الباحث المناهج الآتية للتغلب على هذه الصعوبات وهي:**

١. المنهج الموضوعي، في الاقتصار على موضوع واحد من أدب الصديق، وهو «خطبته هذه»، وعدم الخروج عن هذا الموضوع إلا في الحديث عن بلاغة الصديق على وجه العموم.

٢. المنهج الوصفي، في وصف بلاغة الصديق على وجه الإجمال.

٣. المنهج التحليلي، في استنباط الأساليب البيانية في خطبته، رضي **الله** عنه، واستجلاء الوجوه البلاغية منها.

محاور البحث:

١. **المحور الأول: بلاغة الصدِّيق، ودقة فهمه لآي الذكر الحكيم:**

لقد اصطفى **الله**، عز وجل، سيدنا محمدا، صلى **الله** عليه وسلم، على الأولين والآخرين، واصطفى له خير الناس، بعد النبيين، فجعلهم أصحابه، وصدق **الله** العظيم، إذ يقول: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٤) . ومن بين أصحابه الكرام أبو بكر الصديق، رضي **الله** عنه، فهو صاحب النبي، صلى **الله** عليه وسلم، في الغار، والخليفة بعده، صلى **الله** عليه وسلم.

وقد أوتي فهما دقيقا وعميقا لكتاب **الله**، عز وجل، ويظهر هذا الفهم في استحضاره الكامل لكل معاني القران، وهو يقتبس آية منه، أو يستشهد بأخرى، أو يستنبط حكما من أحكامه، ومن الصور الدالة على ذلك أنه لما توفي النبي، صلى **الله** عليه وسلم، «اضطرب المسلمون، فمنهم من دهش، فخولط، ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية، وكان من هؤلاء عمر، رضي **الله** عنه، فبلغ الخبر أبا بكر، فجاء مسرعا، فدخل المسجد، وعمر يكلِّم الناس، وهم مجتمعون عليه، فتكلم أبو بكر، وتشهد، وحمد **الله**، فاقبل الناس إليه، وتركوا عمر، فقال: من كان يعبد محمدا، فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد **الله** فإن **الله** حي لا يموت»، وتلا قوله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ **اللَّهَ** شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي **اللَّهُ** الشَّاكِرِينَ) (٥) .

«فاستيقن الناس كلهم بموته، صلى **الله** عليه وسلم، وكأنهم لم يسمعوا هذه الآية من قبل أن يتلوها أبو بكر، فتلقاها الناس منه، فما يُسمع أحد إلا يتلوها» (٦) . فلولا أن قيض **الله** للأمة في تلك اللحظات الحرجة أبا بكر لوقع بالأمة من المصائب مالا تحمد عقباه، فقد كانت فطنة أبي بكر وبلاغته، وقوة فهمه نبراسا تهتدي به الأمة، في أحلك ظروفها، وأشدها قسوة.

ومنها احتجاج أبي بكر يوم السقيفة على الأنصار بقوله: «إن **الله** سمانا ((الصادقين)) ، وسماكم ((المفلحين)) ، وقد أمركم أن تكونوا معنا حيث كنا»، إشارة على قوله تعالى: (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ **اللَّهِ** وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ **اللَّهَ** وَرَسُولَهُ ۚ أُولَـٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (٧) .

"فتذكرت الأنصار ذلك، وانقادت له" (٨) .

وكذلك موقفه من المرتدين، وقد كان المرتدون أربعة أصناف: «صنف عادوا إلى عبادة الأوثان والأصنام، وصنف اتبعوا المتنبئين الكذبة، ومنهم: الأسود العنسي، ومسيلمة الكذاب، وسجاح التميمية، وصنف أنكروا وجوب الزكاة وجحدوها، وصنف لم ينكروا وجوبها، ولكنهم أبوا أن يدفعوه لأبي بكر»(٩) . «وقد أشار بعض الصحابة، ومنهم عمر على الصديق بأن يترك مانعي الزكاة، ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان من قلوبهم، ثم هم بعد ذلك يزكون، فامتنع الصديق عن ذلك وأباه» (١٠) .

فأبى الصديق ذلك، وقال: «**والله** لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، **والله** لو منعوني عناقا «الأنثى من ولد الماعز»، كانوا يؤدونها إلى رسول، صلى **الله**

عليه وسلم، لقاتلتهم على منعها، وفي رواية: والله لو منعوني عِقالا: «وهو الحبل الذي يعقل به البعير»، كانوا يؤدونه إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لقاتلتهم على منعه، قال عمر: «فو الله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر، فعرفت أنه الحق» [١١].

ولقد كان أبو بكر الصديق في هذا الموقف أعمق الناس فهمَاً لكتاب الله، عز وجل، إذ أدرك بفهمه الثاقب ترابط أركان الإسلام، فإذا انتقض منها ركن، انتقضت الأركان الأخرى، لذا وقف بربـاطة جأش في وجه المرتدين ومانعي الزكاة، ومن هنا استحق الصديق بفهمه العميق في مواجهة تلك الردة الطاغية ثناء المسلمين أجمعين، ودعاءهم إلى يوم الدين.

٢. **المحور الثاني**:

♦ **النص الأول**: كتاب أبي بكر، رضوان الله عليه، إلى أهل اليمن يحثهم على الجهاد في سبيل الله.

وذلك لما أزمع على فتح الشام، فاستنفر الناس لجهاد الروم، فنفروا إليه، ثم رأى أن يكتب كتابا إلى أهل اليمن يدعوهم فيه إلى الجهاد، ويرغبهم في ثوابه، فكتب إليهم كتابه هذا: " بسم الله الرحمن الرحيم، من خليفة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى من قرئ عليه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين من أهل اليمن، سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد، فإن الله كتب على المؤمنين الجهاد، وأمرهم أن ينفروا خفافا وثقالا، وقال: (وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ) [١٢] . فالجهاد فريضة مفروضة، وثوابه عند الله عظيم" [١٣] . يلاحظ في كتاب أبي بكر هذا كيف بدأه بقوله: "من خليفة رسول الله"، إذ أخفى اسمه، واظهر اسم النبي، صلى الله عليه وسلم، وذلك ليوحي لأهل اليمن أن ما في هذا الكتاب ما هو إلا أمر الله، وأمر الرسول، صلى الله عليه وسلم، وذلك ليحض تلك النفوس على الجهاد في سبيل الله بلا تردد.

ويلاحظ في قوله: «إلى من قرئ عليه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين من أهل اليمن». تقديم المؤمنين على المسلمين، لأن الإيمان من أعمال القلوب، وفي هذا ترغيب لهؤلاء المؤمنين ليتقبلوا تبعات ومشقات الجهاد بيسر وسهولة، ونفوس راضية مطمئنة. وفي التنكير في قوله: «سلام عليكم»، دلالة على الحب والشفقة والتقدير والإكرام لأهل اليمن، فالتنكير يدل على تكثير السلام لهؤلاء القوم الكرام. وفي قوله: «فإن الله كتب على المؤمنين الجهاد». **ويلاحظ تأكيد أمر الجهاد، ووجوبه على المؤمنين من جوانب عدة**:

- الجانب الأول: التوكيد بـ (إن) ، لتعظيم أمر الجهاد، وتبيان خطره في حياة الأمة.

- الجانب الثاني: بإيراد لفظ الجلالة ((الله)) ظاهرا، في سياق حديثه عن الجهاد، وكان من الممكن أن تكون العبارة هكذا: «إنه كتب عليك الجهاد»، لكنه أظهر اسم الجلالة ((الله))

الجامح لجميع صفات الكمال، لإيقاع الهيبة في القلوب، لتنهض بامتثال الأوامر الإلهية، في قتال الأعداء، ومجاهدة الكفرة المشركين.

- الجانب الثالث: في التعبير بـ ((كتب)) ، التي هي بمعنى ((فرض)) و ((وجب)) زيادة تأكيد على تأكيد لحقيقة الجهاد في النفوس والقلوب المؤمنة.

- الجانب الرابع: في تقديم الجار والمجرور، في قوله: «على المؤمنين»، على كلمة الجهاد)) ، الذي هو مفعول لـ ((كتب)) ، تخصيص، معناه: أن المؤمن الذي صدق إيمانه هو وحده من ينهض إلى الجهاد. وكل إنسان خوطب بهذا الخطاب يطمح أن يكون من هؤلاء المؤمنين الصادقين المجاهدين [١٤] .

♦ **النص الثاني**: جزء من كلام الصديق، قاله في مرضه الذي مات فيه، يحذر من الدنيا وفتنتها:

أورد ذلك الكلام المبرد في الكامل في اللغة والأدب، نقتطف منه قول الصديق في التحذير من الدنيا وزخرفها وفتنتها: «والذي نفسي بيده لأن يقدم أحدكم فتضرب رقبته في غير حد، خير له من أن يخوض غمرات الدنيا»[١٥] .

صدر هذا الكلام النفيس من الصديق، وهو على مشارف الموت، وهو يدل على عمق إحساس أبي بكر بواجب النصح الصادق المخلص لهذه الأمة، وتنبيهها إلى المهلكة التي تجتث أصولها إذا خاضت غمرات الدنيا، أي عاشت حضارة مادية بحته، كما يراد لها الآن.

ولا يعني النهي عن خوض غمرات الدنيا الذي يدعو إليه الصدِّيق أن لا نجاهد الباطل، وأن لا نقيم الحق والعدل وأن لا نعمر الدنيا بالبر والإحسان، على منهج الدين والخلافة الراشدة، بل يعني حب الدنيا الممقوت، والذي يؤدي إلى التناحر والاقتتال، ومن ثم الهلاك والبوار. ولو وقفنا عند قوله: «فتضرب رقبته»، إذ لم يقل ((عنقه)) ؛ لأن الرقبة فيها إشارة إلى العبودية، وأن يقدم وهو ذليل، مقهور، مغلوب على أمره.

وقوله: «في غير حد» تأكيد لهذا الإذلال، وأنه يُضرب مظلوماً لا يُدفع عنه.

ولاحظ المقابلة الخفية بين هاتين الصورتين، صورة من تضرب رقبته في غير حد، من غير أن ينتصر، ومن غير أن يجد من ينصره، وصورة الخائض في جاهها، وسلطانها، ومالها، وخضرتها، وحلاوتها، وزينتها، وزخرفها، وفتنتها، يقسم أبو بكر على أن الأول

أفضل منه [١٦] . وهذا تحذير في غاية البلاغة من ترف الدنيا، وإيثارها على الآخرة، وعدم التوازن بين العمل للآخرة والأولى معا دون تغليب لإحداهما على الأخرى.

٣. **المحور الثالث**:

♦ القسم الأول: خطبة أبو بكر الصديق، رضي **الله** عنه، لما بويع بالخلافة:

"تكلم أبو بكر، رضي **الله** عنه، بعد أن بايعه الناس بالخلافة فحمد **الله** وأثنى عليه بالذي هو أهله ثم قال: أما بعد، أيها الناس، فإني قد وليت عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني. الصدق أمانة، والكذب خيانة. والضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع إليه حقه، إن شاء **الله**. والقوي فيكم ضعيف عندي، حتى أخذ الحق منه، إن شاء **الله**. لا يدع قوم الجهاد في سبيل **الله** إلا خذلهم **الله** بالذل. ولا تشيع الفاحشة في قوم، إلا عمهم **الله** بالبلاء. أطيعوني ما أطعت **الله** ورسوله، فإذا عصيت **الله** ورسوله، فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم يرحمْكم **الله**» [١٧] .

♦ القسم الثاني: أبرز الأساليب البيانية في خطبة الصديق، «دراسة تحليلية»:

- الأسلوب الأول: الإيجاز والإطناب والمساواة.
- الأسلوب الثاني: إرسال المثل.
- الأسلوب الثالث: التوكيد.
- الأسلوب الرابع: التقديم والتأخير
- الأسلوب الخامس: المزاوجة.
- الأسلوب السادس: المطابقة والمقابلة معاً.
- الأسلوب السابع: الفصل والوصل.
- الأسلوب الثامن: التشبيه.

▪ الأسلوب الأول: الإيجاز والإطناب والمساواة:

لقيت هذه الأساليب عناية كبيرة من النقَّاد العرب وبخاصة البلاغيين منهم.

والإيجاز عندهم هو: «عرض المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة، مع الإبانة والإفصاح، ليسهل تعلقها في الذهن، وتذكرها عند الحاجة» [١٨] . ولقد نوَّه العلماء بأهمية الإيجاز، يقول الجاحظ: «رب كلمة تُغني عن خطبة» [١٩] . وذهب العلماء إلى أن الإيجاز قسمان: «إيجاز حذف، وهو ما حذف منه كلام. وإيجاز قِصَر، وهو ما زاد فيه معناه عن لفظه»[٢٠]. وذهب فريق من العلماء إلى أن البلاغة هي الإطناب، واعتبر الإطناب «كل ما زاد على

المدلول، شريطة أن تكون الزيادة ذات قيمة بلاغية» [٢١] . ومن العلماء من أدخل المساواة في باب الإيجاز، قائلا: «إن كلام العرب قسمان: طويل، وهو الإطناب، وقصير، وهو الإيجاز، ولا ثالث لهما» [٢٢] .

والذي يسترعي النظر في خطبة الصديق ذلك الإيجاز غير المخل، ففي أربعة اسطر فقط من الكلام، حدد الصديق سياسته المستقبلية مع الرعية، وفيما يقرب من ثمانين كلمة رسم خطته الإدارية، مجنبا الناس الملل والسأم، وموفرا عليهم الوقت، ومدخرا لهم موفور الكرامة، ولم يعتبر الصدِّيق سماع الناس له غرامة يجب أن يؤدوها ثمنا لطاعتهم له. ولم يلزمهم بالمكوث طويلا لسماع خطبته، والتصفيق الحاد لمقولته.

وجاءت فقرات خطبته متماسكة، يأخذ بعضها برقاب بعض، وكأن خطبته بشر سوي، خلق في أحسن تقويم، فلو أراد أي بليغ أن يضيف إليها شيئا فإنه ينقلب إليه قلمه خاسئا وهو حسير، ولو أراد أن ينقص منها شيئا، ارتد على أدباره، وعجز عن ذلك التدبير.

وتطل علينا خطبة الصديق متوشحة بوشاح التواضع الجم، إذ يقول في بداية خطبته: «قد وليت عليكم ولست بخيركم»، فهو ينفي عن نفسه أن يكون خير رجل في الأمة، مع أنه ثبت بالدليل القاطع أن أبا بكر الصدِّيق هو: «خير الناس بعد رسول **الله**، صلى **الله** عليه وسلم» [٢٣] . ومن هذا المدخل الموفق ينتقل إلى القول: «إن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني».

فقد علق أمرين ((الإعانة والتقويم)) ، على شرطين هما ((الإحسان والإساءة)) ، فإن أحسن فجزاء الإحسان الإعانة، وإن أساء فجزاء الإساءة التقويم. ثم أردف ذلك بقوله: «الصدق أمانة، والكذب خيانة»، ننظر في هذا الكلام البليغ الحكيم، الذي لا يجري على اللسان بعد القران الكريم، والحديث النبوي الشريف كلام أحسن ولا أعذب ولا اصدق منه، ولنقارن هذا الكلام بمواعيد عرقوب التي تقطع للناس وتكون النتيجة عكس ما يُقال.

ولننظر إلى قوله: «والضعيف فيكم قوي عندي حتى أُرجع إليه حقه، إن شاء **الله**. والقوي فيكم ضعيف عندي، حتى آخذ الحق منه، إنْ شاء **الله**». فهذه كلمات قليلة حملت من المعاني ما تعجز عن إبرازه خطب كثيرة. فالضعيف المظلوم عند الصديق هو القوي حتى يعيد إليه حقه المهضوم، والقوي الظالم الغشوم، هو الضعيف، حتى يأخذ الحق منه للضعيف المظلوم. وانظر في ختام الخطبة إلى ذلك الانسجام بين مقدمتها و خاتمتها، في قول الصديق: «أطيعوني ما أطعت **الله** ورسوله، فإذا عصيت **الله** ورسوله، فلا طاعة لي عليكم».

فطاعة الرعية له مقرونة عنده بطاعته **لله**، عز وجل، ولرسوله، صلى **الله** عليه وسلم، وعصيان الناس له مقرون بعصيانه **لله**، عز وجل، ولرسوله، صلى **الله** عليه وسلم، إذ لا طاعة

لمخلوق في معصية الخالق، ذلك هو قانون الصديق، فطاعته تدور مع طاعة **الله**، عز وجل، ورسوله، صلى **الله** عليه وسلم، وجوداً وعدماً. وانظر في نهاية خطبته إلى سرعة الانتقال من القول إلى العمل، في قوله: «قوموا إلى صلاتكم يرحمكم **الله**». وهكذا فخطبة الصديق حازت قصب السبق في الإيجاز غير المخل، وربطت القول بالعمل بالقيام إلى الصلاة، التي بها تتنزل الرحمات، وتُستجاب الدعوات.

وإذا حاول الباحث مقارنة هذه الخطبة مع خطب ساستنا اليوم، فإن الباحث يجد تلك الخطب تمتاز بالإطناب الممل، مهما حاول المتكلم تسويغها للناس، فسرعان ما تنكشف مراميها للناس، فينفرون منها.

وقد يرصد الباحث في هذه الخطب غياب الهدف، وإلقاء الكلام على عواهله، كيفما اتفق، وتدل على أن المتكلم موجود في طرف، والسامع في طرف آخر، والصلة بينهما مقطوعة وممنوعة. ومن الصعوبة بمكان أن يكون بوسع هؤلاء الساسة أن يتزحزحوا عن هيمنتهم على الناس، وهنا يصبح كلامهم ثقيلاً على النفوس، يتلقاه السامعون بالسآمة والملل. وفي هذه الحالة يصبح الحاكم مفصولاً عن شعبه، وتصبح خطبته نوعًا من الترف الكلامي، واللعب بالألفاظ فيُعرض الناس عنها بمجرد سماعهم لها. ويرى الباحث أنه من الضرورة وجود عنصر الصدق في كلامنا، وحياتنا، وخطبنا، كما هو ماثل عند الصدِّيق، لتصبح للمتكلم حاكمًا أو محكومًا مصداقية تجعل الخطيب يتفاعل تفاعلاً إيجابيًا مع الناس، حتى يكلمهم بما يطيقون، ويصدقهم فيما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم، وألا يغشهم ويزوِّر لهم الكلام، فيفقدوا ثقتهم به.

- والثاني: أسلوب إرسال المثل:

إرسال المثل هو: «أن يأتي الشاعر في بعض بيت ما يجري مجرى المثل من حكمه، أو نعت، أو غير ذلك، مما يحسن التمثل به» (٢٤) . وهو نوع لطيف من علم البديع، «وهو أن يوظف المتكلم بنية مسكوكة في كلامه، سواء أكانت مثلاً أم ما ما يجري مجراه من حكمه، أو وصف أو نحو ذلك، مما يحسن التمثيل به» (٢٥) .

«وللتمثيل قيمة دلالية في كل أصناف الخطاب، حتى أن هنالك من الباحثين من ذهب إلى أن البنية الذهنية لتفكير الإنسان تطغى عليها الأمثال، وأن الإنسان يعيش غالب أوقاته بالأمثال أو بإيعاز منها» (٢٦) .

ويظهر إرسال المثل جليا في قول الصديق: «الصدق أمانة، والكذب خيانة». فهذا الكلام البليغ يسري في النفوس سريان المثل السائر، والحكمة المتناقلة بين الناس. ليس هذا فحسب بل إن خطبة الصديق كلها ترتقي إلى مرتبة الأمثال المتداولة والحكم المتوارثة

التي تتناقلها الأجيال جيل بعد جيل. وتصلح لأن تكون ركنًا ركيناً، وأصلاً أصيلا، وأساساً سليماً لمبادئ الحكم الرشيد ولسياسات الدول والأمم العادلة.

- الثالث: أسلوب التوكيد:

التوكيد: «هو تحقيق المعنى في النفس بإعادة اللفظ، أو المعنى» (٢٧). «وجدوى التوكيد: أنك إذا كررت فقد قررت المؤكد وما علق به في نفس السامع، ومكنته في قلبه، وأمطت شبهة ربما خالجته، وتوهمت غفلة عما أنت بصدده فأزلته» (٢٨). من هنا كان التوكيد مبحثاً بلاغياً مرموقاً يمنعُ الشك والإبهام الذي يمكن أن يشوب الكلام، لذا نجد لهذا الأسلوب البياني نصيباً لا بأس به في خطبة الصديق ومن ذلك قوله: «أما بعد، أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم»، إذ يلاحظ الباحث أن الصدِّيق قد استهل كلامه بالتوكيد في قوله: «فإني قد وليت عليكم»، إذ استخدم في تأكيد ولايته وخلافته (أن) المؤكدة، المكسورة الهمزة، مشددة النون، وهي الأصل في التوكيد، وقد أجمع علماء العربية على دلالتها على التوكيد» (٢٩).

إذا لما كان أمر الخلافة خطيراً جداً، وكان الخلاف على الخلافة، أو الخروج عليها، كما حدث في الردة أمراً أشد خطراً؛ مما يتولد عنه من فوضى، وذهاب لقوة الأمة وهيبتها، ومن ثم استئصالها برمتها بسبب تنازعها، لما كان هذا الأمر كله بهذا الخطر أكد الصديق أمر خلافته وولايته حسما للنزاع، وقطعاً لدابر الشر من جذوره؛ حتى لا تتطرق الشكوك، أو الوساوس إلى نفوس الطامعين في الخلافة، والراغبين في إثارة الفتن والمنازعات، وهذا موقع يحسن فيه التوكيد، بل يجب فيه التوكيد ليتناسب مع الحزم والعزم.

الجزم، والقطع في الأمور وسرعة إنفاذها، وعدم تعليقها، حتى لا يلج الشيطان وأتباعه إلى النفوس المريضة فيسول لها أمر التسلق على الخلافة لإفسادها، والاستيلاء عليها ممن يستحقها، وهو أهلٌ لها.

وتعزز هذا التوكيد ((بإن)) عند الصدِّيق، وبالتوكيد بـ ((قد)) التي تفيد التحقيق، وأجمع العلماء كذلك على دلالتها على التوكيد (٣٠).

وبعد أن اطمأن الصدِّيق إلى ثبات الخلافة وقهر وساوس الشيطان حولها، انتقل إلى توكيد آخر في غاية الحكمة، درأ به عن نفسه حب الذات والأنانية، وطيَّب نفوس الناس به، قائلاً: «ولست بخيركم»، فجاء التوكيد بحرف الجر الزائد ((الباء)) لنفي ميزته عن غيره، تواضعاً منه، ومساواة لنفسه مع غيره، ومن ساوى أخاه بنفسه فما ظلمه. وبعد أن سكنت نفسه إلى تلك التوكيدات انتقل إلى موضوعات الخطبة الأخرى، مُطَمْئِنَاً الناس إلى إقامة العدل وأركانه، ومحاربة الظلم، وهدم بنيانه.

- والرابع: أسلوب التقديم والتأخير:

التقديم والتأخير: «جعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية، أو بعدها، لعارض اختصاص، أو أهمية، أو ضرورة» (٣١) . والتقديم والتأخير يعتبر من الأساليب البلاغية الهامة، والتي لها أثرٌ واضحٌ في الكشف عن المعاني، ومعرفة حقيقة النظم ورتب الكلام، وأسرار الخطاب، يقول عبد القاهر الجرجاني فيه: «هذا باب كثير الفوائد جمُّ المحاسن، واسع التصرف لا يزال يفتر لك عن بديعه، ويفضي بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعراً يرقك مسمعه، ويلطف يديك موقعه ثم تنظر فتجد سبب أن راقك، ولطف عندك، أن قدم منه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان» (٣٢) .

وقال الزركشي في أهميته: « هو أحد أساليب البلاغة، فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة، وملكتهم في الكلام، وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق»(٣٣) .

والتقديم والتأخير شكلٌ من أشكال العدول اللغوي، الذي تترتب عليه فائدة دلالية، أو تأثيرية، أو إيقاعية، أو جميعها، مضافاً إلى المعنى الأساسي للعبارة. وهو قسمان: الأول يكون بالخروج عن الترتيب الوضعي للتراكيب اللغوية.

والثاني يكون بحسب مقتضيات الأحوال. والتقديم والتأخير الوارد في خطبته الصدِّيق من النوع الثاني. إذ يلاحظ أن الصدِّيق يقدم الإحسان على الإساءة في قوله: « فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني»، وذلك لفضيلة الإحسان ورذيلة الإساءة. وكذلك يقدم الصدق على الكذب في قوله: «الصدق أمانة والكذب خيانة « للسبب السابق ذاته.

ويقدم كذلك الضعيف على القوي في قوله: «والضعيف فيكم قوي عندي حتى أُرجع إليه حقه، إن شاء **الله**. والقوي فيكم ضعيف عندي، حتى آخذ الحق منه، إِنْ شاء **الله**».

وذلك للرحمة بالضعيف والأخذ بيده، وإنصافه من القوي. ويقدم كذلك لفظ الجلالة ((**الله**)) في قوله: «أطيعوني ما أطعت **الله** ورسوله، فإن عصيت **الله** ورسوله، فلا طاعة لي عليكم « على لفظ الرسول، صلى **الله** عليه وسلم، لعظيم قدر **الله**، عز وجل، وعظمة اسمه العظيم ((**الله**)) ، المستجمع لجميع أنواع الكمال. وهكذا فإن هذا الأسلوب من التقديم والتأخير زاد من جمال خطبة الصديق، وأظهر قوة بيانه، وبلاغته المتفوقة، وحسن تعبيره.

- والخامس: أسلوب المزاوجة:

المزاوجة هي: «أن تزاوج بين الكلمات و الجمل، بكلام عذب وألفاظ حلوة»(٣٤) . أو «أن يزاوج المتكلم بين معنيين في الشرط والجزاء، بأن يجعل المعنيين الواقعين في

الشرط والجزاء مزدوجين، في أن يرتب على كل منهما معنى رتب على الآخر»[٣٥] . وأسلوب المزاوجة بين الشرط والجزاء يشبه كثيراً أسلوب الطبيب الحاذق، الذي يهتم بالاحتمالات المتعددة التي تنجم عنها الحالة المرضية، والإمكانات الممكنة الكفيلة بالمعالجة.

وهكذا نجد الصدِّيق في خطبته، ففي قوله: «إن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني»، يزاوج بين الإحسان والإعانة، وبين الإساءة والتقويم، فكل منهما يرتبط بالآخر ارتباط الروح بالجسد، وفي قوله: «الضعيف فيكم قوي عندي حتى أُرجع إليه حقه إن شاء **الله**، والقوي فيكم ضعيف عندي، حتى آخذ الحق منه إِنْ شاء **الله**» يُلاحِظ الباحث المزاوجة في

كلام الصدِّيق بين الضَّعْفِ والقُوة، وبين القوة و الضعف، على نحو لطيف عجيب، إذ يستتبع كل لفظ من تلك الألفاظ اللفظ الذي جاء بإزائه، ويطلبه طلب الزوج للزوجة في السكن إليها، والألفة بها.

وفي قوله: «أطيعوني ما أطعت **الله** ورسوله، فإن عصيت **الله** ورسوله فلا طاعة لكم عليَّ» يشاهد مزاوجة الصدِّيق بين الطاعة **لله**، عز وجل، ولرسوله، صلى **الله** عليه وسلم، وبين معصيتهما، وهذه المزاوجة لطيفة تدل على تعلق الصدِّيق **بالله**، عز وجل، ورسوله، صلى **الله** عليه وسلم، تعلقاً متيناً، وهو في الوقت ذاته يدعو إلى أن تكون علاقة الطاعة له تنبع من طاعتهما، وعصيانه ينبع من عصيانهما.

- والسادس: أسلوب المطابقة والمقابلة معاً:

المطابقة هي: «أن تأتي بالمعنى و بضده في الكلام»[٣٦] . والمقابلة هي: «إيراد الكلام في مقابلته بمثله في المعنى واللفظ، على جهة الموافقة، أو المخالفة» [٣٧] .

«وقد ادخل جماعة المقابلة في المطابقة، وهو غير صحيح، فإن المقابلة أعم من المطابقة، وهي التنظير بين شيئين فأكثر، وبين ما يخالف، وما يُوافق، فبقولنا: وما يُوافق صارت المقابلة أعم من المطابقة»[٣٨] .

وهكذا فإن المقابلة: هي أن تجمع بين دالين مُتطابقين، سواء أكان التقابل صريحاً أم غير صريح، وسواء أكان بالضد أم بالسلب، أم بالإيجاب، أم بغير ذلك.

وتختلف المقابلة عن المطابقة في كونها تقابل بين دالين تكون مدلولاتهما متضادة، أو غير متضادة.

وقد حوت خطبة الصدِّيق من المقابلات ألطفها، ومن المطابقات أجملها وأكملها، فوقعت المقابلة عنده بين: ((الصدق أمانة، والكذب خيانة. والضعيف فيكم قوي عندي حتى أُرجع إليه حقه، والقوي فيكم ضعيف عندي، حتى آخذ الحق منه «. و وقع الطباق بين قوله:

((أحسنت، وأسأت، وبين الصدق، والكذب، وبين الأمانة، والخيانة، وبين الضعيف، والقوي، وبين الطاعة، والعصيان، وبين أطعت، وعصيت)) .

وهذه المطابقات والمقابلات الرائعة بين العناصر البلاغية السابقة، في خطبة أبي بكر الصدِّيق مؤشر أسلوبي يعزِّز توجُّه الخليفة الراشد في الحكم، وغايته من الخلافة، فالحكم امتحان عسير للحاكم، ليُرى أيُحسنُ فيما خوَّله الله تعالى فتطيب سريرته، وتُحمد سيرته، أم يُسيء ويظلم فتسوَّدُ صحيفته عند خالقه، وعند الخلق. وهنا يهرع الخليفة الراشد بعد استمداد العون من الله تعالى، إلى الرعية، حتى تعينه على الحق وأدائه إن أصاب، و أن تصوبه وتقومه إن هو حاد عن الحق.

ويلمس الباحث في هذا التطابق ذلك الترابط المتين بين شخصية الصدِّيق والصدق، فالصدق هو الأمانة العظمى التي قامت السماوات والأرض عليها، والخيانة هي الطامَّة الكبرى التي تؤدي بالحاكم و المحكوم إلى الهاوية. ومفتاح الأمانة ومادتها الصدق، ومعدن الخيانة وبابها الكذب.

هذا في مجال أخلاق الحاكم، وأما في مجال أداء الحقوق إلى أصحابها، وإقامة ميزان العدل، فمن المعروف أنه قد اقتضت السنة الإلهية في الخلق بوجود الضعيف الذي يغتصب حقه، والقوي الظالم الذي يتسلط على الضعيف، وهنا يضع الصدِّيق الأمور في نصابها، ويَقْلِبُ الظلم على الظالم، فيصبح الظالم القوي الجبَّار ذلك الضعيف الخوَّار بسبب ظلمه، حتى يعيد الحق إلى الضعيف، فيصبح الضعيف المستضعف هو القوي بالإنصاف، وإعادة حقه إليه.

ويختم الخطبة بالمقابلة والمطابقة بين المعصية والطاعة، فطاعة الخليفة موقوفة على طاعته لله عز وجل، ورسوله، صلى الله عليه وسلم، وعصيانه مرهون بعصيان الله عز وجل، ورسوله، صلى الله عليه وسلم.

وإذا تفحصنا الجمل التي وردت فيها المقابلات في خطبة الصدِّيق وجدناها تحتوي على خمس بنى تركيبيِّة متقابلة هـي:

١. الإحسان وتقابله الإساءة.
٢. والصدق ويقابله الكذب.
٣. والأمانة وتقابلها الخيانة.
٤. والضعف وتقابله القوة.
٥. والطاعة ويقابلها العصيان.

وإذا أنعمنا النظر في هذه المتقابلات ألفيناها توزع في خطبة الصدِّيق توزيعاً دقيقاً، وتتركَّب تركيباً منظماً، تضفي على الخطبة جمالاً وحسناً، وتقوِّي معاني الجمل الواردة فيها، وتلفت أنظار السامعين إلى ما تتضمنه هذه الخطب من دلالات فكرية عميقة، ومؤشرات دينية دقيقة، ترتبط بها معاني الوحدات الكلامية، وعليها يُعوَّل، وهذه المقابلات تؤكد الوحدة العضوية والموضوعية في خطبة الصدِّيق، فتجعل من كلامه أشبه ما يكون بالمعادلات الرياضية الشديدة الارتباط ببعضها بعض. وهذه المقابلات تجعل أيضاً للكلام إيقاعاً صوتياً خاصاً ومميزاً يحسن وقعه في الأُذن، ولا يجد السامع أي حرج في تتبعه، لا بل ترتاح النفس وتطمئن عند سماعه. وهكذا تصبح المقابلات في خطبة الصدِّيق عنصراً أساسياً يدخل في تركيب الخطبة و بنائها. ناهيك عمَّا يساند هذه المقابلات من أمر و نهي، وخبر و إنشاء، واثبات ونفي، وتقديم وتأخير، وتعريف و تنكير، وفصل و وصل، إلى غير ذلك مما هو من متممات المقابلات في هذه الخطبة.

وإتقان إيراد المقابلات عند الصدِّيق سجيّة من سجاياه البلاغية، وشأن من شؤونه البيانية، تجعل كلامه أشبه بالسحر، إذ ينفذ من الآذان إلى القلوب، فتنشرح له النفوس، وتسرع في الانقياد إليه انقياد السفينة للهواء اللَّين الهيِّن الطيِّب السجسج، في المحيط الهادئ العميق.

- والسابع: أسلوب الوصل و الفصل:

الوصل هو: «عطف جملة على أخرى» (٣٩) . والفصل هو: «ترك الربط بين الجملتين، إما لأنهما متحدتان صورة ومعنى، أو بمنزلة المتحدتين، وإما لأنه لا صلة بينهما في الصورة، أو في المعنى» (٤٠) . من هنا كان الوصل: هو العلم بمواضع العطف بين الجمل، ومعرفة كيفية إيقاع حروف العطف في موقعها. والفصل: هو تركها عند عدم الحاجة إليها. والوصل و الوصل هو أحد الأساليب البلاغية التي لا يخلو منها أي خطاب، أو كلام، ونظراً لأهميته قال العلماء: «إن البلاغة هي معرفة الوصل و الفصل» (٤١) .

وعند النظر في خطبة الصدِّيق في ضوء هذا الأسلوب نجد أن الصديق يبدأ خطبته بقوله ((أما بعد)) ، وهذه اللازمة في الخطب الموروثة عن النبي، صلى الله عليه و سلم، يجعل الصديق منها محفزاً ومدخلاً لحديثه الموجه للأمة. ثم يمضي بعد ذلك من خلال استخدام أسلوب الوصل بالواو، والفصل بالفاصلة، وإسقاط الواو إلى إحكام الربط بين مكونات خطبته التركيبية.

ومن الواضح أن أُسلوبي المقابلة و المطابقة في خطبته يستدعيان الارتكاز على الوصل و الفصل، لذلك لا يتوانى الصدِّيق في الربط بين عناصر خطبته، ما دام هذا الربط

ضرورياً، حيث يقول، رضي **الله** عنه: «...أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم... والضعيف فيكم قوي عندي حتى أُرجع إليه حقه، إن شاء **الله**، والقوي فيكم ضعيف عندي، حتى آخذ الحق منه، إن شاء **الله**....».

وكذلك لا يتوانى في الفصل بين عناصر خطبته إذا كان هذا الفصل لازماً، ويتطلبه السياق، يقول:

«... الصدق أمانة و الكذب خيانة»، فاصلاً هذه الجملة عن سابقتها، ويمضي قائلاً في آخر خطبته:

«أطيعوني ما أطعت **الله** ورسوله فإن عصيت **الله** ورسوله فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم يرحمكم **الله**».

ويرد أسلوبا الوصل و الفصل في خطبة الصدِّيق متعادلين ومتوازنين على نحو عجيب، يجعل من خطبته آية في المتانة، ودقة المعنى وسداده، واتفاقه مع الغرض الذي سيقت من أجله الخطبة. وقد رد محمد العمري في تفسير ظاهرة التوازن بين الفواصل و أقسام الكلام في الخطاب الديني إلى ما للفواصل من قوة إقناعية، حيث يقول: «وهذا الارتباط بين الدين و الصناعة الصوتية يبين وظيفة الإيقاع الإقناعية، ذلك أن توقيع الكلام و توازيه يكاد يكون حجة على صدقه» (٤٢) .

- والثامن: أسلوب التشبيه:

أسلوب التشبيه من أساليب البيان القديمة قِدم التعبير الإنساني، وذلك لأنه أقرب وسيلة للإيضاح

والإبانة، وأقرب وسيلة لتقريب المعاني البعيدة. وفائدة التشبيه كما يقول أرسطو: «أنه يزيد في جمال الأسلوب، ويثير اللذة والتشويق في النفس» (٤٣) .

ولم يخف على العرب فضل التشبيه في إظهار المعاني في أبرز صورها، لذا كثر وروده في كلام العرب، يقول المبرد: «لو قال قائل: إن التشبيه هو أكثر كلام العرب لم يبعد» (٤٤) . ويراه قدامة بن جعفر: «من أشرف كلام العرب، وفيه تكون الفطنة والبراعة عندهم» (٤٥) .

وقال أبو هلال العسكري في شرفه: «وقد جاء عن القدماء و أهل الجاهلية من كل جيل ما يستدل به على شرفه، وفضله، وموقعه من البلاغة بكل لسان» (٤٦) .

ويقول عبد القاهر الجرجاني في تبيان مكانته: «وهل تشك أنه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين، حتى يختصر بُعد ما بين المشرق و المغرب، ويجمع ما بين المُشئم والمُعرق، وهو يُريك للمعاني الممثلة بالأوهام شبهاً في الأشخاص الماثلة، والأشباح

القائمة و ينطق لك الأخرس، ويعطيك البيان من الأعجم، ويُريك الحياة في الجماد، ويُريك التئام عين الأضاد، فيأتيك بالحياة و الموت مجموعين، والماء والنار مُجتمعتين» [٤٧] .

ويرى ابن الأثير أن التشبيه يجمع ثلاث صفات هي: «المبالغة، والبيان، والإيجاز»[٤٨]. ونظراً لأهمية التشبيه جعله السكاكي «الأصل الأول من علم البيان» [٤٩] . من هنا كان التشبيه مقياساً وميزاناً دقيقاً للكشف عن قدرة البليغ في فن القول، والخطيب في فن الإلقاء، وهو من أقرب الأساليب البيانية انسجاماً وتوافقاً مع بنية الخطاب الديني، **والتفكير العقدي لعدة أسباب منها:**

♦ السبب الأول: أن التشبيه يقوم على مقارنة صريحة بين المرئي واللامرئي، فهو من هذه الناحية يُقدم إمكانية وافرة لقيام مقارنة حقيقية بين الأشياء، دون اللجوء إلى التأويل أو التفسير.

♦ السبب الثاني: أن وظيفة الخطاب الديني الإصلاحية والوعظية تقوم على الوضوح، وعدم اللجوء إلى الغموض في الكشف عن الحقيقية التي يريد المتدين إيصالها للناس.

♦ السبب الثالث: أن الغاية التربوية التوجيهية في الخطاب الديني تستلزم الإفصاح أكثر من الإضمار والغموض، وتقريب الأمور للمخاطبين، دون التبعيد والإخفاء والتعمية. لهذه الاعتبارات كلها، ولغيرها حظي التشبيه بعناية فائقة في الخطب والخطاب الديني، وأصبح عنصراً رئيساً في الخطاب الديني.

«وحقيقة التشبيه تقوم على إلحاق دال بدال آخر بواسطة أداة التشبيه، والجامع بينهما لا يصل حد المطابقة» [٥٠] . وهذا التعريف للتشبيه ينم على وجود أربعة أطراف تكوينية لإجراء عملية التشبيه، وهي: ركنا التشبيه، وهما: المشبه، والمشبه به، وأداة التشبيه، وأخيراً الشيء الجامع بين ركني التشبيه، وهو وجه الشبه، غير أن إجراء عملية التشبيه لا تستلزم بالضرورة حضور عناصره الأربعة مجتمعة.

فقد يحدث أن يتغيب أحدهما كلما كان من الميسور إدراكه، وما يمكن الاستغناء عنه من بين هذه العناصر الأربعة، هو الأداة، أو وجه الشبه، أو هما معاً، ما دام من الممكن إجراء التشبيه بدونها، أما ركنا التشبيه الأساسيان وهما المشبه والمشبه به فلا يمكن الاستغناء عن

أي منهما، لأنه لو تم ذلك لم يعد هناك أي مسوغ للحديث عن التشبيه، ومن هنا كان للتشبيه أوجه وفروع متعددة ومتشبعة، لا مكان هنا لتفصيل القول فيها.

وبعد هذه المقدمة في حقيقة التشبيه، وأهميته من المفيد تفحص التشبيه الوارد عن الصديق في خطبته سابقة الذكر، إذ ورد التشبيه عنده في موطنين الأول: في قوله: ((الصدق

أمانة والكذب خيانة)) . حيث شبه الصدق بالأمانة في الحسن، والكذب بالخيانة في القبح. وقد حذف وجه الشبه، وأداة التشبيه، وهذا التشبيه هو ما يسمى: «بالتشبيه البليغ». وقد زاد من بلاغة التشبيه، ورفع من قيمته في الإفصاح تلك المقابلة والمطابقة الرائعة بين الصدق والأمانة والكذب والخيانة.

ومن الممكن تسجيل هذه الملحوظات على هذا التشبيه وهي:

- الملحوظة الأولى: عند تدقيق النظر في هذا التشبيه لوحظ أنه تشبيه معقول بمعقول، فالصدق والأمانة هما من المعقولات التي تسعف العقول فتجعلها مستقيمة على منهج الحق، والكذب والخيانة هما من المعقولات التي تمحق العقول وتلغي الألباب، وتخرج بالإنسان عن إنسانيته إلى الحيوانية والشهوانية التي لا تحمد عقباها، لذا حظيت هذه القيم بأهمية خاصة عند الصديق.

- والملحوظة الثانية: جاء هذا التشبيه متسقا ومنسجماً تماماً مع الغاية التي يرمي إليها الصديق، والشخصية والنفسية التي يتحلى بها الصديق، فالصدق أمانة كبرى في الحسن، وهو أصل الاستقامة في الأمور كلها. والكذب خيانة عظمى، ورذيلة في القبح، ولا يأتي الكذب إلا من اعوجاج النفس، وحبها للدنيا والشهوات الفانية، وإيثارها على الآخرة، وهنا يعطي الصديق الأمة درساً عظيماً في الصدق، لأنه صادق، وينبع الصدق من نفسه الراضية المرضية.

- الملحوظة الثالثة: أن هذا التشبيه قد جاء موجزاً، يحمل من المعاني العظيمة والكثيرة في ألفاظ يسيرة وقليلة. ورغم إيجازه إلا أنه جاء واضحاً وضوح الشمس في رائعة السماء،

وهذا الأمر طبيعي فهو يصدر عن نفس الصديق، التي تمتاز برفاهة الحس، وصدق القول، والعمل وأمانة السلوك، وهذه أجزاء من بلاغة وفضائل الصديق الكثيرة.

والموطن الثاني الذي ورد فيه التشبيه عند الصديق في قوله: «والضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع إليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى أخذ الحق منه إن شاء الله». فإننا نجد تشبيهاً بليغاً آخر، وهو في تشبيه الضعيف بالقوي حتى يرجع إليه حقه، وفي تشبيه القوي بالضعيف حتى يؤخذ الحق منه ويعاد للضعيف.

وهذا التشبيه يوضح السياسة العامة للصديق التي سوف يسير عليها في مدة حكمه، وهي سياسة الضرب بيد من حديد على يد القوي الظالم، والأخذ بين من حرير على يد الضعيف المظلوم.

والتشبيه ورد في خطبة الصديق متفقاً تمام الاتفاق مع المسؤولية الخطيرة التي يشعر بها الصديق في تحمل أعباء الخلافة، وفي إقامة العدل، وفي ملاحقة الأقوياء الظلمة، وإنصاف الضعفاء المظلومين، ومن المعلوم أن أمة لا يأخذ فيها الضعيف حقه من القوي لا يبارك الله فيها.

وهكذا فالصدق يشيع في الرعية الطمأنينة، والعدل يبث فيها الأمن والأمان، والطمأنينة والأمان هما أساس السعادة في الدارين وغيابهما يؤدي بالأمة إلى البوار في الاثنتين، لذا جاء التشبيهان واضحين بليغين في خطبة الصديق.

الخاتمة:

وأخيراً إن الحقيقة التي يقف عليها الباحث من خلال تحليل الأساليب البيانية في خطبة الصدِّيق هـــي: أن خطبة الصدِّيق هذه هي آية في السياسة العادلة، والبلاغة الفائقة، ولا يستطيع أي حاكم أن يعبر عن قيامه بالعدل بين الناس بأبلغ من هذا الكلام، ولا بأشمل منه ولا بأصح منه، ولا بأوجز منه، ولا يستطيع باحث أو أديب أن يبلغ كنه وصف هذه القيم الجليلة الخالدة في خطبة الصديق مثلما وصفها الصديق. وتزداد خطبة الصديق بلاغة وتألقاً في عالم السياسة، وفي دنيا البلاغة، إذا علمنا أننا نعيش تحت مظلة ظَلَمَة، يتشدقون بالقيم والعدل وبالبلاغة، وهم أبعد ما يكونون عنها مجتمعة. ليس هذا فحسب بل إن الصدِّيق يقول ما يعني، ويعني ما يقول، وللكلام عنده قُدسية، ووظيفة خلقية، إذ يدرك الصدِّيق أنه لن يكون عظيما إلا بعد أن تكون أمته عظيمة، ولن يكون حراً إلاَّ بعد أن تكون أمته حرة، ولن يكون آمناً إلا بعد أن يكون شعبه آمناً. وقد استطاع الصدِّيق من خلال هذا التركيب العضوي للأساليب البيانية في خطبته أن يوحد بين الخليفة العادل، وبين الخطيب البليغ القائل، فسن سنة رشيدة للخلفاء من بعده، إذ لن يترك مجالاً لأي حاكم من بعده أن يخرج عن العدل فيظلم، أو أن يخرج عن تعاطي البلاغة في خطاب الأمة فلا يُفهم. ومن الواضح أن هذا التكاتف البلاغي بين الأساليب البيانية في خطبته، قد جعل منها تحفة فنية رائعة ذات وظيفة سياسية واجتماعية ونفسية وتعبيرية سامية؛ بها تصلح أمور الدين والدنيا، وتفترق عن خطب اليوم، التي تخلو من الصدق، والمضمون الصحيح، وتثير العصبيات والتوترات بين الناس بدلاً من وئدها في مهدها، كما فعل الصدِّيق في خطبته. كل هذا يقودنا إلى الوصول إلى نتيجة مفادها: أنَّ المنطق العقائدي السليم، هو الذي ينتج الخطاب البلاغي القويم، وهو الذي يرسم الرؤية الحقيقية لمستقبل الأمة، ويتحكم في توجيهها الوجهة السليمة لبناء حضارتها، في أجواء من المعدل والطمأنينة، والأمن والأمان، لإسعادها في الدارين، فما أحوجنا لمثل هذه الخطب التي جلَّت وسمت معنىً و مبنىً.

التوصيات:

ومن التوصيات التي تمخَّضت عنها الدراسة ما يأتي:

١. لابدَّ من قيام دراسات أسلوبية متخصصة في خطب الصحابة، رضي الله عنهم؛ لاستجلاء قيمها الروحية العميقة، ومعانيها البلاغية الدقيقة.

٢. لابدَّ من تحليل الأساليب البيانية في هذه الخطب، لاستقطار العطر منها؛ للإفادة منها.

٣. لابدَّ من النهضة بالدراسات البلاغية العربية من جديد، وذلك بتجاوز الأمثلة التي وضعت في كتب البلاغة، وعدم التوقف عندها وحدها، فالإبداع في الفهم والتفهيم، والتطبيق في البلاغة العربية أوسع من أن يُحصر في بضعة أمثلة، أو عدة كتب، أو مجموعة خُطَب، بل هو أشمل من هذا كله.

فيجب إدخال الخطب البليغة، مثل: خطبة الصديق السابقة، وتحليلها البياني في مناهج الدراسة المدرسية والجامعية؛ لتكون قدوة تُحتذى للساسة في مجال الحكم، وللبلغاء في مناحي البلاغة، وفن القول.

الهوامش:

١. الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص١٠٢.

٢. الندوي، أبو الحسن: مختارات من أدب العرب، ص٤.

٣. عبده، الإمام محمد: خطب أبي بكر الصديق، ص٤١.

٤. سورة البقرة، الآية ١٠٥.

٥. سورة آل عمران، الآية ١٤٤.

٦. الحنبلي، ابن رجب: لطائف المعارف، ص١٥٤.

٧. سورة الحشر، الآيتان٨،٩.

٨. ابن عربي، محمد بن عبد **الله**: العواصم من القواصم، ص١٠.

٩. المحمود، عبد الرحمن بن صالح: الحكم بغير ما أنزل **الله** أحواله وأحكامه، ص٢٣٩

١٠. ابن كثير، أبو الفداء: البداية والنهاية، ج١، ص٣١٥.

١١. البخاري، أبو عبد **الله** محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، رقم (٦٩٢٤) . وانظر: صحيح مسلم، رقم (٢٠) .

١٢. سورة التوبة، الآية ٤١.

١٣. عبده، الإمام محمد: خطب أبي بكر، ٧٦– ٧٧.

١٤. حسني، عادل: طرائق المعانـــي، من ص١٨٧– ١٩١ بتصرف.

١٥. المبرد، أبو العباس: الكامل في اللغة والأدب، ج١، ص١١.

١٦. أبو موس، محمد بن محمد: مراجعات في أصول الدرس البلاغي، من ص ٢٤٤– ٢٤٦ بتصرف.

١٧. وردت خطبة الصديق هذه في أكثر من مصدر، قديم ومرجع حديث.

أ. فمن المصادر القديمة التي وردت فيها:

- A- عبد الرزاق، الحافظ الكبير أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المصنف، ج١١، ص٣٣٦، رقم (٢٠٧٠٢) .

- B- وابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري، السيرة النبوية، ج٤، ص٢٧٤.

- C- وابن كثير، أبو الفداء، البداية والنهاية، ج٦، ص٣٠٥.
- D- وابن الجوزي، أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٦٨.

ب. ومن المصادر الحديثة التي أوردتها:

- A- شاكر، محمود، التاريخ الإسلامي، ج٣، ص٥٧.
- B- والعمري، أكرم ضياء، عصر الخلافة الراشدة، ص٥٣.

١٨. الصعيدي، عبد المتعال: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، ج٢، ص١١٨.

١٩. الجاحظ، عمرو بن بحر: البيان والتبيين، ج٢، ص ٧.

٢٠. الصعيدي، عبد المتعال: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، ج٢، ص١١٨.

٢١. قصوري، إدريس: أسلوبية الرواية، مقاربة أسلوبية لرواية زقاق المدق، لنجيب محفوظ، ص ١٦٥.

٢٢. الجاحظ، عمر بن بحر: البيان والتبيين، ج٢، ص٧.

٢٣. ينظر: ديوان أبي بكر الصديق، ص١١٤، نقلاً عن المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لابن الجوزي.

٢٤. عكاوي، إنعام فوال: المعجم المفصل في علوم البلاغة، ص٥٩.

٢٥. قصوري، إدريس: أسلوبية الرواية، مقاربة أسلوبية لرواية زقاق المدق، لنجيب محفوظ، ص٢٤٢.

٢٦. المصدر السابق نفسه، ص ٢٤٢ بتصرف.

٢٧. الحيدرة اليمني، كشف المشكل في علم النحو، ج١، ص٤٧٢.

٢٨. الفيروز أبادي، مجدي الدين بن يعقوب: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. ج٥، ص ٢٦٤.

٢٩. ابن مالك: شرح عمدة الحافظ، ص ٢٢٤.

وابن يعيش: شرح المفصل، ج٣، ص٥٩، وغيرهما

٣٠. سيبويه: عمرو بن عثمان، الكتاب، ج٤، ص ٢٢٣ وفي الفراء: في معاني القرآن، ، ج١، ص ٢٨٢، وغيرهما.

٣١. الطوفي، سليمان بن عبد القوي: الإكسير في علم التفسير، ص١٥٤.

٣٢. الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، ص٨٢.

٣٣. الزركشي بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، ج٣، ص٣٣٣،

٣٤. عكاوي، إنعام فوال: المعجم المفصل في علوم البلاغة، ص٦٤٨.

٣٥. المصدر السابق نفسه، ص٦٤٨.

٣٦. المصدر السابق نفسه، ص٥٩٧.

٣٧. المصدر السابق نفسه، ص٧٥٥.

٣٨. المصدر السابق نفسه، ص٦٥٦.

٣٩. المصدر السابق نفسه، ص١٢٠.

٤٠. المصدر السابق نفسه، ص١٢٠.

٤١. الجاحظ، عمر بن بحر: البيان والتبيين، ج١، ص٨٨.

٤٢. العمري، محمد: بلاغة الخطاب الإقناعي، ص١٠٨.

٤٣. أرسطوطاليس: الخطابة، ص٢١٢.

٤٤. المبرد، أبو العباس، الكامل في اللغة والأدب، ج١، ص٦٩.

٤٥. ابن جعفر، قدامة: نقد الشعر، ص٥٨.

٤٦. العسكري، أبو هلال: الصناعتين، ص٢٣١.

٤٧. الجرجاني، عبد القاهر: أسرار البلاغة، ص ٩٩.

٤٨. ابن الأثير، ضياء الدين: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر/ ج١، ص٣٩٦.

٤٩. السكاكي، أبو يعقوب: مفتاح العلوم، ص١٥٧.

٥٠. قصوري، إدريس: مقاربة أسلوبية لرواية زقاق المدق، لنجيب محفوظ، ص٢٠٥ بتصرف.

المصادر و المراجع:

أولاً- المصادر:

١. القرآن الكريم.

٢. ابن الأثير، ضياء الدين: المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة الباب الحلبي، القاهرة، ١٣٦٠ هـ.

٣. أرسطو طاليس الخطابة، (الترجمة العربية) ، تحقيق، عبد الرحمن بدوي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩م.

٤. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٥. الجاحظ، عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، مطبعة الخانجي، القاهرة، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

٦. الجرجاني، عبد القاهر: أسرار البلاغة، تحقيق: محمد الفاضلي، المطبعة العصرية، صيد، بيروت، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٧. الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تحقيق، محمد عبد المنعم خفاجي، مطبعة الفجالة، القاهرة، ١٩٦٩م.

٨. ابن جعفر، قدامة، نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٦٣م.

٩. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ للطباعة.

١٠. الحنبلي، ابن رجب: لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، تحقيق: عبد الله ابن عامر، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

١١. الحيدرة اليمني: كشف المشكل في علم النحو، رسالة ماجستير، دراسة وتحقيق، كامل محمد يعقوب أبو اسنينة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

١٢. ديوان أبي بكر الصديق، حققه ونشره: راجي الأسمر، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

١٣. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.

١٤. الزركلي، خير الدين: الأعلام، (قاموس لأشهر الرجال والناس من العرب، والمستعربين) ، والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط٦، ١٩٨٤م.

١٥. السكاكي، أبو يعقوب: مفتاح العلوم، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٥٦هـ-١٩٢٧م.

١٦. سيبويه، عمرو بن عثمان: الكتاب، تحقيق، عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م.

١٧. الصعيدي، عبد المتعال، بغية الإيضاح لتلخيص الإيضاح، طبع المطبعة النموذجية، القاهرة، دون تاريخ للطباعة.

١٨. الطوفي، سليمان بن عبد القوي: الإكسير في علم التفسير، حققه، عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٧٧.

١٩. عبد الرزاق، الحافظ الكبير، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المصنف، حققه: حبيب الله الأعظمي، نشر المجلس العلمي، جوهانسبرج، جنوب إفريقيا، ط١، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

٢٠. ابن عربي، محمد بن عبد الله، العواصم من القواصم، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار الثقافة، الدوحة، ط٢، ١٩٨٩م.

٢١. الفراء: معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٨م.

٢٢. الفيروزأبادي، مجد الدين بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، نشر المكتبة العلمية، بيروت، دون تاريخ للطباعة.

٢٣. ابن كثير، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي: البداية والنهاية، نشر دار الريان، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٢٤. ابن مالك، جمال الدين، شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ، تحقيق: عدنان الدوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.

٢٥. المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد: الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، دمشق، بيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ- ١٩٩٧م.

٢٦. مسلم، الإمام مسلم: صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٩٧٢م.

٢٧. ابن هشام، أبو محمد عبد الملك المعافري، سيرة ابن هشام، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، نشر مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ– ١٩٩٨م.

٢٨. ابن يعيش، موفق الدين: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، بالأوفست، عن مكتبة المثنى في بغداد، دون تاريخ للطباعة.

ثانياً المراجع:

١. حسني، عادل: طرائق المعاني، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨م.

٢. شاكر، محمود، التاريخ الإسلامي، نشر المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، عمان، ط٧، ١٤١١هـ– ١٩٩١م.

٣. عكاوي، إنعام فوال: المعجم المفصل في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

٤. العمري، أكرم ضياء، عصر الخلافة الراشدة، نشر مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ– ١٩٩٦م.

٥. العمري، محمد: في بلاغة الخطاب الإقناعي، سلسلة الدراسات النقدية، دار طيبة الرياض، ط١، ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م.

٦. قصوري، إدريس: أسلوبية الراوية، مقاربة أسلوبية لرواية زقاق المدق، لنجيب محفوظ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، ط١، ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨م.

٧. المحمود، عبد الرحمن بن صالح: الحكم بغير ما أنزل الله/ أحواله، وأحكامه، دار طيبة الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ– ١٩٨٩م.

٨. أبو موسى، محمد محمد: مراجعات في أصول الدرس البلاغي، مكتبة هنية، القاهرة، ط٢، ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨م.

٩. الندوي، أبو الحسن على الحسني: مختارات من أدب العرب، دار الغرب، دار الفكر الحديث، بيروت، ط٢، ١٣٨٥هـ– ١٩٦٥م.

اللاجئون الفلسطينيون
في القانون الدولي*

د. حسن البرميل**

* تاريخ التسليم: ٢٤/ ٩/ ٢٠١٢م، تاريخ القبول: ١٠/ ١١/ ٢٠١٢م.
** أستاذ مساعد/ علم الاجتماع/ كلية الاجتماع/ فرع بيت لحم/ جامعة القدس المفتوحة/ فلسطين.

ملخص:

تناولت هذه الدراسة الوضع القانوني للاجئين الفلسطينيين وقد عالجت بعدين رئيسين هما: حق العودة ومضامينه، وناقش البعد الثاني الأطر القانونية التي كفلت حق عودة اللاجئين الفلسطينيين من خلال تحليل عميق للمواثيق والقرارات الدولية التي دعت إلى تطبيقها، وبشكل خاص قرار ١٩٤.

Abstract:

This study deals with the legal status of the Palestinian refugees. It has two main perspectives: The Right to Return, its implications and the legal legislations which have guaranteed the right of return of the Palestinian refugees through a thorough analysis of the international rules and principles that have called for the implementation of such rules especially the 194 resolution.

مقدمة:

عرف اللجوء والبحث عن المكان الآمن منذ أقدم العصور؛ إذ إن الإنسان قد فطر على الاستقرار في وطنه، غير أن الظروف قد تضطره إلى اللجوء إلى مكان آمن يحتمي فيه، وتظل أحلام العودة تراوده من حين لآخر. وبمواكبة تطور هذه الظاهرة جرت محاولات عديدة لبلورة قواعد وضمانات لحماية اللاجئين، وترتب على ذلك بروز ما اصطلح على تسميته بالقانون الدولي للجوء، أو قانون اللاجئين: وهو ذلك الفرع من القانون الدولي الذي يُعنى بحماية طائفة من البشر في وضع إنساني خاص، اضطرتهم فيه أسباب قاهرة إلى ترك بلادهم إلى بلاد أخرى، للاعتقاد الحقيقي بوجود خطر على حياتهم أو كيانهم. (الأشعل، ١٩٩٢: ٦٢– ٦٣) . ويستمد هذا القانون مصادره من الاتفاقات العالمية أو الإقليمية والتشريعات الوطنية الخاصة بمركز اللاجئين ومن حركة حقوق الإنسان، إلى جانب القرارات الدولية الصادرة عن الأمم المتحدة فيما يتصل باللاجئين.

وطبقاً لهذه المصادر جميعاً، يستحق ملتمسو اللجوء كافة الحقوق والحريات الأساسية المنصوص عليها في البنود الدولية والإقليمية لحقوق الإنسان. وهكذا ينبغي النظر لحماية وضمان حقوق اللاجئين عامة في الإطار الأوسع لحماية حقوق الإنسان، وهذه منهجية أخذت بها المواثيق الدولية عامة، بحيث يمكن القول إن حماية اللاجئين من الجزئيات التي حققت تقدماً نظرياً مذهلاً في القانون الدولي لحقوق الإنسان، كون هذه الحماية تشمل معظم الحقوق التي للإنسان علاقة بها في ظل الوضعية العادية للمواطنة،– كحقوق الحياة، والحماية من سوء المعاملة والتعذيب، والتنقل الآمن، وعدم الإرغام على العودة إن كان هناك ما يهدد السلامة الشخصية، وتوفير الرعاية الممنوحة للمواطنين الأصليين على صعيد ممارسة الشعائر الدينية، وتوفير التربية الدينية والتعليم (الأزعر، ١٩٩٨: ٩– ١٠) .

وتعدُّ اتفاقية الأمم المتحدة لعام ١٩٥١ الخاصة بوضع اللاجئين والبروتوكول المكمل لها لعام ١٩٦٧ من أهم البنود الدولية المعبرة عن التقدم في ضمان حقوق اللاجئين على الصعيد الدولي بعد الحرب العالمية الثانية، لكنها ليست الإطار الوحيد في هذا الشأن، فثمة نصوص صريحة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام ١٩٤٨، واتفاقية جنيف الرابعة لسنة ١٩٤٩ بشأن حماية الأشخاص المدنيين وقت الحرب التي تتعلق بالمادة (٤٤) منها بحماية اللاجئين والمشردين. (Badil, 2000: 1)

كما تنص المادة (٧٣) من البروتوكول الإضافي لها سنة ١٩٧٧ على مثل هذه الحماية. هذا بالإضافة إلى اتفاقية عام ١٩٥٤ المتعلقة بوضع الأشخاص عديمي الجنسية،

واتفاقية عام ١٩٦١ بشأن التقليل من حالات انعدام الجنسية، وإعلان الأمم المتحدة لسنة ١٩٦٧ بشأن اللجوء الإقليمي الذي نص على أن: "منح اللجوء هو عمل سلمي وإنساني ولا يمكن اعتباره عملاً غير ودي". (الأزعر، ١٩٩٨: ١٠).

وفي عام ١٩٨٠ أكدت الجمعية العامة للأمم المتحدة على الصلة الوثيقة بين انتهاكات حقوق الإنسان وتحركات اللاجئين. وكانت الجمعية العامة قد أنشأت في ديسمبر ١٩٤٦ المنظمة الدولية لحقوق اللاجئين كوكالة متخصصة مؤقتة، ثم أنشئت في ديسمبر ١٩٥٠ مفوضية الأمم المتحدة لشئون اللاجئين التي أصبحت ترعى زهاء (١٧) مليون لاجئ في أنحاء العالم، باستثناء اللاجئين الفلسطينيين الذين لا يخضعون لولايتها بل يخضعون لوكالة غوث للاجئين الفلسطينيين (UNRWA) التي أنشأتها الأمم المتحدة في ديسمبر من عام ١٩٤٩ (الأزعر، ١٩٩٨: ١٠– ١٢).

ولعل هذه المنظومة القانونية الحقوقية المتكاملة بمستوياتها الدولية والإقليمية تشكل الخلفية العامة لمضمون حقوق اللاجئين الفلسطينيين وعلى رأسها حق العودة الذي كفلته المواثيق الدولية ومنظمات حقوق الإنسان في قراراتها المتتابعة منذ حدوث النكبة سنة ١٩٤٨. وفي هذا السياق يبرز التساؤل الرئيس الآتي: **ما حق العودة؟ وما أطره القانونية والإنسانية؟**

مفهوم حق العودة:

الحديث عن حق العودة بعد أربعة وستين عاما من التشريد الأول، اختلف بعدما وقع من مظالم تاريخية كبرى قبل ذلك ومن بعد، اختلف مضمونه في الأذهان، وفيما تخط الاقلام اختلافا ملحوظا عما كان عليه عقب النكبة الكبرى مباشرة، اختلف عما كان عليه مفهوم الكلمة عندما كان مرتبطاً بأصل القضية، وليس بمسارات الانحراف بقضية فلسطين نفسها، والانحراف بالمفاهيم المنبثقة عنها، اختلف المفهوم عبر تشويه مصطلحات القضية في الوعي الذاتي على المستوى الفردي والجماعي وما ترتب على ذلك من طرح شعارات وأهداف ومنهج للتوعية والتربية والعمل، وحتى تشكيل المنظمات وصياغة الأناشيد ورسم اللوحات الفنية بمضامين لا تنطوي على العودة كما هي في الأصل: حق أصيل مشروع بمختلف المعايير، يتضمن استعادة الأرض والممتلكات المادية والحقوق الوطنية، وما ينبثق عن ذلك على صعيد الحرية والسيادة والاستقلال ووحدة الأرض والشعب homt alaqsa. com.

وعلى الرغم من أن قضية اللاجئين الفلسطينيين دخلت بعد بدء عملية السلام وإحالة

موضوع اللاجئين الفلسطينيين على محادثات الوضع النهائي في مرحلة تجاوزت مجرد تسجيل المواقف المبدئية أو الايدولوجية للإطراف المعنية، والبحث في الاعتبارات القانونية لتأييد هذا الموقف أو ذاك، إلا أنه ربما يكون من المفيد الرجوع إلى الأصول حتى لا يكون التجاوز على الحقوق الفلسطينية الثابتة بحجج توازن المصالح سبباً من الأسباب المعوقة لإقامة سلم حقيقي دائم وشامل في المنطقة تحافظ عليه الأجيال فيما يستقبل من الايام.

لقد جاء تأكيد حق الفلسطينيين في العودة إلى ديارهم لأول مرة في تقرير وسيط الأمم المتحدة الكونت برنادوت في أيلول عام ١٩٤٨ فيما يخص الوضع في فلسطين حيث جاء في التقرير (يجب التأكيد على حق الناس الأبرياء الذين اقتلعهم من أرضهم الرعب الواقع عليهم وأهوال الحرب في العودة إلى بيوتهم، وأن ينفذ ذلك مع التأكيد الكامل على تعويض لإوِلَئك الذين لا يرغبون في العودة عن الخسائر في ممتلكاتهم (اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الثالثة لسنة ١٩٤٨، الوثيقة رقم A/ 648)

وبناء على توصية الكونت برنادوت صدر القرار ١٩٤ المتعلق بالعودة أو إعادة اللاجئين إلى بيوتهم أو تعويضهم كما نصت المادة (١١) منه. وقد رفضت إسرائيل الإلتزام بالقرار منذ ذلك الحين وحتى اليوم بحجة أن دولاً عربيةً رئيسةً ستاً كانت قد رفضته، ولكن (إسرائيل) كانت قد التزمت به سنة ١٩٤٩ عند قبولها عضواً في الأمم المتحدة، بقبول غير متحفظ لكل الواجبات التي يتضمنها ميثاق الامم المتحدة وتعهدت بتنفيذها منذ اليوم الذي أصبحت فيه عضواً في المنظمة الدولية، ومن هذه الالتزامات بروتوكول لوزان الذي يدعو إلى إعادة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم (الطويل: ١٩٩٦: ١٠٤) .

وفي هذا السياق يمكن تحديد حق العودة بأنه الحق الذي يطالب به اللاجئون الفلسطينيون وفروعهم بالعودة إلى الأماكن التي كانوا يقطنونها، تلك الأماكن التي أرغموا على مغادرتها، هم وآباؤهم وأجدادهم وحق استعادتهم للأملاك التي انتزعت منهم أو تركوها. **ومن خلال هذه الرؤية فإن مواصفات حق عودة اللاجئين الفلسطينيين تتمحور حول البعدين الآتيين:**

١. أنه حق فردي، لكنه ذو بُعد جماعي، لأنه يعني أغلبية الشعب.

٢. أنه حق ذو طبيعة سياسية، إذ يعني استعادة المواطنة أياً كانت هذه المواطنة. (بابا دجي، ١٩٩٦: ٤٢) .

أما أماكن ممارسة حق العودة، فقد حددها قرار (١٩٤) ، وهي الأماكن الأصلية التي هُجّر عنها اللاجئون قسراً في عامي ١٩٤٧ و١٩٤٨، وهذه الأماكن يُشار إليها بأنها بيوت منشئهم (Badil, 2001: 5) .

وقد يُطرح تساؤل مفاده: من أصحاب حق العودة؟ والإجابة عليه واضحة، فهم أولئك الأشخاص الذين يحدّدون أنفسهم بأنهم فلسطينيون، والذين طردوا، أو طُرد آباؤهم وأجدادهم خلال عامي ١٩٤٧ و١٩٤٨، أو بعد سنة ١٩٦٧، فالأوائل يُشار إليهم عادة بكلمة (لاجئين) ، والآخرون بكلمة (نازحين) (بابا دجي، ١٩٩٦: ٤٦– ٤٧) .

الأطر القانونية التي كفلت حق عودة اللاجئين الفلسطينيين:

يمكن تأصيل حق العودة في الشرعية الدولية من خلال الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام ١٩٤٨ والذي تضمن ما يأتي:

١. كل شخص له حق التمتع بحريته ويكون مواطناً من نفس الدولة.

٢. كل شخص له الحق في مغادرة البلد الذي ينتمي إليه وكذلك الرجوع إليه.

٣. جميع البشر ولدوا أحراراً ومتساوين من حيث الحقوق والواجبات.

(Hassassian, 1995: 2)

وهذه المضامين توافقت مع قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة، وخاصة القرار (١٩٤) المتعلق بحق عودة اللاجئين إلى ديارهم التي هجّروا عنها قسراً سنة ١٩٤٨، وتعود إرهاصات هذا القرار إلى النشاط الذي قامت به الجمعية العمومية للأمم المتحدة في كانون الأول لعام ١٩٤٨، بتأسيس لجنة التوفيق لفلسطين التابعة للأمم المتحدة (UNCCP) ، وتعدّ هذه اللجنة بمثابة آلية لتسهيل تنفيذ حلول دائمة للاجئين الفلسطينيين، بالاستناد إلى توصيات وسيط الأمم المتحدة آنذاك الكونت برنادوت، وتحدد الفقرة (١١) من قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (١٩٤) إطاراً لحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، إذ وضّحت هذه الفقرة بصريح العبارة حقوقاً بارزة للفلسطينيين يمارسونها بموجب القانون الدولي، هي العودة واستعادة الممتلكات والتعويض. ويؤكد قرار (١٩٤) إضافة إلى ذلك أنه يحق للاجئين الذين يختارون عدم العودة بأن يجري توطينهم، وأن يتلقوا تعويضاً عن خسائرهم. أما البند الثاني من الفقرة (١١) ، فإنه في مثل هذه الحالة توجه لجنة التوفيق لفلسطين التابعة للأمم المتحدة لتقوم بتسهيل تنفيذ كامل مجموعة الحلول الخاصة بمحنة فلسطين، وتشمل هذه الحلول وفق التسلسل المرجعي: العودة إلى الديار واستعادة الممتلكات والتعويض والتأهيل الاقتصادي والاجتماعي. وينص البند الأول من الفقرة (١١) من قرار (١٩٤) على حق العودة بوضوح، إذ تعلن بأن الجمعية العمومية: "تقرر وجوب السماح بالعودة في أقرب وقت ممكن للاجئين الراغبين في العودة إلى ديارهم، والعيش بسلام مع جيرانهم، ووجوب دفع تعويضات عن ممتلكات الذين يقررون العودة إلى ديارهم، وعن كل مفقود أو مصاب بضرر، عندما يكون من الواجب وفقاً لمبادئ القانون الدولي،

والإنصاف أو يعوض عن ذلك الفقدان أو الضرر من قبل الحكومات والسلطات المسئولة" (UN, 1975: 15- 17) .

ويعكس التركيز على العودة باعتبارها الحل المفضل للاجئين الفلسطينيين حيث حدد القانون الدولى مبادئ عدة، منها حق الأشخاص المهجرين في العودة إلى بيوتهم، ومنع القيام بالتجريد العشوائي للممتلكات والطرد الجماعي. وكانت هذه المبادئ قد أصبحت معايير عرفية في القانون الدولي بحلول عام ١٩٤٨، وانعكس ذلك في لغة التوصية التي قدمها وسيط الأمم المتحدة لإيجاد حل لمحنة اللاجئين، حيث أقرت بحقيقة أنه لم يتم إيجاد حقوق جديدة "ينبغي أن تقوم الأمم المتحدة بتأكيد حق اللاجئين العرب في العودة إلى بيوتهم في المنطقة الخاضعة للسيطرة اليهودية في أقرب وقت ممكن" (Boling, 2000: 6) .

وقد اعتبر وسيط الأمم المتحدة حق العودة بوضوح بأنه العلاج الأكثر ملاءمة لإصلاح ما تم من طرد جماعي للفلسطينيين، وانتهاك هائل لحقوقهم الإنسانية الجوهرية حيث قال في تقريره في شهر أيلول لسنة ١٩٤٨: "لقد جاء خروج العرب الفلسطينيين نتيجة الذعر الذي سببه القتال في مواقعهم والأفعال الإرهابية والطرد" وأضاف: "كانت هناك تقارير كثيرة من مصادر موثوقة عن أعمال نهب وسلب على نطاق واسع، وعن حالات تدمير القرى بدون ضرورة" واختتم (برنادوت) تقريره قائلاً: "ستكون إساءة لمبادئ العدالة الأساسية إذا ما أنكر على هؤلاء الضحايا الأبرياء –في الصراع– حق العودة إلى بيوتهم" (Abu Sitta,1999: 3) .

ومن خلال تحليل دقيق للمبادئ ذات العلاقة لتنفيذ حق العودة كما حدده القرار (١٩٤) يمكن الخروج بما يأتي:

- أولاً: يحدد القرار بوضوح المكان الذي يحق للاجئين العودة إليه بالضبط إلى بيوتهم. وقالت سكرتارية الأمم المتحدة بأن الجمعية العمومية قصدت بوضوح عودة كل لاجئ تحديداً إلى بيته أو مسكنه، وليس (بشكل عام) إلى دياره (Rimpel, 2000: 3) .

- ثانياً: يؤكد القرار بأن العودة يجب أن تكون بناء على الخيار الشخصي لكل لاجئ. واستناداً إلى تقرير وسيط الأمم المتحدة كان "حقاً غير مشروط" للاجئين بأن يختاروا بحرية، وأن يحترم اختيارهم تماماً. وبمراجعة متفحصة في صياغة قرار (١٩٤) يلاحظ أن سكرتارية الأمم المتحدة تقول بأن الفقرة (١١) هدفت إلى منح اللاجئين باعتبارهم أفراداً حق ممارسة الخيار الحر بالنسبة لمستقبلهم. وقد توصل المستشار القانوني لبعثة المسح الاقتصادي التابعة للأمم المتحدة إلى النتيجة نفسها، ويشير الفعل (يختار) إلى

افتراض الجمعية العمومية بأنه سيجري تنفيذ المبدأ (وهو حق العودة) بالكامل، وبأن كل اللاجئين سيمنحون الاختيار الحر، ليقرروا ما إذا كانون يرغبون في العودة إلى بيوتهم أم لا (Contini, 1950: 27) .

♦ ثالثاً: يحدد القرار (١٩٤) الإطار الزمني لعودة اللاجئين في أقرب وقت عملي. وقد قصدت الجمعية العمومية بأن تقوم (إسرائيل) بإعادة اللاجئين الفلسطينيين فوراً وبدون انتظار أية اتفاقية سلام نهائية مع أطراف الصراع الأخرى، ويشار إلى هذه العبارة المختارة من الفقرة (١١) ، واستناداً إلى تاريخ الصياغة والنقاش فقد استنتجت سكرتارية الأمم المتحدة ما يلي: "وافقت الجمعية العمومية على أنه ينبغي السماح للاجئين بالعودة عندما تنشأ ظروف مستقرة. ويبدو أنه لا خلاف على أن مثل هذه الظروف قد نشأت من خلال توقيع اتفاقيات الهدنة لسنة ١٩٤٩) (Boling, 2000: 8) .

♦ رابعاً: يفرض قرار (١٩٤) التزاماً على (إسرائيل) بأن تسمح بدخول اللاجئين ثانية، وقد كان رأي سكرتارية الأمم المتحدة بأن (إسرائيل) ملزمة بموجب بنود قرار (١٩٤) بأن تهيئ الظروف التي تسهل عودة اللاجئين. وفي مراجعتها لمعنى أن عبارة اللاجئين الراغبين في العودة إلى بيوتهم "يجب أن يسمح لهم بذلك" لاحظت سكرتارية الأمم المتحدة بأن الأمر يفرض التزاماً (لضمان سلامة اللاجئين العائدين وحمايتهم من أية عناصر تسعى إلى إلحاق الأذى بهم) (Boling, 2000: 8) .

♦ خامساً: إن صياغة القرار (١٩٤) تنطبق على اللاجئين كلهم في فلسطين، وبينما استخدمت الصياغتان الأولتان للفقرة (١١) مصطلح "اللاجئين العرب"، فإن الصياغة النهائية التي وافقت عليها الجمعية العمومية في ١١ كانون الأول استخدمت مصطلح: "لاجئين فقط". ويشير النقاش في الجمعية العمومية بخصوص مسودات الحلول إلى أن مصطلح: "اللاجئين العرب" قد استخدم ببساطة، لأن معظم اللاجئين كانوا في الحقيقة عرباً فلسطينيين، ومن خلال استخدام المصطلح الأوسع "اللاجئين"، فإن الجمعية العمومية أشارت بذلك إلى أن الحقوق التي جرت إعادة التأكيد عليها في الفقرة (١١) تنطبق وفق أسس غير تمييزية (Boling, 2000: 8) .

♦ سادساً: إن المتفحص لقرار (١٩٤) يلاحظ أن التعويض ليس بديلاً عن حق العودة وإنما يسير معه جنباً إلى جنب (Rempel, 2000: 3) .

ويشير اشتراط الجمعية العمومية دخول (إسرائيل) عضواً في الأمم المتحدة بتنفيذها قرار (١٩٤) بوضوح، وأن الجمعية اعتبرت (إسرائيل) ملزمة تماماً بضمان التنفيذ الكامل لحق العودة اللاجئين الفلسطينيين. (UN, 1949) .

وقد أثيرت عدة طروحات حول الطبيعة الملزمة لقرار (١٩٤) ومنها:

١. الطرح القائل بأن قرار (١٩٤) ليس ملزماً لأن كلمة (ينبغي should) مستعملة بدلاً من اصطلاح أقوى هي (Shall) ، وهناك طرح مرتبط بذلك يقول "حيث إن قرارات الجمعية العمومية هي مجرد توصيات في طبيعتها على كل حال، فإن قرار (١٩٤) لا يمكن أن يكون ملزماً.

ولا يأخذ هذان الطرحان بالاعتبار بأن حق العودة كان قد اكتسب قبل عام ١٩٤٨ وضعاً عرفياً بموجب القانون الدولي، ولذا فإن تنفيذ حق العودة في عام ١٩٤٨ كان إجبارياً للدول كلها، بغض النظر عن استخدام كلمة ينبغي (shall) ، أو حقيقة أن القرار صادر عن الجمعية العمومية. إضافة إلى ذلك فإن قرار (١٩٤) لم يتعرض لأي إلغاء أو حذف أو نقض أبداً، بل العكس من ذلك، فإن الأمم المتحدة أكدته سنوياً منذ أن تم إقراره سنة ١٩٤٨ بإجماع أعضاء الجمعية العمومية مما يُكسب هذا القرار التأثير والقوة الإلزامية . (Luke, 1986: 4)

٢. الطرح القائل بأن (إسرائيل) لم تُذكر صراحة بالاسم في قرار (١٩٤) ، ولذا فإن الدعوة لإعادة اللاجئين الفلسطينيين إلى وطنهم ليست ملزمة بالضرورة (لإسرائيل) إلى حد ما.

ولا يأخذ هذا الطرح بالحسبان أن (إسرائيل) كانت دولة المنشأ الوحيدة التي أدت سياستها إلى نشوء قضية اللاجئين بالدرجة الأولى، ولذا فإن الدعوة لإعادة اللاجئين إلى وطنهم تمثل التزاماً ملزماً بموجب القانون الدولي لبلد المنشأ الوحيد الذي كان وما زال قائماً وهو (إسرائيل) .

٣. الطرح القائل بأن قرار (١٩٤) يصف عودة اللاجئين على أنهم أولئك الذين يرغبون بالعيش بسلام مع جيرانهم، وهذا يدل نوعاً ما على أن (لإسرائيل) الحق بأن (تغربل) اللاجئين العائدين وفق معاييرها الداخلية الخاصة بها.

والرد على هذا الطرح، أن اللاجئين يدركون تماماً بأنهم يسعون إلى العودة إلى ديارهم (دولة إسرائيل) ، ويدركون بأنهم سيكونون خاضعين تماماً لقوانينها وأنظمتها كما هو الأمر بالنسبة للمواطنين المتجنسين بجنسيتها.

٤. الطرح القائل بأن قرار (١٩٤) قد استُبدل أو جرى تعديله أو ألغي من خلال قرار مجلس الأمن (٢٤٢) الذي يدعو إلى تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين بدون التحديد بالضبط، والذي يشكل تسوية عادلة.

والرد الواضح تجاه الطرح السابق هو أن قرار (١٩٤) قد سبق قرار (٢٤٢) ، ولأنه أوضح بتعابير لا لبس فيها وبشكل محدد ما هي العلاجات القانونية بالضبط المطلوبة لتسوية عادلة لمشكلة اللاجئين: (العودة واستعادة الممتلكات والتعويض) فهو مندمج بالضرورة في قرار (٢٤٢) ويجب أن يقرأ على أنه جزء منه. (Boling, 2000: 23- 25) . ويمكن الرجوع إلى الرابط (http:/ / www. womencsprr. org/ ar/ studies/ study6. htm)

وما زال بعض الخبراء في القانون يؤكدون بأن القرار (١٩٤) يمكن أن يحل محل قرارات الأمم المتحدة اللاحقة: وبشكل خاص قرار مجلس الأمن (٢٤٢) (Rempel,1999: 1) .

ولم يكن القرار (١٩٤) الوحيد الذي يعد إطاراً قانونياً دولياً ملزماً لحق عودة اللاجئين الفلسطينيين، بل أصدرت الجمعية العمومية للأمم المتحدة في دورتها في ٢٤ ديسمبر ١٩٦٩ قراراً مهماً أكد حق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره، وجاء فيه على وجه الخصوص أن قضية اللاجئين العرب الفلسطينيين نتجت عن إنكار حقوقهم المشروعة التي أقرتها قرارات الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان. (عيسى، ٢٠٠٠: ٦) .

ويؤكد (Takkenberg) بأن قرار (١٩٤) وضِّح بقرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة والذي يحمل الرقم (٣٢٣٦) في الدورة التاسعة والعشرون، والذي اتخذ بعد سبع سنوات من قرار (٢٤٢) أي في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٧٤. **ويؤكد هذا القرار ما يأتي**:

١. تؤكد الجمعية العمومية من جديد على حقوق الشعب الفلسطيني في فلسطين غير القابلة للتصرف وبشكل خاص في:

أ. الحق في تقرير مصيره دون تدخل خارجي.

ب. الحق في الاستقلال والسيادة الوطنية.

٢. تؤكد من جديد أيضاً حق الفلسطينيين غير القابل للتصرف في العودة إلى ديارهم وممتلكاتهم التي شردوا منها واقتلعوا منها وتطالب بإعادتهم.

٣. تشدد على أن الاحترام الكلي لحقوق الشعب الفلسطيني غير القابلة للتصرف، و ضرورة إحقاق هذه الحقوق، واعتبار أن هذين أمران لا غنى عنهما لحل قضية فلسطين.

٤. تعترف بأن الشعب الفلسطيني طرف رئيسى في إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط.

٥. تعترف كذلك بحق الشعب الفلسطيني في استعادته حقوقه بكل الوسائل وفقاً لمقاصد ميثاق الأمم المتحدة ومبادئه.

٦. تناشد جميع الدول والمنظمات الدولية أن تدعم الشعب الفلسطيني في كفاحه لاسترداد حقوقه وفقاً للميثاق.

٧. تطلب من الأمين العام أن يقيم اتصالات مع منظمة التحرير الفلسطينية في كل الشئون المتعلقة بقضية فلسطين.

٨. تطلب من الأمين العام أن يقدم إلى الجمعية العامة في دورتها الثلاثين تقريراً عن تنفيذ هذا القرار.

٩. تقرر أن يدرج البند المعنون "قضية فلسطين" في جدول الأعمال المؤقت لدورتها الثلاثين (Rempel, 1999: 2) .

يتبين مما سبق أن للاجئين الفلسطينيين وضعا" فريداً في القانون الدولي،، إلا أنهم في الوقت نفسه يتميزون عن سواهم من مجموعات اللاجئين في العالم من حيث معاملتهم الاستثنائية في معظم المواثيق والاتفاقيات القانونية الدولية التي تحدد حقوق الدول وواجباتها تجاه اللاجئين، إذ لم يحظَ الفلسطينيون بحقوق الحماية التي كفلها القانون الدولي للاجئين بصفة عامة (Akram, 2000: 4) ، وذلك ناتج عن التأثير القوي للجماعات اليهودية في الرأي العام الأمريكي بشكل خاص، الذي يمتلك قرار حق النقض الفيتو لأي قرار لا يروق (لإسرائيل) ، وخاصة ما يتعلق منها بقضية حق العودة، **إذ إن موقفها في هذا الصدد يمكن تلخيصه (كما تزعم) في الأمور الآتية**:

١. إن اللاجئين خرجوا بإرادتهم بناءً على نداءات صادرة عن الدول العربية، أو كراهيتهم البقاء والعيش تحت حكم (إسرائيل) .

٢. إن (إسرائيل) استوعبت مليون لاجئ يهودي من الدول العربية قبل إنشائه وبعده، وبذلك فهي تدعي بأن هؤلاء اللاجئين اليهود القادمين من الدول العربية يستحقون تعويضاً عن أملاكهم التي تركوها خلفهم (كما ادعت أمام لجنة التوفيق الدولية سنة ١٩٤٩) . ومنذ ذلك الوقت وهي تحاول إقناع الهيئات الدولية بأن مسئولية التعويض للاجئين الفلسطينيين إنما يقع على كاهل الدول العربية التي هاجر منها اليهود إلى (إسرائيل) بدلاً من أملاك هؤلاء في تلك الدول. (أبو عيد، ٢٠٠٠: ٥٦٦) .

٣. إن موقف (إسرائيل) تجاه عودة اللاجئين الفلسطينيين واضح، ويجب ألا تحدث- من وجهة نظرها- تحت الظروف كافة، لأن ذلك يشكل تهديداً للطابع اليهودي للدولة. وسوف تؤدي بشكل ملموس إلى تدهور هذا التوازن الحساس، وتزيد الخطر على وحدة الأرض وتؤذي حدود (إسرائيل) لعام ١٩٦٧. (Gazit, 1995: 13 -14) .

٤. مشروع القانون الإسرائيلي في الكنيست الإسرائيلي الذي ينص على ما يأتي:

أ. لا يحق للاجئين العودة (لدولة إسرائيل) إلا بعد موافقة ثمانين عضواً من أعضاء الكنيست.

ب. يحق لوزير الدفاع أن يدخل تعديلات بعد موافقة لجنة الخارجية والأمن التابعة للكنيست، لكي يخفف من حدة هذا القانون، حيث يسمح الدخول والسكن في (إسرائيل) في الحالات الإنسانية فقط، وألا يتجاوز عدد الحاصلين على تصاريح دخول مائة شخص في العام.

ت. على حكومة (إسرائيل) ألا تضع التزامات ولا إبرام اتفاقات من شأنها المساس بهذا القانون. وقد تضمن المشروع تعريفاً للاجئين المقصودين "فهم الذين كانوا في الفترة الواقعة من تاريخ ٢٩/ ١١/ ١٩٤٧ وحتى سريان القانون". إلا أن الحقيقة تختلف كثيراً عن ادعاءات (إسرائيل) التي كررتها أمام اللجنة الدولية التي شكلتها الجمعية العامة للأمم المتحدة لمعالجة قضية عودة اللاجئين الفلسطينيين، وما زالت تكررها حتى الآن، على الرغم من ظهور العديد من الكتب والأبحاث في (إسرائيل) ذاتها التي تدحض هذه الادعاءات. (أبو عيد، ٢٠٠٠: ٥٦٦) . وهذا يظهر جلياً في مقالة للباحث الإسرائيلي أمنون كابليوك الذي أقر فيها بأن عملية إجلاء الفلسطينيين كان أمراً معداً بشكل مسبق، حيث يقول: "وأخيراً فإن مصير اللاجئين الفلسطينيين لم يحرك مشاعر الذنب أو الندم بين الإسرائيليين، وإنما العكس تماماً، فقد كتب موشيه شاريت في ١٥ حزيران سنة ١٩٤٨: "إن رحيل العرب كان ظاهرة عظيمة في تاريخ البلاد، ومن وجهة نظر معينة فإنها كانت أكثر روعة من قيام دولة (إسرائيل) ... إنها تفتح إمكانات الحل وبطريقة دائمة وراديكالية، إن أصعب المشكلات التي واجهتها دولة (إسرائيل) هي المشكلة السكانية". وقد روى كاتب سيرة بن غوريون المؤرخ مايكل زوهر في الذكرى المائة لمولد بن غوريون، كيف أن الزعيم اليهودي كان يراقب رحيل العرب من حيفا، ويعلق بالكلمات الآتية: ما أجمل هذا المشهد! وعندما ذهب إلى الناصرة بعد أن تم احتلالها، استفسر بصورة غامضة من القائد العسكري البريغادير جنرال حاييم لاسكوف ماذا يفعل هؤلاء هنا أي السكان العرب؟ وحسب مصادر معينة كان هناك أمر ضمني بإجبار السكان المحليين على المغادرة، ولكن القائد العسكري لم يقم بتنفيذ الأمر". (سمارة، ١٩٩٩: ٥٠– ٥١) . حيث وضع بن غوريون رئيس الوكالة اليهودية ورئيس الوزراء خطة (يفتاح) في أيار سنة ١٩٤٨ لتدمير قرى وأملاك اللاجئين، لمنعهم من العودة، بعد أن كان قد وضع الخطة (دالت) للطرد الجماعي المنتظم لهؤلاء اللاجئين (Morris, 1975: 158- 159) .

وفيما يتعلق بيهود الدول العربية، فقد غادروا تلك الدول التي كانوا فيها مواطنين كاملي الحقوق بناءً على تحريض وإغراء الحركة الصهيونية، وفي بعض الأحوال بعد تهديد حياتهم وأملاكهم بعمليات افتعلتها حكومة (إسرائيل) ، كما حدث مع يهود العراق، حينما قام عملاء إسرائيليون بإلقاء متفجرات على أحياء اليهود ومعابدهم في بغداد سنة ١٩٥١ لدفعهم للهجرة إلى (إسرائيل) . (أبو عيد، ٢٠٠٠: ٥٦٦) .

كذلك فإنه لا يمكن مساواة عملية التهجير القسري المصحوب بالمجازر وبأعمال "التنظيف العرقي" التي قامت به الوكالة اليهودية والمنظمات الصهيونية قبل وبعد إعلان (دولة إسرائيل) بتلك الهجرات اليهودية من الدول العربية التي كانت (إسرائيل) والوكالة اليهودية تقف وراءها وتشجعها من أجل جلب مئات الألوف من اليهود إلى فلسطين ليكونوا جنوداً يدافعون عنها، وللاستيلاء على أملاك أكثر من (٥٢٠) قرية هدمت ودمرت. ومن ناحية أخرى فإن اللاجئين الفلسطينيين لا يمكن أن يعتبروا بموجب أي قانون وبموجب مبادئ العدل والإنصاف بأنهم مسئولون عن تهجير اليهود من العراق واليمن وغيرها من الدول العربية، ولا يمكن لادعاءات (إسرائيل) أن تعدّ ادعاءات قانونية (أبو عيد، ٢٠٠٠: ٥٦٧) .

وأخيراً فإن الأسباب التي تقدمها حكومة (إسرائيل) لرفض السماح للاجئين الفلسطينيين بالعودة لا تختلف عن تلك الأسباب التي يتم اللجوء إليها في قضايا أخرى من قضايا اللاجئين، وخاصة حين تكون النزاعات حول الأرض وحول مطالبة إثنية أو دينية أو وطنية. فقد رُفضت عودة (١٢٥٠٠٠) لاجئ نبالي من بوتان بسبب عرقي، و (٥٢٠٠٠) لا جئ من بورما بالاستناد إلى ادعاءات حكومية رسمية، تقول بأن هؤلاء اللاجئين ليسوا مواطنين. وفي ناميبيا وأفغانستان ورواندا استندت مقاومة الحكومات لعودة اللاجئين إلى ادعاءات بأنهم غادروا بأمر من حركات المعارضة، أو أنهم كانوا مرتبطين بالانتفاضات المسلحة. وفي البوسنة والهرسك وكوسوفو، استندت معارضة عودة اللاجئين إلى الرغبة في الحفاظ على التجانس العرقي في المناطق، والذي كان نتيجة نزوح واسع النطاق للأشخاص خلال الحرب. (Rempel, 2000: 5) .

وفي هذه الحالات وغيرها قدم المجتمع الدولي دعمه لحق اللاجئين والنازحين بالعودة إلى بيوتهم وممتلكاتهم، وينعكس هذا الدعم في قرارات الأمم المتحدة فيما يتعلق بتدفق اللاجئين مثلاً من قبرص وجورجيا وكرواتيا وناميبيا والبوسنة والهرسك وكوسوفو، وفي معاهدات السلام مثل اتفاقية أروشة في رواندا واتفاقيات دايتون في البوسنة والهرسك، والاتفاقية العالمية للسلام في موزمبيق، واتفاقية رامبولين في كوسوفو والاتفاقيات الإقليمية في الهند الصينية وأمريكا الوسطى. (Rempel, 2000: 5) .

وفي العقد الأخير من القرن العشرين تمت عودة أكثر من (١٢) مليون لاجئ إلى بلادهم في عودات تلقائية ومنظمة، ففي موزمبيق مثلاُ، كان اللاجئون في معظمهم ريفيين وانتشروا في ستة دول لجأوا إليها، ومع ذلك تمت عودة حوالي مليوني لاجئ إلى بلدهم. وفي غواتيمالا حيث كان موضوع اللاجئين متعلقاً بالتوزيع غير العادل للأرض، ساعد المجتمع الدولي في عودة (٢٠٠،٠٠٠) شخص، وفي البوسنة والهرسك وضع المجتمع الدولي برنامجاً يُسمح من خلال تطبيقه عودة اللاجئين، وفي الهند الصينية تطلب الوصول إلى حل دائم لقضية اللاجئين عشرين عاماً. (Rempel, 2000: 5) .

نتائج الدراسة:

إن حق العودة يعبر عن إرادة وتصميم اللاجئين الفلسطينيين وهو الخيار الوحيد الذي يجمع عليه جميعهم، فبالرغم من تشتت الفلسطينيين وتوزيعهم في مناطق مختلفة من العالم تمكنوا من المحافظة على بنى ثقافية واجتماعية، تعتمد على العائلة والقرية أولاً، ثم النقابات والجمعيات المنظمة على أساس وطني مثل منظمة التحرير الفلسطينية كتعبير سياسي عن تصميم الفلسطينيين في سبيل التحرير والعودة إلى ديارهم وبيوتهم، وفي هذا السياق فقد فشلت الجهود الدولية طوال الستين عاما الماضية كلِّها بإيجاد حل لقضية الفلسطينيين.

ولا بد التأكيد مرة تلو الاخرى بأن حق اللاجئين بالعودة إلى منازلهم هو المبدأ الرئيس للقانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة، وهذا ما استعرضته البنية النظرية لهذه الدراسة في بعدها الثاني الذي عالج الأطر القانونية لمفهوم حق العودة التي تبنت بدون تأويل أو غموض في أن حق العودة غير قابل للتصرف مستمد من القانون الدولي المعترف به عالمياً، وأن المفاوضات والاتفاقات السياسية بين (إسرائيل) ومنظمة التحرير الفلسطينية/ السلطة الفلسطينية وبرعاية الولايات المتحدة لا تبطل مفعول القوانين الدولية وقرارات الامم المتحدة، وإن قرار ١٩٤ لايمكن إبطاله بالإعلان الذي يمكن أن يصدر عن السلطة الفلسطينية عن قيام دولة في الضفة والقطاع وغزة، لأن هذا القرار يؤكد حق اللاجئين بالعودة إلى بيوتهم وديارهم الأصيلة، ولا بد من التأكيد في هذه الدراسة على أن عودة اللاجئين إلى ديارهم التي هجروا عنها قصراً عام ١٩٤٨ يعدّ مقدمة لتحقيق الاستقرار السياسي في المنطقة بأسرها والقائمة على قرارات الأمم المتحدة وقوانينها العديدة.

خاتمة:

خلاصة القول، إن حق اللاجئين الفلسطينيين الفردي والجماعي فى العودة إلى ديارهم، والعيش في وطنهم هو حق طبيعي وأساسي من حقوق الإنسان، ويستمد مشروعيته من حقهم التاريخي في وطنهم لا يغيره أي حدث سياسي طارئ، ولا يسقطه أي تقادم،

وتكفله مبادئ القانون الدولي والاتفاقات والمعاهدات الدولية، بالإضافة إلى قرارات هيئة الأمم المتحدة ذات العلاقة. وأن حق اللاجئ الفلسطيني في العودة إلى وطنه هو حق ثابت أكدته العديد من الاتفاقات الدولية، ومن أبرزها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام ١٩٤٨، واتفاقية جنيف الرابعة، وقرارات الأمم المتحدة المتعلقة بقضية اللاجئين، وخاصة قرار (١٩٤) . كذلك يمكن الإشارة هنا إلى القرار (٣٢١٠) الذي أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها التاسعة والعشرين في ١٤/ ١٠/ ١٩٧٤، والذي أكدت فيه أن الشعب الفلسطيني هو الطرف الأساسى في القضية الفلسطينية، ودعت فيه منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها ممثلة للشعب العربي الفلسطيني إلى الاشتراك في مناقشات الجمعية العامة المتعلقة بالقضية الفلسطينية.

كذلك أصدرت الجمعية العامة في هذه الدورة القرار رقم (٣٢٣٦) مؤكدة على الحقوق الثابتة غير القابلة للتنازل للشعب الفلسطيني، وأشارت على وجه الخصوص إلى حق الشعب الفلسطيني في:

١. حق تقرير المصير دون تدخل خارجي.

٢. الحق في الاستقلال والسيادة الوطنية.

٣. الحق في العودة واسترداد الأملاك.

٤. أكدت الجمعية العامة أن الاحترام الكامل لهذه الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني، والتي لا يمكن التنازل عنها يُعد شرطاً ضرورياً لتسوية القضية الفلسطينية.

ويمكن الإشارة أيضاً إلى قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في الدورتين الثلاثين رقم (٣٣٧٥) الذي دعت فيه إلى ضرورة اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية في الجهود التي تبذل لحل مشكلة الشرق الأوسط سلمياً، وقرارها رقم (٣٣٧٦) الذي يقضي بإنشاء لجنة لدراسة كيفية مباشرة الشعب الفلسطيني لحقوقه غير القابلة للتنازل، وهذه اللجنة مكونة من عشرين عضواً تعينهم اللجنة العامة. (un. 1975: 16)

وبهذا يتضح أن الطرف الفلسطيني هو الطرف الرئيس في مشكلة الشرق الأوسط.

وبالرغم من قانونية القرارات السابقة بشكل عام، وقرار رقم (١٩٤) بشكل خاص، إلا أن (إسرائيل) وحلفاءها حاولوا الالتفاف على القوانين الدولية المتعلقة به، من خلال طرح مشاريع التوطين لتصفية القضية الفلسطينية وطيّ صفحاتها التي أرّقت المؤسسة السياسية الإسرائيلية منذ نشوء الكيان الصهيوني على أرض فلسطين سنة ١٩٤٨ وحتى أيامنا هذه.

المصادر والمراجع:

أولاً- المراجع العربية:

١. أشعل، عبد الله، مصر وقانون اللاجئين، السياسة الدولية، العدد ١٠٧، يناير، ١٩٩٢.

٢. أزعر، محمد خالد، ضمانات حقوق اللاجئين الفلسطينيين والتسوية السياسية الراهنة، القاهرة: مركز القاهرة لدراسة حقوق الانسان، ١٩٩٨.

٣. بابادجي، رمضان وآخرون، حق العودة للشعب الفلسطيني ومبادئ تحقيقه، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٦.

٤. عيسى، حنا، القرار (١٩٤) ومشكلة اللاجئين الفلسطينيين، القدس، ٢٠٠٠.

٥. أبو عيد، عبد الله، حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى وطنهم على ضوء قواعد القانون الدولي، فلسطين: مجلة جامعة النجاح الوطنية، المجلد ١٤، العدد ٢، حزيران، ٢٠٠٠.

٦. سمارة، عادل، اللاجئون الفلسطينيون بين حق العودة واستدخال الهزيمة، القدس، وكالة أبو غوش للنشر والتوزيع، ١٩٩٩.

٧. فالح الطويل، اللاجئون الفلسطينيون (قضية تنتظر حلا) ، الاردن: مطبعة ابن خلدون، ١٩٩٦.

ثانياً- المراجع الاجنبية:

1. *Badil research center, , Palestinian Refugees in Excile , campaign for the defence of Palestinian refugee rights , Bethlehem , 2000.*
2. *Badil ,relevant international instruments , conventions relating to Restitution , Forth Geneva convention relative to the protection of civilian persons in time of war , 75 , oct. , 21 , 1950.*
3. *Hassasian , M. , Historical Justice and Compensation for the Palestinian Refugees ,Harvard , 1995.*
4. *Boling , G. , Palestinian Refugees and the right of return: An international law analysis , Bethlehem: Badil Resourse Center , 2000.*
5. *Abu sitta , S. , the Palestinian Nakba- 1948. the register of Depopulated facilities in palestine , London: the Palestinian Return Center. 1999.*

6. *Rempel. , T. , the right of return , Badil Resource Center, Bethlehem , 2000.*
7. *Contini , P. , Legal aspects of the problem of compensation to Palestinian refugees, UN. Doc. W/ 32,19Jan. , 1950.*
8. *Luke , T. , The Right to compensation , American Journal of international Law. vol. 80, No. 3 , 1986.*
9. *Akram , S. , Reinterpreting Palestinian Refugees Right Under International Law , and frame work for durable solutions , Bethlehem: Badil Resource Center ,2000.*
10. *Gazit, S. , the Palestinian Refugee problem , TelAviv University , 1995.*
11. *Morris, B. , The expulsion of Palestinian and Birth of the Palestinian Refugee proplem , 1947- 1949. Great Britain: Cambridge University Press , 1975.*
12. *http: / homatalaqsa. com. 1- 4. 2012.*
13. *UN Resolutions on Palestinian and the arab Israeli conflect. Vol one ,1947. Beirut: Institute for Palestine studies , Washington , DC. 1975.*
14. *http:/ / www. womencsprr. org/ ar/ studies/ study6. htm*

مدى ارتباطِ العنف الأُسرّي بالوسط السكنيّ لدى أسر طلبة المدارس الثانوية في محافظة بيت لحم*

د. صلاح الدين علي وتد**

أ. بدران عبد القادر ابدير***

* تاريخ التسليم: ٦/ ٩/ ٢٠١٢م، تاريخ القبول: ١٣/ ١٠/ ٢٠١٢م.

** منسق برنامج الماجستير في العمل الاجتماعي/ كلية الآداب/ جامع القدس أبو ديس/ فلسطين.

*** مدير مديرية الشؤون الاجتماعية في وزارة الشؤون الاجتماعية/ بيت لحم/ فلسطين.

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف إلى مدى ارتباط العنف الأُسريّ بالوسط السكنيّ، الذي تعيشه الأسرة لدى أُسر الأولاد في المدارس الحكوميّة والخاصة في محافظة بيت لحم. واستخدم المنهج الكميّ على شقيه الوصفيّ والاستدلاليّ، لمناسبته لهذا النوع من الدراسات، فقد اختيرت عيّنة الدراسة بالطريقة الطبقيّة العشوائيّة، من حيث متغير نوع المدرسة (حكومية، أو خاصة) ، وتكوّنت العيّنة من (١١٧٤) طالباً من (١٦) مدرسة، في محافظة بيت لحم، موزعة ما بين المدينة، والقرية، والمخيم، والبادية؛ أي بلغت بنسبة (١٨,٨٪) من مجتمع البحث. ولتحقيق أهداف البحث، صُممت استبانة أُعدت لغرض البحث الحالي. فأشارت النتائج إلى أنّ للمستوى الاقتصادي للحيّ السكنيّ للأسرة، ونوع السكن الذي تسكنه ارتباطًا مع العنف الأُسري، فلا يرتبط العنف بالسكن في الأحياء ذات المستوى الاقتصادي المتدني فقط، إنّما يرتبط كذلك بالسكن في الأحياء الغنيّة، كذلك تبيّن أنّ السكن في بيت (طوب، أو خيمة) يرتبط مع العنف الأُسريّ أكثر من السكن في (فيلا، أو شقة) ، وأنّ التجمع الذي تسكنه الأسرة لا يرتبط بالعنف الأُسريّ بأسباب التنقلات الحاصلة لسكان القرى إلى المدن، وتقليص الفجوة بين القرية والمدينة.

Abstract:

This study aims at identifying the extent to which domestic violence is related to the residential environment of the families of the students of private and governmental schools in Bethlehem district. The quantitative methodology with its descriptive and inferential parts was applied for its suitability for this type of studies. The study sample was randomly taken following the stratified way, in terms of variable type of school (governmental, private) . The sample consisted of (1174) students from (16) Schools in Bethlehem district, distributed between the villages and cities of Bethlehem; it reached the rate of (% 18.8) of the research community. A questionnaire was designed and prepared for the purpose of the study and for collecting additional data. The students were reported –through the questionnaire- to the aspects of domestic violence and to demographic details about their families. The results indicate that the domestic violence is related to the economic level of the residential neighborhood of the family and to the type of housing the family inhabit. The domestic violence is related to housing in the neighborhoods of low economic level as well as neighborhoods of high economic level. The results also show that the domestic violence is more related to housing in a brick house or in a tent than it is in a villa or an apartment. The assembly that the family lives in is not related to domestic violence because of the movements of villagers to the cities, reducing the gap between the village and the city.

تمهيد:

تشكل ظاهرة العنف الأُسريّ أحدى التحديات التي تواجه المجتمعات المختلفة، كونها من بين أخطر الظواهر التي تهدد المجتمعات الإنسانيّة المختلفة، والتي انتشرت في جميع أنحاء العالم، وامتدت إلى المجتمعات العربيّة والمجتمع الفلسطينيّ في القرية والمدينة، وأدّت إلى ظهور خلل في أداء الأُسرة وتراجعها بالقيام بأدوارها (العيسوي، ١٩٨٥؛ Boes 2004) . لقد تأخرت دراسة ظاهرة العنف الأُسريّ باعتبارها مشكلة أسريّة حساسة لا يجوز التدخل فيها، مما دفع إلى تكريس ثقافة صمت حولها. ولقد تطرقت الأدبيّات النظريّة في تفسيرها لهذه الظاهرة إلى عدد من عوامل الخطر، بربطها في عوامل مختلفة تعود إلى عوامل بيولوجيّة، وشخصيّة، واقتصاديّة، واجتماعيّة، وسياسيّة. واهتمت الأدبيّات النظرية بإبراز الوسط السكنيّ كأحد مؤشرات الخطر المرتبطة بالعنف الأُسريّ. (Carny, Buttell &؛Dutton, 2007)

مشكلة الدراسة:

ظاهرة العنف الأُسريّ ليست جديدة في المجتمعات العربيّة، كسائر المجتمعات الأخرى، وهي ليست غريبة عن المجتمع الفلسطينيّ، فقد انتشرت في مختلف الأوساط السكنيّة في الضفة الغربيّة، وفي قطاع غزة، وفي الداخل الفلسطينيّ. وذلك بسبب تعدد العوامل والضغوطات البيئيّة، والاجتماعيّة، والاقتصاديّة، والسياسيّة التي يعاني منها المجتمع الفلسطينيّ، فالأوضاع الاقتصاديّة للأحياء الفلسطينيّة الفقيرة قد ازدادت سوءًا، وقللت من فرص الأُسرة في سدّ احتياجاتها، وتدني أوضاعها السكنيّة، وسيادة ثقافة الفقر فيها، وعدم تطوير الأوساط السكنيّة، وما ينطوي عليها من ضغوطات، قد وفرت الفرص للصراع والعنف الأُسريّ. إنّ اتساع انتشار ظاهرة العنف الأُسريّ في المناطق الفلسطينيّة جميعها، وعمق أضرارها على الأُسرة والمجتمع، لقلّة المعلومات الامبيريقية، وغياب الخدمات المهنيّة، قد يعطل دور قيام الأسرة بوظائفها نحو أفرادها وتنشئتهم التنشئة السليمة. وقد نحدد مشكلة الدراسة في سؤال البحث المركزي التالي: هل توجد فروق في مستوى العنف الأُسريّ تعزى للوسط السكنيّ للأسرة؟

أهمية الدراسة:

لقد أُجريت دراسات عديدة عالميًا وعربيًا حول ظاهرة العنف الأُسريّ والعوامل التي تقف خلفها، دون أن تُجرى أبحاث كافية في هذا المجال في المجتمع الفلسطينيّ، ونظرًا

لانتشار هذه الظاهرة في مناطق المجتمع الفلسطيني جميعها، والنتائج السلبيّة المترتبة عليها على مستوى الأسرة وأفرادها، وعلى سلامة المجتمع، وكذلك الحاجة الملحة لمواجهة هذه الظاهرة. فمن هنا وجدنا ضرورة لدراسة هذه الظاهرة في المجتمع الفلسطينيّ، وارتباطها بالوسط السكنيّ، كي تزداد المعرفة حول موضوع العنف الأُسريّ وارتباطه بالوسط السكنيّ الذي تسكنه الأسرة، وربما تكون لنتائج هذا البحث انعكاسات تطبيقية على مستوى مواجهة الظاهرة.

هدف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة التعرف إلى ارتباط العنف الأُسريّ بالوسط السكني التي تعيش فيه الأسرة، لدى أُسر الأولاد في المدارس الثانوية الخاصة والحكوميّة في محافظة بيت لحم. كإحدى المحافظات التي تجمع بين أطياف المجتمع الفلسطينيّ.

الخلفيّة النظرية:

تشكل ظاهرة العنف الأُسريّ إحدى التحديات التي تواجه المجتمعات المختلفة على جميع فئاتها. فيعرف ابن منظور العنف في معجم لسان العرب (٢٠٠٠: ٤٣) «بأنّه الخرق بالأمر، وقلّة الرفق به، وأعنف الشيء أخذه بشدة، واعتنف الشيء كرهه والتعنيف: التوبيخ والتقريع واللوم». كما عرفت عبد الوهاب (١٩٩٤: ١٩) العنف تعريفًا شاملا بأنّه «سلوك أو فعل يتسم بالعدوانيّة، ويصدر عن طرف قد يكون فردًا، أو جماعة، أو طبقة اجتماعيّة، أو دولة، بهدف إخضاع طرف آخر، أو استغلاله في إطار علاقة ما ذات قوة غير متكافئة اقتصاديًا، أو اجتماعيًا، أو سياسيًا، وقد يتسبب هذا السلوك في إحداث أضرار ماديّة، أو معنويّة، أو نفسيّة، لفرد أو لجماعة، أو لطبقة، اجتماعية، أو لدولة أخرى».

الصعوبات التي واجهت دراسة العنف الأُسريّ:

لقد تأخرت دراسة ظاهرة العنف الأسريّ، وأهمل الباحثون الخوض فيها بسبب الحساسيّة الخاصة للعلاقات الأسريّة. وعدم توجه الضحايا إلى خدمات الحماية والكشف عنها (ألخالدي، ٢٠٠٥؛ العرود، ٢٠٠٨؛ العكايلة، ٢٠٠٦؛ Kortewe, 2008) . حيث بيّنت دراسة بويس (Boes, 1998) ودراسة ضراغمة (٢٠٠٢) إلى أنّ العديد من الزوجات، والأطفال المعنفين، لا يلجأون إلى مراكز الأمن لعدة أسباب منها: الخوف من ردة فعل رب الأسرة واعتبار الأمر أنّه عائلي، وكذلك عدم الإيمان بالنظام القضائي، أو الخوف من عدم تصديق أهل المرأة المعتدَى عليها، والخجل والخزي من نشر الخبر بسبب مفهوم سريّة الأسرة.

النظريات التي تفسر العنف الأُسريّ:

نظريّة التحليل النفسيّ:

تعدُّ نظريّة التحليل النفسيّ أنّ الدافع وراء سلوك العنف يتحدد في أمرين: الأول، أن تتغلب النفس ذات الشهوة نتيجة للضعف، وعدم قدرة الأنا على القيام بوظيفتها في الرقابة والردع. والثاني، العُقد النفسيّة التي يمكن أن تنجم عن الكبت (Frued, 1972) ، و يشار في هذه النظريّة إلى توضيح أثر العوامل النفسيّة المتمثلة في الغرائز والانفعالات على السلوك الإجرامي، كما تربط هذه النظرية بين العنف، ومظاهر الشذوذ العقليّ، والنفسيّ والمركبات، والعقد النفسيّة (زهران، ٢٠٠٣؛ العيسوي، ٢٠٠٤؛ Petri & Govern, 2004) .

نظريّة التعلُّم الاجتماعي:

تنظر نظريّة التعلُّم الاجتماعي إلى السلوك العنيف على أنّه سلوك متعلَّم، فالأفراد ينتهجون سلوكيات عنيفة؛ لأنّهم تعلموا مثل هذه السلوكيات، وهي بذلك تعتمد على التقليد كطريقة لتفسير أنماط معينة من السلوك، ومنها السلوك العنيف، فبعض سمات الشخصيّة قد يتعلمها الفرد من خلال محاكاته لسلوك الآخرين (أبو غزال، ٢٠٠٦). وحسب هذه النظرية، فإنّ الفرد يكسب العنف بالتعلُّم والتقليد من البيئة المحيطة به، سواء في الأسرة، أم في المدرسة، أم غيرهما كوسائل الإعلام، وأنّ الفرد في تعلّمه للسلوكيات العنيفة عن طريق تقليد الآخرين، يرى ما يمكن أنّ يترتب على سلوكيات الآخرين العنيفة من مكافأة أو عقاب. وقد برر باندورا (Bandura, 1978) العدوان على أنّه نتيجة للإحباط دائما.

نظرية الإحباط:

انطلقت هذه النظرية من مسلمة أساسية مفادها أنّ العدوان هو دائماً نتيجة للإحباط، وحتى يحدث السلوك العدوانيّ لا بدّ أن يسبقه الإحباط الذي يقود إلى شكل من أشكال العدوان، (ولي، محمد، ٢٠٠٤). وقد فسّرت هذه النظرية العنف عن طريق تأثير العوامل الاجتماعيّة على تطور الشخصيّة، حيث إنّ الفرد داخل الأسرة يتعرّض للعنف العاطفيّ الذي قد يؤدي به إلى الإحباط، وأنّ الإحباط يؤدي دائماً إلى العنف، ويظهر نتيجة عدم العدالة والمساواة داخل الأسرة والمجتمع، كما تطرحه هذه النظرية:) غباري، أبو شعيره، ٢٠٠٨) .

النظريّة البيولوجيّة:

ساد التفسير البيولوجي، في أنّ الردود الانفعالية: كالغضب أو التوتر تسبب ردود

فعل نوعيّة على مستوى الغدد الصماء (مرشد، ٢٠٠٥) . لذلك فإنّ أي عمل عدوانيّ ينتج منه تغيير في دقات القلب، وتبدد في التنفس، والدورة الدمويّة، وإفرازات في الغدد، فيدرك الفرد ردة الفعل هذه بعد أن تكون قد انتقلت إلى الدماغ عن طريق الدفع العصبي، وتُحدث ردة الفعل هذه الحالة النفسية التي نطلق عليها العدوان أو العنف، ولا بدّ أن تحصل عملية تفريغ عدوانيّ، وإذا لم تفرَّغ العدوانيّة خارجًا بالكلام أو الموقف، فستفرَّغ داخليًا، مسببة الاضطرابات الحادة المزمنة داخل الجسم (العقاد، ٢٠٠١؛ larzelere, 2000) .

أنواع العنف الأُسريّ وأشكاله:

لقد تنوعت مظاهر العنف واختلفت أشكاله الجسديّة والمعنويّة (العرود، ٢٠٠٨). ويتضمن العنف الأُسريّ أنماطًا عديدة من أبرزها عنف الآباء اتجاه الأبناء، والعنف المتبادل بين الزوجين، والعنف المتبادل بين الإخوة، والعنف من الأبناء اتجاه الآباء. (Ferrari, 2002) ويكون الأولاد الأكثر تعرضًا للعنف الأُسريّ إذا كان العنف موجهًا من كلا الوالدين. إلى جانب العنف الجسديّ واللفظيّ، الذي يتعرض له الأطفال في الأسرة، ويعاني العديد من الأطفال الإهمال البدنيّ، والانتهاك العاطفي، أو فشل المسؤول عنه في توفير المقومات الأساسية بما يعوق نمو قدرات الطفل البدنيّة والعقليّة والوجدانيّة (Polansky, Hally & Polansky, 1977) وكذلك الانتهاك الجنسيّ، حيث تكاد تتفق معظم الدراسات على أنّ الضحية غالبًا ما تكون الابنة، والجاني غالبًا ما يكون الأب.وأشارت نتائج دراسة بيرلينير (Berliner,1977) حول العلاقات الجنسيّة بين المحارم إلى أنّ (٩٥٪) من الضحايا من الإناث، و (٩٩٪) من الجناة من الذكور، وأنّ (٨٢٪) من الجناة من الآباء أو من يقوم مقامهم.

ولقد أشارت نتائج مسح العنف في المجتمع الفلسطينيّ لسنة (٢٠٠٦) إلى أنّ (٥١٪) من الأطفال تعرضوا للعنف داخل الأسرة من قبل أحد أفرادها، (٤٥,٨٪) في الضفة الغربية مقابل (٥٩,٤٪) في قطاع غزة.

وأمّا العنف ضدّ الزوجات، فقد حظي باهتمام العديد من الباحثين Hanrahan, 1997;) (Sugarman & Hotaling, 1989 وفي ضوء ما توصلوا إليه من أنّ ضرب الزوجة هو أكثر أشكال الانتهاك شيوعًا في الأسرة.(Capezza & Arriaga, 2008 و يعدُّ العنف الجسدي (Physical Abuse) أكثر أنواع العنف الأُسريّ وضوحًا، ويشمل الضرب، والقذف بالأشياء على الزوجة، والركل، والتهديد بسلاح، والحرق، والخنق (Anderson, 2008) .ويشير بزاوا (Buzawa, 2007) في دراسته إلى تنامي ظاهرة الإساءة إلى المرأة وانتشارها في مختلف أنحاء العالم، حيث تراوحت نسبة النساء المُساء إليهن من قبل الأزواج بين

(٢٥٪) إلى (٦٠٪) من المترددات على أقسام الطوارئ في المستشفيات على مستوى العالم، فقد اتسعت ظاهرة الإساءة للمرأة في المجتمعات العربية والغربية كافة (الغنيمي، ٢٠٠٧) .ولقد أشارت نتائج مسح العنف في المجتمع الفلسطينيّ لسنة (٢٠١١) إلى أنّ (٣٧٪) من النساء اللواتي سبق لهن الزواج تعرضنَ لأحد أشكال العنف من قبل أزواجهن (٢٩,٩٪) في الضفة الغربية مقابل (٥١,١٪) في قطاع غزة، وأنّ (٣٠,٢٪) منهن لجأنَ إلى بيوت الوالدين و (٦٥,٣٪) منهن فضلن السكوت، في حين لم تزد نسبة اللواتي توجهنَ إلى مؤسسة عن (٧٪) .وتشير نتائج دراسة الرفاعي (٢٠٠٧) حول العنف الجنسيّ ضد الطفلات، والمراهقات، والنساء في الضفة الغربية إلى أنّ مشكلة العنف الجنسيّ قائمة في المجتمع الفلسطينيّ، مثل الاغتصاب المُوجه ضد الإناث والذكور، والاغتصاب الزوجيّ، والتحرش الجنسيّ، وأنّ الرأي العام الفلسطينيّ يعي وجود هذه الظاهرة.

وأمّا العنف الواقع على الزوج، فإنّه يُسمى أحيانًا العنف الذي تمارسه النساء، ولعل موضوع العنف الذي تمارسه النساء هو أكثر المواضيع التي دار حولها الجدل في مجال العنف الأسريّ.ومنذ ظهور أول استطلاع رأي في الولايات المتحدة عام (١٩٧٥) ، والذي توصل إلى أنّ النساء تمارس العنف مثل الرجال، بدأ الموضوع يسبب قلقًا للنساء.ولأنّ مثل هذه النتائج تتناقض مع النظريّة المتعلقة بطبيعة المرأة، فقد أخفيت، أو حتى إنكارها (Carney, Buttell, & Dutton, 2007) فلقد وجدت دراسة ميشم، وشوفير، ورينهارد، وهورينينغ، ودانتر (Mechem, Shofer, Reinhard, Horning, & Datner, 1999) التي أجريت على عيادة طوارئ في مدينة فيلادلفيا أنّ ١٢,٦) ٪) من جميع المرضى الذكور على مدى فترة (١٣) أسبوعًا وعددهم (٨٦٦) كانوا ضحايا للعنف الأسري.وقد قال (٤٧٪) من هؤلاء المرضى إنّهم تعرضوا للرفس، والعض، واللكم والوخز، والخنق على أيدي زوجاتهم، وقال (٣٧٪) من الحالات إنّ زوجاتهم استخدمنَ السلاح ضدهم.ولقد أشارت نتائج مسح العنف في المجتمع الفلسطينيّ لسنة (٢٠١١) إلى أنّ نسبة النساء اللواتي عنّفنَ أزواجهن بلغت (١٧,١٪) .وأشارت نتائج بحث المنسي (٢٠٠١) حول العنف العائلي ضدّ النساء في قطاع غزة، إلى أنّ معظم أشكال العنف الأسريّ التي تحدث بين النساء منتشرة بشكل أكثر في الطبقات الفقيرة التي تعاني من تدنٍ في الأوضاع الاجتماعيّة والاقتصاديّة.ولقد أظهرت النتائج أنّ نسبة النساء اللواتي ذكرنَ أنّ العنف الذي يحدث لهن بسبب الأوضاع الاقتصاديّة بلغت (٤٥,١٪) .

وأمّا العنف بين الإخوة، فلم يهتمّ معظم المتخصصين بدراسته بشكل كافٍ.ويتمثل العنف بين الإخوة في المنازعات والمشاجرات، وقد يعود ذلك إلى التنافس بين الإخوة. وقد كشفت دراسة شتراوس (Straus, 2001) أنّ العنف بين الإخوة هو أكثر أنماط العنف

الأُسريّ تكراراً، فمن بين كل خمسة أطفال ذكر أربعة أنّهم قد ارتكبوا سلوكًا يتسمّ بالعنف مرة واحدة على الأقل كل عام، وفي ضوء ذلك تذهب الدراسة إلى أنّ حوالي (٢٩) مليون طفل أمريكي مارس فعلاً أو أكثر من العنف البدني اتجاه أحد أشقائه في العام الواحد.

وأمّا العنف الواقع على الوالدين وكبار السن، فليس المقصود به العنف القولي فقط، كإغلاظ القول للوالدين أو لأحدهما، بل يشمل ذلك إهمال الحاجات الأساسيّة لهما، والاعتداء عليهما بالضرب (إبراهيم، ٢٠٠٨) .ولقد أشارت نتائج مسح العنف في المجتمع الفلسطينيّ لسنة (٢٠١١) إلى أنّ (٧,٣٪) من كبار السن (٦٥) سنة فأكثر تعرضوا لأحد أشكال العنف من قبل أحد أفراد الأسرة.

ومن قراءة الأدب النظريّ في مجال العنف الأُسريّ يتبيّن أنّ هناك عددًا من أنماط العنف الأُسريّ وتشمل:

(ابو شهبه، ٢٠٠٣؛ صالح، ٢٠٠٨؛ العكايله، ٢٠٠٦؛ Dworkin, 2006 Elbogen, 2002) .

◄ **العنف المعنويّ «اللفظيّ، والنفسيّ»**: ونقصد بالعنف المعنويّ: كل فعل مؤذٍ نفسيًا، مثل الكلام البذيء، والتهديد المُوجه للزوجة، أو للأبناء، أو بحرمانهم من الذهاب إلى الأصدقاء، أو بتهديدهم بالحبس في المنزل وعدم الخروج، أو بتهديد المرأة بالطلاق والهجر والحرمان من الأبناء، أو بإشعار الطفل بالخزي، والصراخ، والغضب العارم على الطفل بصورة مباشرة أو غير مباشرة، بالإضافة إلى نبذه وعدم التواصل العاطفي معه.

◄ **العنف الجسديّ**: ويعني استخدام القوة الجسديّة بشكل مستمر اتجاه الآخرين، من أجل إيذائهم وإلحاق أضرار جسيمة بهم، وذلك كوسيلة عقاب غير شرعيّة مما يؤدي إلى الآلام، والأوجاع، والمعاناة النفسيّة.

◄ **العنف الجنسيّ**: هو لجوء الزوج إلى استدراج زوجته بالقوة لممارسة الجنس معها من غير مراعاة لوضعها الصحيّ، والنفسيّ، أو رغباتها الجنسيّة.وتكون هذه الإساءة إمّا بالممارسة المباشرة مع المرأة، أو باستخدام تعبيرات لفظيّة جنسيّة، كما تشمل أشكال العمليات الجنسيّة غير المرغوبة كالتحرش الجنسيّ، والاغتصاب، وإجبار المرأة على ممارسة الجنس من غير رغبتها.

◄ **الإهمال**: ويعني إهمال العناية بالطفل، وسد احتياجاته الأساسيّة، وحرمانه من العطف والحنان.

وللعنف الأُسريّ آثار مختلفة على الجوانب جميعها: الشخصيّة، والنفسيّة، والمعرفيّة،

والجسديّة والسلوكيّة مثل: انخفاض احترام الذات، وقلّة الدافعية للدراسة، وتقلص شبكة العلاقات الاجتماعية لدى الأولاد، وردود فعل نفسيّة حادة لدى الأولاد، وانعدام الشعور بالأمن والسلوك العدواني (Gershoff, 2002) .كما أنّ هناك آثارًا جسديّة تتمثل في علامات الحروق، والعض، والجلد، والجروح، والعظام المكسورة، والكسور بالرأس، والأضرار التي يترتب عليها أذى لفترات طويلة قد تستمر طوال العمر.

العوامل التي تقف وراء العنف الأسريّ:

هنالك عوامل نفسيّة، واقتصاديّة، واجتماعيّة قد تقف وراء العنف الأُسريّ (المطوع، ٢٠٠٨؛ Hopper, 2005) .وتغلب عليها العوامل الأسريّة، والظروف البيئيّة التي تعيش فيها الأسرة وتتفاعل معها.فلقد حاولت الأدبيات النظريّة تفسير العنف بشكل عام، والعنف الأُسريّ بشكل خاص على أساس أيكولوجي، من خلال ربطه بنوع التجمع السكنيّ، وكذلك ظروف الحي السكنيّة، وأنماط السكن وظروفه.

الوسط السكنيّ:

يدمج النموذج الأيكولوجي والعملي بين النظريّات الأيكولوجيّة وعلم البيئة، والتأثير المتبادل للتفاعلات الحاصلة بين المجموعات المختلفة (Proctor, 2006) ، فمكان السكن بأنواعه المختلفة سواء أكان في قرية، أم في مدينة، أم في مخيم، أم في بادية يشكل موقعًا جغرافيًّا تقطن عليه مجموعة من الناس تنتج ثقافة اجتماعيّة خاصة بها.فلقد تميزت الحياة في المدينة بالحياة الحضريّة الحديثة والمنفتحة، بينما تميزت القرية بالحياة التقليديّة، وسادت بها السلطة الأبوية، وأمّا البادية، فغلب عليها الاعتماد على تربية المواشي وسيادة السلطة الأبوية التقليديّة، وأمّا المخيم، فهو أحد الأوساط السكنيّة المستحدثة في المجتمع الفلسطينيّ منذ العام (١٩٤٨) حيث جُمع فيه أعداد كبيرة من المهاجرين الذين لم تسمح لهم ظروفهم اقتناء بيوت باهظة التكاليف في المدن والقرى، وتميز المخيم بالوسط السكنيّ الفقير، إلا أنّه بعد التغيرات الحاصلة في المجتمع القروي، وفي مجتمع المخيم، وحتى في القبائل البدوية التي انتقل قسم منها إلى العيش في مساكن منظمة تتجه نحو تغييرات أفقيه كبيرة جدًا في مستويات الحياة والتمدن والتعليم والصحة، والعادات، ما يجعلها تعيش أنماطًا جديدة شبه حضريّة (العكايله، ٢٠٠٦) .

ويشير عبد العاطي وآخرون (٢٠٠٤) إلى أنّ القوى والعوامل التي غيّرت من البناء الأيكولوجي للقرية والمدينة، وساعدت بدورها على تطوير مناطق الأطراف الحضرية كوحدة متكاملة من وحدات هذا البناء، كشفت عن خصائص متميزة أيكولوجيًّا وديموجرافيًّا

واقتصاديًّا ساعدت على تطوير نمط أسري خاص تميز هو الآخر بخصائص معينة جعلته يختلف إلى حد ما عن الأشكال الأسريّة المعروفة في المجتمعين: الريفيّ والحضريّ على حد سواء.فلقد عرف بأنّ الأسرة الحضريّة، تتميز بالعزلة النسبيّة التي جعلتها أقل انغماسًا في نسيج من علاقات وثيقة مع الجماعات القرابية الممتدة، مما جعل شبكة الدعم الاجتماعيّة أقل فاعليّة عند مواجهة التحديات والصعاب، الشيء الذي يرفع مستويات الضغط والاضطرابات النفسيّة التي غالبًا ما تكون مؤشرًا للعنف الأسريّ (العكايله، ٢٠٠٦) .

إنّ التكنولوجيا الصناعيّة في قيامها على أساس من قوة عمل متحركة أو متنقلة، جعلت من التنقل والحركة ضرورة يحتمها النجاح المهني للفرد، مما شجع على انتقال الأفراد بأسرهم الصغيرة إلى المدن ومراكز الصناعة، كما جعلت من هذا التنقل حقيقة تتعارض مع البناء التقليديّ للأسرة (الحيدري، ٢٠٠٣؛ العيسوي، ٢٠٠١) ، وأدّت إلى صعوبة في التأقلم والتكيّف الاجتماعيّ للبيئة المحيطة، وخلق الصراعات داخل الأسرة الناتجة عن تعارض في القيم والعادات والتقاليد، وتمرد الأولاد ورغبتهم في تبني الأنماط المفتوحة. وساعد توفّر فرص العمل بالمدينة لأبناء المدينة وغيرهم من أبناء القرى والمخيمات على تحرر الأبناء من الروابط الأسريّة الوثيقة، وأصبح ولاء الفرد يوجّه في المقام الأول نحو أسرته الصغيرة والمحدودة (عبد العاطي وآخرون، ٢٠٠٤) .كما أنّ خروج المرأة للعمل والارتقاء بالمستوى التعليميّ (ابنة، أو زوجة) كان يعني أنّها أصبحت مستقلة اقتصاديًّا، ومثقفة، وواعية لتتلاشى فوارق السمو والدنو في العلاقة بين الجنسين، ولتتأكد من جديد فلسفة المساواة كقيمة من القيم الأسريّة المتغيرة.ويرى دوباش ودوباش (& Dobash, Dobash1976) في دراستهما أنّ سبب ضرب الزوجات، وإساءة معاملة الضعفاء الآخرين داخل الأسرة هو النظام الهرمي، ونظام سلطة الأب للأسرة داخل النظام الاجتماعيّ الذي يسود أكثر في الأرياف.ويرى السمري (٢٠٠١) أنّ الثقافات في اتجاهاتها نحو ممارسة العنف اتجاه الأبناء، تقرّ وتسمح بأساليب عقابيّة اتجاههم.ويوصف بركتور (,Proctor 2006) الأمر بالخطير، حين تجتمع عدة من العوامل لتسهيل التعلم الاجتماعيّ عن أعمال العدوان المجتمعيّ، وقد ينمو بعض الأطفال وهم ينظرون إلى فكرة استخدام العنف والعدوان كما لو أنّه أمر طبيعي ومقبول (Huesmann, 1988) .وكما أشارت دراسة ريختر ومارتينغ (Richters & Martinez, 1993) حول تعرض الأطفال للعنف في العاصمة واشنطن، حيث وجدا ارتفاعًا في تعرُّض الأطفال من أعمار (١١- ١٤) من بين الذين يعيشون في مناطق الدخل المنخفض أو أحياء التطوير السكنيّة.وأشار الحاج يحيي (Haj- yahia, 2001) إلى أنّ العنف الأُسريّ تستخدمه الأُسر العربيّة التي تقطن في المناطق القروية والفقيرة، وكذلك في المناطق الريفيّة والمخيمات.وتشير نتائج المسح الذي أعلنه الجهاز المركزي للإحصاء

الفلسطينيّ (٢٠٠٦) حول مسح العنف الأُسريّ للأعوام (٢٠٠٥/ ٢٠٠٦) إلى عدم وجود فوارق كبيرة في العنف الجسديّ والجنسيّ بين الحضر، والريف، والمخيم، وإلى عدم وجود فروق بين القرى، والمدن في العنف النفسيّ، إلا أنّه يوجد فارق كبير بين الحضر والريف من ناحية، وبين المخيم من ناحية ثانية، حيث نسبة النساء اللواتي أفدنَ بأنّهن تعرّضنَ لعنف نفسيّ في المخيم أقل من نسبة النساء اللواتي تعرّضنَ للعنف النفسيّ في الحضر والريف (٦٨٪) لدى الحضر، و (٧٠٪) لدى الريف، و (٥٣٪) لدى المخيم.

المستوى الاقتصادي للحي السكنيّ:

لقد ربطت العديد من الدراسات بين طبيعة الحي وتأثيره على ساكنيه، حيث أشارت دراسة كيسار وبلاك (Kiser & Black, 2005) إلى أنّ الأحياء الفقيرة تسود فيها ثقافة تسمى بثقافة الفقر التي تحتوي على أخطار متعددة قد تقع على الأفراد والأُسر، والمتمثلة في انتشار الجريمة، والعنف المجتمعيّ، والعنف الأسريّ، وانتشار ظاهرة الإدمان على تعاطي المخدرات والكحوليات، ومشاكل مرضيّة، وجسديّة ونفسيّة، وإهمال الأطفال، وسوء التغذية، (Coulton, Korbin, & Su, 1999) إضافة إلى معاناة السكان فيه من العزلة الاجتماعيّة (العكايلة، ٢٠٠٦) ، والتوتر والضغط الدائمين لدى السكان، وإلى عدم الاستقرار الاقتصادي، وعدم وجود فرص عمل (Allison et al., 1999; Marsella, 1998) ، وهناك متاعب يومية كثيرة ترتبط في الحي السكنيّ الفقير تكون شدتها وضغوطها أقوى من الأحداث الحياتيّة الضاغطة الأخرى، وتشير عدد من الدراسات إلى أنّ الضغط هو الشرارة التي تشعل العنف Hammack,Robinson, Crawford, & Li, 2004.وإذا ما نظرنا إلى الأحياء الفقيرة، فإننا نجدها في حالة ضغط دائم، لذلك فهي مهيأة بشكل دائم لتصاعد السلوكات العنيفة فيها.وأشارت دراسة كيسار وبلاك Kiser & Black, 2005 إلى أنّ الزوجة التي تعاني من ضغوطات أفادت بعدم رضاها عن علاقاتها الزوجية، وصعوبات في التفاوض، ومزيد من العدائية، وصراعات أُسرية في مجملها ترتبط مع العنف الأُسري. ويشير كل من ابليارد واوسوفسكي (Appleyard & Osofsky, 2003) في بحث لهما حول ازدياد الضغوطات لدى الأهالي في الأحياء الفقيرة، إلى أنّ هناك ضغوطات وأعراضًا كثيرة أخرى قد تحدد قدرة الوالدين على العناية الناجعة بأولادهم، وأنّ ارتفاع حدة الضغوطات التي يعاني منها الأهل في المجتمعات الفقيرة، قد ترفع من مستويات غضبهم وعنفهم وتراجع في النمو لدى أولادهم، وبالتالي زيادة العنف المنزلي.

وفي المقابل يصرّ عدد من الباحثين على أن العنف موجود عبر كل الخطوط الاجتماعيّة والاقتصاديّة، والثقافيّة، والسلاليّة، والعرقيّة، والدينيّة، ولا تقتصر على الأحياء الفقيرة

فقط، فمن الأسباب التي تجعل من ينتمون إلى الطبقات الاجتماعيّة والاقتصاديّة العليا أقل عرضة لانكشاف أمرها من الفقراء هو أنّ لدى هؤلاء الناس طرقًا أخرى للمساعدة، فبالمال يستطيعون شراء المنازل.وأنّ هناك عددًا كبيرًا من الأدلة على وجود العنف بين الأُسر المرتفعة المكانة الاجتماعيّة والاقتصاديّة، بما لا يسمح الإدّعاء بأنّ معدلات العنف أعلى بين الأُسر الفقيرة (Brown, 1981) .

نوعيّة المَسكن:

يقصد بذلك ظروف المَسكن ونوعيته، من حيث توافر الشروط الطبيعيّة الجيدة للمَسكن، فأفراد العائلة جميعهم حسّاسون لما يجري في البيت، من حيث وضع الغرف، وعددها، واتساعها، وطريقة ترتيبها، وطريقة تهوية البيت، وموقعه، ونوعيته سواء أكان منزلًا مستقلًا، أم شقة، أم بيتًا شعبيًا، أم خيمة أم بناء طوب.

إنّ ضيق المَسكن يرفع مستوى التنافس والصراع بين أفراد الأسرة على زوايا معينة في البيت، مما يشعرهم بالضيق، ويزيد من حدة التوتر داخل المنزل، وتقليص الخصوصية، وزيادة الإباحية، والاحتكاك القريب بين الجنسين (العكايلة، ٢٠٠٦) .أن الظروف الاقتصادية السيئة تليها الظروف المعيشية والسكنية المتدنية قد تؤدي إلى تفاعلات سلبية يكون، نتاجها العنف والعدوان، وأن المسكن الهادئ الفسيح الذي تتوفر فيه جميع متطلبات الحياة يساعد كثيرا في مقاومة العنف الأسري.فإن البيت الذي يعاني من سوء الأحوال السكنية وانخفاض المركز الاقتصادي قد يؤدي إلى نشوء العنف الأسري (العكايلة، ٢٠٠٦)
.

إنّ مجمل العرض النظري يأتي بنا إلى افتراض مفاده أنّ الوسط السكنيّ للأسرة قد يرتبط مع العنف الأُسري، ومجمل هذه الافتراضات يجعلنا نطرح سؤال البحث المركزي الآتي.**هل توجد فروق في مستوى العنف الأُسريّ تعزى للوسط السكنيّ للأسرة؟**

الفرضيات:

١. توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى العنف الأُسريّ لدى أُسر الطلبة، تعزى للتجمع السكنيّ (مدينه، أو قرية، أو مخيم، أو بادية) ، العنف الأُسريّ لدى أُسر الطلبة الذين يسكنون المدينة أقل من العنف الأُسريّ لدى أُسر الأولاد الذين يسكنون البادية، أو القرية، أو المخيم.

٢. توجد فروق ذات دلالة إحصائية في العنف الأُسريّ لدى أُسر الطلبة، تعزى للمستوى الاقتصاديّ للحي السكنيّ، فالعنف الأُسريّ لدى أُسر الطلبة الذين يسكنون في الأحياء ذات المستوى الاقتصاديّ المتدني أعلى من العنف الأُسريّ لدى أُسر الطلبة الذين يسكنون في أحياء ذات مستوى اقتصاديّ عالٍ.

٣. توجد فروق ذات دلالة إحصائية في العنف الأُسريّ لدى أُسر الطلبة تعزى لنوع السكن الذي يسكنونه: (فيلا، أو شقة، أو بناء، أو طوب، أو خيمة) ، فالعنف الأُسريّ لدى أهالي الطلبة الذين يسكنون الخيمة أو بناء الطوب أعلى من العنف الأُسريّ لدى أُسر الطلبة الذين يسكنون الفيلا أو الشقة.

إجراءات الدراسة:

يعتمد البحث الحالي على المنهج الكميّ بشقيه: الوصفي والاستدلالي، الذي يتناسب مع الموضوع قيد الدراسة، ويتكون مجتمع الدراسة من جميع طلبة المرحلة الثانوية العامة الذكور في المدارس الحكوميّة والخاصة في محافظة بيت لحم، للعام الدراسي (٢٠١٠-٢٠١١) والبالغ عددهم (٦٢٣٣) طالبًا.واختيرت عيّنة الدراسة بالطريقة الطبقية العشوائية، من حيث متغير نوع المدرسة (حكومية، أو خاصة) ، وتكوّنت العينة من (١١٧٤) طالبًا من الذكور من (١٦) مدرسة في محافظة بيت لحم موزعة بين القرى، والمدن، والمخيمات، والتي بلغت بنسبة (١٨,٨٪) من مجتمع البحث.

الجدول (١)

توزيع مجتمع البحث بالأرقام والنسب حسب المتغيرات الديموغرافية (N=1154)

المتغيرات الديموغرافية		العدد N	النسبة ٪
مكان السكن	مدينة	٦٤٣	٥٥,٥
	قرية	٣٩٢	٣٣,٨
	بادية	١٢	١,٠
	مخيم	١١٢	٩,٧
نوع السكن	فيلا	٢١٣	١٨,٤
	شقة	٧١٩	٦٢,٢
	بناء طوب	٢٠٨	١٨,٠
	خيمة	١٦	١,٤
	المجموع	١١٥٦	١٠٠,٠

المتغيرات الديموغرافية		العدد N	النسبة ٪
المستوى الاقتصاديّ للحي الذي أسكنه	منخفض جداً	٨٨	٧,٦
	منخفض نوعًا ما	١٠١	٨,٧
	متوسط	٧٩١	٦٨,٢
	عالٍ	١٣٧	١١,٨
	عالٍ جدًا	٤٢	٣,٦
	المجموع	١١٥٩	١٠٠,٠

أداة الدراسة:

صُممت وأُعدت استبانة تخدم الهدف الرئيس لهذا البحث، وجمع معطيات إضافيّة تتعلق في العنف الأُسريّ، بوساطة معدَيّ البحث، وذلك ضمن الشروط العلمية لبناء أدوات البحث العلمي.ولقد اشتملت الاستبانة على البيانات الشخصيّة، ومن ثم احتوت على عدد من الفقرات المغلقة التي تتمّ الإجابة عليها على سلم لكرت من (١– ٥) ابتداء من "غير صحيح بتاتًا" وانتهاء "بصحيح دائمًا".وللتعرف إلى مدى صدق أداة الدراسة، عُرضت على (٧) محكمين، وقد جرى حذف بعض العبارات وتعديلها، وإعادة صياغة بعضها، وإضافة عبارات أخرى في ضوء آراء المحكمين وتعليقاتهم وملحوظاتهم.وطُبِّقت الاستمارة على مجتمع الدراسة (١١٧٤) استمارة، واُستخرج معامل ثبات الاتساق الداخليّ وفق معادلة الثبات كرونباخ ألفا، وكانت الدرجة الكلية لمحور العنف الأُسريّ (٠,٩٣) ، وهذه النتيجة تشير إلى تمتع هذه الأداة بثبات يفي بأغراض الدراسة، مما يجعل الاستمارة ثابتة، ويعتمد عليها لقياس ما أُعدت له.

مراحل الدراسة:

بعد إعداد الاستبانة وتحكيمها والموافقة عليها بصيغتها النهائية، تمّ تحديد المدارس المشاركة في البحث.وكان على الطلاب تعبئة استبانة يتمّ فيها التقرير عن مظاهر العنف الأُسريّ لدى أسرهم، واستغرقت عملية تعبئة كل استبانة بين (٣٥– ٤٠) دقيقة، ولم يبدِ الطلاب أدنى صعوبة في فهم عباراتها نظرًا لسهولتها ووضوحها، وقد امتدت فترة جمع البيانات من بداية كانون الأول (٢٠١٠) ، وحتى شباط (٢٠١١) .ولفحص فرضيّات الدراسة، وتحليل البيانات التي جُمعت، اُستخدم العديد من الأساليب الإحصائية المناسبة باستخدام الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) ، وقد حُسبت التكرارات، والنسب

المئوية، وعدد من مقاييس النزعة المركزيّة، كما واُستخدمت أيضاً اختبارات تحليل التباين أحادي الاتجاه (One way Anova) و (Tukey) .

النتائج:

لقد أشارت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في العنف الأُسريّ تعزى للمستوى الاقتصاديّ للحي الذي تسكنه الأسرة، حسب نوع مكان السكن: (فيلا، أو شقة، أو بناء طوب، أو خيمة) دون وجود فروق حسب التجمع السكاني: (مدينه، أو قرية، أو مخيم، أوبادية) ، **كما سنبين ذلك في تفصيل نتائج الفرضيّات**.

١. توجد فروق ذات دلالة إحصائيّة في مستوى العنف الأُسريّ لدى أُسر الطلبة، تعزى للتجمع السكني: (مدينه، أو قرية، أو مخيم، أو بادية) ، فالعنف الأُسريّ لدى أُسر الطلبة الذين يسكنون المدينة أقل من العنف الأُسريّ لدى أُسر الطلبة الذين يسكنون البادية، أوالقرية، أوالمخيم.وتشير نتائج اختبار التباين أحادي الاتجاه (One way Anova) كما هو مبين في الجدول (٢)

الجدول (٢)

المتوسطات والانحرافات المعيارية لمستوى العنف الأسري، حسب التجمع السكني. (N=1156)

مكان السكن	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	F (3,1152)
مدينة	٢١٣	١,٣٩	٠,٨٠١	١,٨١١*
قرية	٧١٩	١,٤٥	٠,٧٦٩	
بادية	٢٠٨	١,٨٦	١,١٤٢	
مخيم	١٦	١,٤٥	٠,٧٠١	

* P>0.05

إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى العنف الأُسريّ حسب التجمع السكانيّ لأُسر الطلبة، F (3,1152) =1.811;P>0.05، مما يدل على أنّ مستوى العنف الأُسريّ لا يختلف بين أُسر الأهالي التي تعيش في المدينة، أو في القرية أو في البادية أو في المخيم.

٢. توجد فروق ذات دلالة إحصائية في العنف الأُسريّ لدى أُسر الطلبة، تعزى للمستوى الاقتصاديّ للحي السكنيّ، فالعنف الأُسريّ لدى أُسر الطلبة الذين يسكنون في الأحياء ذات المستوى الاقتصاديّ المتدني أعلى من العنف الأُسريّ لدى أُسر الطلبة الذين يسكنون في أحياء ذات مستوى اقتصاديّ عالٍ.

وتشير نتائج اختبار التباين أحادي الاتجاه (One way Anova) ، واختبار (Tukey) لمعرفة مصادر الفروق كما هو مبين في الجدول (٣)

الجدول (٣)

المتوسطات والانحرافات المعياريّة لمستوى العنف الأُسريّ، حسب المستوى الاقتصاديّ للحي السكنيّ. (N=1159)

المستوى الاقتصاديّ للحي الاقتصاديّ	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	F (4,1154)
منخفض جدًا	٨٨	١,٥٧	٠,٩٣	
منخفض نوعًا ما	١٠١	١,٥٢	٠,٦١١	
متوسط	٧٩١	١,٣٩	٠,٧٤٣	٣,٥٣٨ **
عالٍ	١٣٧	١,٣١	٠,٧٧٧	
عالٍ جدا	٤٢	١,٧١	١,٣٠٦	

** P<0.01

إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى العنف الأُسري، تعزى للمستوى الاقتصاديّ للحي الذي تسكنه الأسرة F(4,1154)=3.538;P<0.01. وتشير نتائج اختبار (Tukey) إلى أنّ متوسطات أُسر الطلبة التي تعيش في أحياء سكنية ذات المستوى الاقتصاديّ المنخفض جدًا، والمنخفض نوعًا ما، والعالي جدًا هي أكثر عنفًا من الأُسر التي تسكن في الأحياء السكنيّة ذات المستوى الاقتصاديّ المتوسط والعالي.مما يدل على أنّ مستويات العنف لدى أُسر الطلبة تتعلق بالمستوى الاقتصاديّ للحي الذي يسكنونه.فأُسر الطلبة التي تسكن الأحياء ذات المستوى الاقتصاديّ: (منخفض جدًا، أو منخفض نوعًا ما، أوعالٍ جدًا) يسود فيها العنف الأُسريّ أكثر من أُسر الطلبة التي تسكن في الأحياء ذات المستوى الاقتصاديّ المتوسط والعالي.وهذه النتائج تأتي لتبرهن صحة الفرضيّة الثانية.

٣. توجد فروق ذات دلالة إحصائية في العنف الأُسريّ لدى أُسر الطلبة، تعزى إلى نوع السكن الذي يسكنونه: (فيلا، أو شقة، أو بناء، أو طوب، أو خيمة) ، فالعنف الأُسريّ لدى أهالي الطلبة الذين يسكنون الخيمة أو بناء الطوب أعلى من العنف الأُسريّ لدى أُسر الطلبة الذين يسكنون الفيلا أو الشقة.وتشير نتائج اختبار التباين أحادي الاتجاه (One way Anova) ، واختبار (Tukey) لمعرفة مصادر الفروق كما هو مبين في الجدول (٤)

الجدول (٤)

المتوسطات والانحرافات المعياريّة لمستوى العنف الأُسريّ، حسب نوع السكن الذي تسكنه الأسرة: (فيلا، أو شقة، أو بناء طوب، أو خيمة) .(N=1154)

نوع السكن	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	F (3,1150)
فيلا	٢١٣	١,٤	٠,٨٢٨	٥,١٢ ***
شقة	٧١٩	١,٣٨	٠,٦٤٢	
بناء طوب	٢٠٨	١,٥٦	١,٠٤٣	
خيمة	١٤	٢,١٢	١,٥٠٧	

*** $P<0.001$

إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى العنف الأُسريّ تعزى إلى نوع السكن الذي تسكنه الأسرة $F(3,1150)=5.12;P<0.001$.وتشير نتائج اختبار (Tukey) إلى أنّ متوسطات أُسر الطلبة الذين يسكنون الخيمة أو بناء طوب أعلى من متوسطات أُسر الطلبة الذين يسكنون في الفيلا أو الشقة، مما يدل على أن مستويات العنف الأُسريّ لدى أُسر الطلبة قد تتعلق بنوع السكن الذي تسكنه الأُسرة، فأُسر الطلبة التي تسكن الخيمة أو بناء الطوب يظهر فيها العنف الأُسريّ أكثر من الأُسر التي تسكن في فيلا أو شقة.وهذه النتائج تأتي لتبرهن صحة الفرضية الثالثة.

النقاش:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف إلى مدى ارتباط العنف الأُسريّ بالوسط السكني التي تعيشه الأسرة، لدى أُسر الأولاد في المدارس الحكومية والخاصة في محافظة بيت لحم، من خلال التعرف إلى الفروق في العنف الأُسريّ حسب الوسط السكنيّ للأسرة.

هنالك عوامل عدة يندفع الإنسان بمقتضاها نحو العنف الأُسري منها: نفسيّة، واقتصاديّة واجتماعيّة (السمري، ٢٠٠١؛ المطوع، ٢٠٠٨؛ Hopper, 2005). وتغلب عليها العوامل الأسريّة والظروف البيئيّة التي تعيش فيها الأسرة، كما تفسر النظريات الأيكولوجية وعلم البيئة، التأثير المتبادل للتفاعلات الحاصلة بين المجموعات المختلفة (Proctor, 2006) من خلال ربط العنف الأُسريّ بالوسط السكنيّ.**وبناء على ذلك قمنا بنص الفرضيّات (١) و (٢) و (٣)** .

١. توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى العنف الأُسريّ لدى أُسر الطلبة، حسب

التجمع السكنيّ: (مدينة، أو قرية، أو مخيم، أو بادية) ، فالعنف الأُسريّ لدى أُسر الطلبة الذين يسكنون المدينة أقل من أسر الطلبة الذين يسكنون البادية أو القرية، أو المخيم.

لقد أشارت النتائج إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائيّة في مستوى العنف الأُسريّ تعزى للتجمع السكانيّ لأُسر الطلبة، حيث تبيّن أنّ مستوى العنف الأُسريّ لا يختلف بين أسر الطلبة التي تعيش في المدينة، أو القرية، أو البادية، أو المخيم.وجاءت هذه النتائج لتتناقض مع الأدبيات النظريّة التي أشارت إلى أنّ العنف الأُسريّ في القرية، أو البادية هو أكثر انتشارًا من المدينة، وذلك لإرجاع العنف الأُسريّ فيها إلى سيادة السلطة الأبوية وإلى سمو قيمة القوة والسيطرة والنفوذ في القرى، أو البادية: (الحيدري، ٢٠٠٣) ، وتتناقض مع دراسة دوباش ودوباش (Dobash & Dobash, 1976) التي أشارت إلى أنّ سبب ضرب الزوجات وإساءة معاملة الضعفاء الآخرين داخل الأسرة هو النظام الهرمي، ونظام سلطة الأب للأسرة، كما ذهبت دراسات أخرى إلى تعزيز ارتباط العنف الأُسريّ بنظام سلطة الأب كدراسة ستارك وفليتكرافت (Stark & Flitcraft, 1981) التي أشارت إلى ارتباط السلطة الأبويّة في العنف الأُسري.وهذه الثقافة المبنية على السلطة الأبويّة كما يشير السمري (٢٠٠١) تسمح وتقرّ بأساليب عقابية اتجاه الأبناء والزوجات.وتعزيزًا لهذه الأدبيات، أشارت دراسة الحاج يحيي (Haj- yahia, 2001) إلى أنّ العنف الأُسريّ تستخدمه الأُسر العربيّة التي تقطن في المناطق القرويّة والفقيرة، وكذلك في المناطق الريفيّة والمخيمات. ولكن في الوقت نفسه تتفق هذه النتائج مع المسح الذي أعلنه الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطينيّ (٢٠٠٦) ، حول مسح العنف الأُسريّ لعاميّ: (٢٠٠٥/ ٢٠٠٦) إلى عدم وجود فوارق كبيرة في العنف الجسديّ والجنسيّ بين الحضر والريف والمخيم، وإلى عدم وجود فروق بين القرى والمدن في العنف النفسيّ، إلا أنّه يوجد فارق كبير بين الحضر والريف من ناحية وبين المخيم من ناحية ثانية، حيث نسبة النساء اللواتي أفدنَ بأنّهنَ تعرضنَ لعنف نفسيّ في المخيم أقل من نسبة النساء اللواتي تعرّضنَ للعنف النفسيّ في الحضر والريف، فلدى الحضر (٦٨٪) ، ولدى الريف (٧٠٪) ، ولدى المخيم (٥٣٪) .

وتفسير هذه النتائج قد يعود إلى أنّ العنف موجود في كل مكان (السمري، ٢٠٠١) .ولكنّ أسبابه والعوامل التي تقف خلفه تختلف، فربما تكون السلطة الأبويّة والصراع بين الأجيال، والصراع على السلطة داخل الأسرة في المجتمعات المحافظة الموجودة في مراحل التغيرة، هي التي تفسر العنف في القرى، وفي المقابل فإنّ العزلة النسبيّة في المدينة، وزيادة الضغوطات، والعيش في حي فقير، هي التي قد تفسر وجود العنف في المدينة (العكايله، ٢٠٠٦؛ Kiser & Black, 2005) وهناك تفسير أخر لهذه النتائج قد يعود إلى تقليص الفجوة بين مجتمع المدينة والقرية في شتى مجالات الحياة (عبد العاطي واخرون، ٢٠٠٤) .

٢. توجد فروق ذات دلالة إحصائيّة في العنف الأُسريّ لدى أُسر الطلبة تعزى للمستوى الاقتصاديّ للحي السكنيّ، فالعنف الأُسريّ لدى أُسر الطلبة الذين يسكنون في الأحياء ذات المستوى الاقتصاديّ المتدني، أعلى من العنف الأُسريّ لدى أُسر الطلبة الذين يسكنون في أحياء ذات مستوى اقتصاديّ عالٍ.

أشارت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائيّة في مستوى العنف الأُسريّ تعزى للمستوى الاقتصاديّ للحي الذي تسكنه الأسرة.وتبيّن أنّ مستويات العنف لدى أُسر الطلبة تتعلق بالمستوى الاقتصاديّ للحي الذي يسكنونه.فأُسر الطلبة التي تسكن الأحياء ذات المستوى الاقتصادي: (منخفض جدًا، أو منخفض نوعًا ما، أو عالٍ جدا) يسود فيها العنف الأُسريّ أكثر من أُسر الطلبة التي تسكن في الأحياء ذات المستوى الاقتصاديّ المتوسط أو العالي.وتأتي هذه النتائج لتعزز ما جاء في الأدبيّات النظريّة حول ربط العديد من الدراسات بين طبيعة الحي ومستوييه: الاقتصاديّ، والاجتماعي، وتأثيره على ساكنيه، وأنّ المستوى الاقتصاديّ المنخفض للحي يرتبط مع العنف الأُسريّ.فقد أشارت دراسة كيسار وبلاك (Kiser, & Black 2005) إلى أنّ الأحياء الفقيرة تسود فيها ثقافة تسمى بثقافة الفقر التي تحتوي على أخطار متعددة قد تقع على الأفراد والأُسر، والمتمثلة في انتشار الجريمة، والعنف المجتمعيّ، والعنف الأُسريّ (Coulton, Korbin, & Su, 1999) .وتفسير هذه النتائج قد يعود إلى مستوى الضغوطات والتوتر الدائمَين اللذين يعاني منهما سكان الأحياء الفقيرة، وقلة التنفيس عنهما بسبب العزلة الاجتماعيّة، وعدم توفر أماكن الترويح فيها (العكايله، ٢٠٠٦) ، وتعود هذه الضغوطات إلى عدم الاستقرار الاقتصاديّ، ععدم وجود فرص عمل والاعتماد على المساعدات من مؤسسات الخدمات الاجتماعيّة Al-lison et al., 1999; Marsella, 1998، و كذلك هناك متاعب يوميّة كثيرة ترتبط في الحي السكنيّ الفقير، تكون شدتها وضغوطها قاسية جدًا، وإذا كان الضغط هو الذي يشعل العنف Hammack, Robinson, Crawford, & Li, 2004 فإنّ الأحياء الفقيرة مرشحة بشكل دائم لتصاعد السلوكيّات العنيفة فيها.وأشارت نتائج دراسة كيسار وبلاك (Kiser & Black, 2005) إلى أنّ (٣٠٪) من الأزواج والزوجات الذين يعانون من ضغوطات أفادوا بعدم رضاهم عن علاقاتهم الزوجية، وصعوبات في التفاوض، ومزيد من العدائيّة وصراعات ٱسرية في مجملها ترتبط مع العنف الأُسري.ويشير كل من ابليارد واوسوفسكي (Apple-yard & Osofsky, 2003) في بحث لهما حول ازدياد الضغوطات لدى الأهالي في الأحياء الفقيرة إلى أنّ هناك ضغوطات وأعراضًا كثيرة أخرى قد تحدد قدرة الوالدين على العناية الناجعة بأولادهم، والإخفاق في سدّ احتياجاتهم، وبالتالي إهمالهم في جوانب الحياة المختلفة.

وتفسير هذه النتائج التي أشارت إلى ارتفاع العنف الأُسريّ لدى أُسر الأحياء السكنيّة الغنيّة قد يعود إلى كون العنف موجودًا في الطبقات الاجتماعيّة المختلفة في الاقتصاد، وفي الثقافية، وفي السلالة، وفي العرق، وفي الدين، ولا تقتصر على الأحياء الفقيرة فقط (العكايله، ٢٠٠٦) .فمن الأسباب التي تجعل من ينتمون إلى الطبقات الاجتماعية والاقتصادية العليا، أقل عرضة لانكشاف أمرها من الفقراء هو أنّ لدى هؤلاء الناس طرقًا أخرى للمساعدة، وإن هناك عددًا كبيرًا من الأدلة على وجود العنف بين الأُسر المرتفعة المكانة اجتماعيًا واقتصاديًا بما لا يسمح للادّعاء بأنّ معدلات العنف أعلى بين الأُسر الفقيرة (Brown, 1981) .في حين يعود ارتفاع العنف الأُسريّ لدى الأُسر ذات المستوى الاقتصاديّ العالي جدًا إلى عوامل أخرى مثل: الزوجيّة، والعائليّة، والشخصيّة، والمستوى لالاجتماعيّ والاقتصاديّ، والشلّة، ورأي الرفاق (المطوع، ٢٠٠٨؛ السمري، ٢٠٠١؛ Hop-per, 2005) .فاستقلال الوضع الاقتصاديّ، وخروج المرأة إلى العمل، والاستعاضة عن الأم بمربية، يؤدي إلى زيادة العنف والسلوك العدوانيّ لدى الأبناء، فالوضع الماديّ الجيد لرب الأسرة يدفعه إلى الزواج مما يؤدي إلى خلافات ونزاعات ما بين الزوجات والأبناء بسبب الوضع الاقتصاديّ العالي لرب الأسرة، ورغبة كلّ زوجة مع أبنائها بفرض السيطرة (الخولي، ٢٠٠٨؛ أل سعود، ٢٠٠٥؛ Giles, Straus & Sugarman, 1995) .

٣. توجد فروق ذات دلالة إحصائيّة في العنف الأُسريّ لدى أُسر الطلبة حسب نوع السكن الذي يسكنونه: (فيلا، أو شقة، أو بناء طوب، أو خيمة) ، فالعنف الأُسريّ لدى أهالي الطلبة الذين يسكنون الخيمة أو بناء الطوب أعلى من العنف الأُسريّ لدى أُسر الطلبة الذين يسكنون الفيلا أو الشقة.

أشارت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائيّة في مستوى العنف الأُسريّ تعزى إلى نوع السكن الذي تسكنه الأُسرة.وتبيّن أنّ مستويات العنف الأُسريّ لدى أُسر الطلبة قد تتعلق بنوع السكن الذي تسكنه الأسرة، فأُسر الطلبة التي تسكن الخيمة أو بناء الطوب يظهر فيها العنف الأُسريّ أكثر من الأُسر التي تسكن في فيلا أو شقة.وجاءت هذه النتائج لتعزز الأدبيّات النظريّة التي ربطت بين نوع السكن وظروفه، وأثر ذلك على المجال الشخصيّ، والتقليل من الخصوصيّة (العكايله، ٢٠٠٦) ، وعادة ما يرتبط المَسكن السيئ بالأحياء الفقيرة (العيسوي، ٢٠٠١) .

وتفسيرًا للنتائج التي أشارت إلى أنّ العنف الأُسريّ يرتبط في السكن في بيت الطوب أو الخيمة أكثر من الشقة أو الفيلا، قد يعود إلى ظروف السكن في بيت من طوب يفتقر إلى الظروف التي تناسب الحياة العصريّة، وخاصة إذا كان ضيقًا، وفي حي سكني غير متطور ولا يرتبط بالخدمات، وعدم ربطه بمكونات الحياة الحديثة (العكايله، ٢٠٠٦) ،

وهذه الظروف نجدها أشد وأقسى عند تطرقنا للعيش في خيمة حيث مبناها الذي لا يقي الأفراد الساكنين فيها من حرّ الصيف وبرودة الشتاء، ومساحتها الصغيرة مقارنة بعدد الأفراد الذين يسكنونها، فمن المعروف أنّ الأُسر البدوية كبيرة جدًا، وقد تكون للأب أكثر من زوجة، ولكل واحدة عدد كبير من الأولاد، ويسكن جميعهم في الخيمة التي تفتقر إلى مقومات السكن الأساسية، وعدم ربطها ببنية تحتية، وبالتالي تقود إلى العنف الأسري (حجازي يحيي، دويك، وجواد، ٢٠٠٠) .

ولا شك في أنّ الظروف الاقتصاديّة السيئة، وتليها الظروف المعيشيّة، والسكنيّة المتدنيّة، أدت إلى تفاعلات سلبية كان نتاجها العنف والعدوان، وفي المقابل فإنّ المَسكن الهادئ والفسيح الذي تتوفر فيه جميع متطلبات الحياة يساعد كثيرًا في مقاومة العنف الأسريّ (العكايله، 2006Haj- Yahia، ٢٠٠١;) .

إنّ ما يشير إليه مجمل البحث أنّ للمستوى الاقتصاديّ للحي السكنيّ للأسرة، ونوع السكن الذي تسكنه ارتباط مع العنف الأسريّ، فلا يرتبط العنف بالسكن في الأحياء ذات المستوى الاقتصاديّ المتدني فقط، وإنّما يرتبط كذلك بالسكن في الأحياء الغنيّة مما يدل على أن السكن في الأحياء متوسطة الدخل يقلّ فيها نشوء العنف الأُسريّ، كذلك تبيّن أنّ السكن في بيت طوب، أو خيمة يرتبط مع العنف الأُسريّ أكثر من السكن في فيلا أو شقة، وأنّ التجمع الذي تسكنه الأسرة لا يرتبط بالعنف الأُسريّ بأسباب التنقلات الحاصلة لسكان القرى إلى المدن، وتقليص الفجوة بين القرية والمدينة.

مآخذ وقعت فيها الدراسة:

١. لقد اقتصر البحث على الأولاد الذكور في المدارس الثانوية والخاصة في محافظة بيت لحم، وتمّ استثناء الطالبات في المرحلة الثانوية من الدراسة.

٢. لقد اقتصرت الدراسة على منطقة بيت لحم فقط، ولا يمكن تعميم نتائج الدراسة على المجتمع الفلسطينيّ كلّه.

التوصيات:

١. ضرورة القيام بإجراء أبحاث مستقبليّة تهتمّ بالعنف الأُسريّ، وعلاقته بعوامل مختلفة، تناسب وضع المجتمع الفلسطينيّ، ولا تقتصر على منطقة واحدة، وإنّما في جميع أرجاء المجتمع الفلسطينيّ.

٢. لا بدّ من العمل على إصدار قانون للحد من العنف الأُسريّ في أوساط المجتمع الفلسطينيّ بما يتضمنه من عنف وسلوك عدواني في المدارس والبيوت، ويبدأ تفعيله

بالزامية التبليغ وحماية المبلِّغين ومعاقبة المعتدين.

٣. لا بدّ من استحداث إدارات تعنى بالوقاية والتصدي للعنف الأُسريّ في وزارات الاختصاص في السلطة الوطنيّة، والمؤسسات الخاصة المعنية، وإيجاد آلية للتعاون فيما بينها، وتسخير الإمكانيات الماديّة والبشريّة لها.

٤. لا بدّ من توفير خدمات الرعاية: الصحيّة، والنفسيّة، والاجتماعيّة لضحايا العنف الأُسريّ عبر أنجع البرامج العلاجية والتأهيلية، من خلال أخصائيين اجتماعيين ونفسيين متمرسين في العمل.

٥. لا بدّ من التوعية الوطنيّة الشاملة للأفراد، والمؤسسات الحكوميّة والأهلية بحقوق أفراد الأسرة، وتعزيز قدرات الفئات الأكثر عرضة للعنف الأُسريّ على حماية أنفسهم من الإيذاء.

٦. لا بدّ من تكثيف البرامج الإرشاديّة المُوجهة للمقبلين على الزواج حول مهارات حل المشكلات الأُسريّة عبر الحوار.

المصادر والمراجع:

أولاً- المراجع العربية:

١. الجهاز المركزيّ للإحصاء الفلسطينيّ (٢٠٠٦) . العنف الأُسريّ في الأراضي الفلسطينيّة دراسة تحليليّة (٢٠٠٥/ ٢٠٠٦) . معهد دراسات المرأة. جامعة بير زيت: رام الله.

٢. الجولاني، فادية (٢٠٠٩) . الأسرة العربيّة تحليل اجتماعيّ لبناء الأسرة وتغير اتجاهات الأجيال. الإسكندرية: المكتبة المصريّة للطباعة والنشر والتوزيع.

٣. الحجازي، حسين محمد صالح الحجازي (٢٠٠٠) . العنف الأُسريّ في البادية الجنوبيّة في الأردن. (رسالة ماجستير) جامعة مؤته: الأردن.

٤. حجازي، يحيي، دويك، وجواد (٢٠٠٠) . العنف المدرسيّ. القدس: المركز الفلسطينيّ للإرشاد.

٥. الحيدري، إبراهيم (٢٠٠٣) . النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب. بيروت: دار الساقي.

٦. الخالدي، بدرية (٢٠٠٥) . العنف الأُسريّ وتأثيره على عنف الطلاب في المدرسة. الكويت.

٧. الخولي، محمود (٢٠٠٨) . العنف في مواقف الحياة اليوميّة نطاقات وتفاعلا. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصريّة.

٨. زهران، حامد (٢٠٠٣) . الصحة النفسيّة والعلاج النفسيّ. القاهرة: دار عالم الكتب.

٩. الرفاعي، عايشة (٢٠٠٧) . العنف الجنسيّ ضد الطفلات والمراهقات في الضفة الغربية: من منظور النوع الاجتماعيّ. رام الله: مركز الدراسات النسوية.

١٠. آل سعود، منيرة (٢٠٠٥) . إيذاء الأطفال أنواعه وأسبابه وخصائص المتعرضين له. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.

١١. السمري، عدلي (٢٠٠١) . العنف في الأسرة تأديب مشروع أم انتهاك محظور. الإسكندرية: دار المعارف الجامعيّة، الشاطبي.

١٢. أبو شهبة، فادية (٢٠٠٤) . ظاهرة العنف داخل الأسرة المصريّة. القاهرة: مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية.

١٣. ضراغمة، ريما (٢٠٠٢) . العنف الأُسريّ على النفسية للمرأة الفلسطينيّة.) رسالة ماجستير غير منشورة فلسطين (، جامعة القدس، القدس، فلسطين.

١٤. عبد العاطي، السيد، بيومي، محمد، جابر، سامية، رشوان، حسين (٢٠٠٤) . علم اجتماع

١٥. الأسرة. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع الازرايطة.

١٦. عبد الوهاب، ليلى (١٩٩٤) . العنف الأُسريّ الجريمة والعنف ضد المرأة. بيروت: دار المدى للثقافة والنشر.

١٧. العرود، عبد الله (٢٠٠٨) . العنف الأُسريّ مفهومه وأشكاله ودوافعه. عمان: دار وائل للنشر والتوزيع.

١٨. العقاد، عصام (٢٠٠١) . سيكولوجية العدوانيّة وترويضها منحى علاجيّ معرفيّ جديد. القاهرة: دار غريب للنشر والتوزيع.

١٩. العكايلة، محمد (٢٠٠٦) . اضطرابات الوسط الأُسريّ وعلاقته بجنوح الأحداث. الأردن– عمان: دار الثقافة للنشر والتوزيع، .

٢٠. عيسوي، عبد الرحمن (٢٠٠٢) . دور المواطن في الوقاية من الجريمة والانحراف في المجتمع

٢١. الإسلامي. الإسكندرية: دار الفكر الجامعي.

٢٢. العيسوي، عبد الرحمن، محمد (٢٠٠١) . سيكولوجية الإجرام. الإسكندرية: دار النهضة العربيّة.

٢٣. غباري، ثائر، أبو شعيرة، خالد (٢٠٠٨) . سيكولوجيا النمو الإنسانيّ بين الطفولة والمراهقة. الأردن – عمان: مكتبة المجتمع العربيّ للنشر والتوزيع.

٢٤. أبو غزال، معاوية (٢٠٠٦) . نظريات التطور الإنسانيّ وتطبيقاتها التربوية. عمان، الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

٢٥. الغنيمي، زينب (٢٠٠٧) . مدى الحماية القانونية للمرأة الفلسطينيّة من العنف. المنتدى الإعلامي لنصرة قضايا المرأة، ورشة عمل حول المعالجة الإعلاميّة والقانونيّة لجرائم القتل على خلفية ما يسمى (الشرف) ، ٢٠– ٨– ٢٠٠٧، غزة.

٢٦. مرشد، ناجي (٢٠٠٥) . تعديل السلوك للأطفال العاديين وذوي الاحتياجات الخاصة. جمهورية مصر العربية – القاهرة: الناشر مكتبة زهراء الشرق.

٢٧. المطوع، محمد (٢٠٠٨) . » العلاقة بين العنف الأُسريّ اتجاه الأبناء والسلوك العدواني لديهم: دراسة ميدانيّة على عّينة من طلاب المرحلة الثانويّة في مدينة الرياض»، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد ٣٦، العدد١، ص٤٩– ٩٩.

٢٨. المنسي، كامل (٢٠٠١) . العنف العائليّ ضد النساء في قطاع غزة. غزة: مركز شؤون المراة.

٢٩. ولي، باسم، محمد، جاسم (٢٠٠٤) . المدخل إلى علم النفس الاجتماعي. عمان: مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع.

ثانياً- المراجع الأجنبية:

1. *Allison, K. W. , Burton, L. , Marshall, S. , Perea- febles, A. , Yarrignton, J. , & Kirsh, L. B. (1999) . Life experiences among urban adolescents: Examining the role of context. Child Development, 70 (4) , 1017- 1029.*
2. *Appleyard, K. , & Osofsky, J. D. (2003) . Parenting after truma: Supporting parents and caregivers in the treatment of children impacted by violence. Infant Mental Health Journal, 24 (2) , 111- 125*
3. *Anderson, M. (2008) . Thinking about women some more A new century's viw. Gender & Society, Vol. 22 No. 1, 120- 125.*
4. *Bandura, A. (1978) . Social Learning Theory of Aggression. Journal of communication, 28, 3, 12- 29.*
5. *Berliner, L. (1977) . Child abuse: What happens next? Victimology, 2,327- 331.*
6. *Coulton, C. J. , Korbin, J. E. , & Su, M. (1999) . Neighborhoods and child maltreatment: A multi- level study. Child Abuse and Neglect, 23 (11) , 1019- 1040.*
7. *Boes, M. E. (1998) . Battered women in the emerging room: Emerging roles for theer social worker and clinical nurse specialist. In A. R. Roberts (Ed.) , Battered women and their families: Intervention strategies and treatment programs. New York: Springer Publishing Company (pp: 205- 229) .*
8. *Buzawa, E. (2007) . Victims of domestic violence. In R. C. Davis. , A. J. Lurigio. , & S. Herman (Eds.) : The Criminal Justice Response. Newbury Park, CA: Sage Publications (pp 55- 74) .*
9. *Brown, J. (1981) . Some etiological factors and treatment considerations in child abuse In R. J. Hunner & Y. E. Walker (eds.) , Exploring the relationship between child abuse and delinquency. N. J: Allanheld, Osmun.*
10. *Capezza. N. M. & Arriaga, X. B. (2008) . Factors associated with acceptance of psychological aggression against women Violence Against WomenVol, 14 No' 6, 612- 633.*
11. *Carney, M. , Buttell, F. & Dutton, D. (2007) . Women who perpetrate intimate partner violence: A review of the literature with recommendations for treatment, Aggression and Violent Behavior 12 , 108–115.*
12. *Coulton, C. J. , Korbin, J. E. , & Su, M. (1999) . Neighborhoods and child*

maltreatment: A multi- level study. Child Abuse and Neglect, 23 (11) , 1019- 1040.

13. *Dobash, R. E. , & Dobash, R. P. (1976) . The importance of historic contemporary context in understanding marital violence: Paper presented at the annual meeting of the American Sociological Association,New York.*
14. *Dworkin, R. (2006) . Women and pornography. In J. Spector (Ed.) , Prostitution and pornography: Philosophical debate about the sex industry. California: Stanford University Press. (pp: 296- 309) .*
15. *Elbogen, E. B. (2002) . The process of violence risk assessment: A review of descriptive research. Aggression and Violent Behavior, 7: 591- 604.*
16. *Ferrari, M. A. (2002) . The impact of culture upon child rearing practices and definitions of maltreatment. Child Abuse & Neglect, 26, 793- 813*
17. *Freud, A. (1972) . Coments on Aggression. The International Journal of Psychoanalysis, 53, 163- 171.*
18. *Gershoff, E. T. (2002a) . Corporal punishment by parents and associated child behaviors and experiences: A meta- analytic and theoretical review. Psychological Bulletin, 128, 539- 579.*
19. *Giles- Sims, J. , Straus, M. A. , & Sugarman, D. B. (1995) . Child, maternal, and family characteristics associated with spanking. Family Relations, 44, 170- 176.*
20. *Hammack, P. L. , Robinson, W. L. , Crawford, I. , & Li, S. T. (2004) . Poverty and depressed mood among urban African American adolescents: A family stress perspective. Journal of Child and Family Studies, 13 (3) , 226.*
21. *Hanrahan, D. (1997) . Gender and spousal violence: A test of social control and power- control theories. Free Inquiry in Creative Sociology, 25, 189- 197.*
22. *Haj- yahia, M. M. , & tamish, S. (2001) the rates of child sexual abuse and its psychological consequences as revealed by a study among Palestinian university students. Child abuse and neglect, 25,1303- 1327.*
23. *Huesmann, L. R. (1988) . An information processing model for the development of aggression. Aggressive Behavior, 14, 13- 24.*
24. *Hopper. (2005) child abuse: statistics, research, and resources www. jimhopper. com.*
25. *Kiser, L. J. , & Black, M. M. (2005) . Family processes in the midst of urban poverty: What does the trauma literature tell us? Aggression and Violent Behavior, 10, 715- 750.*
26. *Kortewe,A. C. (2008) . The sharia debateinontontario Gender, Islam, and Representations of Muslim Women's Agency. Gender & Socity, Vol. 22*

No. 4, (pp: 434- 454)

27. *Larzelere, R. E. (2000) . Child outcomes of nonabusive and customary physical punishment by parents: An updated literature review. Clinical Child and Family Psychology, 3, 199- 221.*
28. *Marsella, A. J. (1998) . Urbanization, mental health, and social deviancy: A review of issues and research. American Psychologist, 53 (6) , 624- 634.*
29. *Mechem, C. C. m Shofer, F. S. , Reinhard, S. S. , Hornig, S. , & Datner, E. (1999) .*
30. *History of domestic violence among male patients presenting to an urban emergency department. Academic Emergency Medicine, 6, 786- 791.*
31. *Petri, H, and Govern, J (2004) Motivation: Theory, Research and Applications. Thomson- Wadsworth, Australia.*
32. *Polansky, N. A. , Hally, C. , & Polansky, N. F. (1977) . Definition of neglect InN. A. Polansky. , C. Hally. , & Polansky (eds.) , Profile of Neglect: A*
33. *Survey of the stat of knowledge, department of health, education, and welfare. Washington D. C: Government Printing Office. Pub. No. 77-02004.*
34. *Proctor, L. J. (2006) . Children growing up in a violent community: The role of the family, Aggression and Violent Behavior, 11,558- 576.*
35. *Richters, J. E. , Martinez, P. E. (1993) . Violent communities, family choices, and children`s chances: An algorithm for improving the odds. Development and Psychopathology, 5, 609- 627.*
36. *Seidman, E. , Yoshikawa, H. , Roberts, A. , Chesir- Teran, D. , Allen, L. ,*
37. *Friedman, J. L. , et al. (1998) . Structural and experiential neighborhood contexts, developmental stage, and antisocial behavior among urban adolescents in poverty. Development and Psychopathology, 10, 259- 281.*
38. *Stark, E. , & Flitcraft. (1981) . Therapeutic intervention as a situation determination of the battering syndrome. Paper presentation the National Conference for Family Violence Research Durham, N. H.*
39. *Straus, M. A. (2001) . Physical aggression in the family: Prevalence rates, links to non- family violence, and the implications for primary prevention of societal violence. In M. Martinez (ed.) Prevention and Control of Aggression and the Impact on its Victims (pp: 200- 181) . New York: Kluwer Academic/ Plenum Publishers*
40. *Sugarman, D. , & Hotaling, G. (1989) . Dating violence: Prevalence, context, and risk makers. In M. A Pirog- Good & J. F. Stets (Eds.) , Violence in dating relationships: Emerging issues, pp: 3- 32. New- York: Praeger.*

اتجاهات الشباب الجامعي
نحو العمل التطوعي:
كلية عجلون الجامعية نموذجاً *

د. حمزة خليل الخدام**

* تاريخ التسليم: ٢٧/ ١٢/ ٢٠١٢م، تاريخ القبول: ٦/ ١/ ٢٠١٣م.
** أستاذ مساعد/ قسم العلوم الاجتماعية/ كلية عجلون الجامعية/ جامعة البلقاء التطبيقية/ الأردن.

ملخص:

هدفت الدراسة الحالية إلى الكشف عن اتجاهات الشباب الجامعي نحو ممارسة العمل التطوعي، وقد استخدم الباحث مدخلين من مداخل المنهج الوصفي هما: مدخل الدراسات الوثائقية لتوضيح الخلفية النظرية للعمل التطوعي، ومدخل المسح الاجتماعي بالعينة لاستقصاء اتجاهات الشباب الجامعي نحو العمل التطوعي. وقد وُزِّعت استبانة على عينة قوامها (٣٠٠) طالبة في كلية عجلون الجامعية. **وقد توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية**:

١. اتسام اتجاهات أفراد عينة الدراسة بشكل عام بالإيجابية نحو العمل التطوعي مما يؤكد صحة الفرض الأول.

٢. لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين اتجاهات طالبات كلية عجلون الجامعية نحو العمل التطوعي تعزى لمتغيرات التخصص، والمستوى الدراسي، والعمر.

الكلمات الدالـة: العمل التطوعي، كلية عجلون الجامعيـة.

Abstract:

The aim of this study was to explore the university youths' attitudes towards voluntary work. The researcher used the documentary approach to shed more light on the theory behind voluntary work. He also used the sample survey approach to find out more about the university youths' attitudes towards voluntary work. The questionnaire was distributed to a sample of (300) students in Ajloun University College. ***The study found the following results:***

1. *The attitude of the study sample are generally positive toward voluntary work. This confirms the correctness of the first hypothesis.*
2. *No statistically significant differences between the attitudes of undergraduate students of the Faculty of Ajloun towards volunteer work were found due to the variables of specialization, academic level, and age.*

مقدمة:

يعد العمل التطوعي من أهم الوسائل المستخدمة للمشاركة في النهوض بمكانة المجتمعات في عصرنا الحالي، ويكتسب العمل التطوعي أهمية متزايدة يوماً بعد يوم. فهناك قاعدة مسلم بها مفادها أن الحكومات سواء في البلدان المتقدمة أم النامية لم تعد قادرة على سد احتياجات أفرادها ومجتمعاتها، فمع تعقد الظروف الحياتية، ازدادت الاحتياجات الاجتماعية وأصبحت في تغيّر مستمر، ولذلك كان لا بد من وجود جهات أخرى موازية للجهات الحكومية تقوم بملء المجال العام، وتكمّل الدور الذي تقوم به الجهات الحكومية في تلبية الاحتياجات الاجتماعية، ويطلق على الدور الذي تقوم به هذه الجهات « العمل التطوعي «.

ومن الجدير بالذكر أن تنمية المجتمع تعتمد بشكل أساسي على مشاركة المواطنين، التي يجب أن تقوم على أساس الرغبة والاستعداد التطوعي من قبل المشاركين، وتأخذ هذه المشاركة صوراً مختلفة تتنوع من المشاركة الطوعية بالمال أو الرأي أو الخبرة أو بذل الجهد، كما أنها مجال يمكن لغالبية سكان المجتمع المساهمة فيه وفقاً لقدرات كل منهم، الأمر الذي يترتب عليه تحديد احتياجات المجتمع ومشكلاته بصورة واقعيه بما يسهم في تغيير الأوضاع غير المرغوب فيها من قبل سكان المجتمع (قاسم، ٢٠٠٤، ص٢٩٣) .

وتعطي طريقة تنظيم المجتمع – كطريقة أساسية لمهنة الخدمة الاجتماعية – للتطوع أهمية خاصة، فهي لا ترى فيه هدفاً أو غاية في حد ذاته، وإنما تعتبره في الوقت نفسه وسيلة تتمكن من خلالها من تحقيق أهدافها في تنمية الموارد البشرية لكي يستطيع العنصر البشري التعامل بكفاءة وإيجابية مع مشكلات المجتمع، وبتعبير متكافئ يمكن القول إن طريقة تنظيم المجتمع تتخذ من استثارة أفراد المجتمع وتطوعهم أسلوباً لها، حتى تتمكن من التعامل مع المواقف المجتمعية المختلفة والمتغيرة بكفاءة، ومن هنا فإن العمل التطوعي والاستفادة بالمتطوعين يعد نقطة ارتكاز أساسية في طريقة تنظيم المجتمع (صادق، ٢٠٠٣، ص٢٣١) .

ونظراً لما يمثله الشباب من أهمية خاصة كونهم في مرحلة العطاء ويمتلكون القدرة الذهنية والبدنية العالية، فقد سعت كثير من الدول إلى غرس ثقافة التطوع وتشجيعها بينهم؛ لأن العمل التطوعي يعتمد على عوامل عدّة لنجاحه من أهمها المورد البشري فكلما كان المورد البشري متحمساً للقضايا الاجتماعية ومدركاً لأبعاد العمل الاجتماعي، كلما أتى العمل الاجتماعي بنتائج إيجابية وحقيقية. كما أن العمل الاجتماعي التطوعي يمثل فضاءً

رحباً ليمارس أفراد المجتمع ولاءهم وانتماءهم لمجتمعاتهم. كما يمثل العمل الاجتماعي مجالاً مهماً لصقل مهارات الأفراد وبناء قدراتهم (محمد رضا، ٢٠٠٦، ص٥٦٨) .

وانطلاقاً من العلاقة التي تربط بين العمل الاجتماعي التطوعي والمورد البشري، فإنه يمكن القول بأن عماد المورد البشري الممارس للعمل الاجتماعي التطوعي هم الشباب خاصة في المجتمعات الفتية فحماس الشباب وانتماؤهم لمجتمعهم كفيلان بدعم العمل الاجتماعي التطوعي ومساندته والرقي بمستواه ومضمونه، فضلاً عن أن العمل الاجتماعي التطوعي سيراكم الخبرات وقدرات ومهارات الشباب، والذين سيكونون بأمسّ الحاجة له خاصة في مرحلة تكوينهم ومرحلة ممارستهم لحياتهم العملية. من هنا تسعى الدراسة الحالية إلى تسليط الضوء على ثقافة العمل التطوعي لدى الشباب الجامعي واتجاهاتهم نحو ممارسة العمل التطوعي، والذي يمثله في هذه الدراسة طالبات كلية عجلون الجامعية.

مشكلة الدراسة:

تتحدد مشكلة الدراسة الحالية بتناولها لاتجاهات الشباب الجامعي نحو العمل التطوعي، فبالرغم من الأهمية التي أولاها الدين والمجتمع للعمل التطوعي، وبالرغم من الجهود التي تبذل من قبل القطاع الأهلي التطوعي فإن أن معطيات الواقع تشير إلى أن هناك مشكلة في حجم المشاركة التطوعية وفي إقبال الشباب على ممارسة العمل التطوعي بما لا يتناسب مع الحجم المأمول (الريامي، ٢٠٠٠، ص١١) . ووراء ذلك بلا شك مجموعة من العوامل التي قد تشكل عائقاً يحول دون مشاركة الشباب التطوعية، ومن هذه العوامل ما هي عوامل ومؤثرات اجتماعية واقتصادية وثقافية مختلفة، كما أن بعض هذه العوامل ذات صلة بالشباب ذاته ومواقفه واتجاهاته نحو العمل التطوعي. وتهتم الدراسة الحالية بالكشف عن اتجاهات الشباب الجامعي نحو العمل التطوعي ممثلاً بعينة من طالبات كلية عجلون الجامعية (جامعة البلقاء التطبيقية) .

أهمية الدراسة ومبرراتها:

تنبع أهمية الدراسة الراهنة من أهمية العمل التطوعي الذي يمتد إلى مجالات متسعة من مجالات التنمية، حيث يسعى المجتمع الأردني جاهداً إلى الاعتماد على كافة شرائح المجتمع – لا سيما الشباب– لدفع عجلة التنمية والتقدم. ويمثل الشباب في المجتمع الأردني فئة حيوية لها أهمية خاصة تلقى المزيد من الرعاية والاهتمام، حيث تعقد عليها الآمال في تشكيل حاضر المجتمع وفي صياغة مستقبله المنشود، كما يشهد المجتمع الأردني محاولات واسعة وحماسية في الجهود التطوعية في المجالات المختلفة للرعاية

الاجتماعية واتجاه جاد لتفعيل هذه المحاولات للإسهام في تنمية هذه المجتمعات، وفي ظل هذا المناخ السائد، ومن الأهمية بمكان أن نتعرف إلى اتجاهات الشباب الجامعي نحو العمل التطوعي، إذ إن نجاح العمل التطوعي وفعاليته يعتمد اعتماداً كبيراً على شخصية المتطوعين واتجاهاتهم نحوه (Abrahamson,1987, p. 5) **وبناءً عليه تتحدد مبررات اختيار الباحث للدراسة الراهنة في الأمور الآتية:**

١. أنها تسلط الضوء على أهمية العمل التطوعي في المجتمع وذلك من وجهة نظر الشباب الجامعي ذلك أن التعرف إلى مثل هذه الاتجاهات يمكن المتخصصين والعاملين في الخدمة الاجتماعية والرعاية الاجتماعية أن يضعوا البرامج اللازمة وحملات التوعية الضرورية لإذكاء الوعي الاجتماعي، وتكوين رأي عام مؤيد نحو العمل التطوعي وأهميته وأشكاله.

٢. أن التعرف إلى اتجاهات الشباب الجامعي يعد عاملاً أساسياً في تقويم العمل التطوعي من حيث فاعليته ومدى الإقبال عليه أو الإحجام عنه.

٣. تعد الدراسة الراهنة حلقة مكملة لسلسلة من الأبحاث والدراسات التي يمكن أن تساهم في إثراء المكتبة العلمية في مثل هذه الموضوعات الهامة.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى ما يأتي:

١. التعرف إلى اتجاهات طالبات كلية عجلون الجامعية نحو العمل التطوعي.

٢. التعرف إلى مدى وجود فروق ذات دلاله إحصائية في اتجاهات طالبات كلية عجلون الجامعية نحو العمل التطوعي تعزى لمتغيرات التخصص، والمستوى الجامعي، والعمر.

٣. محاولة الخروج بتوصيات يمكن الاستفادة منها في تغيير اتجاهات الشباب الجامعي السلبية نحو العمل التطوعي هذا من جانب، ومن جانب آخر تنمية وتدعيم الاتجاهات الإيجابية نحو العمل التطوعي.

فرضيات الدراسة:

١. تتصف اتجاهات طالبات كلية عجلون الجامعية نحو العمل التطوعي بالإيجابية.

٢. هناك فروق ذات دلاله إحصائية بين طالبات تخصص الخدمة الاجتماعية وطالبات التخصصات الأخرى في اتجاهاتهن نحو العمل التطوعي.

٣. هناك فروق ذات دلاله إحصائية بين طالبات المستوى الدراسي الأول، والمستوى الدراسي الثاني، والمستوى الدراسي الثالث، والمستوى الدراسي الرابع في اتجاهاتهن نحو العمل التطوعي.

٤. هناك فروق ذات دلاله إحصائية بين الطالبات ذوات الأعمار الأقل من عشرين عاماً، والأعمار الأكبر من عشرين عاماً في اتجاهاتهن نحو العمل التطوعي.

الإطار النظري للدراسة:

أولاً- مفهوم العمل التطوعي:

يشكل مفهوم العمل التطوعي مبحثاً أساسيًّا في علم الاجتماع والعمل الاجتماعي، وذا علاقة مباشرة بالأبعاد النفسية والثقافية والتربوية: فقد نالت دراسة المصطلح اهتماماً واضحاً في أدبيات الفكر البشري، إذ جاء في قاموس علم الاجتماع أن العمل التطوعي هو» اصطلاح يصف الطرق النظامية التي تستعمل في تقديم العون والمساعدة للمحتاجين الذين لا يستطيعون بأنفسهم التغلب على المشاكل والأزمات الحياتية التي تواجههم». (ميشيل دينكن، ١٩٨٦، ص٤٩) . ويشير معجم مصطلحات الخدمة الاجتماعية إلى أن التطوع هو « تعبئة الأفراد واستخدامهم بدون أجر في خدمة المجتمع بعيدا عن المؤسسات الحكومية». (درويش، ١٩٩٨، ص١٧٢) كما يعرف قاموس الخدمة الاجتماعية والخدمات الاجتماعية التطوع على أنه « توظيف واستغلال الأفراد والجماعات غير مدفوعي الأجر في تقديم خدمات إنسانية خارج إطار المؤسسات الحكومية». (السكري، ٢٠٠٠، ص٥٦٠) . ويعرف العمل التطوعي في الخدمة الاجتماعية أيضاً على أنه « المجهود القائم على مهارة أو خبرة معينة والذي يبذل عن رغبة واختيار بغرض أداء واجب اجتماعي وبدون توقع جزاء مالي» (شمس الدين، ١٩٩٥، ص١٩) . كما يشار إلى التطوع على أنه «جهود تتم عن رغبة واقتناع تربط الأفراد بمجتمعهم المحلي كجزء من نسيج المساعدات الاجتماعية لتقديم خدمات إنسانية دون انتظار مقابل مالي، بما يعود بالفائدة على المجتمع وعلى القائمين بها» (Fellin, 1999, p. 123- 124) .

وتعرفه جمعية الأخصائيين الاجتماعيين بالولايات المتحدة الأمريكية بأنه «جهود يبذلها المتطوعون المتخصصون أو شبه المتخصصين الذين يملكون خبرة أو مهارة معينة ولهم دور فعال في المشاركة لتحقيق خدمات المهنة التي تهدف إلى رفاهية الأفراد والمجتمعات بطريقة تكاملية محققةً أكبر نفع ممكن لهم» (الدمنهوري، ١٩٧٧، ص٥) .

مما سبق يمكن القول إن العمل التطوعي يشمل التبرع بالوقت أو المال أو الجهد، ويتم دون انتظار أو توقع مقابل مادي يوازي الجهد المبذول، ويوظف في المجالات التي تعود بالنفع العام على المجتمع أفراداً ومؤسسات، كما أنه نابع من دافع و رغبة ذاتية و دون إجبار لتحمل المسؤولية الاجتماعية، كما إن العمل التطوعي لا يرتبط بمهنة أو تخصص أو شريحة عمرية وإنما يقوم على تنوع المهارات و الخبرات السابقة للأفراد.

ثانياً- أهمية العمل التطوعي:

تبرز أهمية العمل التطوعي كلما تقدمت المجتمعات وتعقدت العلاقات الاجتماعية داخلها، فقد أدت التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والزيادة في
ومتطلبات الحياة المعاصرة إلى تحول العمل التطوعي، من مجرد أعمال فردية تقليدية إلى أعمال جماعية منظمة في شكل جمعيات ومؤسسات حديثة وفي مجالات متعددة تتناسب واحتياجات خدمة المجتمع وتنمية ظروفه المستجدة (النعيم، ٢٠٠٠، ص٥) . **وتكمن أهمية العمل التطوعي في كونه يؤدي ثلاث وظائف رئيسية في المجتمع هي**:

١. تكملة العمل الحكومي عن طريق رفع مستوى الخدمة أو توسيعها.

٢. توفير خدمات جديدة قد يصعب على الحكومة تقديمها، لما تتسم به المؤسسات التطوعية من مرونة.

٣. تأدية خدمات لا تقوم بها الدولة لظروف مثل وجود أنظمة تحد من تدخل الدولة في بعض الشؤون (الجهني، ١٩٩٨، ص ٤٤٥) .

ثالثاً- ثقافة العمل التطوعي:

بفعل المتغيرات العالمية والمجتمعية والزيادة السكانية، لم تعد الحكومات، وبخاصة في الدول المتقدمة قادرة بمفردها على تحقيق التنمية المستدامة، أو تقديم كافة المساعدات والاحتياجات، وعليه تبرز أهمية مشاركة المتطوعين لمساندة الإنفاق الحكومي من جانب، وتوفير الجهود الحكومية للمسؤوليات الكبرى من جانب آخر. وقد أثبتت الخبرات والتجارب المتتالية أن مشروعات الإصلاح والتنمية لن تتأصل في حياة المجتمع ولن تؤدي الفائدة المرجوة منها ما لم يشارك فيها أفراد هذا المجتمع وجماعاته، ومرجع ذلك أن المواطنين في مجتمع ما هم أكثر دراية من غيرهم لما يصلح لمجتمعهم وما لا يصلح له. ومن ثم فاشتراك المواطنين في تخطيط برنامج معين يضمن اختيار ما يتلاءم مع طبيعة هذا المجتمع (Thomas Waltz , 1974 ,pp38- 46) . ومن خلال نظرتهم البسيطة والواقعية يمكن أن يصلوا إلى أنسب الحلول لمقابلة الاحتياجات الفعلية للمجتمع بأسلوب الشورى

والتناصح، كما يضمن توفير عناصر النجاح لمشروعات التنمية (European Siminar on Function Voluntary Social, 1980 , p52) . وبحكم أن حيوية المجتمع أو ركوده رهن بمستوى الثقافة السائدة لديه، ولما كانت ثقافة العمل التطوعي تعد جزءاً لا يتجزأ من مفهوم الثقافة بالمعنى العام، فإن مدى الإقبال على العمل التطوعي والمشاركة في فعالياته يتوقف على انتشار ثقافة التطوع في الساحة الاجتماعية، وبالعودة إلى المعطيات على أرض الواقع نجد أن انتشار ثقافة العمل التطوعي بين أوساط الشباب ما زالت دون المستوى المطلوب.

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن بعض الأنماط الثقافية السائدة في المجتمع تساهم في تدني مشاركة الشباب في العمل التطوعي، كالتقليل من أهميتهم الاجتماعية ومن دورهم في بناء المجتمع، وكذلك ضعف وعي الشباب بمفهوم وفوائد العمل التطوعي. كما أن هنالك أسباباً تتحمل مسئوليتها المؤسسات الحكومية والأهلية، تتمثل في قلة التعريف بالبرامج والنشاطات التطوعية أو عدم السماح للشباب بالمشاركة في صنع القرار داخل المؤسسة، وقلة تشجيع، ودعم العمل التطوعي (ياسين، ٢٠٠٢، ٥٤) .

الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع الدراسة:

حظيت دراسات العمل التطوعي على اهتمام العديد من الباحثين والدارسين في مختلف العلوم حظيت دراسات العمل التطوعي على اهتمام العديد من الباحثين والدارسين في مختلف العلوم الاجتماعية، وفي مختلف دول العالم، ونظراً لأهمية هذه الدراسات يقوم الباحث بعرضها على النحو الآتي:

أولاً- الدراسات الأجنبية:

١. دراسة **لونج وآخرون «Long et al»**، (٢٠٠١) . بعنوان « تنظيم وإدارة وتعلم مشاريع الخدمة في الولايات المتحدة الأمريكية» ويقصد بتعلم الخدمة (خدمة المجتمع) . وجدت الدراسة أن العديد من الكليات والجامعات الأمريكية تشجع طلبتها على التطوع من أجل توثيق الصلة بين طلبتها – كممثلين عنها – وبين المجتمع المحلي الذي تقع فيه تلك الكليات أو الجامعات. وتتلقى تلك المشاريع الدعم المالي من الجهات الخارجية. فخلال الفترة الزمنية ١٩٩٥ – ١٩٩٧ تلقت مشاريع خدمة المجتمع والمدارة من قبل إدارة الخدمة الوطنية والمجتمع المحلي دعماً مالياً زاد عن ٣٥ مليون دولاراً تلقته أكثر من ٥٠٠ مؤسسة تعليم عالٍ ومنظمات المجتمع المدني لتوطيد الصلة بين تلك المؤسسات والمنظمات ومجتمعاتها المحلية. توصلت الدراسة إلى أن تلك البرامج هدفت إلى تحقيق العديد من

الأهداف ومن أبرزها:

أ. النمو في شخصية المتطوع.

ب. التطبيق الميداني للمعلومات التي تعلمها.

ت. التفكير التحليلي.

ث. تزويد المتطوعين من الطلبة بقيم ومهارات المواطنة والانتماء.

كما وجدت الدراسة أن تلك البرامج تمثل متصلاً يتكون من أربعة أبعاد وهي:

أ. كمية ونوع وفترة خبرات خدمة المجتمع المقدمة.

ب. مدى حرية الطلبة في اختيار الخبرات التي سيتعلمونها من خلال عملهم التطوعي.

ت. نوع وحجم الإشراف على الطلبة أثناء تأديتهم للعمل التطوعي.

ث. حجم الإشراف الداخلي، والذي يتأثر بعوامل عدة منها: طبيعة المساق (المادة) أو طبيعة البرنامج أو الجامعة أو حجم الإشراف الخارجي، والذي يتأثر بعدة عوامل منها: طبيعة الجهة الداعمة مالياً للمشروع أو برنامج الخدمة المجتمعية المطبق. وتوصلت الدراسة إلى أن تلك المشاريع أحدثت العديد من النتائج الإيجابية التي تزيد من الصلة بين الكليات والجامعات وبين مجتمعاتها المحلية.

٢. دراسة **برنجل وهاتجر «Bringle and Hatcher»**، (٢٠٠٢) . بعنوان «الشراكة بين الجامعة والمجتمع المحلي « توصلت الدراسة إلى أن مؤسسات التعليم العالي في الولايات المتحدة الأمريكية ساهمت في تقديم الخدمات والنشاطات للمجتمعات المحلية بطرق عدة من أبرزها: برامج التعليم المستمر، والبرامج العيادية والمهنية، وإيجاد أقسام أو وحدات أكاديمية، أو إدارية لها مهمات خدماتية، والخدمات المهنية للمدرسين، وتطوع الطلبة في المجتمع المحلي، واستفادة المجتمع المحلي من الجامعة ونشاطاتها الثقافية. كما أوضحت الدراسة أن المساهمة التطوعية من قبل الطلبة والمدرسين والإداريين تساعد على تحسين خدمة المجتمع المحلي، وتنميته في مجالات عديدة ويؤدي ذلك في النهاية إلى بناء الثقة بين مؤسسات التعليم العالي والمجتمع المحلي.

٣. دراسة **جونز و هيل «Jones and Hill»**، (٢٠٠٣) . بعنوان «الحوافز التي تدفع الطلبة للخدمة التطوعية « كانت عينة الدراسة قصدية مكونة من ٢٤ طالباً من أربع مؤسسات تعليم عالٍ في ولاية أوهايو. وكان المبحوثين كافة قد قاموا بأعمال تطوعية خلال دراستهم المدرسية في المرحلة الثانوية. واستمر نصفهم في القيام بالعمل التطوعي

بعد انتقالهم إلى الجامعة، أما النصف الآخر فقد توقفوا عن القيام بالعمل التطوعي بعد الانتقال إلى الجامعة. توصلت الدراسة إلى أن مشاركة الطلبة في العمل التطوعي في أثناء المرحلة الثانوية كان بسبب تأثير الحوافز الخارجية مثل تشجيع الأسرة والأصدقاء، وكون العمل متطلب في المنهاج الدراسي، وتشجيع المعتقدات الدينية، ومساعدة الآخرين، وكون القيام بالعمل التطوعي يساعد الطلبة في الحصول على قبول جامعي. أما الطلبة الذين توقفوا عن العمل التطوعي بعد الانتقال للجامعة، فقد ذكروا أن أبرز أسباب ذلك الانقطاع هي: ضيق الوقت، والانشغال بوضع أولويات لحياتهم الجديدة في الجامعة، والانشغال بالعمل أثناء الدراسة في الجامعة، والانتقال إلى مجتمع محلي جديد (الجامعة والمناطق المحيطة بها).

٤. دراسة **بيكرز** «**Bekkers**»، (٢٠٠٥). بعنوان «المشاركة في الجمعيات الخيرية» تكونت عينة الدراسة من ١٥٧٨ مبحوثاً اختيروا بطريقة العينة الطبقية العشوائية، وتوصلت الدراسة إلى أن أبرز أسباب العمل التطوعي هي: إيجاد معنى للحياة، ولتحسين أوضاعهم في سوق العمل، كما توصلت الدراسة إلى أن المشاركة في العمل التطوعي تزداد مع ازدياد المستوى التعليمي، وزيادة التدين لدى الفئات الأكثر اهتماماً بالسياسة، وأعلى لمن يؤيدون الأحزاب السياسية اليسارية، وأعلى منه لدى سكان المناطق الريفية، ويزداد لدى الأشخاص الذين تمتاز شخصياتهم بالشعور العاطفي اتجاه الأحداث والآخرين.

٥. دراسة **فيراري و برستو** «**Ferrari and Bristow**»، (٢٠٠٨). بعنوان «أراء طلبة الجامعة نحو البيئة الجامعية وعلاقتها بحوافز خدمة المجتمع المحلي والانخراط في الخدمة العامة» أجريت هذه الدراسة على طلبة جامعة DePaul الأمريكية في ولاية إلينوي لمعرفة أرائهم تجاه البيئة الجامعية وعلاقتها بحوافز خدمة المجتمع المحلي والانخراط في الخدمة العامة. تكونت عينة الدراسة من ١٢٠ مبحوثاً. حيث توصلت الدراسة إلى أن طلبة السنتين الأولى والثانية لديهم انطباع عال بأن الجامعة توفر بيئة مناسبة للطلبة للقيام بالأعمال التطوعية في المجتمع المحلي وان لديهم حوافز أعلى من طلبة السنتين الثالثة والرابعة للقيام بالأعمال التطوعية وخاصة الحوافز المرتبطة بالمصالح العامة والاستجابة للاحتياجات والرغبة بتقديم المساعدة للآخرين، وتوصلت الدراسة إلى أن سبب تلك الفروق يعود إلى أن طلبة السنتين الأولى و الثانية، فقد تعرضوا كثيراً لبرامج التوجيه ومشاريع خدمة المجتمع المحلي، وخاصة طلبة السنة الأولى، أما تلك الحوافز فكانت أقل عند طلبة السنتين الثالثة والرابعة ولأسباب عدة من أبرزها: انشغال العديد منهم بالعمل لتغطية كلفة الدراسة الجامعية، وقلة تعرضهم لبرامج الخدمة العامة.

٦. دراسة **جـون «John»**، (٢٠٠٩) . بعنوان «العلاقة بين كل من متغيرات الثقة والعلاقات والتطوع وبين التحصيل الأكاديمي». عينة الدراسة طبقية تكونت من ١٢٤٩ طالباً وطالبة من طلبة السنة الأخيرة من المرحلة الثانوية، سُحبت العينة من ٢٧ مدرسة بريطانية (٢٤ مدرسة حكومية و ٣ مدارس خاصة) . توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أبرزها: هناك علاقة ايجابية بين متغير الثقة (ثقة المبحوثين من الطلبة) وما بين متغير التحصيل الأكاديمي. أي أن الطلبة الذين امتازوا بالثقة كان تحصيلهم الأكاديمي عالياً في المدرسة. هناك علاقة سلبية بين متغير العلاقة (العلاقة الاجتماعية بين والد المبحوثين ووالد أصدقائهم من طلبة نفس المدرسة) . فيما يتعلق بالتطوع هناك علاقة إيجابية بينه وبين متغير التحصيل الأكاديمي، أي أن العمل التطوعي يعزز الجانب الأكاديمي ويزيد من مستوى الطالب في المدرسة، وخلصت الدراسة أيضاً إلى أن أبرز مجالات التطوع قد كانت: حملات التبرع، والمشاريع الدينية، والحملات الانتخابية، والمشاريع البيئية، ومساعدة المسنين، والأعمال الخيرية، وفرق الجوالة (الكشافة) .

ثانياً- الدراسات العربية:

١. دراسة **سناء حجازي**، (٢٠٠٠) . بعنوان «إسهامات الجهود التطوعية في البرامج التنموية بالجمعيات الأهلية في الجيزة». والتي حاولت التعرف إلى برامج ومشروعات جمعية تنمية المجتمع المحلي بغرب حلوان بالقاهرة، والقائمة على إسهامات المتطوعين فيها وتحديد المعوقات التي تحول دون الاستفادة من تلك الإسهامات. وقد أشارت نتائج الدراسة إلى أن أهم هذه المعوقات هي قلة عدد المتطوعين بالإضافة إلى قلة خبرة البعض منهم مع عدم الاهتمام بالمشاركة في البرامج والمشروعات التي تقدمها هذه الجمعيات. كما أوصت الدراسة بضرورة تعميق مفهوم التطوع في المجتمع لزيادة الاستفادة من جهود المتطوعين في البرامج والمشروعات التنموية.

٢. دراسة **لبنى عبد المجيد**، (٢٠٠٠) . بعنوان «تنظيم وإدارة المتطوعين لعلاج أزمة التطوع في الجمعيات الأهلية». هدفت الدراسة إلى التعرف إلى أعداد المتطوعين وخصائصهم والأنشطة التي يقومون بها في الجمعيات الأهلية. وقد أوضحت نتائج الدراسة أن هناك قصوراً في الجهود المبذولة لتنظيم وإدارة المتطوعين بالإضافة إلى أن أعداد المتطوعين وخصائصهم غير مسجلة أساساً بالجمعيات، ولا بأي جهة أخرى، وأن أكثر الأنشطة التطوعية تقتصر على المشاركة في الندوات والمحاضرات والتبرع بالمال، وهو ما يعطي مؤشراً بالخلط بين مفهومي التبرع والتطوع.

٣. دراسة **فهد بن سلطان**، (٢٠٠٩) . بعنوان «اتجاهات الشباب الجامعي الذكور نحو العمل التطوعي دراسة تطبيقية على جامعة الملك سعود». هدفت الدراسة إلى الكشف عن اتجاهات الشباب الجامعي نحو ممارسة العمل التطوعي وماهية الأعمال التطوعية، التي يرغبون في ممارستها، وكذلك تحديد المعوقات التي تحول دون التحاق الشباب الجامعي بالأعمال التطوعية. وقد أسفرت نتائج الدراسة عن أن متوسط ممارسة الشباب الجامعي للعمل التطوعي ضعيف جداً، وأن اتجاهات الشباب الجامعي الذكور إيجابية نحو العمل التطوعي، حيث جاءت مساعدة ورعاية الفقراء والمحتاجين، ويليها زيارة المرضى، ثم المشاركة في الإغاثة الإنسانية، ورعاية المعوقين، والحفاظ على البيئة ومكافحة المخدرات والتدخين، في صدر المجالات التي يرغب الشباب الجامعي المشاركة فيها. وإن أقل مجالات العمل التطوعي جاذبية لمشاركة الشباب الجامعي هي الدفاع المدني، وتقديم العون للنوادي الرياضية، ورعاية الطفولة. وأوضحت نتائج الدراسة أن اكتساب مهارات جديدة، وزيادة الخبرة، وشغل وقت الفراغ بأمور مفيدة، والمساعدة في خدمة المجتمع، والثقة بالنفس، وتنمية الشخصية الاجتماعية تأتي في مقدمة الفوائد التي يجنيها الشباب جراء مشاركتهم في العمل التطوعي، ويرونها ذات أهمية مرتفعة جداً.

٤. دراسة **محمد عنان رضا**، (٢٠٠٦) . بعنوان «اتجاهات الشباب الجامعي نحو التطوع دراسة مطبقة على طلاب وطالبات جامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان». تكونت عينة الدراسة من (٥٢١) طالب وطالبة من مختلف الأقسام في كليتي الآداب والعلوم الاجتماعية، أسفرت نتائج الدراسة إلى أن اتجاهات عينة الدراسة نحو التطوع اتسمت بالايجابية، كما بينت النتائج أن هناك فروقاً ذات دلاله إحصائية في اتجاهات الطلبة نحو التطوع لصالح الطالبات كذلك وجود فروق ذات دلاله إحصائية تعزى لمتغيرات التخصص لصالح طلبة الخدمة الاجتماعية.

ثالثاً- الدراسات الأردنية:

١. دراسة **وليد حماد**، (١٩٩٥) . بعنوان « أثر بعض المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية على مستوى مشاركة الشباب في العمل الاجتماعي التطوعي الأردني». هدفت الدراسة إلى تحديد مشاركة الشباب في العمل الاجتماعي التطوعي الأردني، وقامت هذه الدراسة على فرضية رئيسة مؤداها أن العمل التطوعي عمل مقصود يهدف المتطوع من وراءه تحقيق غاية خاصة به لأسباب ودوافع تشكّلت بفعل ظروفه الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. توصلت الدراسة إلى وجود علاقة ذات دلاله إحصائية بين متغيرات الجنس والدين والعمر ومكان الإقامة ومفاهيم التطوع عند عينة الدراسة، كما أشارت النتائج إلى عدم وجود

علاقة ذات دلاله إحصائية بين متغيرات الحالة الزواجية والتعليم والدخل والمهنة ومفاهيم العمل التطوعي.

٢. دراسة **شتيوي وآخرون**، (٢٠٠٠) . بعنوان «التطوع والمتطوعين في العالم العربي». هدفت الدراسة إلى تحديد خصائص المتطوعين ومقارنتها بخصائص غير المتطوعين وتحديد دوافع المتطوعين ومقارنتها بدوافع غير المتطوعين. خرجت الدراسة بنتائج أهمها: أن معدل المتطوعين الذكور أعلى من معدل المتطوعين الإناث، وأن معدل المتطوعين المسلمين أعلى من معدل المتطوعين المسيحيين، وأن معدل المتطوعين من ذوي العمر المتوسط أعلى من معدل المتطوعين الكبار في العمر، وأن معدل المتطوعين المتزوجين أعلى من معدل المتطوعين العزاب والأرامل والمطلقين، كما خرجت الدراسة بوجود غياب تام في الساحة العربية لمراكز توجيه المتطوعين وضعف في الحوافز المجتمعية للمتطوعين وعدم توافر التدريب والتوجيه الكافي للمتطوعين.

٣. دراسة **محمد المحاميد**، (٢٠٠١) . بعنوان «دوافع السلوك التطوعي النسوي المنظم في الأردن وعلاقته ببعض المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية». هدفت الدراسة إلى معرفة طبيعة السلوك التطوعي النسوي المنظم في الأردن وتناولت الدراسة مفهوم منظمات المجتمع المدني، وجهود بعض المؤسسات في تشجيع المرأة على التطوع وتوصلت الدراسة إلى نتائج عدة من أهمها: أن النساء المتزوجات أكثر إقبالاً على التطوع من النساء العازبات والأرامل، واللواتي يعشن في الأسر النواة أكثر تطوعاً من اللواتي يعشن في الأسر الممتدة، والنساء غير المتقاعدات أكثر تطوعاً من النساء المتقاعدات.

٤. دراسة **فاطمة الزبيدي**، (٢٠٠٦) . بعنوان «اتجاهات طلبة الجامعة الأردنية نحو العمل التطوعي « هدفت الدراسة إلى التعرف إلى اتجاهات طلبة الجامعة الأردنية نحو العمل التطوعي أشارت النتائج إلى أن غالبية المبحوثين من الإناث وأن ما نسبته ٦٣,٧ لم يشاركوا في أعمال تطوعية أثناء دراستهم الجامعية، وأن تطوع الذكور أعلى من تطوع الإناث، وأن تطوع الكليات العلمية أكثر من تطوع الكليات الإنسانية. كما بينت نتائج الدراسة وجود فروق ذات دلاله إحصائية في اتجاهات الطلبة نحو العمل التطوعي تعزى لمتغيرات النوع، والكلية، والمستوى الدراسي.

٥. دراسة **هيفاء النابلسي**، (٢٠٠٧) . بعنوان «دور الشباب الجامعي في العمل التطوعي والمشاركة السياسية: دراسة مقارنة على عينة من طلبة الجامعة الأردنية». هدفت الدراسة إلى التعرف إلى دور الشباب الجامعي في العمل التطوعي والمشاركة السياسية. جمعت البيانات من عينة عشوائية طبقية متعددة المراحل بلغ حجمها ١١٥٠ طالب وطالبة

توصلت الدراسة إلى ضعف مشاركة الشباب الجامعي في العمل التطوعي والسياسي، كما توصلت إلى أن تأثير الأسرة ضعيف في التأثير على أبنائها للمشاركة في العمل التطوعي والسياسي، وأشارت النتائج أيضاً إلى أن النظرة بشكل عام للعمل التطوعي إيجابية في بناء الوطن ودعم مسيرة التنمية، بينما الأمر ليس كذلك بالنسبة للمشاركة السياسية.

وفي ضوء استعراض نتائج الدراسات السابقة يمكن استخلاص ما يأتي:

يتبين لنا من العرض السابق وجود ثغرات عدة فيما يتعلق بدراسة العمل التطوعي منها على سبيل المثال: أن الدراسات التي أجريت على المستوى الأردني ما زالت قليلة بالرغم من انتشار ظاهرة العمل التطوعي في الأردن، وان الدراسات العربية والأجنبية تناولت جوانب متعددة للعمل التطوعي، كما لا يمكن مقارنة نتائج تلك الدراسات بين دولة وأخرى أو على مستوى الدولة نفسها ويعود ذلك لعدة أسباب منها: اختلاف الموضوعات المرتبطة بالعمل التطوعي والتي تمت دراستها، ودراسة جانب أو زاوية معينة فقط مثل دراسة أحد النوعين (الذكور والإناث) دون الآخر، أو دراسة مؤسسات المجتمع المدني أو طلبة المدارس والجامعات بالإضافة إلى اختلاف أنواع العينات المستخدمة، كما أن المجال الزماني والمكاني للعينات المستخدمة لم يكن على مستوى الدولة في كثير من الدراسات. من هنا جاءت هذه الدراسة لتسد بعض النقص المعرفي في مجال اتجاهات الشباب الجامعي نحو العمل التطوعي وهي الدراسة الميدانية الأولى التي أجريت على مجتمع الدراسة.

وفي ضوء استعراض نتائج الدراسات السابقة يمكن استخلاص ما يأتي:

يتبين لنا من العرض السابق وجود ثغرات عدة فيما يتعلق بدراسة العمل التطوعي منها على سبيل المثال: أن الدراسات التي أجريت على المستوى الأردني ما زالت قليلة بالرغم من انتشار ظاهرة العمل التطوعي في الأردن، وأن الدراسات العربية والأجنبية تناولت جوانب متعددة للعمل التطوعي، كما لا يمكن مقارنة نتائج تلك الدراسات بين دولة وأخرى أو على مستوى الدولة نفسها، ويعود ذلك لأسباب عدة منها: اختلاف الموضوعات المرتبطة بالعمل التطوعي والتي تمت دراستها، ودراسة جانب أو زاوية معينة فقط مثل دراسة أحد النوعين (الذكور والإناث) دون الآخر، أو دراسة مؤسسات المجتمع المدني أو طلبة المدارس والجامعات بالإضافة إلى اختلاف أنواع العينات المستخدمة/ كما أن المجال الزماني والمكاني للعينات المستخدمة لم يكن على مستوى الدولة في كثير من الدراسات. من هنا جاءت هذه الدراسة لتسد بعض النقص المعرفي في مجال اتجاهات الشباب الجامعي نحو العمل التطوعي، وهي الدراسة الميدانية الأولى التي أجريت على مجتمع الدراسة.

منهجية الدراسة وإجراءاتها:

منهج الدراسة:

تنتمي هذه الدراسة إلى نمط الدراسات الوصفية التي تستهدف تحليل ودراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بطبيعة مشكلة البحث؛ وذلك بهدف الحصول على معلومات كافية ودقيقة عنها. وهذه الدراسة لا تقف عند حد جمع البيانات وإنما تمتد إلى تصنيف هذه البيانات والحقائق وتسجيلها وتفسيرها وتحليلها تحليلاً شاملاً لاستخلاص نتائج ومدلولات، تفيد في توصيف مشكلة الدراسة الحالية من هنا اُستخدم المنهج الوصفي التحليلي الذي يعبر عن الظاهرة موضوع الدراسة تعبيراً كمياً وكيفياً والذي « لا يتوقف عند حد وصف الظاهرة، وإنما يتعدى ذلك إلى تحليلها، وكشف العلاقات بين أبعادها المختلفة من أجل تفسيرها والوصول إلى استنتاجات عامة تسهم في تحسين الواقع وتطويره» (عطيفه، ١٩٩٦، ٥٤) .

مجتمع الدراسة:

يتألف مجتمع الدراسة من طالبات كلية عجلون الجامعية المسجلات في الفصل الدراسي الثاني من العام الجـ ٢٠١٠/ ٢٠١١ والبالغ عددهن ما يقارب من (١٥٠٠) طالبة ممن هن في مرحلة البكالوريوس، وذلك حسب إحصائيات وحدة القبول والتسجيل لذلك العام.

عينة الدراسة:

عينة عشوائية قصديه مكونة من (٣٠٠) ثلاثمائة طالبة من مختلف التخصصات في كلية عجلون الجامعية ممن هن في مرحلة البكالوريوس والمنتظمات على مقاعد الدراسة والمسجلات في الفصل الدراسي الثاني من العام الجامعي ٢٠١٠/ ٢٠١١.

الأداة المستخدمة في الدراسة:

تم تصميم استبانة مناسبة لأغراض الدراسة حيث تتكون الاستبانة من ثلاثة محاور، المحور الأول: اشتمل على ٧ فقرات تتعلق بالعمل التطوعي وشخصية المتطوع. والمحور الثاني: اشتمل على ١٢ فقرة تتعلق بمكانة التطوع. أما المحور الثالث: فقد اشتمل على ٦ فقرات تتعلق بطبيعة العمل التطوعي، والجدول ١ يبين ذلك.

الجدول (١)

يبين أبعاد الاستبيان وأرقام العبارات الخاصة بكل بُعد

الأبعاد	أرقام العبارات الخاصة بكل بُعد
البعد الأول: العمل التطوعي وشخصية المتطوع	١. ٣. ٥. ٧. ١٣. ١٨. ٢٤.
البعد الثاني: طبيعة العمل التطوعي	٢. ٤. ٦. ٨. ١٠. ١٤. ١٥. ١٦. ١٩. ٢٢. ٢٣. ٢٥
البعد الثالث: مكانة العمل التطوعي	٩. ١١. ١٢. ١٧. ٢٠. ٢١.

صدق الأداة:

عرضت الاستبانة في صورتها الأولية على مجموعة من المحكمين وذلك للتأكد من صلاحية ودقة ووضوح كل عبارة من عباراته، وتحديد مدى ارتباطها بأهداف الدراسة وفرضياتها. وقد حذف الباحث العبارات التي قلت نسبة اتفاق المحكمين عليها عن ٨٥٪.

مجالات الدراسة:

أ. المجال المكاني: تم اختيار كلية عجلون الجامعية مجالاً مكانياً لإجراء الدراسة.

ب. المجال البشري: تكونت عينة الدراسة من ٣٠٠ طالبة اخْترن عشوائياً.

ت. المجال الزمني: أجريت الدراسة الراهنة خلال العام الجامعي ٢٠١٠/ ٢٠١١.

الأساليب الإحصائية المستخدمة في الدراسة:

لقد جُمعت البيانات الخاصة بهذه الدراسة من العينة المستهدفة بالدراسة، ومن ثم رُمزت هذه البيانات وإدخالها إلى الحاسوب، وتمت معالجتها باستخدام البرنامج الإحصائي للعلوم الاجتماعية (SPSS) ، وللإجابة عن أسئلة الدراسة اُستخدم الإحصاء الوصفي والتحليلي في تحليل نتائج الدراسة، لاستخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لكل فقرة، وكذلك استخدم اختبار F- TEST وتحليل التباين الأحادي ONE WAY ANOVA

تحليل بيانات الدراسة:

أولاً- خصائص عينة الدراسة:

يوضح الجدول (٢) أن (١١٠) من المبحوثات من طالبات كلية عجلون هن من تخصص الخدمة الاجتماعية شكلن ما نسبته (٣٦,٧ ٪) من إجمالي العينة، و (٨٥) منهن من تخصص تربية الطفل و شكلن ما نسبته (٢٨,٣٪) من إجمالي العينة وفيما يتعلق

بتخصص التربية الخاصة أشارت النتائج إلى أن عدد الطالبات في هذا التخصص (٦٥) طالبة شكلن ما نسبته (٢١,٧٪) من إجمالي العينة في حين بلغ عدد طالبات الكلية في تخصص الأدب الإنجليزي (٤٠) طالبة أي ما نسبته (١٣,٣٪) من إجمالي العينة.

الجدول (٢)

توزيع أفراد العينة حسب التخصص

التخصص	العدد	النسبة المئوية ٪
الخدمة الاجتماعية	١١٠	٣٦,٧
تربية طفل	٨٥	٢٨,٣
التربية الخاصة	٦٥	٢١,٧
أدب انجليزي	٤٠	١٣,٣
المجموع	٣٠٠	١٠٠

يظهر الجدول (٣) متغير المستوى الجامعي حيث بلغ عدد طالبات السنة الأولى (٦٤) طالبة بنسبة مئوية بلغت (٢١,٣٪) من مجموع العينة الكلي وبلغ عدد طالبات السنة الثانية (٥٢) طالبة شكلن ما نسبته (١٧,٣٪) في حين بلغ عدد طالبات السنة الثالثة (١٢٢) طالبة شكلن ما نسبته (٤٠,٧٪) أما طالبات السنة الرابعة فقد وصل عددهن (٦٢) طالبة بنسبة مئوية بلغت (٢٠,٧٪) من إجمالي العينة.

الجدول (٣)

توزيع أفراد العينة حسب المستوى الجامعي

المستوى الجامعي	العدد	النسبة المئوية ٪
أولى	٦٤	٢١,٣
ثانية	٥٢	١٧,٣
ثالثة	١٢٢	٤٠,٧
رابعة	٦٢	٢٠,٧
المجموع	٣٠٠	١٠٠

وبخصوص متغير العمر يوضح الجدول (٤) أن عدد الطالبات ذوات الأعمار من (٢٠) سنة فأقل (١٢٥) طالبة شكلن ما نسبته (٤١,٧ ٪) من مجموع العينة الكلي، وبلغ عدد

الطالبات من عمر (٢٠) سنة فأكثر (١٧٥) طالبة شكلن ما نسبته (٥٨,٣ ٪) من إجمالي العينة.

الجدول (٤)

توزيع أفراد العينة حسب العمر

العمر	العدد	النسبة المئوية ٪
من ١٨ سنة– ٢٠ سنة	١٢٥	٤١,٧
٢١ سنة فأكثر	١٧٥	٥٨,٣
المجموع	٣٠٠	١٠٠

نتائج الدراسة:

١. النتائج المتعلقة بالإجابة عن السؤال الأول وهو « **ما اتجاهات طالبات كلية عجلون الجامعية نحو العمل التطوعي؟**» للإجابة عن هذا السؤال: اُستخرجت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للفقرات، التي تعبر عن العمل التطوعي وشخصية المتطوع من وجهة نظر الطالبات. بالإضافة إلى ذلك اُستخرجت درجة الموافقة لكل فقرة على حدة، وفيما يلي عرض لهذه النتائج:

الجدول (٥)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة موافقة عينة الدراسة على الفقرات المتعلقة بالعمل التطوعي وشخصية المتطوع مرتبة تنازلياً

رقم الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الموافقة
١	أشعر بالسعادة عندما أشارك في العمل التطوعي.	٤,٥١	٠,٥٦	ايجابي
٧	أشعر بإنسانيتي عندما أساعد الآخرين من خلال جهودي التطوعية.	٤,٣٩	٠,٦٩	ايجابي
٢٤	التطوع يصقل شخصيتي وينميها ويساهم في نضجها.	٤,٢٤	٠,٩٧	ايجابي
٣	أشجع زملائي في الدراسة على المشاركة في الجهود التطوعية.	٤,١٩	٠,٧٠	ايجابي
١٣	العمل التطوعي يتيح لي فرصة التعبير الحر عن آرائي وأفكاري.	٤,٠٣	٠,٩٤	ايجابي
٥	التفاني في بذل الجهد التطوعي أمر فيه مبالغة وغير مستحب.	٢,٤٢	١,١٣	حيادي
١٨	لا اشعر بأي دوافع ذاتية تدفعني للتطوع.	٢,٣٦	١,١٨	حيادي
	الدرجة الكلية	٣,٧٣	٠,٨٨	ايجابي

يشير الجدول (٥) إلى أن الفقرة (١) والتي تنص على «أشعر بالسعادة عندما أشارك في العمل التطوعي» والفقرة (٧) والتي تنص على «أشعر بإنسانيتي عندما أساعد الآخرين من خلال جهودي التطوعية».قد حصلتا على أعلى متوسط حسابي (٤,٥١) و (٤,٣٩) على التوالي الأمر الذي يشير إلى أن درجة الموافقة من قبل عينة الدراسة عليها عالية أو إيجابية بينما حصلت الفقرات (٥) و (١٨) وهي فقرات تنص على «التفاني في بذل الجهد التطوعي أمر فيه مبالغة وغير مستحب».و «لا اشعر بأي دوافع ذاتية تدفعني للتطوع» على أدنى متوسطات حسابية (٢,٤٢) و (٢,٣٦) على التوالي.وهو الأمر الذي يشير إلى أن درجة موافقة الطالبات عليها كانت محايدة أو حيادية.أما فيما يتعلق بالدرجة الكلية للسؤال فقد بلغ المتوسط الحسابي لها (٣. ٧٣) الأمر الذي يشير إلى أن درجة موافقة عينة الدراسة على مجمل فقراته كانت إيجابية.

الجدول (٦)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة موافقة عينة الدراسة على الفقرات المتعلقة بطبيعة العمل التطوعي مرتبة تنازلياً

رقم الفقرة	الفقـــــــــــــرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الموافقة
٢٣	يتمشى العمل التطوعي مع القيم الدينية والأخلاقية في المجتمع.	٤,٥٩	٠,٨٨	ايجابي
٢	يساهم التطوع في التخفيف من احتياجات ومشكلات أفراد المجتمع.	٤,٤٣	٠,٧٠	ايجابي
١٠	أشعر بالرضا عندما أجد التقدير نتيجة لجهدي التطوعي.	٤,١٩	١,٠١	ايجابي
١٦	يتطلب القيام ببعض الأعمال التطوعية تدريباً مسبقاً عليها.	٤,١٨	١,٠٣	ايجابي
١٩	أفضل القيام بالأعمال التطوعية بشكل فردي أحيانا.	٤,١٨	١,٠٣	ايجابي
٢٢	أفضل وجود جهة مختصة لتنظيم وتنسيق الجهود التطوعية للطلاب.	٤,٠٦	٠,٩٧	ايجابي
٨	لا يستدعي القيام بالأعمال التطوعية توافر الخبرة أو التخصص.	٤,٠٥	٠,٩٨	ايجابي
٦	أضحي بوقتي أحياناً في سبيل القيام بأعمال التطوعية.	٤,٠١	٠,٩٤	ايجابي
١٩	أفضل القيام بالأعمال التطوعية بشكل فردي أحيانا.	٣,٥٥	١,١٩	محايد
١٥	لا أرى أي فائدة ملموسة من المشاركة في الأعمال التطوعية	٣,١٦	١,٠٢	سلبي
٢٥	لا ألبي دعوة أي جهة تطلب جهودا تطوعية.	٢,٩٧	١,٣٠	سلبي
٤	يشكل العمل التطوعي عبئاً ثقيلاً أتهرب من القيام به.	٢,٧٥	٠,٩٣	سلبي
١٤	اشعر بان العمل التطوعي مضيعة للوقت.	٢,٧٥	٠,٩٣	سلبي
	الدرجـــــة الكليـــــة	٣,٧٦	٠,٩٩	ايجابي

يشير الجدول (٦) إلى أن الفقرة (٢٣) والتي تنص على «يتمشى العمل التطوعي مع القيم الدينية والأخلاقية في المجتمع» والفقرة (٢) والتي تنص على «يساهم التطوع في التخفيف من احتياجات ومشكلات أفراد المجتمع».قد حصلتا على أعلى متوسط حسابي (٤,٥٩) و (٤,٤٣) على التوالي الأمر الذي يشير إلى أن درجة الموافقة من قبل عينة الدراسة عليها عالية أو إيجابية بينما حصلت الفقرة (١٩) على درجة موافقة محايدة وهي فقرة تنص على «أفضل القيام بالأعمال التطوعية بشكل فردي أحياناً».أما فيما يتعلق بالدرجة الكلية للسؤال فقد بلغ المتوسط الحسابي لها (٣,٧٦) الأمر الذي يشير إلى أن درجة موافقة عينة الدراسة على مجمل فقراته كانت إيجابية.

الجدول (٧)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة موافقة عينة الدراسة على الفقرات المتعلقة بمكانة العمل التطوعي مرتبة تنازليا»

رقم الفقرة	الفقــــــــــرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الموافقة
٢١	ينمي التطوع الشعور بالولاء والانتماء للمجتمع.	٤,٥١	٠,٨٥	ايجابي
٢٠	يساهم التطوع في دعم الجهود الحكومية للرعاية الاجتماعية.	٤,٤٥	٠,٩٥	ايجابي
١١	يسهم التطوع في تفضيل المصلحة العامة على المصالح الشخصية	٤,٣٣	١,٠٨	ايجابي
٩	يؤدي التطوع إلى توسيع قاعدة الخدمات الاجتماعية للأفراد.	٤,٣٣	١,٠٣	ايجابي
١٧	تقلل مشاركة الأفراد في التطوع من تكوين علاقات اجتماعية.	٢,٣٩	١,٢٦	محايد
١٢	يقلل التطوع من اهتمام الطلاب بتحصيلهم الدراسي.	٢,٢٩	١,١٢	سلبي
	الدرجــــــة الكليــــــة	٣,٧٢	١,٠٤	ايجابي

يشير الجدول (٧) إلى أن الفقرة (٢١) والتي تنص على: «ينمي التطوع الشعور بالولاء والانتماء للمجتمع» والفقرة (٢٠) ، والتي تنص على: «يساهم التطوع في دعم الجهود الحكومية للرعاية الاجتماعية» قد حصلتا على أعلى متوسط حسابي (٤,٥١) و (٤,٤٥) على التوالي الأمر الذي يشير إلى أن درجة الموافقة من قبل عينة الدراسة عليها إيجابية بينما حصلت الفقرة (١٧) على درجة موافقة محايدة وبالمقابل حصلت الفقرة (١٢) ، وهي فقرة تنص على: «يقلل التطوع من اهتمام الطلاب بتحصيلهم الدراسي» على درجة موافقة

سلبية، أما فيما يتعلق بالدرجة الكلية للسؤال فقد بلغ المتوسط الحسابي لها (٣,٧٢) الأمر الذي يشير إلى أن درجة موافقة عينة الدراسة على مجمل فقراته كانت إيجابية.

٢. النتائج المتعلقة بالإجابة عن السؤال الثاني: **هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في اتجاهات طالبات كلية عجلون الجامعية نحو العمل التطوعي تعزى إلى متغيرات التخصص، والمستوى الدراسي، والعمر؟** للإجابة عن هذا السؤال: تم التعامل مع كل متغير على حده حيث استخرج مجموع المربعات ومتوسطاتها لهذه المتغيرات ودرجات الحرية لها، واستخراج قيمة (F- TEST) والدلالة الإحصائية لمعرفة فيما إذا كان هناك فروق ذات دلالة أم لا من وجهة نظر عينة الدراسة، وفيما يأتي عرض لهذه النتائج. لمعرفة فيما إذا كان هنالك فروق ذات دلالة إحصائية في اتجاهات طالبات كلية عجلون الجامعية نحو العمل التطوعي حسب اختلاف تخصصاتهن أجري اختبار تحليل التباين الأحادي ONE WAY ANOVA وكانت النتائج على الشكل الآتي:

أ. يشير الجدول (٨) إلى أنه لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية في اتجاهات طالبات كلية عجلون الجامعية نحو العمل التطوعي حسب اختلاف تخصصاتهن، وذلك لأن قيمة الدلالة الإحصائية للاختبار كانت أعلى من ٠,٠٥.

الجدول (٨)

نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لاتجاهات طالبات كلية عجلون الجامعية نحو العمل التطوعي حسب اختلاف التخصص

	المتغير	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة F المحسوبة	الدلالة الإحصائية
التخصص	بين المجموعات	٠,٣٨٥	٨	٠,٩٦	٠,٦٤٦	٠,٦٦
	داخل المجموعات	١٥,٣٧٧	٢٩٢	٠,١٠٣		
		١٥,٧٦٢	٣٠٠			

ب. يشير الجدول (٩) إلى أنه لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية في اتجاهات طالبات كلية عجلون الجامعية نحو العمل التطوعي حسب متغير المستوى الدراسي، وذلك لأن قيمة الدلالة الإحصائية للاختبار كانت أعلى من ٠,٠٥.

الجدول (٩)

نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لاتجاهات طالبات كلية عجلون الجامعية
نحو العمل التطوعي حسب اختلاف المستوى الدراسي

	المتغير	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة F المحسوبة	الدلالة الإحصائية
المستوى الدراسي	بين المجموعات	٠,٢٠٦	٦	٠,٠٦٩	٠,٦٧٢	٠,٥٧٠
	داخل المجموعات	١٥,١٤٢	٢٩٤	٠,١٠٢		
		١٥,٣٤٨	٣٠٠			

ت. يشير الجدول (١٠) إلى أنه لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية في اتجاهات طالبات كلية عجلون الجامعية نحو العمل التطوعي حسب متغير العمر وذلك لأن قيمة الدلالة الإحصائية للاختبار كانت أعلى من ٠,٠٥.

الجدول (١٠)

نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لاتجاهات طالبات كلية عجلون الجامعية
نحو العمل التطوعي حسب اختلاف متغير العمر

	المتغير	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة F المحسوبة	الدلالة الإحصائية
العمر	بين المجموعات	٠,٨٨٥	٦	٠,٢٩٥	١,٥٥٦	٠,٢٠٣
	داخل المجموعات	٢٧,٨٦٣	٢٩٤	٠,١٩٠		
		٢٨,٧٤٨	٣٠٠			

تفسير النتائج ومناقشتها:

نوقشت النتائج في الدراسة الراهنة حسب أهدافها وفرضياتها وضمن هذا الإطار أظهرت نتائج الدراسة المتعلقة بالسؤال الأول: ما اتجاهات طالبات كلية عجلون الجامعية نحو العمل التطوعي؟ **كانت النتائج على النحو الآتي:**

١. أشارت نتائج الدراسة إلى اتسام اتجاهات أفراد عينة الدراسة بشكل عام بالإيجابية نحو العمل التطوعي مما يؤكد صحة الفرض الأول، حيث كانت اتجاهات عينة الدراسة نحو العمل التطوعي وشخصية المتطوع ايجابية، بدرجة كلية للمتوسطات الحسابية بلغت (٣,٧٣) وفيما يتعلق بطبيعة العمل التطوعي، أظهرت نتائج الدراسة أن اتجاهات طالبات كلية عجلون الجامعية نحو الفقرات المتعلقة بهذا البعد كانت ايجابية، حيث بلغت الدرجة الكلية للمتوسطات الحسابية لدرجة موافقة عينة الدراسة على فقرات هذا البعد (٣,٧٦)

وبالنسبة لمكانة العمل التطوعي دلت نتائج الدراسة على أن اتجاهات طالبات كلية عجلون الجامعية نحو الفقرات المتعلقة بهذا البعد كانت ايجابية، حيث بلغت الدرجة الكلية للمتوسطات الحسابية لدرجة موافقة عينة الدراسة على فقرات هذا البعد (٣,٧٢) .وتعد هذه النتيجة منطقية ومقبولة في نظر الباحث، وذلك باعتبار أن أفراد العينة إنما يعيشون في بيئة اجتماعية تثيب العمل التطوعي وتقدره، فهذا النوع من النشاط متأصل الجذور في المجتمع الأردني في مختلف أرجاء المملكة الأردنية الهاشمية، عرفه الآباء والأجداد منذ القدم ورسخته أصالة عريقة في الكرم والنخوة وحب الخير والإيثار، كما عضدته عقيدة الإسلام التي يعتنقها أفراد المجتمع، والتي تحض على التكافل والتعاضد ومساعدة الآخرين بالإضافة إلى ذلك فإن هذه الدراسة، إنما تتعامل مع فئة الشباب الجامعي وهي فئة من المفترض أن تكون قد وصلت إلى درجة من النضج والفهم تمكنها من التفاعل مع قضايا المجتمع وقضايا الإنسان في كل مكان بشكل أكثر عمقاً وإدراكاً، مما ينعكس بالتالي على اتجاهات هذه الفئة نحو هذه القضايا، وما تتطلبه من دعم ومساعدة وتعاطف ومن هنا فلا غرابة أن تتسم مثل هذه الاتجاهات بالإيجابية.

٢. فيما يتعلق بالفروق بين الطالبات من حيث متغيرات الدراسة: (التخصص، والمستوى الدراسي، والعمر) والاتجاه نحو العمل التطوعي، فقد أظهرت نتائج الدراسة عدم وجود فروق ذات دلاله إحصائية تعزى لمتغيرات الدراسة. مما يعني عدم صحة الفرض الثاني والثالث والرابع، ويرجع الباحث ذلك إلى أسباب عدة أبرزها توفر عنصر الانسجام بين الطالبات كون كلية عجلون الجامعية ذات مساحة تمكن الطالبات من قضاء معظم أوقاتهن سوية. كما أن نوعية الطالبات متقاربة من حيث الموقع الجغرافي والعادات والتقاليد التي تشجع على أن يمارس الكل العمل التطوعي ذكور وإناث صغار وكبار ذوي التخصصات العلمية والإنسانية وغير ذلك.

التوصيات:

انطلاقاً مما توصلت إليه الدراسة من نتائج، وفي سبيل دعم الاتجاهات الإيجابية لدى عينة الدراسة نحو العمل التطوعي توصي الدراسة بما يأتي:

١. قيام مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة الأسرة والمدرسة ودور العبادة والإعلام... إلخ بتنشئة الأجيال تنشئة سليمة تقوم على غرس قيم التضحية، وروح العمل الجماعي في نفوسهم منذ مراحل الطفولة.

٢. تنظيم حلقات دراسية وندوات علمية تتناول قضايا جديدة في مجالات العمل الاجتماعي التطوعي تتفق مع اتجاهات الشباب ومتطلبات التنمية بشكل عام.

٣. تدعيم اتجاهات الشباب في مراحل التعليم المختلفة نحو العمل الجماعي المشترك، وذلك من خلال إثارة الاهتمام ببعض المشكلات والقضايا الاجتماعية وإشراكهم في اقتراح الحلول المناسبة لها.

٤. توثيق الصلات بين المؤسسات التعليمية والمؤسسات الاجتماعية في المجتمع، وإعداد برامج زيارات منتظمة لهذه المؤسسات يتعرف الشباب فيها على واقع العمل التطوعي.

٥. إتاحة الفرصة للفتاة للمشاركة بدور أكثر فعالية في جهود العمل الاجتماعي التطوعي، والتأكيد على تنشيط فعاليات الأنشطة التطوعية في الجهات والمؤسسات التعليمية والاجتماعية المعنية بشؤون المرأة.

المصادر والمراجع:

أولاً- المراجع العربية:

١. بن سلطان، فهد (٢٠٠٩) . اتجاهات الشباب الجامعي الذكور نحو العمل التطوعي دراسة تطبيقية على جامعة الملك سعود، مجلة رسالة الخليج العربي، العدد ١١٢، السعودية.

٢. حجازي، سناء، (٢٠٠٠) . إسهامات الجهود التطوعية في البرامج التنموية بالجمعيات الأهلية في الجيزة، المؤتمر السنوي الحادي عشر بعنوان العولمة والخدمة الاجتماعية: الجزء الثاني بحث منشور، مطبعة العمرانية– الفيوم، جامعة القاهرة، مصر.

٣. حسين، محمد رضا (٢٠٠٦) . اتجاهات الشباب الجامعي نحو التطوع دراسة مطبقة على طلاب وطالبات جامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان، المؤتمر العلمي السابع عشر: الخدمة الاجتماعية وقضايا المرأة، القاهرة، مصر.

٤. حماد، وليد (١٩٩٥) . أثر بعض المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية على مستوى مشاركة الشباب في العمل الاجتماعي التطوعي الأردني، رسالة ماجستير الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

٥. درويش، يحيى حسن (١٩٩٨) . معجم مصطلحات الخدمة الاجتماعية، ط ١، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، مصر.

٦. الدمنهوري، عبد الستار (١٩٨٧) . التطوع في الخدمة الاجتماعية. دراسة لاتجاهات عينة من طلاب الخدمة الاجتماعية نحو التطوع، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، مصر.

٧. الريامي، رحيلة بنت عامر (٢٠٠٠) . العمل التطوعي بين التعريف والتطبيق، ورقة عمل قدمت في ندوة العمل التطوعي، مسقط ن عمان.

٨. الزبيدي، فاطمة (٢٠٠٦) . اتجاهات طلبة الجامعة الأردنية نحو العمل التطوعي، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

٩. السكري، أحمد شفيق (٢٠٠٠) . قاموس الخدمة الاجتماعية والخدمات الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.

١٠. شتيوي، موسى وآخرون (٢٠٠٠) . التطوع والمتطوعين في العالم العربي، الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، القاهرة، مصر.

١١. شمس الدين، محمد (١٩٩٥) . الإشراف في العمل مع الجماعات، ط٢، المطبعة العالمية، القاهرة، مصر.

١٢. صادق، نبيل محمد (٢٠٠٣) . طريقة تنظيم المجتمع في الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، القاهرة، مصر.

١٣. عبد المجيد، لبنى (٢٠٠٢) . تنظيم وإدارة المتطوعين لعلاج أزمة التطوع في الجمعيات الأهلية في الجيزة، المؤتمر السنوي الحادي عشر بعنوان العولمة والخدمة الاجتماعية: الجزء الثاني، بحث منشور، مطبعة العمرانية – الفيوم جامعة القاهرة، مصر.

١٤. عطيفه، أبو الفتوح (١٩٩٦) . منهجية البحث العلمي وتطبيقاتها في الدراسات التربوية والنفسية، دار النشر للجامعات، القاهـرة، مصر.

١٥. قاسم، محمد (٢٠٠٤) . نماذج ونظريات الممارسة المهنية في تنظيم المجتمع، جامعة حلوان، القاهرة، مصر.

١٦. المحاميد، محمد (٢٠٠١) . دوافع السلوك التطوعي النسوي المنظم في الأردن وعلاقته ببعض المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية، رسالة ماجستير الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

١٧. ميشيل، دنبكن (١٩٨٦) . معجم علم الاجتماع، ترجمة إحسان محمد الحسن، دار الطليعة، بيروت.

١٨. النابلسي، هيفاء (٢٠٠٧) . دور الشباب الجامعي في العمل التطوعي والمشاركة السياسية: دراسة مقارنة على عينة من طلبة الجامعة الأردنية، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

١٩. النعيم، عبدالله (٢٠٠٠) . العمل الاجتماعي التطوعي مع التركيز على العمل التطوعي في المملكة العربية السعودية، بحث مقدم إلى مؤتمر (العمل التطوعي والأمن) ، الرياض ٢٥– ٢٧ سبتمبر ٢٠٠٠، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٢٠. ياسين، أيمن (٢٠٠٢) . الشباب والعمل الاجتماعي التطوعي القاهرة، مركز التميز للمنظمات غير الحكومية.

ثانياً- المراجع الأجنبية:

1. *Abrahamson J: (1987) Who Volunteers and Why? In Working with Volunteers Chicago Adult Education Association of the U. S. A Leadership Pamphlet.*
2. *Bekkers Rene, (2005) . Participation in Voluntary Associations: Relations with Resources, Personality, and Political Values Political Psychology, Vol. 26, No. 3, 439 – 454.*
3. *Bringle, Robert and Hatcher , Julie , (2002) Campus- Community Partnerships: The Terms of Engagement. Journal of Social Issues. Vol. 58, No. 3, 503 – 516.*
4. *European Siminar on Function and Training of Voluntary Social Welfare Workers, Federation Republic of Germany, May ,1980,p. 52.*
5. *Fellin Phillip: (1999) . The Community and Social Workers. 3 ed. (Itasca Illinois F. E peacock publishers Inc.*
6. *Ferrari, Joseph, R. Bristow, Maya J. Are We Helping Them Serve Others? Student Perceptions of Campus Altruism in Support of Community Service Motives Education, Vol. 125, No. 3, 404 – 413.*
7. *John, peter , (2005) . " The contribution of volunteering, trust and networks to Educational performance. The Policy Studies Journal , Vol. 33, No. 4, 635 – 656.*
8. *Long, Ann et al. , (2001) . Organizing , Management, and Evaluating Service – Learning Projects. Educational Gerontology. 27: 3 – 21.*
9. *Rees Teresa L & Atkinson Paul: (1993) . Youth Unemployment and State Intervention (London Boston Meibdure & Henley) .*
10. *Thomas Waltz, or others, Environmental Dscyhn, in: Social work Journal, Vol 9, No. 1, January 1974, pp. 38- 46.*

التوقف عن الدفع كأساس لشهر الإفلاس
دراسة في قانون الإفلاس رقم (٣) لسنة ١٩٣٦
المطبق في قطاع غزة، ومشروع قانون التجارة
الفلسطيني، وبعض التشريعات العربية*

د. حمدي محمود بارود**

---

* تاريخ التسليم: ٧/ ٤/ ٢٠١٢م، تاريخ القبول: ١٩/ ٩/ ٢٠١٢م.

** أستاذ القانون التجاري والبحري المشارك/ كلية الحقوق/ جامعة الأزهر/ غزة/ فلسطين.

ملخص:

يعالج البحث توقف التاجر عن دفع ديونه بوصفه حالة تنبئ عن مركز مالي مضطرب يتزعزع معه ائتمان المدين، وتتعرض حقوق دائنيه إلى خطر محقق، ولخطورة الفترة تدخل المشرع ليس فقط في اعتباره شرطاً مبرراً لطلب الحكم بشهر الإفلاس، بل في تحديد تاريخ بدء التوقف عن الدفع، حيث أعطى للمحكمة سلطة واسعة في تحديده وفي الارتداد بتاريخ التوقف عن الدفع إلى الوقت الذي تراه مناسباً، شريطة ألا يزيد عن مدة سنتين قبل الحكم بشهر الإفلاس. كما يعالج البحث أوجه التقارب، والتباعد بين قانون الإفلاس الفلسطيني وغيره من القوانين محل الدراسة.

Abstract:

This study examines the cessation of paying back the debts as an indication of a critical financial period for the debtor, who would endanger his creditors' rights. Therefore, lawmakers placed ultimate powers in the court to decide whether such cessation justifies bankruptcy and to make a decision on the beginning of the cessation of payment.

Judges in courts have the discretion to identify the illegal actions by the debtor and therefore to declare a bankruptcy date before starting the bankruptcy procedures.

This research will also examine the similarities and differences between Palestinian bankruptcy law and other bankruptcy laws.

مقدمة:

إن حق الدائن لا يتعلق إلا بأموال المدين، فجميع أموال المدين ضامنة للوفاء بما عليه من ديون [١] وهذا ما يعبر عنه بالضمان العام، ولقد قرر القانون وسائل ترمى إلى تأكيد الضمان العام وتقويته، وكفالة المحافظة عليه من المخاطر التي قد تتهدده من انتقاص بغش المدين أو تقصيره [٢] ، ومن هذه الوسائل كان الإعسار والإفلاس [٣] . وفي الإعسار ينظر القانون للمدين غير التاجر، الذي ألمَّت به حالة من الضيق والعجز المالي، مما جعله غير قادر على الوفاء بالديون الحالة الأداء، ولربما ينفرج حاله عما قريب (٤) . بينما الإفلاس يقوم على أساس أخذ المدين التاجر بالقسوة والشدة عندما يتوقف عن دفع ديونه التجارية، وفيه أيضا رعاية للدائنين والمساواة بينهم، والإفلاس قد يكون بسيطاً أو احتيالياً، ويكون الإفلاس بسيطاً إذا كان توقف التاجر عن دفع ديونه يرجع لأسباب خارجة عن نطاق إرادته ولا دخل له فيها، إلا أن إفلاسه وقع بسبب سوء طالعه دون أن يكون لإساءة التصرف يد في ذلك [٥] . بينما الإفلاس الاحتيالي ويسمى أيضا الإفلاس بالتقصير كأن يكون المفلس قد جلب الإفلاس على نفسه [٦] ، أو تسبب في وقوعه بإنفاقه نفقات لا مسوِّغ لها، أو اندفاعه في تيار المضاربات، والإفلاس بنوعيه يخضع لنفس القواعد والإجراءات من الناحية التجارية [٧] .

ويقوم نظام الإفلاس على سمات أساسية عدة لعل أهمها، أنه لا يتم إلا بحكم يصدر بذلك من القضاء، لتعلقه بالمصلحة العامة، لهذا وجب أن تكون قواعده مغايرة في طبيعتها لقواعد القانون التجاري [٨] . ويؤدى الإفلاس إلى غل يد المدين عن مباشرة أعماله، وفى هذا حماية للدائنين وردع للمدين. والإفلاس تصفية جماعية لأموال المدين المتوقف عن سداد ديونه التجارية، وفى هذا حماية لحقوق الدائنين وتتمثل هذه الحماية في التصفية الجماعية لأموال المدين، وتوزيع الناتج عليهم بالتساوي بنسبة ديونهم. فالإفلاس بالسمات السابقة حماية لحقوق الدائنين الذين منحوا المدين ائتمانهم [٩] .

والتوقف عن الدفع فكرة خاصة بالقانون التجاري، جعلها المشرع مناط تطبيق شهر الإفلاس، بوصفها واقعة خارجية تفيد امتناع المدين التاجر عن الوفاء بديونه في مواعيد استحقاقها. والتوقف عن الدفع يعد شرطاً يتطلبه القانون لشهر الإفلاس، إذ يترتب على توقف المدين عن دفع ديونه في مواعيدها، الحق لكل دائن في طلب الحكم بشهر إفلاسه، كوسيلة لازمة لحماية حقوقهم قبل مدينهم، عوضاً عن تكليفهم بتقصي أحواله المالية وفحص كافة حساباته، من أجل التعرف على حقيقة يساره أو إعساره. ويتحقق التوقف عن

الدفع إذا ما عجز المدين عن الوفاء بديونه في مواعيد استحقاقها، حتى ولو كانت أصوله تزيد على خصومه، فمناط الأهمية في القانون التجاري هو حدوث الوفاء في موعده وليس يسار المدين، فالذي يهم التجارة هو الدقة واحترام مواعيد الاستحقاق، كي يتمكن الدائن الذي تلقى الوفاء من أن يفي بدوره لدائنيه. وعلى الرغم من الاختلاف بين حالة التوقف عن الدفع وحالة الإعسار، فإن الإفلاس يقترب من الناحية العملية من حالة الإعسار كثيرا. إذ غالبا ما تنبئ حالة التوقف عن الدفع عن ذمة مالية معسرة.

وإذا كان يلزم لشهر إفلاس المدين أن يكون متوقفا عن دفع ديونه، إلا أنه ليس كل دين يمتنع المدين عن الوفاء به يكون موجبا لشهر إفلاسه، حيث يلزم توافر بعض الشروط في الدين الذي يؤدي عدم دفعه إلى شهر الإفلاس، كما أن التوقف عن الدفع يأخذ مفهوما خاصا في مجال الإفلاس، يلزم إبرازه لتعيين الحدود التي يجوز فيها شهر الإفلاس [١٠].

وفكرة التوقف عن الدفع لا تثور بمناسبة شهر إفلاس المدين فقط، وإنما تثور أيضا، بعد أن يتقرر شهر إفلاسه، فيما يتعلق بتحديد فترة الريبة، حيث يتوقف نطاق تلك الفترة على تحديد تاريخ التوقف عن الدفع الذي تبدأ منه هذه الفترة. وينظم الإفلاس في قطاع غزة بالقانون رقم (٣) لسنة ١٩٣٦ [١١] ، الذي سنه المندوب السامي البريطاني في ٢٤كانون الثاني سنة ١٩٣٦، والمعدل بالقانون رقم (١) لسنة ١٩٤٢.

أهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث في اكتفاء التشريعات المقارنة لشهر إفلاس المدين بأن يكون قد توقف عن دفع ديونه، دون أن تضع تعريفاً للتوقف عن الدفع أو تبين حالاته. لذا كان لزاماً علينا في هذه الدراسة أن نحدد المفهوم القانوني الخاص لفكرة التوقف عن الدفع، لأهميتها ليس فقط بالنسبة لجواز شهر إفلاس المدين من عدمه، وإنما لتحديد بدء فترة الريبة بعد شهر الإفلاس.

خطة البحث:

وسوف نتناول موضوع التوقف عن الدفع، وفقا لقانون الإفلاس رقم (٣) لسنة ١٩٣٦، المطبق في قطاع غزة، ومشروع قانون التجارة الفلسطيني، وكذلك لبعض التشريعات العربية الأخرى كالقانون المصري والأردني واللبناني، مع التعرض لموقف القضاء المصري واللبناني وكذلك في قطاع غزة وذلك بالقدر الذي رأيناه مناسباً لهذه الدراسة. وسنقسم هذا البحث إلى ثلاثة مباحث، نتناول في المبحث الأول ماهية الوقوف عن الدفع، وفي الثاني نعرض لشروط الدين غير المدفوع، وفي المبحث الثالث نرى كيف تحدد

فترة الريبة. **هذا ما سوف نعالجه تباعا على النحو التالي:**

المبحث الأول:

ماهية التوقف عن الدفع:

لما كانت التشريعات المقارنة تتطلب لشهر إفلاس المدين أن يكون قد توقف عن دفع ديونه، وعلى الرغم من الأهمية البالغة لفكرة التوقف عن الدفع، فإن أن تلك التشريعات لم تورد لها تعريفاً، فتركت لاجتهاد الفقه والقضاء. وسنقسم دراستنا في هذا المبحث إلى مطالب ثلاثة، نتحدث فيها عن المفهوم القانوني لفكرة الوقوف عن الدفع، ثم عن الإعسار المدني، وفكرة التوقف عن الدفع، وأخيراً عن التوقف عن الدفع في القانون الفلسطيني (الأفعال الإفلاسية) ، وذلك على النحو التالي:

المطلب الأول:

المفهوم القانوني لفكرة التوقف عن الدفع:

جعل المشرع في البلدان المختلفة من التوقف عن الدفع مناطاً لشهر الإفلاس، باعتباره واقعة خارجية ظاهرة تفيد امتناع المدين عن الوفاء بديونه في مواعيد استحقاقها، فحيث لم يسدد المدين التاجر ديونه في مواعيدها، فإنه يتعرض للإفلاس، حتى لو كانت حقوقه تزيد عن ديونه، فالمهم أنه لم يراع ما تهتم به التجارة من دقة وضبط واحترام لمواعيد الوفاء. وهو ما تطلبته المادة (٥٨٥) من مشروع قانون التجارة الفلسطيني [١٢] ، وهو ذات النهج الذي سارت عليه التشريعات التجارية العربية، وخاصة المصري والأردني واللبناني[١٣]، فعلى الرغم من الأهمية البالغة لفكرة التوقف عن الدفع، فإن أن تلك التشريعات قد اكتفت بذلك، ولم تورد تعريفا للتوقف عن الدفع ولم تبين حالاته، ولذلك تركت لاجتهاد الفقه والقضاء تحديد المفهوم القانوني لحقيقة فكرة التوقف عن الدفع.

ولقد بدأ القضاء والفقه، يخرج تدريجياً على المضمون البسيط لمجرد الوقوف المادي عن الدفع كأساس لشهر الإفلاس [١٤] ، فليس من العدل أن يتساوى المدين الذي وقع فريسة لصعوبات وقتية واجهتها خزانة نقوده، مع المدين الذي فقد ائتمانه بالكامل، وأصبح عاجزاً تماماً عن الاستمرار في نشاطه التجاري المعتاد.

وعلى ذلك، يمكن التمييز بين مذهبين ونحن بصدد تحديد المقصود بالتوقف عن الدفع، مذهب تقليدي يتمسك بالمفهوم المادي للتوقف عن الدفع. بينما نجد مذهباً حديثاً لا يقف عند المعنى المادي إلا بوصفه أمارة على المقصود الحقيقي للتوقف عن الدفع

والذي يتمثل في الانهيار الحقيقي لائتمان المدين، هذا ما سوف نتولى دراسته في فرعين مستقلين، نخصص الأول للمذهب التقليدي، والثاني للمذهب الحديث، على أن نتبعهما بفرع ثالث نحاول فيه إيجاد معيار للانهيار الذي يتحقق به معنى التوقف عن الدفع. **وبيان ذلك على النحو الآتي:**

◄ **الفرع الأول:**

المذهب التقليدي للتوقف عن الدفع:

اعتمد المذهب التقليدي التفسير الحرفي المستفاد من المعنى اللغوي لعبارة التوقف عن الدفع، وقرر أنها تعني عدم قيام المدين بسداد ديونه في مواعيد استحقاقها، دون النظر إلى أسباب تخلفه عن الدفع، فالضرر الذي يلحق الدائنين من جرَّاء عدم الوفاء لهم في المواعيد المحددة لا يقل عن الضرر الذي يلحقهم من عدم الوفاء أصلاً، إذ يعتمد التجار في الوفاء بديونهم على استيفائهم لحقوقهم في مواعيد الوفاء، فإذا ما تخلَّف تاجر عن الوفاء بدينه، فإن ذلك يستتبع حتماً عجز الآخرين بدورهم عن أداء ديونهم، ومن ثم كان تعليق المشرع التجاري شهر الإفلاس على مجرد توقف التاجر عن دفع ديونه في مواعيد استحقاقها بصرف النظر عما إذا كان موسراً أو معسراً تقل خصومه عن أصوله. فكأن جوهر المشكلة يكمن في حماية التاجر بحصوله على حقه في موعده، ومادام الأمر كذلك فالإفلاس يتحقق بعدم السداد في الميعاد، ولا أهمية بعد ذلك لبحث يسار المدين. لذا يهتم أنصار هذا المذهب بالتفرقة بين حالتي الإعسار والتوقف عن الدفع، فالتوقف عن الدفع يتحقق بعدم السداد في الموعد، حتى ولو كان المدين موسراً، وينتفي بالسداد حتى لو كان المدين معسراً. وتفريعاً على ذلك لا يجوز شهر إفلاس المدين ولو كان معسراً ما دام أنه يوفي بديونه في مواعيدها [١٥] ، بينما يجوز ذلك لمن يتوقف عن الدفع، ولو كان موسراً وكانت أصوله تزيد عن خصومه [١٦] . ويدعم أصحاب هذا المذهب وجهة نظرهم هذه في كون الإعسار صعب الإثبات إذا ما ألزمنا الدائن بإثباته لقبول طلب شهر الإفلاس. كما أن ثبوت يسار المدين لا يعني للدائن شيئاً طالما لم يستوف دينه في موعده، في حين أن إعسار المدين لا يمثل خطراً طالما أنه يقوم بالوفاء في المواعيد.

لاشك في أن هذا المذهب يتسم بالوضوح ويسر الإثبات، فمجرد امتناع المدين عن السداد يعد واقعة ظاهرة لا لبس فيها، وتكفي بذاتها لتحقيق معنى التوقف عن الدفع. ورغم ذلك، لم يسلم هذا المذهب من النقد، فمجرد التوقف عن الدفع لا يكف لشهر الإفلاس، وعليه يلزم البحث عن مركز المدين ككل أي الاستعانة بمفهوم الإعسار. كما أن التاجر المعسر الذي يواصل الوفاء بديونه، قد يلجأ لوسائل غير مشروعة للسداد، تخلق له ائتماناً

زائفاً [١٧] . إضافة إلى ذلك، يمكن القول إن التساهل في مفهوم التوقف عن الدفع قد يؤدي إلى زيادة حالات شهر الإفلاس، مما قد يكون له آثار سلبية على الاقتصاد والعاملين في المشاريع المفلسة.

◄ الفرع الثاني:

المذهب الحديث للتوقف عن الدفع:

يرى أنصار هذا المذهب أنه وإن كان توقف المدين عن الدفع لأسباب مشروعة يعد قرينة في غير مصلحته، فإنه لا يعدّ متوقفا عن الدفع بالمعنى المقصود لشهر الإفلاس، إذ قد يكون مرجع هذا الامتناع عذراً طارئاً مع اقتداره على الدفع، أو قد يكون صعوبات وقتية لا تلبث أن تزول وبإمكانه أن يتغلب عليها [١٨] . وترتيبا على ذلك لم يقتنع القضاء الفرنسي الحديث، ومعه الفقه، بالتفسير الحرفي للتوقف عن الدفع، حيث إن مجرد الامتناع المادي عن دفع دين أو عدة ديون مستحقة لا يكفي بذاته لتكوين حالة التوقف عن الدفع بالمفهوم القانوني، وإنما يجب أن يكون ذلك التوقف دالا على مركز مالي مضطرب بحيث يكون التاجر عاجزاً عجزاً حقيقياً عن الوفاء بديونه ومتابعة نشاطه التجاري بصورة طبيعية. فليس من المقبول عدالة أن يتساوى المدين الذي وقع فريسة لصعوبات مالية وقتية، مع المدين الذي فقد ائتمانه تماماً. من هنا بدأ هذا القضاء يقيم تفرقة بين فكرة التوقف عن الدفع كأساس لشهر الإفلاس، وبين حالة الضيق العابرة التي لا تفيد عجزاً نهائياً عن الوفاء، وهي التي لا يكون من شأنها شهر الإفلاس.

وعليه فعدم قيام المدين بالوفاء بدين أو ببعض الديون، لا يؤدي تلقائياً إلى الحكم بشهر إفلاسه، بل يقع على عاتق قاضي الموضوع واجب البحث في المركز التجاري للمدين في مجمله، حتى يتعرف على أسباب إخفاقه في الوفاء ونتائجه، ويوضح أن المدين أصبح في مركز مالي منهار، ولا أمل في إصلاحه. وبذلك فالتوقف عن الدفع يتضمن عنصرين: الأول، التوقف المادي عن الدفع، أما الثاني فهو أن يكون هذا التوقف دالاً على عجز المدين التاجر، عجزاً يدل على سوء حالته المالية وتدهور أوضاعه. وبالتالي ليس كل توقف عن الدفع من قبل التاجر يبرر طلب إفلاسه، فقد يكون سبب التوقف عن الدفع راجعاً لأزمة مؤقتة عارضة قد تزول سريعاً. أما إذا أعطينا للدائن دائما حق طلب شهر إفلاس مدينه التاجر إذا ما توقف عن دفع ديونه، الأمر الذي يؤدى إلى اقتراب حالة الإفلاس من حالة الإعسار المدني، ومن ثم اقتراب مفهوم الإعسار المدني من فكرة التوقف عن الدفع في القانون التجاري، ذلك أن الشخص يكون معسراً متى كانت أمواله لا تكف للوفاء بديونه مستحقة الأداء، ولكن المدين التاجر قد يكون موسراً، ومع ذلك فقد يتوقف عن الدفع ومن

ثم يواجه خطر الإفلاس. ومن جهة أخرى فالمدين حتى ولو كان في حالة عسر مادي، ولكن أمكنه الوفاء بديونه في مواعيد استحقاقها، فإنه لا يعدّ في حالة توقف عن الدفع، فحالة الإعسار لا تؤدي إلى الإفلاس إلا إذا اتخذت مظهراً خارجياً يتمثل في التوقف عن الدفع [١٩] ، ولكن يجب أن يتوصل المدين رغم ظروف إعساره هذه إلى إتمام الوفاء في موعده بوسائل مشروعة مبتعداً عن الغش والحيل الوهمية [٢٠] .

ومن هنا أصبح القضاء الفرنسي يسايره في ذلك الفقه، يميز ما بين التوقف عن الدفع كأساس لشهر الإفلاس، وبين مجرد الضيق العابر الذي لا يفيد عجزاً حقيقيا عن الوفاء، بحيث لا يكون من شأنها شهر الإفلاس. فليس من العدل أن يسوى بين المدين الذي واجهته صعوبات وقتية سرعان ما تزول، وبين المدين الذي فقد ائتمانه ولم يعد قادراً على الوفاء أو حتى على الاستمرار في الوجود التجاري المعتاد، وفي جميع الأحوال فالرأي مستقر الآن على أن فكرة التوقف عن الدفع لا تقتصر على مجرد التوقف المادي عن الدفع، وإنما يجب أن ينبئ هذا التوقف عن سوء حالة المدين المالية وتدهورها، فإذا وضح أن المدين أصبح في مركز مالي متدهور لا أمل في علاجه، فلا مناص من أن يحكم عليه بالإفلاس [٢١] .

وعلى ذلك يرى أصحاب هذا المذهب الحديث، أن الخطر الحقيقي الذي يستحق المواجهة ويهدد الدائنين لا يتمثل في الأزمات العارضة التي يمر بها المدين، وإنما تكمن في دلالة التوقف المادي على استفحال الداء واستعصاء الدواء، وهو ما يتحقق إذا كشف عن مركز مالي ميئوس منه، لا رجاء معه ولا أمل [٢٢] . ويلاحظ اقتراب هذا المذهب من معنى الإعسار المدني، فغالباً ما لا يتحقق ذلك المركز المالي المنهار والميئوس منه إلا إذا كان المدين معسراً. وإذا كان المذهب الحديث قد ساد الآن سواء كان في الفقه أو القضاء، إلا أنه مازال يثير تساؤلا عن معيار الانهيار الذي يتحقق به معنى التوقف عن الدفع.

◄ الفرع الثالث:

معيار الانهيار الذي يتحقق به معنى التوقف عن الدفع:

يمكن الاسترشاد بمعيارين ثار الاجتهاد حولهما لتحديد معيار الانهيار المالي الذي يتحقق به التوقف عن الدفع وفقا للمذهب الحديث الذي سبق بيانه، ويتمثلان في:

- ♦ **أولاً- معيار تعدد الديون:**

وبمقتضاه يجب أن يكون المدين قد توقف عن دفع كل أو معظم ديونه، فهذا التوقف ينبئ عن الانهيار المالي، وينتفي باستمرار المدين في الوفاء حتى لو جزئياً. وتكمن خطورة هذا المعيار في حالة قيام المدين بالوفاء ببعض الديون التافهة والقليلة، وهو بذلك الوفاء

يضيع على دائنيه فرصة شهر إفلاسه رغم احتمال انهيار مركزه المالي. لذا فقد استلزم أصحاب هذا المعيار عمومية التوقف، دون التوقف الكامل، ولكنهم لم يضعوا أي ضوابط للعمومية هذه، كما أنه لا يكفي الالتجاء إلى مفهوم حسابي بتحديد نسبة الديون المتوقف عن دفعها إلى إجمالي الديون [٢٣] .

♦ **ثانياً- معيار فقد الائتمان:**

وفيه ينظر إلى مدى دلالة التوقف المادي، من خلال فحص المركز المالي للمدين في مجموعه وأسباب الامتناع عن الدفع، وتقدير أثر ذلك على وضعه الائتماني في الوسط التجاري. فإذا كان هذا الائتمان ما زال قوياً متيناً بحيث تستمر معه البنوك في إقراضه ومنحه التسهيلات الائتمانية، ولا يتردد دائنوه في منحه آجالا للسداد، هنا لا يعد مركزه المالي ميئوساً منه، ولا محل لاعتباره في حالة توقف عن الدفع [٢٤] . كما يجب الاعتداد في تقدير المركز المالي للمدين بالعلاقة بين أصوله وخصومه ومدى أهمية الديون المترتبة في ذمته بالنسبة لموجوداته [٢٥] ، فزيادة تلك الأصول على الخصوم لهي من الدلالات العارضة المؤقتة للتوقف عن الدفع [٢٦] . وعليه إذا اتضح أن توقف المدين عن دفع أحد ديونه أو بعضها لم يفقده اعتباره وائتمانه، وأنه ما زال قادراً على تدبير أموره وتخطي أزماته، وأن البنوك ما زالت مستعدة لمد يد العون له، فإنه لا يتحقق معنى التوقف عن الدفع الذي يبرر شهر الإفلاس [٢٧] .

المطلب الثاني:

الإعسار المدني وفكرة التوقف عن الدفع:

على الرغم من الاختلاف بين حالة التوقف عن الدفع وحالة الإعسار، إلا أن هذه الحالة تقترب من الناحية العملية من حالة الإعسار كثيراً. هذا إجمال يحتاج إلى تفصيل، حيث ساد القول تقليديا بابتعاد مفهوم الإعسار المدني عن فكرة التوقف عن الدفع التجارية، ذلك أن الشخص يكون معسراً متى كانت أمواله لا تكفي لسداد ديونه المستحقة الأداء [٢٨] ، وكأن المشرع المدني لا يرى الخطر محدقاً بالمدين إلا إذا استبان أن المدين أصبحت أمواله لا تكفي للوفاء بديونه الحالة الأداء. وهنا يجوز للدائن طلب شهر إعسار مدينه، وإذا ما صدر حكم بشهر إعسار المدين فإن الديون المؤجلة تحل مع إمكانية إبقائها أو مدها بناء على طلب المدين. ويظل لكل دائن رغم صدور حكم شهر الإعسار الاستمرار في اتخاذ ما يراه لازما من دعاوى وإجراءات فردية لاقتضاء حقوقه [٢٩] . كما يظل المدين طليق اليد في التصرف في أمواله بشرط التصرف بثمن المثل [٣٠] . فالمشرع المدني يرى الخطر في ضياع حق الدائن أو احتمال ذلك، بينما يرى المشرع التجاري الخطر في عدم حصول الدائن

على حقه في ميعاد استحقاقه [٣١] . وليس هذا إلا نتيجة لقيام المعاملات التجارية على السرعة والائتمان، ذلك أن المعاملات التجارية تكون في معظمها على الأجل الأمر الذي يحتم تقوية ضمانات الدائن في الحصول على حقه في الأجل المحدد، لأن الدائن يرتب معاملاته والتزاماته الأخرى اعتماداً على ذلك، كما أن إخلال المدين بدين تجاري من شأنه في الغالب إحداث خلل في المعاملات الأخرى بوصف أن المعاملات التجارية سلسلة مترابطة إذا اختلت إحداها انهارت، تبعا لذلك المعاملات الأخرى [٣٢] .

وعلى ذلك فالتاجر قد يكون موسراً، أي أن أمواله تزيد على ديونه، ومع ذلك قد يتوقف عن الدفع، ومن ثم يواجه خطر الإفلاس [٣٣] . فقد لا يحسن التاجر تقدير إيراداته ومصروفاته، وقد يعقد صفقات غير مطلوبة، ويحل أجل الوفاء بما نتج عنها من ديون، فإذا كانت أمواله لا تتحول بسهولة ويسر إلى مبالغ من النقود، كما إذا كانت أمواله عقارات، أو كميات من البضائع في المخازن يصعب بيعها بسرعة نظراً لظروف السوق غير المواتية، أو حقوقا مستحقة بعد آجالٍ طويلة، فالتاجر في كل تلك الحالات يصبح في حالة عجز مستمر عن دفع ديونه، لعدم توافر السيولة النقدية التي تمكنه من سداد ديونه في مواعيد استحقاقها، ومن ثم يكون معرضا لشهر إفلاسه [٣٤] ، وكذلك قد يقوم التاجر بأداء ديونه في مواعيدها رغم إعساره، كما إذا اقترض أو باع أمواله للوفاء بديونه [٣٥] . ذلك أن المشرع التجاري يكرس اهتمامه على استمرار المدين في الوفاء بديونه في مواعيد استحقاقها، فإذا ما عجز عن القيام بذلك تحقق الخطر الذي يخشاه المشرع، لذا توجب المسارعة إلى حماية الدائنين دعما للائتمان التجاري، فبذلك يكون كل من المتعاملين في الحقل التجاري على علم أن احترام موعد السداد أمر حتمي، وبهذا يطمئن الدائن، لأنه أصبح يعلم أن أمامه باب شهر الإفلاس الذي يحميه من عبث المدين وتزاحم غيره من الدائنين. وغني عن البيان ما يمثله شهر الإفلاس بالنسبة للمدين – من ناحية أخرى– فهو قد يؤدي إلى عقابه جنائياً، إضافة لما يمثله من وصمة عار تلحقه وتلحق ورثته من بعده، مما سيدفعه حتما إلى تدبر أمره من أجل توفير ما يلزم لسداد دائنيه في المواعيد المحددة [٣٦] .

ومن جهة أخرى، فالمدين حتى لو كان في حالة عسر، ولكن أمكنه الوفاء بديونه في مواعيد استحقاقها، فإنه لا يعدّ في حالة توقف عن الدفع، فحالة الإعسار لا تؤدي إلى الإفلاس إلا إذا اتخذت مظهراً خارجياً يتمثل في الوقوف عن الدفع، شريطة أن يتوصل المدين رغم ظروف إعساره، إلى إتمام الوفاء في مواعيده بوسائل مشروعة، مبتعداً في ذلك عن صور الغش والخديعة والوسائل والحيل الوهمية كافة [٣٧] . وعلى ذلك، يرى البعض من الفقه [٣٨] ، بحق، أن الفارق بين الإعسار المدني، والإفلاس التجاري، هو انعكاس للفارق بين المعاملات المدنية والمعاملات التجارية، فالمدين بدين مدني قد يحصل على مهلة للسداد،

والدائن ينصب اهتمامه أساسا على ضمان الحصول على حقه فقط سواء كان ذلك آجلا أم عاجلا، على عكس الدائن التاجر الذي يهتم بموعد حصوله على حقه وليس الاهتمام بأصل الحق نفسه، إذ قد يعرضه عدم الحصول على حقه في الأجل المحدد إلى إخلاله بالتزاماته على نحو قد يفضي إلى شهر إفلاسه.

المطلب الثالث:

التوقف عن الدفع في القانون الفلسطيني:

(الأفعال الإفلاسية) :

لقد استعاض المشرع في قانون الإفلاس رقم (٣) لسنة ١٩٣٦ المطبق في قطاع غزة [٣٩] عن حالة التوقف عن الدفع بالأفعال الإفلاسية التي يرتكبها المدين، والتي ينبئ ارتكابها عن مركز مالي مضطرب يحمل في طياته حقيقة التوقف عن الدفع [٤٠] . وفي هذا الشأن تنص الفقرة الثانية من المادة الثانية من قانون الإفلاس على أنه: «يعدّ المدين أنه إذا ارتكب فعلاً إفلاسياً في الأحوال التالية: أ- إذا وهب أو نقل أمواله أو أي جزء منها للغير بطريق الاحتيال سواء في فلسطين أو في الخارج. ب- إذا نقل أمواله أو أي جزء منها للغير أو رهنها أو وضعها بصفة تأمين لدى شخص آخر سواء في فلسطين أم في الخارج وكان عمله هذا باطلا باعتبار انه تمييز احتيالي بموجب هذا القانون أو أي قانون آخر معمول به في ذلك الحين فيما لو حكم بإفلاسه. ج- إذا أتى أي فعل من الأفعال التالية بقصد حرمان دائنيه من استيفاء ديونهم أو مماطلتهم: ١- غادر فلسطين أو كان موجوداً خارج فلسطين وبقي خارجها. ٢- ترك منزله أو تغيب عن محل عمله أو محل إقامته العادي أو احتجب عن وجه دائن مخصوص أو أكثر في أي مكان آخر. ٣- حجب نفسه بقصد حرمان دائنيه من وسائل الاتصال به. د- إذا ألقي الحجز على مال من أمواله وبيع تنفيذاً لحكم صادر من محكمة. ه- إذا أودع لدى المحكمة تصريحا يشعر بعجزه عن دفع ديونه أو قدم لها طلباً للحكم بإفلاسه بموجب هذا القانون. و- إذا بلغ أي دائن من دائنيه إشعارا بأنه قد توقف أو أنه على وشك التوقف عن دفع ديونه. ز- إذا استحصل أي دائن من دائنيه على حكم أو قرار اكتسب الدرجة القطعية يقضى عليه بدفع مبلغ من المال، ولم يتوقف تنفيذ الحكم أو القرار وبلغ هذا الدائن المدين إعلاناً بطلب إشهار إفلاسه بمقتضى هذا القانون إن كان في فلسطين أو بإذن المحكمة إن كان خارج فلسطين، ولم يقم المدين بما كلف به في ذلك الإعلان خلال سبعة أيام في إذن المحكمة المختص بالتبليغ خارج فلسطين في حالة وقوع التبليغ في الخارج، أو لم يقنع المحكمة خلال المدة المذكورة بأن له دعوى متقابلة، أو دعوى تقاص أو طلب متقابل تساوى قيمة أو تزيد على الدين المحكوم به أو المبلغ الذي

صدر قرار بدفعه وأنه لم يتمكن من تقديم الدعوى أو الطلب في الدعوى التي صدر الحكم فيها عليه أو في الإجراءات التي استحصل فيها على القرار بالدفع إيفاء للغاية المقصودة من هذه الفقرة والفقرة الثالثة من هذه المادة كل من يحق له إذ ذاك تنفيذ حكم أو قرار اكتسب الدرجة القطعية، يعدّ دائنا صدر لصالحه حكم أو قرار اكتسب الدرجة القطعية».

فالمتتبع لهذه النصوص وغيرها في قانون الإفلاس، يلاحظ أنها لا تنص صراحة في كثير من المواضع على التوقف عن الدفع كشرط من شروط طلب شهر الإفلاس، وليس معنى ذلك أن هذا القانون لا يتطلب هذا الشرط، فكأن هذا القانون افترض ذلك افتراضا، باعتبار أن قيام المدين بارتكاب أي فعل من هذه الأفعال الإفلاسية، يدل دلالة قاطعة على توقفه عن الدفع [٤١] . والأفعال الإفلاسية وقائع مادية ظاهرة يسهل إثباتها، وكلها ظواهر وأمارات على عجز المدين وفقده لائتمانه، فهي نذر تدهور الوضع المالي للمدين الذي لا يعدو التوقف عن الدفع أن يكون أحدها.

والأفعال الافلاسية المنصوص عليها هذه أظهر في دلالتها على عجز المدين من مجرد الاكتفاء بالنص على الوقوف عن الدفع ذاته، ليترك تحديد مظاهرها للفقه والقضاء. وعلى الرغم من ذلك نجد أن القانون قد ذكر التوقف عن الدفع في النص المشار إليه كما هو الشأن في الفقرة (٣/ و) . فكل هذه أفعال لا يأتيها إلا من هو في مركز مالي متدهور ومضطرب، إذ لا مسوِّغ لهذه الأفعال إذا لم يكن فعلاً من أتى بها متوقفاً عن سداد ما عليه من ديون، فبعد أن يأتي المدين بهذه الأفعال لا مجال للنظر فيما إذا كان متوقفاً عن السداد أم لا [٤٢] .

وإذا كان التوقف عن الدفع في القانون التجاري فكرة خاصة بالتجار منشؤها الحقل التجاري، جعلها المشرع مناط الحكم بشهر الإفلاس، باعتبارها واقعة خارجية ظاهرة تفيد امتناع المدين عن الوفاء بديونه في مواعيد استحقاقها، فإن القانون الفلسطيني جعلها مناط شهر الإفلاس بالنسبة لجميع المدينين، فكل الأحكام التي جاء بها هذا القانون لا تفرق بين التاجر وغيره فهي تطبق على الجميع، ولكن لا يمنع من أن تميز المحكمة بين المدين التاجر وغير التاجر، ومن ثم تطبق ذات الأحكام الخاصة بتوقف التاجر عن الدفع في القانون المقارن. كما يستفاد من النص السابق عدم الاختلاف بين فكرتي الإفلاس والإعسار، ذلك أن التوقف عن الدفع يقتصر على التوقف المادي دون مراعاة لأي ظروف محيطة بالمدين، حتى لو كان هذا التوقف ناشئاً عن حالة عارضة لا تلبث أن تزول. وعليه فالأفعال الإفلاسية التي يتطلبها هذا القانون كمبرر لطلب شهر إفلاس المدين يجب أن تشير للتوقف المادي عن الدفع، حتى لو لم تكن هذه الأفعال تدل دلالة على التوقف الحقيقي عن الدفع. ويأتي نص المادة الرابعة مؤكداً لهذا النظر حيث تقول: «إذا ارتكب مدين فعلاً إفلاسياً يجوز للمحكمة بناء على طلب يتقدم به إليها لإشهار إفلاسه، إما من المدين نفسه

أو من الدائن أن تصدر قراراً يعرف في هذا القانون باسم قرار ضبط أموال المدين، لأجل المحافظة عليها». وإذا كان هذا القانون لا يفرق بين فكرتي الإفلاس والإعسار، لاعتداده بالأفعال الإفلاسية المادية دون غيرها [٤٣] ، وهذا يؤكد التقارب الواضح بين الفكرتين، إذ إن الفرق بينهما لا يتعلق بالمضمون، وإنما في مراعاة الظروف المحيطة بالمدين، فبينما التوقف عن الدفع يعتد بالظروف المحيطة بالمدين، نجد الإعسار لا يعتد بمثل هذه الظروف، إذ يكتفي بالتوقف المادي حتى ولو كان مؤقتا. ومن الواضح أن القانون نحا هذا المنحى عندنا لعدم تفرقته بين التاجر وغير التاجر في الأحكام، فلو كان هذا القانون ينطبق على التاجر فقط لكان سيعتد بفكرة التوقف المعنوي عن الدفع ومن ثم كان الفرق سيتسع بين الإعسار والإفلاس. غير أننا نرى أنه كان يتوجب النص صراحة في هذا القانون على التوقف عن الدفع، بوصفه شرطا موضوعيا للحكم بشهر الإفلاس، ثم بعد ذلك يشار إلى تلك الأفعال الإفلاسية بوصفها أمارات دالة على استخدام المدين لوسائل غير مشروعة لإخفاء توقفه عن الدفع ومركزه المالي المتدهور [٤٤] .

المبحث الثاني:

شروط الدين غير المدفوع:

حتى يمكن شهر إفلاس المدين لابد أن يكون قد توقف عن دفع ديونه [٤٥] ، ويشترط في الدين الذي يبرر اعتبار المدين متوقفاً عن الدفع إذا لم يبادر إلى الوفاء به في ميعاد استحقاقه شرطان يتمثلان في قطعية الدين وتجاريته. هذا ما سوف نفرد له مطلبين مستقلين، نتبعهما بمطالب أربعة أخرى نعرض فيهما للوضع في قانون الإفلاس الفلسطيني، ولتقدير التفرقة بين الديون التجارية والديون المدنية، ثم لأثر اجتماع صفة التاجر والتوقف عن الدفع، وأخيراً لإثبات حالة التوقف عن الدفع.

المطلب الأول:

قطعية الدين غير المدفوع:

يجب أن يكون هذا الدين حال الأداء، محقق الوجود، غير متنازع فيه، فإذا ما كان هذا الدين مؤجلاً، أو غير معين المقدار، أو غير محقق ومتنازع فيه، فلا يمكن القول بأن المدين قد توقف عن دفعه، ما دام لم يحل أجله، ولم يتحدد مقداره [٤٦] ، ولم يكن محققاً وخالياً من النزاع [٤٧] . والذي يثور عملاً في هذا الشأن، أن يكون الدين متنازعاً في وجوده أو في مقداره، أو في انقضائه، والدين المتنازع عليه، متى امتنع المدين عن سداده، لا يقال عنه إنه متوقف عن الدفع. فلا بد أولا من ثبوت المديونية، بحيث لا يثور في شأنها نزاع

جدي [٤٨] ، كالمنازعات التي تمسُّ وجود الحق، فمثل هذا النزاع يبرر امتناع المدين عن الوفاء إلى أن يرفع القضاء الغموض الذي يلحق بالمراكز القانونية، بحيث لا يكون الهدف من المنازعة تعطيل دعوى الدائن والاستفادة من التأجيل عن طريق المماطلة، بمعنى أنه يقع على عاتق المحكمة المقدم إليها طلب شهر الإفلاس أن تبحث في جميع المنازعات التي يثيرها المدين حول بطلان الدين أو انقضائه لتقدير مدى جدية تلك المنازعات، في ضوء ما تستظهره من ظروف الدعوى وملابساتها، لذلك للمحكمة إذا اتضح لها عدم جدية المنازعة أن تلتفت عنها وتعتبر المدين الممتنع متوقفاً عن الدفع، ولا رقابة عليها في ذلك من محكمة النقض، متى قام قضاؤها على أسباب سائغة قانوناً، بحيث تؤدي إلى النتيجة التي انتهت إليها [٤٩] .

ويجب أيضا أن يكون هذا الدين معين المقدار، حتى يتحدد مدى التزام المدين بالوفاء به، فلا يتصور اعتبار المدين متوقفاً عن دفع دين مجهول القدر، أو إذا كان المدين ينازع في مقداره، كأن كان غير محدد، وإنما قابلا للتعيين ولم تتبلور بعد عناصر تعيينه، فلا يكون هناك إلزام على المدين بدفعه، ومن ثم يمتنع شهر إفلاسه لعدم الوفاء به.

كما يجب أن يكون الدين مستحق الأداء، وإلا فلا يكون المدين ملزماً بدفع دين مضاف إلى أجل واقف قبل حلول هذا الأجل، وإذا ما سقط هذا الأجل لأي سبب قانوني أصبح الدين مستحق الأداء، وبالتالي يجوز شهر إفلاس المدين إذا امتنع عن الوفاء به [٥٠] . وهنا يثور التساؤل عن حالة الدين المؤجل، ولكن الأجل سقط لتوفر حالة من الحالات التي ينص فيها القانون أو الاتفاق على سقوطه [٥١] .

وهناك من الفقه من يرى أن المقصود هو حلول الأجل المتفق عليه، دون أي اعتداد بسقوط الأجل لشهر الإعسار [٥٢] ، إذ يجب أن يكون ميعاد استحقاق الدين الذي توقف المدين عن دفعه قد حل فعلاً حتى يجوز شهر إفلاسه، وذلك تأسيساً على كون التوقف عن الدفع مسلكاً إرادياً من المدين الذي يمتنع عن الوفاء بدين يعلم مسبقاً ميعاد حلوله، أما إذا ما فوجئ بسقوط الأجل، فلا يعد متوقفاً عن الدفع. وهناك من الفقه من يرى بحق عدم إطلاق القول بنفي حالة التوقف في هذه الحالة [٥٣] ، والأوفق إجراء نوع من التفريد في الحكم بحيث يتمشى مع مفهوم التوقف عن الدفع. وترتيباً على ذلك إذا ما تبين أن سقوط آجال الديون نتج عن وقائع مرتبطة بمسلك المدين، مما ينبئ عن اضطراب في ائتمانه ومركزه المالي، فإن التوقف عن الدفع يكون محققاً [٥٤] . أما إذا كان سقوط الأجل راجعاً لأسباب لا دخل لإرادة المدين فيها، فامتناعه عن الوفاء لا يعد توقفاً عن الدفع مبرراً لشهر إفلاسه [٥٥] . وكذلك لا يجوز شهر إفلاس المدين الذي لم يوف بدين معلق على شرط واقف قبل تحقق ذلك الشرط [٥٦] .

المطلب الثاني:

تجارية الدين غير المدفوع:

يجب أن يكون الدين غير المدفوع تجاريا، فشهر إفلاس التاجر لا يتم إلا بسبب امتناعه عن دفع دين تجارى، وهو المستقر عليه قضاء، فالإفلاس نظام خاص بالتجار لحماية الائتمان التجاري ورعايته (٥٧) ، فالتوقف عن دفع الديون التجارية هو الذي من شأنه إحداث اضطراب في سلسلة علاقات المديونية الناشئة بين التجار، أما التوقف عن دفع دين مدني، فليس من شأنه إحداث ذلك الأثر. ومع ذلك، يجوز للدائن بدين مدني أن يطلب شهر إفلاس مدينه التاجر متى أثبت أنه متوقف عن دفع ديون تجارية. غير أن توقف التاجر عن الوفاء بدين مدني لا يكون له ذات النتائج المترتبة على التوقف عن دفع دين تجاري (٥٨) . ولا يشترط أن تكون هناك ديون متعددة حتى تكون مبرراً لطلب شهر الإفلاس، فيكفى لطلب شهر إفلاس المدين أن يكون متوقفا عن سداد دين واحد ما دام أن هذا التوقف مقترنا باضطراب أوضاعه (٥٩) .

ولا يجوز المنازعة في تجارية الدين لأول مرة أمام محكمة النقض، إذا لم يكن الطاعن قد تمسك بهذا الدفاع أمام محكمة الموضوع. ويكون الدين تجارياً إذا كان ناشئاً عن عمل تجاري (٦٠) ، ويستوي بعد ذلك أن يكون الدين تجاريا بطبيعته، أو تجارياً بالتبعية (٦١) أو يكون له ضمانات خاصة أم لا. وقد يكون الدين مختلطاً، وفي هذه الحالة يختلف الوضع بحسب ما إذا كان القانون التجاري يطبق على هذا العمل بالنسبة للطرفين أم لا (٦٢) ، فإن لم يكن تجارياً بالنسبة للطرفين تكون العبرة لطبيعة الدين بالنسبة للمدين، وبالتالي لا يشهر إفلاس المدين إلا إذا كان الدين تجاريا بالنسبة إليه، ولو كان مدنياً بالنسبة للطرف الآخر. ويعتد بوصف الدين لحظة الوقوف عن الدفع وليس منذ نشوء الدين (٦٣) . وترتيباً على ذلك، لا يعد توقفا عن الدفع، امتناع التاجر عن سداد ديونه المدنية، أو ديونه التي نشأت تجارية ثم تحولت إلى مدنية عند التوقف عن دفعها، وعلى العكس من ذلك، يشهر إفلاس التاجر إذا توقف عن دفع دين نشأ مدنيا، ثم أصبح عند حلول أجله دينا تجاريا، أما الدين غير التجاري كعدم دفع أجرة السكن العائلي فإنه لا يكون سببا لشهر الإفلاس(٦٤). ومتى حكم بشهر الإفلاس كان من حق جميع الدائنين التقدم بديونهم في التفليسة، والاشتراك في إجراءاتها سواء كانت ديونهم مدنية أم تجارية، باعتبار أن الإفلاس تصفية جماعية لكل أموال المدين.

المطلب الثالث:

الوضع في قانون الإفلاس الفلسطيني:

وفقا لنص المادة الخامسة من قانون الإفلاس رقم (٣) لسنة ١٩٣٦، يشترط عدة شروط في الدين الذي يطلب شهر إفلاس المدين بسبب عدم الوفاء به، وهذه الشروط هي: ١- ألا يقل مبلغ الدين عن خمسين جنيها. ٢- وأن يكون الدين مستحق الدفع، كما هو الشأن في التشريعات التجارية الأخرى. ٣- أن يقدم طلب شهر الإفلاس خلال ثلاثة أشهر من وقوع الفعل الإفلاسي الذي بني عليه طلب شهر الإفلاس. ولم يشترط هذا القانون أن يكون الدين محقق الوجود وغير متنازع فيه، ونرى أن ذلك من الأمور المسلم بها، وليست في حاجة إلى نص عليها. كما لا يشترط أن تكون الديون متعددة، بل يكتفي بدين واحد لكي يطلب شهر إفلاس المدين بسببه. والأهم من ذلك كله، كما أشرنا لذلك في حينه، لم يشترط تجارية الدين، على خلاف ما هو معمول به في معظم التشريعات ذات النهج اللاتيني التي تقصر الإفلاس على المدين التاجر ولا تمتد أحكامها لغير التاجر. وما ذهب إليه قانون الإفلاس الفلسطيني في عدم تطلبه الصفة التجارية في الدين، لا يعد موقفا أعزل، إذ أقرت بعض التشريعات التجارية الحديثة صراحة، كالقانون الفرنسي الصادر سنة ١٩٦٧، جواز طلب شهر الإفلاس من أي دائن أيا كانت طبيعة دينه، وذلك وفقا لنص المادة (٢/ ١) منه.

المطلب الرابع:

تقدير التفرقة بين الديون التجارية والديون المدنية:

انتقد بعض الفقه التفرقة بين الديون التجارية والديون المدنية بخصوص التوقف عن الدفع، لما تؤديه من نتائج سيئة بالنسبة للدائنين المدنيين، ذلك أن التاجر الذي يشعر باضطراب أوضاعه المالية يعمد إلى الوفاء بديونه التجارية دون المدنية. كما أن القول بأن الإفلاس نظام تجاري لا يمكن إعماله بسبب ديون مدنية، فهذه حجة يمكن الرد عليها بأن التاجر ليست له ذمة مالية مدنية منفصلة عن ذمته التجارية، والصحيح أن ذمته ضامنة لجميع ديونه مدنية وتجارية على حد سواء [٦٥] . هذا على الرغم من أن الإجماع الفقهي والقضائي ينعقد على استلزام الصفة التجارية في الدين، حيث يستند القائلون باستلزام الصفة التجارية في الديون التي يتوقف التاجر عن سدادها إلى مجموعة من الأسانيد والمبررات تتعلق بالديون التجارية دون المدنية، ويمكن إجمالها فيما يأتي: الأولى: الإفلاس بوصفه نظاما تجارياً، يقوم على الاحترام الصارم لمواعيد الاستحقاق لاعتبارات تتعلق بقوام الحياة التجارية من سرعة وائتمان. الثانية: إن عدم قيام التاجر بسداد ديونه

التجارية، يؤثر حتماً على ائتمانه، ويترتب عليه فقده لسمعته التجارية وانهيار الثقة فيها، على خلاف توقفه عن دفع ديونه المدنية. الثالثة: إن الدائن المدني أمامه طرق التنفيذ العادية، كما وإن الديون المدنية تؤخذ في الاعتبار حين تقدير المركز المالي للمدين، هذا علاوة على أن الدائنين المدنيين لهم الحق في التقدم بديونهم في التفليسة والمشاركة في التوزيع. وترتيباً على ذلك، فليس في منع شهر الإفلاس، لامتناع التاجر عن سداد ديونه المدنية أي إجحاف بهؤلاء الدائنين (٦٦) .

وفي المقابل، يستند القائلون بعدم استلزام الصفة التجارية في الديون التي يتوقف التاجر عن سدادها إلى مجموعة من الأسانيد والمبررات تتمثل في كون الحجج السابقة محل نظر، وبيان ذلك على النحو الآتي: أولا: إن استلزام تجارية الدين كان منطقياً في ظل المذهب التقليدي للتوقف عن الدفع، فليس من المتصور أن يفتح باب شهر إفلاس التاجر لمجرد عجزه عن الوفاء بدين مدني، أما مع تطور مفهوم الوقوف عن الدفع، وتبني القضاء والفقه للمذهب الحديث، الذي يستلزم توقفاً مادياً ينبئ عن انهيار لا نجاة منه، فلا خطر من فتح هذا الباب طالما أن الأمر بيد المحكمة التي سوف لا تلبي طلب شهر الإفلاس إلا بعد فحص المركز المالي للمدين في مجمله. الثاني: لم تعد التفرقة التقليدية بين التاجر وغير التاجر، ومن ثم بين الأعمال التجارية والمدنية كما كانت عليه سابقاً، وذلك نظراً لغزو المعاملات التجارية للحياة المدنية، فكثيرٌ من القوانين الآن لم تعد تفرق في ذلك، أو أنها لم تعرف التفرقة هذه أصلا كالقانون الإنجليزي (٦٧) . الثالث: كما أن من شأن إغلاق الباب في مواجهة الدائن بدين مدني يؤدي بالتاجر إلى إهمال ديونه المدنية ومحاباة دائنيه التجاريين (٦٨) .

المطلب الخامس:

أثر اجتماع صفة التاجر والتوقف عن الدفع:

في ظل التشريعات التي تتطلب الصفة التجارية في الدين غير المدفوع، على نحو ما رأينا آنفا، يلزم لشهر الإفلاس ضرورة أن يكون المدين تاجراً وقت توقفه عن الدفع، ويجب أن تجتمع صفة التاجر مع حالة التوقف عن الدفع، بحيث لا تغني إحداهما عن الأخرى، ولعل أهم تطبيق لهذا المبدأ يتعلق بالمدين الذي يتوفى أو يعتزل التجارة. أما في غيرها من التشريعات التي لم تتطلب الصفة التجارية في الدين غير المدفوع، فلا يلزم لشهر الإفلاس ضرورة أن يكون المدين تاجراً وقت توقفه عن الدفع، كما هو الشأن في قانون الإفلاس الفلسطيني، والقوانين الأخرى التي سارت على ذات النهج، حيث أشارت لحالة شهر إفلاس المدين المتوفى دون حالة اعتزال التجارة.

شهر إفلاس المتوفى:

إذا كان شهر الإفلاس قائم بالنسبة للمدين حال حياته، فإنه من الجائز أيضا شهر إفلاسه بعد وفاته، إذ تقضي المادة (١١٢/ ١) من قانون الإفلاس الفلسطيني بأنه: «يجوز لكل دائن له في ذمة مدين متوفى دين يكفي لتقديم طلب لإشهار إفلاسه فيما لو كان حيا أن يقدم طلبا إلى المحكمة لإصدار قرار بإدارة تركة المدين المتوفى طبقا لقانون الإفلاس». ويلزم لشهر إفلاس المدين المتوفى في قانون الإفلاس الفلسطيني، أن تتوافر فقط في الدين غير المدفوع ذات الشروط السابقة.

وهو ما قضت به المادة (٥٨٦) من مشروع قانون التجارة الفلسطيني، المقابلة للمادة (٥٥١) من قانون التجارة المصري الجديد، والمادة (٣٢١) من قانون التجارة الأردني، والمادة (٤٩٤) من قانون التجارة اللبناني. ولكن يلزم في ظل هذه النصوص لإمكان شهر إفلاس التاجر المتوفى توافر الشرطين التاليين: أن يكون التاجر قد مات وهو في حالة وقوف عن الدفع. وأن يتم طلب شهر إفلاس المتوفى من جانب المحكمة أو النيابة العامة أو أحد الدائنين، في ظرف السنة التالية للوفاة، والهدف من ذلك يتمثل في سرعة البت في شأن التركة ومصيرها من ناحية، واحترام ذكرى المتوفى وإسدال الستار على حياته التجارية في فترة قصيرة من ناحية أخرى.

شهر إفلاس التاجر بعد اعتزاله التجارة:

وهنا يلزم توافر ذات الشروط السابقة باستثناء أن مدة سريان السنة لا تبدأ من تاريخ اعتزال التجارة وإنما من تاريخ شطب اسم التاجر من السجل التجاري. وتكمن الحكمة من جواز شهر إفلاس التاجر في هذه الحالة، حتى لا يكون اعتزال التجارة مدعاة للتهرب من أحكام القانون المتعلقة بالإفلاس [٦٩] .

المطلب السادس:

إثبات حالة التوقف عن الدفع:

يعدُّ التوقف عن الدفع واقعة مادية يمكن إقامة الدليل عليها بكافة طرق الإثبات [٧٠] ، ويقع على عاتق من يطلب شهر إفلاس التاجر أن يثبت توقفه عن دفع ديونه. والملابسات والإمارات الواقعية التي يستعان بها كأدلة في الإثبات كثيرة ومتعددة [٧١] ، ولعل أهمها وأكثرها في العمل، هو تحرير بروتستو عدم الدفع لورقة تجارية امتنع المدين عن الوفاء بها في ميعاد استحقاقها [٧٢] ، ومنها أيضا غلق التاجر لمحله التجاري واختفائه هرباً من المطالبة بالديون، وصدور حكم ضده يلزمه بالدفع [٧٣] . وحالة التوقف عن الدفع

من الأمور التي تدخل في اختصاص قاضى الموضوع، ولا رقابة عليه إلا إذا استخلصها استنادا لأسباب غير سائغة قانوناً [٧٤] . فتبيان محكمة الموضوع للملابسات والوقائع المكونة لحالة التوقف عن الدفع، وتسجيلها في حكمها، لهو أمر يدخل في حدود سلطتها الموضوعية، أما تكييفها لهذه الوقائع وإعطاؤها المفهوم القانوني لمعنى التوقف عن الدفع، فيعدُّ فصلا في مسألة قانونية تخضع فيها لرقابة المحكمة العليا، على اعتبار أن التوقف عن الدفع يعد أحد الشروط الموضوعية الواجب توافرها قانونا لشهر الإفلاس، ومن حق المحكمة العليا أن تراقب جميع عناصره [٧٥] .

وتجدر الملاحظة هنا، بأن الأمارات والوقائع التي تستخلص منها المحكمة توقف المدين عن دفع ديونه لا حصر لها، كما أن قوتها من حيث التدليل على عجز المدين عن الدفع تختلف باختلاف الظروف، فقد يكون بيع المحل التجاري مثلا بالنسبة إلى مدين اضطربت أوضاعه المالية دليلاً على توقفه عن الدفع، ولكنه لا يكون كذلك بالنسبة إلى مدين يظل على الرغم من البيع محتفظا بائتمانه وقدرته على الدفع، فلا سبيل والحال كذلك إلى وضع قواعد عامة لحصر دلائل التوقف عن الدفع أو لتحديد قوتها في الإثبات، وإنما الأمر يتوقف على الظروف وعلى حسن تقدير المحكمة لها، وعلى من يدعي الوقوف عن الدفع أن يثبته، وعلى المحكمة أن تكون قناعتها من أوراق الدعوى وما يقدمه الخصوم من أدلة، ولكن لا يجوز للمحكمة أن تحيل الدعوى إلى التحقيق لسماع الشهود بشأن حالة المدين المالية [٧٦] ، ولا أن تأمر بتقديم الدفاتر التجارية للإطلاع عليها [٧٧] .

ومتى انتهت المحكمة إلى ثبوت حالة التوقف عن الدفع، وجب عليها أن تحكم بشهر الإفلاس، ولا يجوز لها أن تمتنع عن هذا الحكم تأسيسا على حسن نية المدين ومراعاة مصلحة الدائنين، لأن النصوص القانونية المشار إليها سابقا، تقضي صراحة بأن يعدّ المدين في حالة الإفلاس متى عجز عن دفع ديونه، وعلى ذلك إذا ما انتهت المحكمة إلى ثبوت حالة التوقف عن الدفع، كان لزاما عليها أن تحكم بشهر الإفلاس وإلا كان حكمها واجب النقض [٧٨] .

المبحث الثالث:

تحديد فترة الريبة:

حينما يشعر المدين باضطراب أعماله، وقرب وقوعه في هاوية الإفلاس، نجده يحاول جاهدا الإبقاء على مركزه المالي المضطرب، مجتهداً في تجنب عدم الدفع، حتى لا يثور طلب الإفلاس. وقد يلجأ في سبيل الوفاء بديونه إلى وسائل غير عادية أو غير مشروعة

أو منطوية على الغش، في سبيل إخفاء مركزه الحقيقي وإطالة حياته التجارية المضطربة وبالتالي تأخير شهر إفلاسه، كأن يبيع بضائعه بخسارة، أو أن يقترض بشروط مجحفة، أو يقوم بتحرير كمبيالات أو سندات مجاملة. فمثل هذا المدين لم يتوقف مادياً عن الدفع، ولكنه استعمل للحيلولة دون ذلك وسائل غير مشروعة، لا شك في أنه يعدّ في حالة توقف عن الدفع (٧٩) . هذا ما استقر عليه القضاء، بقوله بأن المدين يعدّ في حالة توقف عن الدفع، حيث لم يقم بالسداد والإبقاء على مركزه المالي إلا باستعماله لهذه الوسائل التدليسية (٨٠) . كما أن التجاء المدين إلى الوسائل غير المشروعة لإخفاء مركزه المالي، لا تثور عادة إلا بعد صدور الحكم بشهر الإفلاس، وبصدد إرجاع تاريخ التوقف عن الدفع إلى تاريخ سابق، هنا تستطيع المحكمة أن تتعرف على صور الوسائل غير المشروعة التي أتاها المدين لإطالة مركزه المالي الميئوس منه.

لئن كان صحيحا أن الحكم الصادر بشهر الإفلاس ينشئ حالة قانونية جديدة، ويحدث آثاره في المستقبل، فإن المشرع رتب عليه بعض آثار في الفترة السابقة على صدوره، إذ لاحظ أن الحكم لا يصدر عادة في اليوم الذي يتوقف فيه المدين عن الدفع، وإنما تنقضي فترة من الزمن بين هذا التوقف وصدور الحكم، فقد يتراخى الدائنون في طلب شهر إفلاسه، ومن ثم يلجأ المدين إلى تدابير مختلفة لإطالة حياته التجارية وإخفاء اضطرابه المالي، فيظل دائنوه على ثقتهم به ولا يتنبهون إلى حقيقة الأمر إلا بعد انقضاء فترة من الزمن قد تطول أو تقصر تبعاً لمهارة المدين في التضليل. وإذا فرض وسلك المدين جادة الصدق والأمانة فبادر إلى الكشف عن سوء مركزه المالي وطلب شهر إفلاسه بمجرد توقفه عن الدفع (٨١) ، حيث يمنحه المشرع خمسة عشرة يوماً لتقديم هذا الطلب تبدأ من تاريخ التوقف عن الدفع (٨٢) ، ثم تنقضي بعد ذلك فترة من الزمن إلى أن يصدر حكم شهر الإفلاس. ولما كان غل يد المدين عن إدارة أمواله والتصرف فيها لا يترتب إلا من يوم صدور الحكم بالإفلاس، فإن تصرفات المدين السابقة علية تظل محصنة من البطلان وسارية في حق الدائنين إذا لم يكن المشرع قد اتخذ الحيطة فيسر طريق إسقاطها.

ولكن حيطة المشرع لا تشمل كل الفترة السابقة على حكم الإفلاس بشكل مطلق، وإنما تقتصر على الزمن الذي ينقضي بين توقف المدين عن الدفع وصدور الحكم بالإفلاس، ذلك أن المشرع لاحظ احتمال سوء نية المدين بعد اضطراب مركزه المالي وعجزه عن الدفع، الأمر الذي قد يدفعه إلى تبديد أمواله أو إخفائها من وجه دائنيه أو محاباة بعض دائنيه على حساب الآخرين (٨٣) .

لاشك أن هذه الريبة كانت هي الدافع وراء تدخل المشرع لحماية الدائنين، وذلك بتقرير عدم نفاذ تلك التصرفات في مواجهتهم أو تيسير عدم نفاذها في حقهم. وهذه الفترة يطلق

عليها اسم فترة الريبة [٨٤] ، وهي الفترة الواقعة بين الوقوف عن الدفع وصدور الحكم بالإفلاس، ويضيف المشرع في بعض الفروض العشرة أيام السابقة على التوقف عن الدفع، وذلك زيادة منه في الحيطة.

تعيين تاريخ التوقف عن الدفع:

لقد ترك المشرع للمحكمة التي تشهر الإفلاس أمر تعيين تاريخ الوقوف عن الدفع، ولم يشأ أن يقيد سلطتها بحدود ما، وإنما خولها حرية إرجاعه إلى ما تشاء من الزمن، شريطة ألا يتجاوز ذلك مدة معينة، هذا وتحدد المحكمة في حكم شهر الإفلاس تاريخا مؤقتا للتوقف عن الدفع [٨٥] ، وإذا لم تحدد المحكمة التاريخ الذي توقف فيه المدين عن الدفع اعتبر تاريخ صدور حكم شهر الإفلاس تاريخاً مؤقتاً للتوقف عن الدفع. وإذا صدر حكم شهر الإفلاس بعد وفاة المدين أو بعد اعتزاله التجارة، ولم يحدد فيه تاريخ التوقف عن الدفع، اعتبر تاريخ الوفاة أو اعتزال التجارة تاريخاً مؤقتاً للتوقف عن الدفع. وتستعين المحكمة في تحديد تاريخ التوقف عن الدفع بكل قول أو فعل أو تصرف يصدر عن المدين ويكشف عن اضطراب أعماله أو سعيه إلى الاستمرار في نشاطه التجاري بوسائل غير مشروعة أو ضارة بدائنيه، ويدخل في ذلك على وجه الخصوص شروع المدين في الهرب أو الانتحار أو إخفاء أمواله أو بيعها بخسارة أو عقد قروض بشروط باهظة أو دخل في مضاربة طائشة [٨٦] . ويجوز للمحكمة تعديل التاريخ المؤقت للتوقف عن الدفع، وذلك إلى انقضاء عشرة أيام من تاريخ إيداع قائمة الديون المحققة في قلم كتاب المحكمة، وبعد انقضاء هذا الميعاد يصير التاريخ المحدد لتوقف عن الدفع نهائيا، والمحكمة تقوم بهذا التعديل إما من تلقاء نفسها أو بناء على طلب النيابة العامة أو المدين أو أحد الدائنين أو أمين التفليسة أو غيرهم من ذوي المصلحة، وبعد انقضاء هذا الميعاد يصير التاريخ المحدد للتوقف عن الدفع نهائيا. ولا يجوز بأي حال إرجاع تاريخ التوقف عن الدفع إلى أكثر من سنتين سابقتين على تاريخ صدور الحكم بشهر الإفلاس [٨٧] . وتتمثل الحكمة في اهتمام المشرع بتحديد فترة التوقف عن الدفع، هو أنه يبنى على تحديد تلك الفترة تحديد فترة الريبة خضوع التصرفات التي أجراها المدين كافة لعدم النفاذ الوجوبي أو الجوازي [٨٨] .

ولا يثور التوقف عن الدفع بمناسبة شهر إفلاس المدين فقط، وإنما يثور أيضا بعد الحكم بشهر إفلاسه، عند تحديد فترة التوقف عن الدفع. ذلك أنه يتوجب على المحكمة أن تبين في حكم شهر الإفلاس التاريخ الذي يعدّ فيه المدين متوقفاً عن الدفع، لأن الحكم بشهر الإفلاس يصدر غالباً بعد مضي فترة وقوف المدين عن الدفع. كما أن لتحديد هذا التاريخ أهمية كبيرة بالنسبة لمصير التصرفات التي تكون قد تمت مابين تاريخ التوقف عن الدفع وتاريخ الحكم بشهر الإفلاس.

وحتى يحدد القضاء فترة الريبة لابد أن يحدد تاريخ التوقف عن الدفع الذي تبدأ منه هذه الفترة، والقضاء مستقر على عدم الاعتداد بالتوقف المادي عن الدفع، وإنما يرجع هذا التاريخ إلى ما وراء ذلك منذ أن بدأ المدين باتخاذ وسائل غير مشروعة للوفاء. وعليه ففترة الريبة تبدأ من التاريخ الذي بدأ فيه المدين يحتال لإطالة مركزه المالي الميئوس منه، ولإخفاء توقفه الحقيقي عن الدفع.

ويرى بعض الفقهاء (٨٩) أن التوقف عن الدفع فكرة مزدوجة، فكأصل عام يجب أن ينبئ هذا التوقف عن الحالة المالية المنهارة للمدين، ويتخذ هذا الأصل مظهراً خارجياً يختلف باختلاف الوظيفة التي تؤديها فكرة التوقف عن الدفع. فوظيفتها الأولى تتمثل في كونها شرطا من شروط شهر الإفلاس، ويجب أن تتخذ شكل التوقف المادي. أما الوظيفة الثانية وهي بدء تحديد فترة الريبة، ويكفي فيها أن تتخذ مظهراً خارجياً آخر تتمثل في ثبوت التجاء المدين إلى طرق احتيالية غير عادية بقصد تأخير توقفه عن الدفع تأخيراً مصطنعاً. بينما يرى فقهاء آخرون بحق بأن التوقف عن الدفع ليس له مفهومان: أحدهما يتمثل في كونه شرطا لشهر الإفلاس، والآخر خاص لتحديد فترة الريبة، بل يرى أصحاب هذا الرأي أن الأمر متعلق بمسألة واقعية بحتة، هي أنه بعد شهر إفلاس المدين، وافتتاح التفليسة والسير فيها، يتمكن أمين التفليسة من اكتشاف صور الغش والوسائل غير المشروعة التي قام بها المدين من قبل، ويطلب لذلك من المحكمة إرجاع تاريخ التوقف عن الدفع إلى تاريخ سابق، هو بدء حدوث هذه الأعمال (٩٠).

وعليه فإن للمحكمة أمر تحديد تاريخ التوقف عن الدفع، وهي تقوم بهذا التحديد بحرية كاملة، وهناك من التشريعات ما يقيد المحكمة في وضع حد زمني أدنى أو أقصى لها في إرجاع تاريخ التوقف عن الدفع. وتعتمد المحكمة في تحديد هذا التاريخ على وقائع الدعوى وظروف المدين، وقد تحدد المحكمة تاريخ التوقف عن الدفع في حكم الإفلاس ذاته أو في حكم لاحق، ويكون لذوي الشأن الحق في تعديله، بل يجوز تعديله أكثر من مرة، حتى تنتهي مواعيد الطعن فيه. ويجب على المحكمة أن تتحرى الدقة عند تحديد تاريخ التوقف عن الدفع، إذ يؤدي اتساع نطاق فترة الريبة إلى زيادة عدد التصرفات المعرضة للبطلان، مما يترتب عليه اضطراب في المراكز القانونية، لذلك يتحتم على المحكمة أن تحرص على أن يكون التاريخ الذي تحدده هو الحد الفاصل بين يسر المدين، واختلال أوضاعه المالية.

تحديد فترة الريبة في القانون الفلسطيني:

قلنا بأن قانون الإفلاس عندنا استعاض عن التوقف عن الدفع بالأفعال الإفلاسية التي تبرر طلب شهر إفلاس المدين، ولقد حدد قانون الإفلاس هذه المدة بثلاثة أشهر، وهذا

يستفاد من نص المادة الخامسة التي تقول في الفقرة الأولى منها بأنه: «لا يحق لأي دائن أن يقدم طلباً لإشهار إفلاس المدين إلا إذا كان الفعل الإفلاسى الذي بنى عليه طلب شهر الإفلاس قد وقع خلال ثلاثة أشهر قبل تقديم الطلب». فهذا يعدّ من قبيل الحد الأقصى الذي لا تستطيع المحكمة أن تتجاوزه، وعليه لا يجوز الرجوع بتاريخ التوقف عن الدفع إلي أكثر من ثلاثة أشهر، ويقتصر تقدير المحكمة على تاريخ تحديد التوقف عن الدفع فيما بين هذه الفترة وفقا لظروف كل حالة. ولقد سار على هذا النهج بجانب القانون الفلسطيني القانون البلجيكي حيث وضع حداً أقصى لا تستطيع المحكمة تجاوزه، وبمقتضاه لا يجوز الرجوع بتاريخ التوقف عن الدفع لأكثر من ستة أشهر. أما القانون الأردني فقد أعطى للمحكمة السلطة التقديرية في تحديد فترة التوقف عن الدفع بشرط ألا تزيد عن ثمانية عشر شهراً قبل الحكم بشـهر الإفلاس، حيث تنص المادة (٣٢٢) على أنه: "١- يجب أن يتضمن الحكم بشهر الإفلاس تعيين وقت التوقف عن الدفع. ٢- يجوز للمحكمة أن ترجع وقت التوقف إلى تاريخ أسبق بحكم أو عدة أحكام بتبديل التاريخ المذكور تصدرها بناء على تقرير القاضي المنتدب أو من تلقاء نفسها أو بناء على طلب كل ذي مصلحة لاسيما طلب الدائنين ويحق لكل من الدائنين أن يقوم بالمراجعة على حدة. ٣- لا يجوز قبول هذا الطلب بعد انقضاء الميعاد المنصوص عليه في المادة (٣٧٧) ، وبعد انقضاء هذا الميعاد يصبح التاريخ الذي عين للتوقف عن الدفع محددا على وجه لا يقبل المراجعة من جهة الدائنين. ٤- وفى جميع الأحوال لا يمكن إرجاع تاريخ التوقف عن الدفع إلي أكثر من ثمانية عشر شهراً قبل الحكم بشهر الإفلاس" (٩١) .

ويتوجب على المحكمة أن تتجرد عند النظر في تعيين تاريخ التوقف عن الدفع من كل اعتبار قد يؤثر في تقديرها، فلا تتحرج مثلاً من اتساع نطاق فترة الريبة، ولما كان الإسراف في إرجاع تاريخ التوقف عن الدفع إلى الماضي البعيد مما يترتب عليه عدم استقرار التصرفات التي تمت واستقرت، فمن واجب المحكمة أن تدقق في هذا الأمر، وتحرص كل الحرص على أن يكون ذلك التاريخ هو الحد الفاصل بين يسر المدين وبين اضطراب أعماله وانهيار ائتمانه.

خاتمة البحث:

تبين لنا، من الدراسة أن القانون رقم (٣) لسنة ١٩٣٦، المطبق في قطاع غزة، قد استعاض عن فكرة التوقف عن الدفع بالأفعال الإفلاسية، حيث حدد فترة ثلاثة أشهر لطلب شهر إفلاس المدين، بحيث يجب أن يكون الفعل الإفلاسي الذي بني عليه الطلب قد وقع

خلالها، ولا شك أن في من شأن هذه المدة الزمنية القصيرة، إفلات كثير من المدينين من الوقوع في الإفلاس، ومن ثم ضياع الردع الذي يتغيَّاه كل مشرع من نظام الإفلاس.

وتبين لنا، أن هذه المدة القصيرة، هي ذاتها تعد تاريخاً للتوقف عن الدفع، فهي تعدّ من قبيل الحد الأقصى الذي لا تستطيع المحكمة أن تتجاوزه، وعليه لا يجوز الرجوع بتاريخ التوقف عن الدفع إلي أكثر منها. كل ذلك مرجعه أن فكرة التوقف عن الدفع غير محددة المعالم في هذا القانون، وإن كان هناك أمارات ودلائل خارجية تشير إليها، أطلق عليها الأفعال الإفلاسية، وهي على أي حال لا تعني في نظر المشرع تلويثاً لشرف المدين وكرامته، على النحو الذي ارتبط تقليدياً بنظام الإفلاس التجاري.

يضاف إلى ذلك، أن الأفعال الإفلاسية لا تدع مجالاً للشك في القدرة على تبني المذهب الحديث للتوقف عن الدفع، في ظل هذا القانون، الأمر الذي يترتب عليه اقتراب حالة التوقف عن الدفع من حالة الإعسار المدني.

ولاحظنا أن كل هذه النقائص، تداركتها التشريعات التجارية العربية المنظمة للإفلاس، وهو ما فعله أيضا مشروع قانون التجارة الفلسطيني.

في النهاية نرى بأنه كان الأولى أن يتضمن قانون الإفلاس عندنا اصطلاح التوقف عن الدفع، بوصفه شرطاً موضوعياً للحكم بشهر الإفلاس، ثم يشار إلى الأفعال الإفلاسية بعد ذلك باعتبارها إمارات ودلائل خارجية تشير إليها.

الهوامش:

١. د. محسن شفيق، الوسيط في القانون التجاري، الجزء الثالث، ص٢٤٣، طبعة ١٩٥٥.
- Escarra (J) - Cours de Droit Commercial 1952

٢. د. فتحي عبد الرحيم عبد الله، أحكام الالتزام، الجزء الثاني، ص ٩٠– ١٨، مكتبة الجلاء الجديدة بالمنصورة، طبعة ١٩٨٢.

٣. لقد عرف الرومان نظام الحجز الجماعي على أموال المدين، الذي اتخذ في العصور الوسطى كأساس لنظام الإفلاس. فنظام الإفلاس الذي عرفه الرومان يقوم على أساس القاعدة التي بمقتضاها يجوز للدائنين أن يضعوا أيديهم على ممتلكات مدينهم وتسليمها إلى قيم يقوم بإدارتها خلال فترة تصفيتها، وتوزيع ما ينشأ عن ذلك وفاء لحقوقهم، وقد كان القانون الروماني يعطي للدائن الحق في استعباد مدينه أو قتله أو تشغيله، . وفى القرون الوسطى وجد كبار وشيوخ التجار في المدن الإيطالية: جنوه، فلورنسا، البندقية، ان نظام التصفية الجماعية لأموال المدين التاجر يعتبر من الحلول السائغة لتطبيقه، ثم تطور هذا النظام تدريجيا ودّون في لوائح. ولقد قام كبار تجار سوق مدينة ليون الفرنسية بأخذ النظام السابق وذلك في عام ١٦٦٧ واعتبروه نظاما للإفلاس، الذي اعتبر أساسا لنظام الإفلاس الذي تضمنه التقنين التجاري الفرنسي الصادر عام ١٨٠٧. ثم اصدر المشرع الفرنسي نظاما كاملا للإفلاس في ٢٨ مايو ١٨٣٨، ومن التطورات التي سارت في فرنسا منذ إصدار النظام السابق وما تلاه، إصدار المشرع الفرنسي في١٣ يوليه عام ١٩٦٧للقانون الخاص بالتسوية القضائية تتصفية الأموال والإفلاس الشخصي والتفالس. -FRIDMAN (G. H) Hicks & John.son Fridman Bankruptcy Law and practice London Butterworth 1970
ويستثنى من الخضوع لنظام الإفلاس شركات المساهمة التي تخضع لنظام التصفية القضائية، الذي يتضمنه قانون الشركات الصادر سنة ١٩٤٨ والمعدل سنة ١٩٦٧، وبمقتضاه يجوز لأي دائن للشركة أن يطلب تصفيتها قضائيا متى عجزت عن دفع الدين. Denis Keenan: Smith and Keenan's Mercantile Law, 6 ed , London: Pitman , 1985 , P 50

Nigel Sauage and Robert Bradgate: Business Law , London, Butter Worths 1987, P 444.

نظام الإفلاس والتصفية القضائية الفرنسي الصادر في ١٣ يوليو ١٩٦٧ ينطبق على كل أشخاص القانون الخاص الاعتبارية (مدنية أو تجارية) ، أما قانون التسوية القضائية الصادر في ٢٥ يناير ١٩٨٥ فينطبق أيضاً على كل أشخاص القانون الخاص الاعتبارية

كما ينطبق على التجار المزارعين والحرفيين (المادة ٥) .

٤. د. ثروث حبيب، دروس في القانون التجاري الجزء الثاني، العقود التجارية، ص ٥٦٤، مكتبة الجلاء الجديدة بالمنصورة طبعة ١٩٨٣- ١٩٨٤.

٥. د. محمود سمير الشرقاوى، القانون التجاري، الجزء الثاني، ص ١٢٢، دار النهضة العربية، طبعة ١٩٨٤.

٦. د. محسن شفيق، المرجع السابق، ص ٢٤٤.

٧. فإذا كان الإفلاس بتقصير من المدين (كإسرافه في المضاربة أو مبالغته في الإنفاق) فيعتبر مرتكبا لجريمة الإفلاس بالتقصير، وهى جنحة يعاقب عليها بالحبس من شهر إلي سنة، أما إذا ساءت نية التاجر المفلس فتعمد الإضرار بدائنيه أو اختلاس أمواله أو إخفاء دفاتره كان مرتكبا لجريمة الإفلاس بالتدليس أو الاحتيال. د. على البارودي، القانون التجاري، هامش صفحة ٢٣٦، الدار الجامعية، بيروت، طبعة ١٩٨٥. بينما الإفلاس الإحتيالي لاينظر إليه هكذا في القانون الفلسطيني، وإنما ترفض المحكمة شهر إفلاس المدين إن هو كان المتقدم بطلب الإفلاس، تأسيسا على أن القصد منه الإحتيال والتمنع عن دفع الحقوق لأصحابها وفق ما تضمنه حكم محكمة الإستئناف بغزة، رقم (٣٧٤) لسنة٢٠٠٨، حقوق، ١٣/ ٤/ ٢٠١٠، غير منشور.

٨. د. محمود سمير الشرقاوي، المرجع السابق، ص١٢٣.

٩. د. ثروت حبيب، المرجع السابق، ص ٥٤٩ وما بعدها.

١٠. حيث رفضت إلغاء الحكم المستأنف تأسيسا على أن المستأنف (المدين) لم يقدم أية بينة تبرر تقديم طلب الإفلاس، وحيث أن ما خلصت إليه محكمة أول درجة من أن غرض المستأنف هو فقط إضاعة حقوق دائنيه دون سند من القانون هو أمر صحيح. حكم محكمة الاستئناف بغزة، رقم (٥٣٦) لسنة٢٠١١، حقوق، ٥/ ١٠/ ٢٠١١، غير منشور.

١١. ونشر في الملحق رقم (١) للعدد (٥٦٦) الممتاز من جريدة الوقائع الفلسطينية المؤرخ في ٢٤/ ١/ ١٩٣٦.

١٢. يقابلها المادة (٥٥٠) في قانون التجارة المصري الجديد رقم (١٧) لسنة ١٩٩٩، والمادة (٣١٦) من قانون التجارة الأردني رقم (١٢) لسنة ١٩٦٦.

١٣. إذ تنص المادة (٤٨٩) من التقنين التجاري اللبناني على أنه: «يعتبر في حالة الإفلاس كل تاجر ينقطع عن دفع ديونه التجارية، وكل تاجر لا يدعم الثقة المالية به إلا بوسائل

يظهر بجلاء أنها غير مشروعة».

١٤. من التطبيقات القضائية لذلك: حكم محكمة النقض المصرية في ٢فبراير١٩٦١، مجموعة النقض المصرية س١٢ع١ص١٠٦. وحكم محكمة استئناف القاهرة في٢٢مايو١٩٦٢، المجموعة الرسمية، س٦٠، ع٣، ص٩٩٦. واستئناف القاهرة أيضا في ٢٠ ديسمبر ١٩٦٢، المجموعة الرسمية، س٦٠، ع٣، ص١٠٦٥.

وحكم محكمة التمييز اللبنانية في ١٣نيسان١٩٦٩، مجموعة حاتم ج٩١ص٢١.

١٥. حتى ولو كان ذلك باستخدام وسائل غير مشروعة للسداد، فإنه لا يعد متوقفا عن الدفع في نظر البعض من الفقه. د. على البارودي، القانون التجاري، مرجع سابق، ص٢٧٢.

١٦. فقد تكون أموال المدين التاجر كافية لسداد ما عليه لكنه يكون عاجزا عن التصرف فيها، كما لو كانت عقارات يتعذر بيعها بسرعة، أو حقوق في ذمة الغير يتعذر استيفاؤها، إلى غير ذلك من الأسباب، ومن ثم يمتنع بسببها عن الوفاء بما عليه من ديون للغير، وهذا الامتناع يجعله حتما متوقفا عن الدفع. د. سيف الدين البلعاوي، مرجع سابق، ص٣٠١.

١٧. د. محسن شفيق، الوسيط في القانون التجاري، ص٣٣٣، مرجع سابق.

١٨. مجموعة النقض المصرية، جلسة ١٤/ ٢/ ١٩٧٠، س٢١، ص٣١٨،

١٩. وهناك من الفقه الفرنسي (تعليق الفقيه بيشوف) من يرى أن التوقف المادي لم يعد شرطا كافيا ولا ضروريا لشهر الإفلاس، إذ أن جرثومة قد تكمن في الثمرة دون أي علامات خارجية، كما أن الجوهر قد يكون سليما رغم وجود بعض العيوب الظاهرية. مشار إليه لدى د. مختار أحمد بريري، قانون المعاملات التجارية، المرجع السابق، هامش صفحة ٤٩٨.

٢٠. د. علي البارودي، الأوراق التجارية والإفلاس، المرجع السابق، ص٢٧٣.

٢١. وفى ذلك تقول محكمة النقض المصرية « التوقف عن الدفع هو الذي ينبئ عن مركز مالي مضطرب وضائقة مستحكمة يتزعزع معها ائتمان التاجر وتتعرض بها حقوق دائنيه إلى خطر محقق أو كبير الاحتمال، فليس كل امتناع عن الدفع يعتبر توقفا، إذ قد يكون مرجع هذا الامتناع عذرا طرأ على المدين مع اقتداره، وقد يكون لمنازعته في الدين من ناحية صحته أو مقداره أو حلول أجل استحقاقه أو انقضائه بسبب من أسباب الانقضاء « نقض ٢٩ مارس سنة ١٩٥٦، مجموعة أحكام النقض المصرية، س٧، ص ٤٣٥.

وقالت أيضا « ولئن كان امتناع المدين عن الدفع دون أن تكون لديه أسباب مشروعة يعتبر قرينه في غير مصلحته، إلا انه لا يعتبر توقفا بالمعنى السالف بيانه، إذ قد يكون مرجع هذا الامتناع عذرا طرأ عليه مع اقتداره على الدفع وقد يكون لمنازعه في الدين من حيث صحته أو مقداره». نقض ٢٤ مارس سنة١٩٧٠ مجموعة النقض المصرية لسنة ٢١ ص ٢١٨.

٢٢. د. مختار أحمد بريري، قانون المعاملات التجارية، المرجع السابق، ص٤٩٩.

٢٣. ويكاد يجمع الفقه على أنه لا يشترط لقيام حالة التوقف عن الدفع أن يكون التوقف عن الدفع عاما شاملا لجميع الديون، إذ لا عبرة بعدد الديون التي يمتنع المدين عن دفعها، بل بتقدير أثر هذا الامتناع على المركز المالي للمدين، فالامتناع عن دفع دين واحد قد يبرر شهر الإفلاس إذا كان ينطوي على خطورة خاصة ويدل على عجز حقيقي عن الوفاء ومركز مالي ميئوس منه. فتوقف مدين هام كأحد البنوك عن دفع دين واحد، يعدل وقوف تاجر بقالة عن سداد مئات الديون، لأن توقف بنك أو مؤسسة تجارية كبيرة له آثار خطيرة على الاقتصاد ككل. لذا يرفض الفقه والقضاء المصريين معيار تعدد الديون. انظر: د. مصطفى كمال طه، الأوراق التجارية والإفلاس، مرجع سابق، ص٢٨٤– ٢٨٥. د. محمد صالح، الإفلاس والصلح الواقي، ص٢٦، طبعة ١٩٤٨. د. مختار أحمد بريري، قانون المعاملات التجارية، المرجع السابق، ص٥٠٠– ٥٠١. وانظر، نقض ٢٨/ ٤/ ١٩٦٢ المجموعة ١٣، ص٥٢٨، حيث قضت بأن القانون لا يشترط تعدد الديون لشهر الإفلاس ويكفي التوقف عن وفاء دين واحد. فمنازعة المدين في أحد الديون ولو كانت جدية لا يمنع شهر إفلاسه بسبب عدم دفع دين آخر تجاري حال. والاتجاه نفسه في أحكام أخرى لمحكمة النقض المصرية في، ٤/ ٤/ ١٩٧٦، المجموعة ١٨، ص٧٦٠. وكذلك نقض ٢/ ٢/ ١٩٧٦، المجموعة ٢٧، ص٣٦٦. ونقض٧/ ٧/ ١٩٥٥، مجموعة أحكام النقض، س٦، ص١٣٥٧. ونقض ١٥/ ٣/ ١٩٦٦، مجموعة النقض، س١٧، ص٥٧٧، وجاء في القرار الأخير أيضا: «لا يشترط للحكم بشهر الإفلاس تعدد الديون، ويجوز شهر إفلاس المدين لو توقف عن دفع دين واحد، ما دامت قد توافرت فيه بحسب جسامته الشروط الموضوعية لشهر إفلاسه «.

٢٤. د. محمود سمير الشرقاوي، القانون التجاري، الجزء الثاني، ص١٣٤، مرجع سابق.

٢٥. وإذا كان قد صدر حكم بإفلاس المدين تأسيسا على الوقوف المادي عن الدفع، فإنه يلغى، طالما أن الحكم لم يصبح بعد نهائيا. انظر نقض ٩/ ١٢/ ١٩٤٨، المجموعة الذهبية، الجزء الثالث، ص٣٥، حيث قررت محكمة النقض في حكمها هذا بأن: «حالة

الإفلاس... لا تتقرر إلا بالحكم النهائي الصادر بشهر الإفلاس، ومتى كان ذلك كان للمحكوم ابتدائيا بشهر إفلاسه أن يزيل حالة التوقف... فإذا ثبت لمحكمة الاستئناف زوالها فلا عليها إذا هي ألغت الحكم الابتدائي الصادر بشهر الإفلاس».

٢٦. د. مصطفى كمال طه، الأوراق التجارية والإفلاس، مرجع سابق، ص٢٨٥.

٢٧. انظر في الفقه: د. محمود سمير الشرقاوي، القانون التجاري، الجزء الثاني، ص١٣٢، مرجع سابق. د. محسن شفيق، الوسيط في القانون التجاري، ص٣٣٤، مرجع سابق. د. علي البارودي، الأوراق التجارية والإفلاس، المرجع السابق، ص٢٧٣. د. ثروت حبيب، دروس في القانون التجاري الجزء الثاني، العقود التجارية، ص ٥٦٥، مرجع سابق. د. هاني محمد دويدار، العقود التجارية، ص٦٩٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، طبعة ١٩٩٧. د. مصطفى كمال طه، الأوراق التجارية والإفلاس، مرجع سابق، ص٢٨٥- ٢٥٤. وانظر في القضاء المصري: نقض ٢٩/ ٣/ ١٩٥٦، المجموعة السابعة، ص٤٣٥، حيث يشير حكمها إلى أن الوقوف عن الدفع يجب أن ينبئ عن مركز مالي مضطرب. نقض ٢٤/ ٢/ ١٩٧٠، المجموعة ٣١، ص٣١٨، حيث يشير حكمها إلى أن الوقوف عن الدفع يعني وجود مركز مالي مضطرب وضائقة مستحكمة يتزعزع معها ائتمان التاجر وتتعرض بها حقوق دائنيه إلى خطر محقق أو كبير الاحتمال. نقض ٤/ ٥/ ١٩٧٥، المجموعة ٢٦، ص٩٢٠، حيث قضى بأن مطل المدين وعدم الدفع... مع ثبوت وجود ديون أخرى يبرر الحكم. نقض ٢٢/ ١/ ١٩٧٩، المجموعة الذهبية، ملحق١، ١٩٨٤، ص١٦٩، حيث قضى بكفاية عدم دفع دين واحد مادام ينبئ عن مركز مالي مضطرب. د. مختار أحمد بريري، المرجع السابق، هامش صفحة ٥٠٢.

٢٨. نص المادة (٢٤٩) من القانون المدني المصري، وهي تقابل المادة (٢٦٣/ ١) من مشروع القانون المدني الفلسطيني، غير أن المشروع الفلسطيني أضاف إلى تلك المادة «أو إذا زادت ديونه الحالة على أمواله، وخاف غرماؤه إضاعة ماله أو إخفائه أو نقله إلى اسم غيره، وكان تخوفهم مبني على أسباب معقولة». ويرجع وضع هذه الإضافة إلى النص إلى أخذه من المادة (٣٣٦) من مشروع القانون المدني الموحد، والنص المضاف يتعلق بالحجز بسبب الدين، وبالتالي للنص لزوم في حالة الحجز، ولا لزوم له في حالة الإعسار، إذ تكفي الفقرة الأولى للحكم بإعسار المدين. انظر: المذكرة الإيضاحية لمشروع القانون المدني الفلسطيني، ص٣١٩- ٣٢٠، السلطة الوطنية الفلسطينية، ديوان الفتوى والتشريع، مشروع تطوير الأطر القانونية في فلسطين، طبعة ٢٠٠٣.

٢٩. نص المادة (٢٧٢) من مشروع القانون المدني الفلسطيني، وهي تتطابق مع نص المادة (٢٥٦/ ١) من القانون المدني المصري.

٣٠. وفقا لنص المادة (٢٧٣/ ١) من مشروع القانون المدني الفلسطيني، والتي تتطابق مع نص المادة (٢٥٨) من القانون المدني المصري.

٣١. د. مختار أحمد بريري، قانون المعاملات التجارية (الأوراق التجارية، عمليات البنوك، الإفلاس) ، ص٤٩٣، دار النهضة العربية، طبعة ١٩٩٥.

٣٢. انظر للمؤلف: أحكام قانون التجارة، ص٤٤– ٥٦، مكتبة القدس، غزة، الطبعة الرابعة ٢٠١٢.

٣٣. د. على البارودي، القانون التجاري، ص٢٧٢، الدار الجامعية، بيروت، طبعة ١٩٨٥.

٣٤. د. ثروت حبيب، دروس في القانون التجاري الجزء الثاني، العقود التجارية، ص ٥٦٤، مرجع سابق.

٣٥. «... وعلى هذا فإن الوصف القانوني لعناصر الانقطاع عن الدفع يخضع لرقابة محكمة التمييز باعتباره عنصرا قانونيا للإفلاس، أما الملاءة أو عدمها فإنها تبقى بعيدة عن نطاق رقابة محكمة التمييز باعتبارها لا تشكل هذا العنصر القانوني، وإن كان يمكن التحقق منها في معرض البحث عن وضع التاجر المالي العام «. حكم لمحكمة التمييز اللبنانية، صادر في ١٤ أذار ١٩٦٩، مجموعة حاتم ج٩١، ص٢٠.

٣٦. ولعل هذا هو ما يفسر أن فكرة الوقوف عن الدفع لم تكن لتظهر إلا مع ازدهار التجارة في المدن الايطالية، حيث ظهر ذلك في تشريع عام ١٢٦٢، أما قبل ذلك فكانت فكرة الإعسار هي السائدة في ظل التصفية في القانون الروماني. انظر: د. مختار أحمد بريري، قانون المعاملات التجارية، المرجع السابق، ص٤٩٤.

٣٧. د. ثروت حبيب، دروس في القانون التجاري الجزء الثاني، العقود التجارية، ص ٥٦٥، مرجع سابق.

٣٨. د. مختار أحمد بريري، قانون المعاملات التجارية، المرجع السابق.

٣٩. إن هذا القانون ينبسط نطاق تطبيقه ليشمل جميع المدينين، والمشرع عادة عندما يريد مد نطاق نظام الإفلاس إلى غير التجار ليشمل المدنيين أيضا، يجب عليه أن يراعي الظروف والأوضاع الاجتماعية والأفكار العلمية السائدة، والأصول والمفاهيم التجارية والاقتصادية، وفي ضوء هذه الاعتبارات والمبادئ يقرر إن كان يريد قصر تطبيق هذا النظام على التجار أم أنه يريد مده ليشمل الجميع في المجتمع.

٤٠. كان يطبق في فلسطين نظام الإفلاس الإنجليزي كما ورد في القانون الخاص الصادر سنة ١٨٨٣، بدون أية تعديلات تذكر، على الرغم مما طرأ على القانون الإنجليزي الخاص بالإفلاس من تعديلات جوهرية بحيث أصبح لا يمت لقانون سنة ١٨٨٣ بأية صلة تذكر، ونظام الإفلاس في إنجلترا يخضع له جميع المدينين، سواء كانوا تجارا أو غير تجار، أما في الضفة الغربية فأصبح يطبق القانون الأردني الذي يتضمنه قانون التجارة رقم ١٢ لسنة ١٩٦٦ والذي ألغى قانون الإفلاس الفلسطيني الذي كان مطبقا على الضفة والقطاع حتى عام ١٩٦٧. والإفلاس عندنا ينظم بالقانون رقم (٣) لسنة ١٩٣٦، الذي سنه المندوب السامي البريطاني في ٢٤كانون الثاني سنة ١٩٣٦، الذي حل محل المواد ١٤٧ إلى ٣١٥ من قانون التجارة العثماني (المأخوذ عن التقنين التجاري الفرنسي الصادر عام ١٨٠٧) ثم أصبح قانونا ساري المفعول في اليوم الخامس عشر من شهر آب ١٩٣٦ وهو يضم أكثر من مائة وستين مادة قانونية، فكأن قانون الإفلاس هذا قد استغرق أكثر من ثلثي المواد التجارية. وجدير بالذكر أن هذا القانون هو القاعدة العامة فينبسط تطبيقه على التاجر وغير التاجر، مثله في ذلك مثل كثير من التشريعات كالقانون الفرنسي والإنجليزي والهولندي والألماني وقانون الدول الإسكندنافية.

٤١. حكم المحكمة العليا بغزة بصفتها محكمة نقض، ٢٣/ ١٠/ ٢٠٠٤، في الطعن رقم (٧٧/ ٢٠٠٣) ، غير منشور. حيث قضت بنقض الحكم، لعدم اقتراف الطاعنين لأفعال إفلاسية تبرر شهر إفلاسهما.

وحكم محكمة الاستئناف بغزة، رقم (١٦٧) لسنة٢٠٠١، حقوق، ٢٩/ ١٢/ ٢٠٠١، غير منشور. حيث ألغت حكم محكمة أول درجة الرافض لإصدار قرار بشهر إفلاس المدين على الرغم من أنه قد ارتكب فعلا إفلاسيا.

وفي حكم آخر لمحكمة الاستئناف العليا بغزة، رقم (٧٠) لسنة٢٠٠١، إفلاس، ١٠/ ٧/ ٢٠٠١، غير منشور. حيث قضت بتأييد حكم المحكمة المركزية بصفتها محكمة استئناف والقاضي برفض طلب شهر الإفلاس تأسيسا على كون المدين لم يرتكب فعلا إفلاسيا.

٤٢. كما ويلاحظ أن هذه الأفعال الإفلاسية قاصرة على الشخص الطبيعي دون الشخص الاعتباري، حيث تخضع الشركات لإجراءات التصفية المنصوص عليها في قانون الشركات. وهو ما أكدته المحكمة العليا بغزة بصفتها محكمة نقض، في الطعن رقم (٨٠/ ٢٠٠٣)، ٢٣/ ١٠/ ٢٠٠٤، غير منشور. وهو ما تم تأكيده في حكم آخر للمحكمة العليا بغزة بصفتها محكمة نقض، في الطعن رقم (١٤١/ ٢٠٠٤)، ٦/ ٢/ ٢٠٠٦، غير منشور. حيث قرر الحكم الأخير بأنه: «لما كان الثابت من أوراق الدعوى أن المستأنف

ضدهما هم شركاء في شركة مسجلة لدى مسجل الشركات ومازالا يمارسان أعمالهما التجارية باسم هذه الشركة ولم يتم تصفيتها حسب الأصول ومن ثم فإنه لا يجوز إعلان إفلاسهما حسب الأصول طبقا لقانون الإفلاس رقم (٣) لسنة ١٩٣٦ وإنما يخضع ذلك بطرق التصفية الواردة في المادة (١٤٢) من قانون الشركات لسنة ١٩٢٩، الأمر الذي يكون معه الحكم المطعون فيه قد جاء موافقا للقانون ولا يعتريه أية شائبة لا من حيث الإجراءات ولا من حيث القانون مما يكون معه الطعن بكامله قائم على غير أساس متعينا رفضه».

٤٣. انظر عكس ذلك د. سيف الدين البلعاوي، مرجع سابق، ص٣٠١.

٤٤. لم نعثر في القضاء الفلسطيني على أي حكم يؤكد أو ينفي تبني المذهب الحديث للوقوف عن الدفع، الأمر الذي يؤكد ما ذهبنا إليه من اكتفاء هذا القانون بالأفعال الإفلاسية.

٤٥. لا يثار بخصوص تعبير توقف المدين عن دفع ديونه الواردة في النصوص القانونية العربية المشار إليها سابقا، أي شكوك حول الطبيعة النقدية للدين، على خلاف ما أثير في فرنسا، وما ذهبت إليه بعض الآراء من إمكانية امتداد تعبير التوقف عن الدفع لكل الالتزامات، وبالتالي يعتبر المدين متوقفا عن الدفع إذا امتنع عن تنفيذ التزاماته المتعلقة بتسليم المبيع أو العين المؤجرة أو قام بإعادة توجيه البضاعة في الطريق مما أعاق تسليمها في الميعاد. ولم يكتب النجاح لهذه الآراء، حيث استقر الرأي على ضرورة تعلق التوقف عن الدفع بدين بمبلغ نقدي. انظر في هذا الشأن: د. مختار أحمد بريري، قانون المعاملات التجارية، المرجع السابق، ص٥٠٤.

٤٦. حكم محكمة النقض المصرية في ٩/ ١٢/ ١٩٤٨، مجموعة محمود عمر، الجزء الخامس، ص٦٦٣.

٤٧. استئناف بيروت، الصادر في ١٥/ ٧/ ١٩٥٥، رقم٨٣٤، ص٢٧، مصنف شمس الدين.

٤٨. استئناف بيروت، الصادر في ٣٠/ ١٠/ ١٩٥٠، رقم٧٧٩، ص٢٨، مصنف شمس الدين.

٤٩. حكم محكمة النقض المصرية في ٤/ ٤/ ١٩٦٧، مجموعة أحكام النقض، السنة١٨، ص٧٦٠. وحكم محكمة النقض المصرية في ١٧/ ١٢/ ١٩٦٨، مجموعة أحكام النقض، السنة١٩، ص١٥٢٦.

٥٠. حكم محكمة التمييز اللبنانية الأولى، رقم١٩، الصادر في ٣٠/ ١/ ١٩٦٤، مصنف شمس الدين، ص٢٧.

٥١. كما هو الشأن في سقوط أجل الكمبيالة في حال عدم قبول المسحوب عليه، وكذلك

سقوط آجال ديون المدين لشهر إعساره، أو الاتفاق على حلول أقساط الدين المؤجلة في حالة التخلف عن دفع إحداها.

٥٢. وذلك تطبيقا لنص المادة (٢٥٥) من القانون المدني المصري، التي تقضي بسقوط آجال الديون عند الحكم بشهر إعسار المدين. انظر: د. محمود سمير الشرقاوي، القانون التجاري، الجزء الثاني، ص١٣٦، مرجع سابق.

٥٣. د. مختار أحمد بريري، قانون المعاملات التجارية، المرجع السابق، ص٥٠٧.

٥٤. كما لو ثبت أن ساحب الكمبيالة لم يقدم مقابل الوفاء، فامتنع المسحوب عليه عن القبول وسقط الأجل، وهنا يجوز طلب شهر إفلاس المدين الساحب إذا ما امتنع عن الوفاء.

٥٥. كما لو كان المدين مظهرا لورقة تجارية سقط أجلها بسبب رفض القبول أو لإفلاس المدين الأصلي كالمحرر أو المسحوب عليه القابل، فهنا يمكن ألا يعد الامتناع توقفا يبرر شهر الإفلاس، وإنما يكون للدائن إتباع طرق الرجوع العادية.

٥٦. د. هاني محمد دويدار، العقود التجارية، ص٦٩٠، مرجع سابق.

٥٧. حكم محكمة التمييز اللبنانية، ٢٨/ ١٠، ١٩٥٤، النشرة القضائية ١٩٥٤، ص٨٠٠، مصنف شمس الدين، ص٢٨. وكذلك حكم محكمة التمييز اللبنانية، رقم ١١، الصادر في ١٥/ ٢/ ١٩٦٦، مجموعة باز ص٩٥، سنة١٩٦٦، مصنف شمس الدين، ص٢٩.

٥٨. نقض، ١١ فبراير سنة ١٩٦٥، مجموعة أحكام النقض المصرية، س ١٦، ص١٥٥. وانظر كذلك القاضي المنفرد اللبناني، بيروت، رقم١٦٨٣، الصادر في ١٤/ ١١/ ١٩٥٧، مصنف شمس الدين، ص٢٧.

٥٩. وقضت محكمة النقض المصرية في١٩نوفمبر١٩٧٤ بجواز شهر إفلاس المدين التاجر متى ثبت أنه قد توقف عن دفع بعض ديونه التجارية أيا كان عددها، مجموعة أحكام النقض المصرية، السنة٢٥، ص١٢٣٧.

٦٠. حكم محكمة بداية بيروت الأولى (الغرفة الأولى) ، رقم٦١٩، الصادر في ١١/ ١٠/ ١٩٤٩، مصنف شمس الدين، ص٣٢.

٦١. ويلاحظ هنا بأن القضاء يمد تطبيق نظرية الأعمال التجارية بالتبعية لتشمل الأفعال الضارة والنافعة، وبالتالي إذا ما امتنع التاجر عن دفع دين التعويض الناشئ عن ارتكابه عمل من أعمال المنافسة غير المشروعة، فإنه يمكن شهر إفلاسه، وكذلك إذا ما امتنع عن رد ما قد دفع له دون وجه حق بمناسبة عمله التجاري كان شهر إفلاسه

جائزا. د. هاني محمد دويدار، العقود التجارية، ص٦٨٨، مرجع سابق.

٦٢. كما ما ذهبت إليه بعض التشريعات التي تطبق قواعد القانون التجاري على العمل المختلط في جميع الأحوال، كما رأينا، كالقانون الألماني، والقانون الكويتي، والقانون الياباني، وما كان عليه الحال في ظل القانون العراقي القديم. للمؤلف، أحكام قانون التجارة، ص١٣٠، مشار إليه سابقا.

٦٣. د. حمد الله محمد حمد الله، الوجيز في الإفلاس، ص١٥، منشورات دار هابي رايت، طبعة ١٩٩٥.

٦٤. وفي هذا الشأن قضت محكمة التمييز الأردنية بقولها: « إن توقف الشركة عن دفع رصيد أجرة الشقة المؤجرة لا يعتبر توقفا عن دفع دين تجاري حتى يصار إلى طلب إعلان إفلاسها تطبيقا لحكم المادة (٣١٦) من قانون التجارة رقم (١٢) لسنة ١٩٦٦، حتى ولو ثبت أن هذه الشقة تستعمل كمكتب للشركة إذ استقر الفقه والقضاء على أن بدل إيجار المحل التجاري يشكل دينا مدنيا صرفا ولا يجوز طلب إشهار الإفلاس على أساسه». تمييز حقوق، رقم (٩/ ٢/ ١٩٩) ، المؤرخ في ٢٨/ ٨/ ١٩٩١، منشور على الصفحة ٢٠٤من مجلة نقابة المحامين لسنة ١٩٩٣. انظر: د. أسامه نائل المحيسن، الوجيز في الشركات التجارية والإفلاس، ص٣١٠، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، طبعة٢٠٠٩.

٦٥. انظر في تفصيل ذلك: د. مصطفى كمال طه، الأوراق التجارية والإفلاس، مرجع سابق، ص٢٨٨- ٢٨٩.

٦٦. د. علي جمال الدين عوض، الإفلاس، الجزء الأول، ص٤٠- ٤٨، دار النهضة العربية، طبعة ١٩٨٣.

٦٧. وفقا لما أشرنا إلية سابقا، كما هو الشأن في القانون الفلسطيني، وبعض التشريعات الأخرى كالقانون الفرنسي والإنجليزي والهولندي والألماني وقانون الدول الإسكندنافية.

٦٨. في تفصيل أكثر انظر: د. مختار أحمد بريري، قانون المعاملات التجارية، المرجع السابق، ص٥٠٨- ٥١٣.

د. مختار أحمد بريري، بحث بعنوان: الوسائل القانونية لمعالجة الأزمات المالية للمشروعات، منشور في مجلة القانون والاقتصاد التي تصدرها كلية الحقوق بجامعة القاهرة، ص٦٥- ١٢٣، سنة ١٩٨٤- ١٩٨٥.

٦٩. حكم محكمة النقض، ١٥/ ٣/ ١٩٦٦، مجموعة أحكام النقض المصرية، السنة١٧،

ص٥٧٧. وكذلك استئناف القاهرة، ٢١/ ١٢/ ١٩٦٢، المجموعة الرسمية، السنة٦٠، العدد الثالث، ص١٠٤٤. مشار إليها لدى: د. مصطفى كمال طه، الأوراق التجارية والإفلاس، مرجع سابق، ص٢٩٢.

٧٠. حكم محكمة استئناف القاهرة، ١/ ٥/ ١٩٦٢، المجموعة الرسمية، السنة ٦٠، ص٦٢٣.

٧١. حكم محكمة الاستئناف بغزة، رقم (٥٣٦) لسنة٢٠١١، حقوق، ٥/ ١٠/ ٢٠١١، غير منشور.

٧٢. استئناف مختلط، ٢٥/ ١/ ١٩٢٨، بند رقم ٤٠– ١٥٧، واستئناف مختلط، ١٧/ ٤/ ١٩٢٩، بند رقم٤١– ٣٦٤. وكذلك حكم محكمة استئناف القاهرة، ٣٠/ ١٢/ ١٩٥٨، المجموعة الرسمية، السنة ٥٨، ص٢٥٥. و٢٧/ ٢/ ١٩٦٢، المجموعة الرسمية، السنة٦٠، ص٦٤٣. مشار إليها لدى: د. مصطفى كمال طه، الأوراق التجارية والإفلاس، مرجع سابق، ص٢٨٩.

٧٣. نقض جنائي، ٢٥/ ٤/ ١٩٣٢، مجموعة أحكام النقض المصرية في ١٥عاما (مدني) ، الجزء الثاني، ملحق صفحة ١٢٥٥، حيث قالت المحكمة في حكمها: »إن المطالبة الرئيسية ليست شرطا في إثبات حالة الوقوف عن الدفع، فالمطالبة في المواد التجارية يجوز أن تكون بخطاب عادي أو برسالة تلغرافية، كما يجوز أن تكون في بعض الأحوال بطريق المشافهة «.

٧٤. حكم لمحكمة النقض المصرية، في١٨مايو١٩٦١، مجموعة أحكام النقض، ص٤٨٩، رقم٧٣.

٧٥. نقض مدني، ٢٤/ ٢/ ١٩٧٠، مجموعة أحكام النقض، السنة٢١، ص٣١٨. وكذلك نقض، ٣١/ ١/ ١٩٨٣، السنة٢٤، ٣٦١.

٧٦. حكم المحكمة العليا بغزة بصفتها محكمة نقض، ١٠/ ٥/ ٢٠٠٦، في الطعن رقم (١٢٨/ ٢٠٠٣) ، غير منشور. حيث قضت برفض نقض الحكم، وكان موضوع الطعن يتعلق بالمطالبة بإخراج عقار من ضمن أموال المدين المفلس.

٧٧. لأن القانون حدد حالات الاطلاع على الدفاتر التجارية على سبيل الحصر ولم يذكر من بينها حالة طلب شهر الإفلاس. انظر: المستشار أحمد محمود خليل، الإفلاس التجاري والإعسار المدني، ص٥٨، منشأة المعارف بالإسكندرية، طبعة١٩٩٤.

٧٨. وتقول محكمة التمييز اللبنانية في هذا الشأن «إن الوصف القانوني لعناصر الانقطاع عن الدفع يخضع لرقابة محكمة التمييز باعتباره عنصرا قانونيا للإفلاس أما الملاءة

أو عدمها فإنها تبقى بعيدة عن نطاق رقابة محكمة التمييز باعتبارها لا تشكل هذا العنصر القانوني، وإن كان يمكن التحقق منها في معرض البحث عن وضع التاجر المالي العام. حكم محكمة التمييز اللبنانية في ١٤ أيار ١٩٦٩حاتم ج ٩١ ص ٢٠.

٧٩. غير أنه يصعب تصور ذلك من الناحية العملية، إذ يلزم حدوث توقف مادي، حتى تبدأ إمكانية طلب شهر إفلاس المدين، أما قبل ذلك فلا يعقل أن دائنا استوفى دينه ثم يتقدم بطلب لشهر الإفلاس تأسيسا على انهيار المركز المالي لمدينه ولجوئه لوسائل غير مشروعة لمواصلة السداد، فمثل هذا الدائن لا تقبل دعواه لانتفاء المصلحة. ولكن يمكن للمحكمة إذا كانت بصدد نظر نزاع بين المدين وأحد دائنيه وتبينت أن أحوال المدين المالية مضطربة من خلال مماطلته في السداد دون سبب جدي، فلها أن تقوم بشهر إفلاسه.

٨٠. حكم محكمة مصر الابتدائية، ٨/ ٣/ ١٩٤٩، المحاماة، السنة ٣٠، ص١٢٥٢. وحكم محكمة مصر الابتدائية، ٧/ ٢/ ١٩٥٠، المحاماة، السنة ٣٠، ص١٢٥٧. وكذلك استئناف مختلط، ١٣/ ٢/ ١٩٠٧، بلتان، السنة١٩، ص١١٢. وكذلك أيضا استئناف مختلط، ٨/ ٣/ ١٩٤٤، بلتان، السنة٥٦، ص٧٣. مشار إليه لدى: د. ثروت حبيب، دروس في القانون التجاري الجزء الثاني، العقود التجارية، هامش صفحة ٥٦٧، مرجع سابق.

٨١. د. حمدي محمود بارود، بحث بعنوان: أحكام المصالحة الواقية من الإفلاس في القانون الفلسطيني رقم (٣) لسنة ١٩٣٦، دراسة مقارنة، منشور بمجلة الدراسات الإنسانية بالجامعة الإسلامية بغزة، المجلد الثامن، العدد الأول، يناير ٢٠٠٠م. والعنوان نفسه مع تعديلات جوهرية في الموضوع، منشور كذلك، في مجلة اتحاد الجامعات العربية للدراسات والبحوث القانونية، العدد (١٢) تشرين أول أكتوبر لسنة ٢٠٠٣م.

٨٢. المادة (٥٨٨) من مشروع قانون التجارة الفلسطيني، وهي تتطابق مع نص المادة (٥٥٣) من قانون التجارة المصري الجديد، وتتوافق مع نص المادة (٣١٨) من قانون التجارة الأردني، مع ملاحظة أن القانون الأردني جعل المدة عشرين يوما. ولا يوجد في قانون الإفلاس الفلسطيني ما يشير إلى ذلك.

٨٣. د. أسامه نائل المحيسن، الوجيز في الشركات التجارية والإفلاس، ص٣١٠، مرجع سابق.

٨٤. وهناك من الفقه من يطلق عليها بالفترة المشبوهة. انظر: د. إلياس ناصيف، الإفلاس، ص٢٤١، منشورات البحر المتوسط، طبعة١٩٨٦.

٨٥. المادة (٥٩٦/ ١) من مشروع قانون التجارة الفلسطيني، والتي تتطابق مع نص المادة

(٥٦١/ ١) من قانون التجارة المصري الجديد، ومع المادة (٣١٨/ ٢) من قانون التجارة الأردني.

٨٦. المادة (٥٩٧) من مشروع قانون التجارة الفلسطيني، والتي تتطابق مع نص المادة (٥٦٢) من قانون التجارة المصري الجديد.

٨٧. المادة (٥٦٨) من مشروع قانون التجارة الفلسطيني، والتي تتطابق مع نص المادة (٥٦٣) من قانون التجارة المصري الجديد.

٨٨. انظر: د. محمود مختار بريري، الإفلاس والأوراق التجارية، المرجع السابق، ص ١١١.

٨٩. لقد تعرضت محكمة القاهرة الابتدائية لهذا الرأي بالنقد، في حكمها الصادر في٧/ ٢/ ١٩٦١، المجموعة الرسمية، السنة٦٠، ص٧٧٠، استنادا إلى أن المشرع (في ظل القانون التجاري المصري القديم) قد استخدم تعبيرا واحدا في الحالتين، هو تعبير الوقوف عن الدفع ومن ثم لا وجه لحمله على معنيين مختلفين. ورتبت على ذلك نتيجة هي في حد ذاتها منتقدة، وهي أنه لا يجوز للمحكمة أن ترتد بهذا التاريخ إلي وقت كان فيه المدين مواظبا على أداء ديونه ولو اتضح للمحكمة اضطراب أعماله واستعانته بوسائل وقتية مصطنعة لا طالة حياته التجارية، فهذه النتيجة خطأ واضح يخالف ما استقر عليه الفقه والقضاء منذ أمد بعيد. د. علي البارودي، مرجع سابق، هامش صفحة٢٧٧.

٩٠. حكم محكمة الاستئناف المختلطة، ٣٠/ ٥/ ١٩٣٤، مجلة المحاماة، السنة١٦، رقم٥٠. حيث جاء فيه: إن تحديد ميعاد توقف المدين المفلس عن الدفع ليس مقيدا بعمل إنذار بالدفع سواء بطريق البروتستو أو إعلان على يد محضر إذ يكفي إثبات أن المدين كان في وقت معين عاجزا عن الوفاء بتعهدات، وإن هذا العجز قد استمر بغير انقطاع رغما عن الامهالات الصريحة والضمنية التي كان الدائنون يمنحونه إياها.

٩١. وعلى خلاف التشريعات السابقة نجد التشريع الإيطالي يحدد فترة الريبة بمدة ثابتة معروفة سلفا وهى مدة السنتين السابقتين على شهر إفلاس المدين، فالمدة واحدة في كل التفاليس مع إن الأمر يختلف من تفليسة إلى أخرى، وهذا المسلك يعيبه الجمود.

المصادر والمراجع:

أولاً- باللغة العربية:

الكتب:

١. أحمد محمود خليل، الإفلاس التجاري والإعسار المدني، منشأة المعارف بالإسكندرية، طبعة١٩٩٤.

٢. د. أسامه نائل المحيسن، الوجيز في الشركات التجارية والإفلاس، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، طبعة٢٠٠٩.

٣. د. إلياس ناصيف، الإفلاس، منشورات البحر المتوسط، طبعة١٩٨٦.

٤. د. ثروث حبيب، دروس في القانون التجاري الجزء الثاني، العقود التجارية، مكتبة الجلاء الجديدة بالمنصورة، طبعة ١٩٨٣– ١٩٨٤.

٥. د. ثروث حبيب، الالتزام الطبيعي، حالاته وآثاره، رسالة دكتوراه، مقدمة لكلية الحقوق بجامعة القاهرة، سنة١٩٦١.

٦. د. حمد الله محمد حمد الله، الوجيز في الإفلاس، منشورات دار هابي رايت، طبعة ١٩٩٥.

٧. د. حمدي محمود بارود، أحكام قانون التجارة، مكتبة القدس، غزة، الطبعة الرابعة ٢٠١٢.

٨. د. حمدي محمود بارود، نظام الإفلاس في القانون الفلسطيني، مكتبة القدس، غزة، طبعة ١٩٩٦.

٩. د. على البارودي، القانون التجاري، الدار الجامعية، بيروت، ط١٩٨٥.

١٠. علي جمال الدين عوض، الإفلاس، الجزء الأول، دار النهضة العربية، طبعة ١٩٨٣.

١١. د. فتحي عبد الرحيم عبد الله، أحكام الالتزام، الجزء الثاني، مكتبة الجلاء الجديدة بالمنصورة، طبعة ١٩٨٢.

١٢. د. محسن شفيق، الوسيط في شرح القانون التجاري، الجزء الثالث، طبعة ١٩٥٥.

١٣. د. محمد صالح، الإفلاس والصلح الواقي، طبعة ١٩٤٨.

١٤. د. محمود سمير الشرقاوي، القانون التجاري، دار النهضة العربية، ط١٩٨٤.

١٥. د. مختار أحمد بريري، قانون المعاملات التجارية (الأوراق التجارية، عمليات البنوك، الإفلاس) ، دار النهضة العربية، طبعة ١٩٩٥.

١٦. د. مصطفى كمال طه، الأوراق التجارية والإفلاس، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، ط ١٩٦٨.

١٧. د. هاني محمد دويدار، العقود التجارية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، طبعة ١٩٩٧.

البحوث القانونية:

١. د. حمدي محمود بارود، بحث بعنوان: أحكام المصالحة الواقية من الإفلاس في القانون الفلسطيني رقم (٣) لسنة ١٩٣٦، دراسة مقارنة، منشور بمجلة الدراسات الإنسانية بالجامعة الإسلامية بغزة، المجلد الثامن، العدد الأول، يناير ٢٠٠٠م. والعنوان نفسه مع تعديلات جوهرية في الموضوع، منشور كذلك، في مجلة اتحاد الجامعات العربية للدراسات والبحوث القانونية، العدد (١٢) تشرين أول أكتوبر لسنة ٢٠٠٣م.

٢. د. سيف الدين البلعاوي، بعنوان: دراسة حول مسألتي التوقف عن الدفع وطرق الطعن في القرارات الصادرة بشهر الإفلاس، ص٢٩٣– ٣٢١، منشور بمجلة الدراسات الإنسانية بالجامعة الإسلامية، المجلد السابع، العدد الأول، يناير١٩٩٩.

٣. د. مختار أحمد بريري، بحث بعنوان: الوسائل القانونية لمعالجة الأزمات المالية للمشروعات، منشور في مجلة القانون والاقتصاد التي تصدرها كلية الحقوق بجامعة القاهرة، ص٦٥– ١٢٣، سنة ١٩٨٤– ١٩٨٥.

القوانين:

١. قانون التجارة المصري الجديد رقم (١٧) لسنة ١٩٩٩، منشور بالجريدة الرسمية العدد (١٩) مكرر، بتاريخ ١٧ مايو ١٩٩٩.

٢. قانون التجارة الأردني رقم (١٢) لسنة ١٩٦٦.

٣. مجموعة القوانين الفلسطينية، الجزء الثالث والعشرون، (الإفلاس، السماسرة، التجارة) الطبعة الثانية ١٩٩٦.

٤. المذكرة الإيضاحية لمشروع القانون المدني الفلسطيني، ص٣١٩– ٣٢٠، السلطة الوطنية الفلسطينية، ديوان الفتوى والتشريع، مشروع تطوير الأطر القانونية في فلسطين، طبعة ٢٠٠٣.

ثانياً- المراجع الأجنبية:

1. *Escarra (J) - Cours De Droit Commercial- 1952.*
2. *Etude Anatytigue Et En Critigue De La faillite Virtuelle En Droit Egyptian Et En Droit Francais.*
3. *Ripert (G) - Roblet (R) Droit Commrecial- 1973- No. 3096*
4. *Topham and Ivamy's – Company Law – sixteenth edition,- Butterworth and Shaw Sons,- London 1978.*
5. *A History of English law , holds worth*
6. *FRIDMAN (G. H) _Hicks & Johnson Fridman Bankruptcy* Law and practice London Butterworth 1970

مصر القديمة والغزو الفارسي الأول*

أ. أيمن حسين مسعود التويب**

* تاريخ التسليم: ٢٥/ ٣/ ٢٠١٣م، تاريخ القبول: ٢١/ ٢/ ٢٠١٢م.
** أستاذ مساعد/ قسم التاريخ/ جامعة الفاتح/ طرابلس/ ليبيا.

ملخص:

لعل أهمية مصر التاريخية والجغرافية عبر العصور المختلفة، جعلها مرتعاً خصباً للباحثين من اجل الخوض في عباب العصور المختلفة التي مرت بها؛ ولعله من المهم أن تكون الفترة الفارسية التي وقعت تحتها مصر القديمة في الفترة من ٥٢٥ق. م، وحتى ٣٣١ق. م، من أهم تلك الفترات قاطبة؛ لأنها تمثل فترة احتلال طويلة إذا ما قورنت بغيرها من الفترات- هذا إذا ما استثنينا فترة الهكسوس- وفي هذا مدعاة لكشف بعض خبايا تلك الفترة التاريخية، وبناءً عليه حاول الباحث أن يعطي صورة بسيطة عن مراحل الفترة المذكورة؛ لأن فترة قرنين من الزمان تقريباً لابد أن تكون مليئة بالأحداث التاريخية التي أسهمت في تشكيل فسيفسائية المجتمع المصري القديم، حيث أثَّر ذلك إما سلباً أو إيجاباً- حسب اعتقاد الكثيرين- في الجانب الحضاري للحضارة المصرية القديمة، وكانت جزءا لا يتجزأ من سلسلة الحلقات الحضارية للحضارة الفرعونية.

Abstract:

The importance of Egypt historically and geographically through different ages, makes it a fertile ground for researchers to go into the swirl of different ages that Egypt has passed by. It is important to note that the Persian period which ancient Egypt underwent from 525 BC. , until 331 BC. , is considered the most important of those periods as a whole; because it represents a long period of occupation when compared with other periods- excluding the period of the Hyksos. Thus, there is a need to uncover some of the mysteries of that historical period. This makes the researcher try to give even a simple picture about the stages of that period; because it is filled with historical events that contributed to the formation of the mosaic of the ancient Egyptian society. The impact of this period whether positive or negative- as many believe – was in the cultural side of the ancient Egyptian civilization, and was an integral part of the cultural series of the Pharaonic civilization.

مقدمة:

ضمت الإمبراطورية الفارسية بين أرجائها ولايات على مساحات شاسعة، وتطلب ذلك اتباع سياسة تهدف إلى إحكام السيطرة عليها، وقد نجح الفرس في تعزيز تواجدهم وتوسيع رقعة إمبراطوريتهم باحتلال مصر، وما ترتب عليه من تداعيات، كان لها بالغ الأثر في تحديد ورسم معالم تاريخ وحضارة مصر القديمة.

يركز البحث على طرح موضوع مصر القديمة والغزو الفارسي الأول من خلال إبراز دور الملك قورش في تأسيس الإمبراطورية الفارسية، مروراً بخلفائه وسيطرتهم على مصر، وصولاً لفترة الاستقلال المصري، والوقوف على أسباب ضعف الإمبراطورية الفارسية وانهيارها.

لمحة جغرافية وتاريخية عن بلاد فارس:

إن إبراز الجانب الجغرافي والتاريخي لبلاد فارس يعدُّ من مستلزمات البحث الأساسية، فكلا الجانبين يعدَّان عاملين مساعدين على البحث وكشف خفايا المنطقة، ذلك أن القسم الأكبر من بلاد فارس والمعروفة حالياً بإيران أرض واسعة تحيط بها سلاسل من الجبال الشاهقة الارتفاع من كل جانب، فنجد من الناحية الشرقية ثلاثة جبال على خط متوازٍ تعرف بجبال القوقاز (*) أما من الناحية الشمالية فنجد جبال البرزالتي تطوقها كالسلسلة من الشرق إلى الغرب، غير أنها تنفصل في الغرب عن جبال أرمينيا، بمحاذاة بحر الخرز جنوباً عن طريق جبل بابا لتتواصل في امتدادها حتى تبلغ بلاد الهند، لتتصل بجبال الهيمالايا المعروفة بارتفاعاتها الشاهقة، وتمثل جبال كردستان الحدود الغربية لبلاد فارس، وتعرف هذه الجبال عند المؤرخين والجغرافيين الأوربيين باسم جبال زاجروس والتي تمتد من الشمال إلى الجنوب، ثم تنحني جنوباً وشرقاً حتى تصل بحر عُمان وتبلغ مساحة الهضبة الإيرانية حوالي مليونين وستمائة ألف كم٢ (٢٦٠٠٠٠٠ كم٢) ، وتمثل مساحة إيران الحالية حوالي ثلاثة وستين في المئة (٦٣٪) من تلك المساحة أي بما يعادل الثلثين [١] .

لقد دلت الأبحاث الجيولوجية على أن إيران كانت خلال العصور الجيولوجية الجليدية في أوربا كثيرة المسطحات المائية، ذلك أنها تعرضت لسقوط متوافر للأمطار بحيث أن كثيراً من جهاتها بما في ذلك بعض الوديان العليا كانت تحت سطح الماء، ولم تتعرض للجفاف إلا فيما بين الألف الخامسة عشرة والألف العاشرة ق. م، أي أن التصحر أخذ

يزحف على هذه الأرض بصورة تدريجية لأن فترة خمسة آلاف سنة لم تكن بالمدة اليسيرة، وبالتالي فإن انكماش السطوح المائية أدى بالإنسان في تلك المنطقة إلى الانتقال إلى حيث ينتهي الانكماش، وتتكرر هذه العملية كلما عادت المسطحات للانكماش مرة أخرى [٢].

تقع الهضبة الإيرانية بين خطي عرض ٢٤- ٤٢ شمالاً، وهذا الموقع لا يؤدي إلى اختلاف واضح في المناخ بين مناطقها، غير أن الارتفاع المتفاوت بين أجزائها سواء المحاذية لشواطئ البحار والبحيرات، وأعالي الجبال وتلك المحاذية للصحراء، يفسر لنا بوضوح وجود تباين كبير في المناخ بين مناطقها المختلفة [٣].

أدت عوامل الجفاف والانكماش سالفة الذكر إلى أن تقترب العناصر البشرية الموجودة في الهضبة وتحتك بجيرانها، وبخاصة أصحاب الحضارات المؤثرة في تلك الفترة إشارة منا إلى حضارة العراق القديم، وبحكم وقوع المنطقة في طريق الهجرات البشرية المنحدرة من المناطق الرعوية والجبلية، كان لذلك أبلغ الأثر في النمط الثقافي لسكان هذه المنطقة، ليس ذلك فحسب بل إن الصراع الدائم بين بلاد ما بين النهرين من جهة وأرمينيا من جهة أخرى، والذي كان سببه وجود بعض الموارد مثل الرصاص المتوفر في أرمينيا، أثر هذا الصراع على المنطقة الإيرانية؛ لأنها مثلت حلقة وصل بين المنطقتين، وبالتالي منطقة عبور للحصول على مثل هذه الموارد [٤].

ويُعتقد أنه في خلال الألف الثانية ق. م انطلقت هجرة عظيمة تشكلت من عناصر هندوأوربية من مناطق جنوب روسيا الحالية، أو ما يعرف بالسهول الأوراسية، وقد تشعبت هذه الهجرة إلى قسمين: الأولى اتجهت غرباً، فدارت حول البحر الأسود وعبرت البوسفور، ثم وصلت إلى أسيا الصغرى، أما الثانية فقد اتجهت شرقاً، ودارت حول بحر قزوين وعبرت القوقاز، ووصلت إلى الفرات، فاندمجت بالحوريين ذوي الأصول الآسيوية، وتكونت بذلك مملكة ميتاني (*) ، واخترقت هذه الجماعات جبال زاجروس جنوباً، وكونوا أقلية اتسمت بالنشاط والحيوية، طغى نفوذها بعد ذلك على السكان الأصليين، وقد عرفت هذه المجموعة بعد ذلك باسم الهندوإيرانية، والتي تركت آثاراً دلت على أنهم من ذوي الرؤوس العريضة الذين انتشروا في شبه الجزيرة الإيطالية وغرب أوربا [٥] ، ومن أبرز هذه الجماعات الهندوإيرانية (الميديون- والفرس الأخمينيون) ، وهكذا نزلت الجماعة الأولى الميدية في غرب هضبة إيران وأسسوا- كما يذكر الباحثون- دولة قصيرة الأجل عرفت بالدولة الميدية في حوالي ٧٠٨ق. م [٦] ، في حين نزلت الجماعة الثانية الأخمينية في الجزء الجنوبي الغربي من الهضبة الإيرانية، وعملت على تأسيس دولة وصلت إلى درجة كبيرة في الاتساع مما أهَّلها لأن تُصبح من أقوى الإمبراطوريات على الإطلاق في الشرق الأدنى في حوالي ٥٣٠ق. م [٧].

ويُعد من الثابت لدى معظم الباحثين أن التاريخ الحقيقي للإمبراطورية التي أسسها الأخمينيون بحد سيوفهم يبدأ خلال الثلث الثاني من الألف الأول ق. م وطول عمر هذه الإمبراطورية يُعد مؤشراً على وجود سياسة تتميز بالمهارة في فن الحكم من قبل أكاسرتها(٨). ولأول مرة في تاريخ العالم القديم نجد أن الإمبراطورية الإخمينية ضمت بين أرجائها عناصر عدة من المدنيات القديمة، حيث ضمت كلاً من بلاد ما بين النهرين وسوريا ومصر وآسيا الصغرى وجزءاً من بلاد الهند فضلاً عن مدن وجزر إغريقية (٩) .

يذكر ول ديورانت (W. Durant) في كتابه (قصة الحضارة) : «أنه عندما بلغت الإمبراطورية الفارسية أوج أمجادها في أيام الملك داريوس الأول (٥٢٢ – ٤٨٦ق. م) كانت قد شملت عشرين ولاية أو إدارة هي: (مصر، وفلسطين، وسوريا، وفينيقيا، وليديا، وفريجية، وأيونيا، وقبادوش، وقليقية، وأرمينية، وأشور، وقفقاسية، وبابل، وميديا، وفارس، وبلاد أفغانستان وبلوخستان، والقسم الممتد من الهند غرب نهر السند، وأقاليم المسيحية) ، وغيرها من قبائل آسيا الوسطى» (١٠) ، وبالتالي يتبين أنه لم يتسن لأي إمبراطورية أو قوة أخرى أن تحكم مثل هذه الرقعة الواسعة وقتها. وقد تمتعت بعض الولايات التابعة للإمبراطورية الفارسية بشيء من الحرية بحيث سُمح لبعضها باستعمال لغتها الخاصة بها مثل: بابل، وسُمح لبعضها الآخر بممارسة عاداتها وتقاليدها وديانتها، واحتفظ بعضها باستعمال عملتها مثل ليديا التي أخذ الفرس الأخمينيون العملة عنها، بل تعدى ذلك في بعض الأحيان إلى الإبقاء على الأسر الحاكمة، ويتجلى ذلك واضحاً بخضوع قورينائية وبرقة للفرس، فظل العرش متوارثاً بين باتوس (Batuos) وأركسيلاوس (Arxelaws) ، وكل ذلك جعل بعض الولايات تشعر بأنها أفضل حالاً، وهي تحت حكم أجنبي من خضوعها لملوكهم المحليين (١١) .

وقد كانت الأمور السياسية والعسكرية تمثل الهاجس الأعظم لدى الفرس، بينما لم يهتموا كثيراً بالجوانب الاقتصادية، كما كان يستحق الأمر منهم، وقد أثر ذلك مباشرةً على استقرار أوضاع المملكة إذ أن ملوك الإمبراطورية الفارسية أرادوا تثبيت دعائم دولتهم بالتوسع، وضم المقاطعات، ثم بعد ذلك استغلالها اقتصادياً، وبالتالي فإننا لا نعني أنهم لم يهتموا بالاقتصاد فالقوة تجلب الاقتصاد، وتجعل الدولة أو الإمبراطورية من الثراء ما لا يمكن وصفه، وقد كان على رأس تلك القوة العسكرية أو النظام العسكري الملك، ويسمى أوخشترا بمعنى المحارب، وهو لقب إن دل على شيء، فعلى منشأ الملكية الفارسية العسكري(١٢).

ولم يكن الملك ليستطيع وحده أن يدير كل الرقعة الجغرافية المتمثلة في الإمبراطورية المترامية الأطراف، لذلك استعان بالولاة لكي يكونوا على رأس كل ولاية، أو ما يسمى عندهم

بـ (السترابة) ، وعُرف الوالي باسم خشريوان بمعنى حامي أو حارس المملكة، وكان غالباً ما يُختار من الطبقة النبيلة، وكانوا يُعيَّنون مدى الحياة، فأصبح الواحد منهم يمثل ملكاً في ولايته، يُعامل معاملة الملوك، وكانت له سلطة مطلقة، يُعاونه اثنان من موظفي الإدارة المركزية، بحيث تضمن الحكومة عدم تركز السلطة في يد فرد واحد، كذلك عملت الحكومة المركزية على إنشاء شبكة طرق تربط بين ولايات الإمبراطورية، مما ساعد على انتعاش التجارة والاقتصاد بعض الشيء وتسهيل الأمور البريدية (١٣) .

لقد صور لنا ول ديورانت أوصاف الفرس على نحو: «أنهم كانوا أجمل شعوب الزمن القديم، فقد دلت آثارهم على أنهم شعب معتدل القامات، قوي الأجسام نتيجة حياتهم الجبلية، طباعهم رقيقة، من ذوي الملامح المتناسقة، شم الأنوف كاليونان، تظهر في وجوههم سمات النبل والروعة، لبسوا الملابس الميدية، ثم تحلوا بعد ذلك بالحلي الميدية أيضاً (١٤) .

لم يكن للفرس الأخمينيون من الفنون إلا ما أتى به الأجانب من البلاد الأخرى، وهم يتفقون في ذلك مع الرومان، غير أنهم كانوا ذواقين للفن وجمال الأشياء، ولم يكن لهم طراز خاص بهم إلا في بعض جوانب العمارة، حيث نجدهم على أيام قورش (٥٥٩– ٥٣٦ق. م) وداريوس الأول (٥٢٢– ٤٨٦ق. م) وخشيارشاي الأول (٤٨٥– ٤٦٤ق. م) قد شيدوا مقابراً وقصوراً لم يتسن للباحثين الكشف إلا عن قليلها (١٥) .

والكم القليل الذي كُشف من فنون الفرس الأخمينيون يدل دلالة واضحة على أنه كان ملكياً بحتاً، حيث أظهر الملوك ما كان لهم من قوة وسلطان عن طريق ما نقشوه على جدران قبورهم الصخرية، ويظهر ذلك واضحاً جلياً في نقش (روستام) و (برسيبوليس) ، وكذلك على السلالم والبوابات الخاصة بالقصور، مثل نقوش (بازارجاد) و (برسيبوليس) (١٦) .

أما فيما يخص العملة المسكوكة فلم تُتداول إلا ابتداءً من عهد داريوس الأول (٥٢٢– ٤٨٦ق. م) إذ إنه لم يوجد أي نظام نقدي يقوم على معادن متعددة من الذهب والفضة، إلا في عهد كروسوس ملك ليديا في حوالي ٥٤٢ق. م بحيث انتشر هذا النظام من ليديا إلى بقية أنحاء آسيا الصغرى فاقتبسه داريوس، وبالتالي انتشرت هذه العملة في أنحاء الإمبراطورية الفارسية عامة وأعطوها اسم (الدريك) بمعنى الذهب، وكان عيار هذه العملة عالياً جداً، لأن داريوس كان مولعاً بأن تكون عملته من الذهب الخالص (١٧) .

أما اللغة التي تكلم بها الفرس فيمكن القول بأنها فارسية لها علاقة باللغة السنسكريتية (*) حتى أن بعض يظن بأنهما كانتا لهجتين للغة واحدة قديمة جداً، وأنهما واللغة الإنجليزية فروع من أصل لغة واحدة، هذا وقد تطورت اللغة الفارسية القديمة

وانقسمت إلى فرعين هما: الزندية لغة الزند والبهلوية وهي لغة هندية اشتقت منها اللغة الفارسية الحالية، غير أن الفرس استخدموا في نقوشهم الخط المسماري، واستخدموا الحروف الهجائية الآرامية في كتابه وثائقهم، وعملوا على تبسيط مقاطع اللغة البابلية الثقيلة الصعبة، فقاموا بتقليصها من ثلثمائة رمز إلى ست وثلاثين علامة تبدلت شيئاً فشيئاً من مقاطع حروف حتى صارت حروفاً هجائية مسمارية، ومن الجدير التنويه إلى أن الكتابة عند الفرس لا تعدو كونها أسلوباً يعبر به الفارسي عن مدى مشاغله الدنيوية ولهوه وحبه للنساء، فاستخدموها للتعبير عن الحب والحرب والصيد، ولم يحاول الفرس الإخمينيون أن ينشئوا أدباً خاصاً بهم (١٨) .

وقد اتحد الفرس الإخمينيون والميديون تحت تاج واحد ضم إمبراطورية واسعة النطاق شملت حضارات عريقة منذ القدم، لم يتجاهل حكام فارسيون أمثال قورش وداريوس مكانتها، فقدسوا عباداتها واهتموا بأصول فنونها (١٩) . ومن تلك الحضارات التي انضوت تحت لواء الإمبراطورية الإخمينية الحضارة الفرعونية، التي يؤيد الباحثين أن لها صلات ثقافية وحضارية بالحضارة الفارسية الأخمينية، حتى أنهم لم يستطيعوا تحديد بداياتها، ذلك أن هاتين الحضارتين كانتا تمثلان أهم الحضارات القديمة، وحين قويت شوكت الفرس الإخمينيون رأوا بأنه لزاماً عليهم أن يتسعوا ليشمل توسعهم مصر القديمة، وتصبح بذلك ولاية (سترابة) فارسية (٢٠) .

وبالعودة إلى ما ذكرناه بخصوص الاتحاد الميدي الإخمينيي يجدر بنا إعطاء إشارات تنوه إلى أن القلة الإخمينية استطاعت بعد فترة وجيزة أن تنظم صفوفها وتسيطر على الإقليم الفارسي بأسره، بعد أن كان أفرادها منتشرين في سهول عيلام باعتبارهم حكاماً من قبل الميديين، ثم جاء الاتحاد بين الطرفين، وأسِّس الجيش الموحد عام (٥٥٣– ٥٤٢ق. م) (٢١) .

قورش الفارسي وفترة ما قبل الغزو الفارسي الاول لمصر:

تمكن الملك الفارسي قورش من تأسيس الإمبراطورية الفارسية بالاعتماد على قيادة سياسية وعسكرية محنكة، واستطاع توحيد الشعبين المتمركزين في الشمال الغربي والجنوب الشرقي من الهضبة الإيرانية، واتخذ من هكمتانة (همذان) عاصمة له، وامتد نفوذ جيوشه حتى بلغ أذربيجان وشواطئ بحر قزوين، وخاض بين الحين والآخر حروباً مع جيرانه الآشوريين، ليبلغ أوج توسعه عندما قهر نينوى العاصمة الآشورية بعدما تحالفت مع بابل في حوالي ٥٥٠ق.م (٢٢) .

وقد أوضحت النقوش الآشورية أن الفرس عاشوا مدة تحت حكم سلاطين نينوى، وبسيطرت الفرس الميديين خضع الإخمينيون لهم وأجبروهم على دفع الجزية، مما كان له

بالغ الأثر في انتفاضة الفرس الإخمينيين (الهخامنيشون) (*) عليهم (٢٣) .

عندما أضحى قورش سيد فارس وميديا في آن واحد، ارتعدت آسيا خوفاً لهذا الخبر، الأمر الذي أجبر ملوك المنطقة وحكامها إلى الإسراع في عقد تحالف يضم كلاً من ليديا ومصر وبابل وإسبرطة، غير أن ذلك التحالف لم يقِ أصحابه طموح قورش الذي أسرع بالانقضاض على ليديا فانتزعها من يد ملكها كروسوس (Croisus) في عام ٥٤٨ ق. م وكان كروسوس من أبرز ملوك زمانه، وأشدهم بأساً وأكثرهم ولاء للإغريق، فلما ظفر به قورش أخذه أسيراً قبل أن يتمكن حلفاؤه من النهوض لنجدته (٢٤) .

اتجه قورش بعد ذلك النصر شرقاً لأنه كان يخشى غارة جديدة يحتمل أن يقوم بها مهاجرون من الآريين، وللمحافظة على حدوده خرب في طريقه كل ما قابله من بلاد آسيا العليا، وبعد أن أمن حدوده الشرقية اتجه إلى بابل فاستولى عليها بشيء من اليسر في عام ٥٣٩ ق. م، وأصبح بالتالي السيد الأوحد لآسيا السفلى دون منازع، وظل يستمتع بتلك السيادة عشر سنوات (٢٥) .

ولعل من المفيد أن نذكر بأن هذا الملك الفارسي- بالرغم من قوته وجبروته- قدم على مر التاريخ أعمالاً أثارت اهتمام الدارسين فحاولوا إبرازها ولو بالشيء اليسير، فيذكر سليم واكيم بأن الحرية الدينية تعدّ أكبر هدية قدمها قورش للشرق الذي طالما بحث عنها، ويذكر هذا الباحث بأن هيرودوت لم يحدثنا عن هذه الهدية ولاكسنوفون (Ksnofon) ولاسترابون، ولكن الكتاب المقدس (التوراة) جاء فيه ذكر لهذه الهدية، ويُعلق قائلاً: "لولا الكتاب المقدس لبقى الناس يجهلون ما أسدته إيران الأخمينية إلى الإنسان والشعوب" (٢٦).

كشفت التنقيبات في منطقة أور في بلاد ما بين النهرين عن اسطوانة من الطين المطبوخ، تحمل كتابات باللغة البابلية تبين بعد ترجمتها أنها عبارة عن إعلان لحرية الشعوب أصدره الملك قورش بعد الانتصار على بابل وقد نصت الوثيقة على ما يأتي: «أنا قورش... عندما أتيت إلى بابل وأنا في كامل قوتي، أقمت حكومتي فيها بين الأفراح والابتهاجات والاحتفالات، وكانت الجيوش التي لا يحصى عدد أفرادها، لا تلاقي في المدينة أية مقاومة، ولم أسمح لأي شخص أن ينشر الخوف والرعب في أرض سومر وأكاد، لقد رفعت... انحلال أهل بابل السيئ وعمرت بيوتهم المخربة ووضعت حداً لسوء حالهم وأعدت جميع الناس من... إلى أشور وشوش وأكاد وأشنونا ومدن زمبان وميرنو ودور حتى أرض كميوتيو ومدن ما وراء دجلة التي تعرضت معابدهم المقدسة للدمار، وكذلك الآلهة التي كانت تقيم بينهم، أعدتهم جميعاً إلى أماكن سكناهم التي جمعت جميع ساكنيها وأعدت لهم منازلهم» (٢٧) .

بالرغم من كل ما ذُكر نجد بعض الباحثين يظهرون سلبيات الغزو الفارسي على المناطق المغزوة، فيذكر رفاعة بدوي في كتابه: (خطبة بداية القدماء وهداية الحكماء) : «أن غزوات قورش جلبت على الأهالي المصائب بدلاً من الحياة السعيدة الهادئة، بحيث أصبح العجم أصحاب السيادة والثروة، ولم يقتصر الفساد على هؤلاء، بل أصاب الملك نفسه بحيث أصبح يبالغ في الرفاهية من أطعمة وملابس من أذربيجان، وأهمل تربية أولاده، وقد كان الحكم مطلقاً بحيث يعمل الملك بإرادته ورأيه لا بشريعة ولا بقانون، حيث كان يرى أنه يستحق التصرف بحكمه في أحوال رعيته وأعمارهم حسب هواه فيعاملهم معاملة العبيد الحقيقيين» (٢٨) .

ويعتقد بعض الباحثين أن قورش الكبير هو (ذو القرنين) المذكور في القرآن الكريم، وليس الإسكندر المقدوني، استدلالاً بأن الإسكندر الأكبر لا تُعرف له فتوحات بالمغرب وأنه لم يبنِ سداً ولم يكن يؤمن بالله ولم يتصف بالعدل والرحمة مع المغلوبين (٢٩) ، قال تعالى: [وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي القَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً](٣٠) .

واستند أحد الباحثين نقلاً عن هيرودوت بأن قورش انتصرت عليه (توميريس) (Tomeres) ملكة المساجيت فقتلته في واقعة، وأخذت رأسه وغمستها في إناء ممتلئ بالدم وقالت له: "اشرب من هذا حيث إنك كنت دائماً ظمآن لدم الناس" (٣١) . وهي إشارة إلى أن قورش أُتهم من قبل بعض الباحثين والمؤرخين بأنه صاحب نزعة دموية بالرغم من كل ما ذكر عن أخلاقه الحميدة، ويذكر الباحث نفسه في موضع آخر بأن زنفون (Znfon) يخالف هذا الرأي حيث قال: بأن قورش مات حتف أنفه على فراشه بعدما حكم حكماً فاخراً ثلاثين سنة (٣٢) .

ويذكر خفاجة بأن كيتاسيوس (Ketasius) (*) قد أدلى بدلوه في مسألة وفاة قورش وذكر بأنه مات من جرح في المعركة التي دارت رحاها بينه وبين رُحل المغول تحت إمرة ملكتهم (توميروس) (Tomyrous) (٣٣) . بينما يذكر ديودور الصقلي (Deodorus) أنه أخذ أسيراً ثم مات مصلوباً (٣٤) ونتيجة لعدم وفرة الكتابات والدلالات الواضحة في مسألة وفاة قورش، فإنه لا يمكن ترجيح أحد الآراء السالفة الذكر على الآراء الأخرى.

إن من أعظم أعمال قورش فتوحاته التي امتدت حتى تخوم الصين وما وراء نهر سيحون، وبالتالي كان قائداً مرموقاً في أعماله متصفاً بالتنظيم الإداري والتسامح الديني والدنيوي، عادلاً، قيل أنه أول من نادى بحقوق الإنسان لهذا كانوا يلقبونه في بلاده وخارجها بالملك الوالد، وقد حفظ له العظماء قدرهُ، إذ يقال بأن الإسكندر الأكبر (٣٣٥-٣٢٣ق. م) حين فتح بلاد فارس وقف على قبر قورش (*) بالقرب من إصطخي، وذكره بما يليق بمقامه من التكريم والتعظيم (٣٥) .

الإمبراطورية الفارسية في عهد خلفاء قورش:

١ـ الملك قمبيز ومراحل الغزو الأولى:

يُعد قمبيز (٥٢٨- ٥٢٢ق. م) الوريث الشرعي للملك قورش، وأهم ما يُنسب إليه أن مصر القديمة وقعت تحت لواء الإمبراطورية الفارسية لأول مرة في التاريخ في عهده واستطاع بذلك تأسيس أسرة فارسية حاكمة في مصر القديمة ابتداءً من الأسرة السابعة والعشرين وانتهاءً بالأسرة الواحدة والثلاثين، وربما كان ذلك حلماً راود أباه قورش (٣٦) . وذكر بعض الباحثين أوصاف قمبيز بأنه كان دموياً حريصاً على سلطته، فقد حملته غيرته وخوفه عليها لأن يقتل أخاه سمرديس، وقد كان نابذاً للقوانين، فتزوج شقيقته، واستشار القضاة في هذا الزواج الفاحش فأجابوه من الخوف بأن القانون يرخص للملوك جميع ما يريدونه (٣٧) .

كان قمبيز يجهل أحوال مصر الداخلية لذلك كان يهاب غزوها، كما كان يخشى الصحراء ومسالكها الوعرة المجذبة، لأنه لم يعتد القتال إلا في الأرض الزراعية المفتوحة، لذلك اعتمد في دخوله لمصر على بعض المرتزقة الذين عملوا في البلاط الفرعوني أو في الجيش المصري أهمهم فانيس (Vanis) أحد القادة اليونان في الجيش المصري وقد عُرف باسم أوجاحاررسن (Udjaharresne) (**) هذا الذي كشف لقمبيز عن كل ما كان يدور في مصر القديمة من صراع بين الحكومة المصرية والجاليات الإغريقية، فأطلعه على إمكانياتها الدفاعية، وبين له المخاطر التي سيلقاها عندما يعبر الطرق الصحراوية المؤدية إلى مصر، وهو من دله إلى اللجوء إلى البدو الرحل الذين يعرفون مسالك الصحراء، فأجزل لهم العطاء حتى يدلوه على أقصر الطرق وآمنها (٣٨) .

عمل قمبيز على تجريد الملك المصري أحمس الثاني (٥٨٩- ٥٢٦ق. م) من حلفائه فتحالف مع كل من ملك جزيرة ساموس، وملك فينيقيا، كذلك حصل على تأييد البدو في خليج السويس، كما كان لهروب بعض القادة المرتزقة في الجيش الفرعوني وتخليهم عن أحمس الثاني والانضمام إلى الصفوف الفارسية أبلغ الأثر في ضعف الصفوف الفرعونية، فنجد مثلاً هاليكارناسوس (Halekarnasus) وهو أحد قادة الجنود المرتزقة، التحق بجيش قمبيز واطلعه على كل الترتيبات التي هيأها جيش الفراعنة لتفادي الهزيمة أمام الفرس، كذلك نجد شريحة من أعيان المجتمع المصري القديم كانوا على استعداد لإسداء الخدمات إلى المحتل الفارسي (٣٩) .

التقت الجيوش الفارسية بمن انضم إليها مع الجيوش المصرية عام ٥٢٥ق. م عند منطقة بلوزيوم (Pelusium) الفرما (*) على الحدود الشمالية الشرقية لمصر القديمة، وكانت الغلبة في ذلك اليوم للجيش الفارسي بمساعدة القبطان أوجاحاررسن الذي مهد للاستيلاء على المدينة الإستراتيجية سايس، ثم حوصرت هيلوبولس (Helupoles) حتى استسلمت، وفر الفرعون بسماتيك الثالث (٥٢٦– ٥٢٥ق. م) من أرض المعركة واعتصم في مدينة منف، غير أن قمبيز سرعان ما استولى عليها، وقام بأسره، وأجمع معظم المؤرخين ومنهم هيرودوت، بأن بسماتيك عومل معاملة حسنة من قبل قمبيز، لولا أنه قام بتدبير مكيدة في الأسر فقُتل وقيل انتحر [٤٠] . وعندما غزا قمبيز مصر وضع أمام جيشه صفاً كبيراً من الحيوانات التي كانت معبودة لدى المصريين، فامتنع المصريون عن الدفاع عن أنفسهم مخافة أن يُصيبوا شيئاً من تلك الحيوانات لأنها مقدسة وترمز للعديد من آلهتهم[٤١].

ويرى بعض الباحثين أن من أسباب سقوط مدينة منف التي لجأ إليها الملك بسماتيك الثالث بعد معركة بلوزيوم ٥٢٥ق. م قيام أهل برقة على الحدود الغربية لمصر بإرسال وفد إلى قمبيز يعلمه خضوعهم له، وبذلك أحبط هذا العمل الروح المعنوية لدى المدافعين عن مدينة منف وبالتالي آلت إلى السقوط سريعاً [٤٢] .

ويبدو أن المقاومة المصرية في تلك المعركة كانت موجودة، فقد رأى هيرودوت آثارها بعد نحو ثلاثة أرباع القرن من وقوعها، فلمس بإحساسه التاريخي ما حدث فيها، وسجل هيرودوت ملاحظة طريفة ذكر فيها: «أنه رأى جماجم الفرس في ناحية وجماجم المصريين في ناحية أخرى عند مصب نهر بلوزيوم، ولاحظ أن جمجمة الفارسي يمكن أن تصدعها بحصاة، على الرغم مما هو معروف عن ضخامة الرأس الآرية، بينما لا تنكسر جمجمة المصري إلا بضربة حجر» [٤٣] .

لم يكتف قمبيز بتأسيس أسرة فارسية حاكمة في مصر، بل أراد أن يستولي على واحة سيوه ويحطم معبد آمون وأن يعمل على ضم المملكة الكوشية، وأن يستولى على قرطاجة. كما جهز قمبيز حملة كبيرة لإرسالها إلى واحة سيوه، فعبرت الكثبان الصحراوية دون أن يُعمل حساباً للاقتصاد في استخدام موارد المياه والمؤن، ففتكت المجاعة والعواصف الرملية بهذه الحملة في الطريق، قبل الوصول إلى الواحة، وهذا العمل يُعد من الأخطاء التي لا تُغتفر لقمبيز عبر التاريخ القديم [٤٤] . ويذكر الباحث هاليت أن النتيجة البعيدة لحملة قمبيز على واحة سيوه هي وصول الجمل إلى شمال أفريقيا، إذ يقال بأن قمبيز استأجر الإبل من عرب شبه الجزيرة، وبالتالي سجل أول وصول للجمل إلى مصر في

العصر التاريخي، ومنها إلى الواحة الخارجة حيث استخدمهما في نقل الجيوش والأمتعة في الحملة ضد واحة سيوه [٤٥] .

ولئن أكد هيرودوت بأن الملك قمبيز قام بقتل العجل أبيس [٤٦] ، إلا أن الحفريات التي أجريت في السرابيوم الخاص بعجول أبيس بممفيس، كشفت عن تابوت لأحد عجول أبيس تنفي كل ما جاء به هيرودوت، فقد نُقش على هذا التابوت المصنوع من الجرانيت الأشهب النص الآتي: «هورس سماتوي، ملك مصر العليا والسفلى، مس توى رع، ابن رع- قمبيز- ليته يعيش إلى الأبد، صنع لوالده أبيس أوزاريس، تابوتاً كبيراً من الجرانيت، الذي كرسه من أجله ملك مصر العليا والسفلى، مس توى رع، ابن رع، قمبيز، مانح الحياة كلها، والثبات كله، والنجاح كله، والعافية كلها، والسعادة كلها، وقد تُوج ملك على مصر العليا والسفلى إلى الأبد» [٤٧] ، ويمثل هذا النص صورة طبق الأصل لما كان يفعله الفراعنة في مصر القديمة في مراسم دفن العجل أبيس.

فيما يخص حملة قمبيز على بلاد النوبة (كوش) وغزوه لها، فقد قاد بنفسه جيشاً وصعد به النيل ليضم منطقة نباتا التي خرج منها ملوك الأسرة الخامسة والعشرين، وقد كان قمبيز طامعاً في ثورة هذه المنطقة، غير أن هذه الحملة قد أنهكتها المتاعب أيضاً بسبب قلة المؤن فعدل قمبيز عن مشروعه هذا، وقيل لأنه ربما لاقى هزيمة كبيرة على يد ملوك نباتا [٤٨] .

أما فيما يتعلق بحملة قمبيز على قرطاجة فقد انتهت بدون نتائج، ذلك أن الفينيقيين أبو أن يقاتلوا أبناء بلدهم، وبالتالي سُجلت هذه الحملة ضمن حملات قمبيز الفاشلة [٤٩] . مما اضطره إلى تغيير سياسته تجاه مصر؛ فعامل المصريين بكل قسوة، ويقال بأنه أصيب في عقله، وذلك ما يبرر هذه التصرفات، حيث كره كل المصريين واحتقر معبوداتهم الدينية [٥٠] .

إن إدراك حاكم قورينا الهليني (آركسيلاوس الثالث) (Arxelaws) (٥٢٧- ٥١٩ق.م) بأن السيطرة الفارسية على قورينا وبرقة هي تحصيل حاصل، جعله يفكر بالطريقة التي يستطيع بها أن يمتص العنفوان الفارسي حتى يضمن سلامته وسلامة ممتلكاته في قورينا، وربما حتى منصبه السياسي في تلك الفترة، وبالتالي سارع آركسيلاوس بإعلان التبعية للفرس مباشرةً عقب فتح مصر حتى يأمن شرهم، وربما تلك التبعية لم تظهر في ذلك الوقت نتيجة الظروف التي مر بها قمبيز، وأُجبر بعد ذلك آركسيلاوس على دفع جزية سنوية مقدارها خمسمائة مناً فضية (×) وغض بذلك قمبيز بصره، وصرفه بعيداً عن الحل العسكري، رغم إدراكه أن آركسيلاوس الثالث كان يطمح في أن يُنصِّب نفسه طاغية على مدينة قوريني [٥١] .

وفي أواخر أيام قمبيز ظهر شخص يدعى جاوماتا الماجي، وأحدث زوبعة في بلاد فارس مستغلاً الشبه الكبير بينه وبين أخ قمبيز المدعو سرمديس الذي قتله قمبيز في بداية حكمه، فانتحل شخصيته، ولاقى في فارس كثيراً من الدعم، كذلك في بعض المقاطعات الفارسية وبخاصة في مصر، في دفنه ومنف والفنتين (أسوان) ، وفي مكان لم يتحدد ربما كان في شمال فلسطين عند إكباتانا (همذان) على مقربة من جبل الكرمل، وربما عند دمشق باجتهاد بعض الباحثين، مات قمبيز في عام ٥٢٢ ق. م وقيل مات متأثراً بجرح أحدثه بنفسه في إحدى نوبات الصرع التي كثيراً ما كانت تنتابه، وهناك من يقول بأنه مات منتحراً، والمهم أن داريوس بن هستاسبس (Darius) نجح في قتل جاوماتا الماجي في عام ٥٢٢ق. م، وأصبح ملكاً على فارس في السنة نفسها، وبذلك انتقل العرش الفارسي من فرع قمبيز بن قورش إلى فرع آخر (٥٢) .

٢ـ داريوس الأول:

تولى الملك داريوس (٥٢٢– ٤٨٦ ق. م) مقاليد الحكم صغيراً، حتى أنه يُذكر بأن والده وجده كانا ما زالا على قيد الحياة عند توليه الحكم، وبعد أن ثبت حكمه للإمبراطورية الفارسية توجه على رأس حملة إلى ممفيس مقر العجل أبيس في مصر، أي أنه اتجه إلى مصر منذ بداية توليه الحكم، وهذا دليل على مكانة مصر الإستراتيجية لدى الفرس، ولم يلق داريوس أي مقاومة تذكر، ووجد الأهالي يرفعون شعار الحزن والحداد على العجل أبيس، فأمر داريوس بجزيل العطاء لمن يعثر على عجل أبيس جديد، وتلك كانت سياسة حكيمة استمال بها قلوب المصريين، وقام داريوس بدفن العجل أبيس على الطريقة الفرعونية عام ٥١٨ق. م (٥٣) .

أما في مجال التشريع فقد سن داريوس شريعة مماثلة لشريعة حمورابي، ذكر فيها ما يلي: «تحت رعاية أهورمزدا [إله الفرس]... إني أحب الحق وأكره كل ما يقر الكذب، إنني لا أغضب وأكظم غضبي، وأنني لا أثق في كل من يتحدث ضد العدالة... » (٥٤) . ويذكر ديودور الصقلي بأن داريوس كان من بين أكبر من شّرعوا القانون في مصر (٥٥) .

وفي موضع آخر كتب داريوس عام ٥١٨ق. م بعد عودته إلى فارس إلى واليه في مصر أرياندس (Aryandes) قائلاً: "دعهم يحضروا إلي حكماء الرجال من بين المحاربين والكهنة، وكُتَّاب مصر، الذين اجتمعوا في دور العبادة، ودعهم يكتبوا الشرائع الأولى لمصر حتى العام الرابع والأربعين لحكم الفرعون أمازيس، دعهم يحضروا إلى هنا شريعة فرعون، وشرائع المعبد والناس" (٥٦) .

اهتم داريوس بالديانة المصرية القديمة إلى جانب اهتمامه الكبير بعبادة إله الفرس الأعظم عندهم (أهورمزدا) ، وأهم ما ينسب إليه في هذا المجال العمل على بناء وترميم

المعابد المصرية وبخاصة معبد الإله أمون في واحة سيوه، وقد تلقب بالألقاب الدينية المصرية مثل ابن رع، ومحبوب آمون، وابن حور، وابن إيزه الذي يعيش إلى الأبد، وقد عُثر في منطقة وادي الحمامات على نقوش تُعد من أكبر الدلائل على اهتمام داريوس بترميم المعابد المصرية القديمة، وتؤرخ هذه النقوش فيما بين آخر سنوات حكم أحمس الثاني (أمازيس) (٥٨٩– ٥٢٦ق. م) آخر ملوك الأسرة السادسة والعشرين، حتى السنة الثلاثين من حكم الملك داريوس الأول (٥٧) .

كان الملك داريوس شديد الوله بعبادة الإله (أهورمزدا) إله الفرس الأول فنجده في كثير من النقوش يردد ألفاظاً «فليحفظني أهورمزدا وليساعدني أهورمزدا» لأن صفات هذا الإله في أذهان الفرس تدعو إلى العلم والحكمة، وهو حارس يقظ له الحماية والوقاية والمكافأة والعقاب، وهو أب كل شيء حسن، فهو خالقه، وعرشه موجود في السماء في عالم النور والخلود، ويوجد حوله عدد من الملائكة يتلقون أوامره وينفذونها (٥٨) .

يُنسب إلى داريوس الأول اهتمامه بإعادة حفر القناة التي تربط البحر الأحمر بوادي النيل والتي اهتم بشقها من قبله نيكاو الثاني (٦١٠– ٥٩٥ق. م) ثاني ملوك الأسرة السادسة والعشرين، وقد أشارت النصوص المسمارية التي عُثر عليها على لسان داريوس بهذا الخصوص ما يأتي: «إنني دارا الفارسي استوليت على مصر من بارسيا (فارس) وقد أمرت بأن تُحفر هذه القناة على النيل الذي يجري في مصر إلى البحر الذي يصل فارس، وقد حُفرت القناة كما أمرت، ومرت السفن من مصر عبر هذه القناة إلى فارس بمقتضى رغبتي» (٥٩) .

لقد كان الدافع وراء حفر تلك القناة تيسير وصول سفن الجزية إلى فارس عن طريق البحر الأحمر والمحيط الهندي ثم الخليج العربي، وقد وصل عدد السفن المارة من هذه القناة حوالي أربع وعشرين سفينة سنوياً، وكذلك كان من أسباب إنشاء هذه القناة أيضاً التقليل من النشاط التجاري الملاحي المتجه نحو إغريق نقراطيس في غرب الدلتا، كذلك يمكن اعتبار القناة مرحلة من مراحل تنشيط التجارة البحرية المتبادلة مع الهند (٦٠) .

يذكر بعض الباحثين أنه على الرغم من المعاملة الحسنة من بعض حكام الفرس لمصر فإن المصريين تحملوا– بنوع من المعاناة والصبر– هؤلاء الملوك وأعمالهم، فقد لاحظ المصريون بأن ثروات بلادهم تنقل إلى فارس وبخاصة بعد شق القناة، ويذكر أحد الباحثين بأنه في نصوص محاجر الحمامات ذُكر أن الأحجار التي كانت تقطع هناك تستخدم لصالح الاحتلال الفارسي، كذلك قام المصريون بثورة في الدلتا عام ٤٨٦ق.م كان أهم أسبابها فداحة الضرائب، فقد وُجدت إشارة في أحد الخطابات المكتوبة إلى استيلاء

الثائرين على شحنة سفينة فارسية محملة بالغلال التي تجبى من الأهالي، لكن داريوس الأول توفي قبل أن يُخمد هذه الثورة في العام نفسه ٤٨٦ق. م وكان عمره قد ناهز الأربعة والستين عاماً، حكم خلالها ستة وثلاثين عاماً [٦١] .

٣ـ إكسركسيس الأول:

اعتلى إكسركسيس الأول العرش الفارسي مباشرةً عقب وفاة داريوس عام ٤٨٥ق.م وفي ثاني سني حكمه اتجه إلى مصر لتحقيق غاية راودت أباه داريوس قبل وفاته وهي الثأر من المصريين لمساندتهم لبعض الثورات ضد الوجود الفارسي، وكذلك ثأراً للهزيمة التي مُنيت بها القوات الفارسية على يد اليونان بمساندة المصريين في ماراثون عام ٤٩٠ق. م، وبالفعل لم يجد صعوبة تذكر في إنجاز تلك المهمة [٦٢] ، وعين إكسركسيس أخاه أخمينس (Akmienes) والياً على مصر، وأطلق يده فيها قبل عودته إلى فارس، فأنزل بها أشد أنواع القسوة والعبودية، ووصل به الأمر أنه اختلس من المعابد المصرية ما غفل عنه قمبيز من قبله [٦٣] .

لقد أرسل أخمينس كل بحار وجندي محارب من مصر إلى أخيه أكسركسيس ليشتركوا في الحرب ضد اليونان، وبخاصة بعدما أظهر المصريون مهارة عالية في مجال الإبحار وبخاصة في معركتي سلاميس وأرتميس البحريتين عام ٤٨٠ ق. م وكذلك الشجاعة الفائقة للجندي المصري في معركة بلاتيا، بالتالي كانت الحروب الفارسية اليونانية هي العلامة المميزة لفترة حكم أكسركسيس، وبالتالي أهمل شؤون مصر الداخلية [٦٤] ، وهذا ليس دليلاً على إهماله للعالم القديم المجاور، فقد ذكر بعض المؤرخين أمثال هيرودوت أن بابل لم تسلم من شرور الفرس في عهد أكسركسيس فيذكر: «أن أكسركسيس أتي منكراً في بابل، لم يأته ملك من ملوك الفرس السابقين.. فقد أمر بإبعاد تمثال بعل مردوك من المعبد، ومن ثم نجد أن ملكية بابل قد أُلغيت... » [٦٥] .

اغتيل إكسركسيس بعد الهزيمة التي منى بها الأسطول الفارسي أمام البحرية اليونانية، ليعتلي العرش من بعده أرتاكسركسيس الذي ينسب إليه وإلى إكسركسيس نشاطهما المفرط في قطع أحجار وادي الحمامات، ونقلها إلى فارس عبر البحر الحمر عن طريق القناة التي حفرها داريوس لتُستغل في بناء المباني المهمة كالقصور والمعابد [٦٦] .

٤ـ أرتاكسركسيس الأول:

تميزت فترة حكم الملك أرتاكسركسيس باندلاع العديد من الثورات ضد الفرس في أنحاء مصر القديمة المختلفة ولقيت هذه الثورات والتمردات دعماً كبيراً من العدو اللدود

للفرس، ونحن نشير إلى اليونان، وبخاصة أثينا التي سعت جاهدة إلى وضع دعائم قوية في مصر القديمة من أجل إنعاش المصالح اليونانية بها، وقد باءت محاولاتها بالفشل إذ استطاع الفرس القضاء على تلك الثورات، محاولين إعادة الاستقرار إلى مصر القديمة، ففتحوا أبواب مصر على مصراعيها للاستفادة الأجنبية، حتى لليونانيين أنفسهم [٦٧] . وفي خضمِّ هذه الأحداث أُغتيل الملك أرتاكسركسيس في ظروف غامضة، ويذكر مهران بأنه قُتل بيد أخيه لكن لم يحدد أيهم بالضبط، غير أنه من المرجع أن يكون داريوس الثاني، أو على الأقل بتدبير منه مما مكَّنه من اعتلاء عرش فارس عام ٤٢٣ق. م [٦٨] .

٥ـ داريوس الثاني:

لم يأت داريوس الثاني إلى الحكم مباشرةً بعد اغتيال أرتاكسركسيس وإنما جاء بعد سلسلة من الاغتيالات الملكية، فقد كان أكسركسيس الثاني هو الوريث الشرعي، لكنه اغتيل عام ٤٢٤ق. م على يد أخيه سوجديانوس (Sogdyanus) الذي اعتلى الحكم مؤقتاً، لكنه تعرض للاغتيال أيضاً على يد داريوس الثاني في السنة نفسها، وبالتالي أُعتبر داريوس الثاني الخليفة الحقيقي لأرتاكسركسيس؛ لأن من سبقوه لم يُعمروا طويلاً، إن اعتلاء ثلاث ملوك فارسيين عرش فارس خلال سنة واحدة، إنما يدل على أن أمور فارس الداخلية دخلت مرحلة التضعضع، وهذا بالضرورة سينعكس على الأقاليم التي كانت تابعة للفرس، ومنها مصر القديمة [٦٩] .

حاول الملك داريوس الثاني منذ توليه الحكم في فارس جاهداً تهدئة الأوضاع في مصر القديمة، لكن بوادر الثورة طفت على السطح حتى أصبحت واضحة وشاملة عام ٤١٠ق. م فكان أول من احترق بلهيبها اليهود (*) الذين ومنذ دخولهم إلى مصر هرباً من الآشوريين، أصبحوا يعيشون في تجمعات، فكونوا حامية في الفنتين (أسوان) وبالرغم من حسن معاملة المصريين لهم، فإنهم ساعدوا الفرس في العديد من المرات في القضاء على الثورات المصرية، فكان ذلك بمثابة المحرك الأكبر لخلق هذه العداوة التي أنتجت ثورة ضد حامية اليهود في الفنتين في منطقة قصر أنس الوجود، حيث دمر الثائرون معبداً لليهود هناك عام ٤١٠ ق. م فتشتت اليهود وانتشرت الثورة في كل أنحاء مصر، وبقى المعبد مدمراً ثلاث سنوات على الرغم من الجهود المبذولة لإعادة إعماره، وقد عُثر في خرائب الفنتين على رسائل مكتوبة بالآرامية تذكر بأن الثورة قامت في العام الرابع عشر من حكم الملك داريوس الثاني، وذُكر فيها أنه في العام نفسه أُحرق المعبد اليهودي، وأن شخصاً يُدعى (فيدارانج) (Vedarang) هو من قام بحرقه، وربما يكون من أصل كوشي [٧٠] .

استقلال مصر عن الفرس:

عاشت مصر القديمة فترة تخبط دائم بين هدوء وعاصفة إبان حكم الأسرة السابعة والعشرين الأجنبية الفارسية، إذ تهب الثورات متقطعة بالرغم من وجود الشعور القومي المتنامي لدى المصريين من أجل الحصول على الاستقلال الذي لم يتحقق حتى عام ٤٠٤ق. م، هذا التاريخ الذي يعد البداية الحقيقية لفترة جديدة من فترات التاريخ الفرعوني وبداية لحكم أسرة فرعونية مستقلة سُميت بالأسرة الثامنة والعشرين التي لم تستمر طويلاً، فانتهت عام ٣٩٩ق. م لتخلفها أسرتان مصريتان، التاسعة والعشرون والثلاثون اللتان حاول فيها الفرس خلالهما استعادة السيطرة على هذا الإقليم الضائع ذي الأهمية البالغة، بالتالي يمكن أن نعتبر الغزو الفارسي لمصر القديمة غزواً ذا مرحلتين، ذلك أن الأسرة السابعة والعشرين كانت فارسية، ثم جاءت بعدها ثلاث أسر مصرية ثم عاد الفرس ليؤسسوا أسرة فارسية جديدة لم تُعمَّر طويلاً.

بعد نهاية الحرب مع إفاجوراس (Evagoras) ملك سلاميس (في قبرص) بدأ الفرس يستعدون للقيام بحملة جديدة هادفين من ورائها إعادة السيطرة التامة على مصر القديمة، وقد طلب الفرس من أجل ذلك من اليونان العمل على استدعاء خابرياس الأثيني (Khabryas) ، ومن معه من قوات من مصر، فإن هذا الأمر لا يُعد دليلاً واضحاً على أن الحرب الفارسية الثانية على مصر وُلدت ساعتها، ذلك أن الأمور لم تتهيأ بعد نتيجة أسباب أهمها: عمل اليونان على تحرير مدينة طيبة اليونانية عام ٣٧٩ق. م، وكذلك النشاط البحري الواسع الذي أظهرته أثينا، الذي أدى إلى قيام إمبراطوريتها الثانية عام ٣٧٧ق. م، إضافة إلى الاستعدادات الحربية التي عملت فارس على توفيرها للقيام بالحملة على مصر، كل ذلك تطلب وقتاً طويلاً [٧١] ، وفي هذا الشأن يذكر سليم حسن: أن الحملة الفارسية على مصر لم يكن الاستعداد لها قد اكتمل إلا في عام ٣٧٤ق. م، أي بعد خمس أو ست سنوات من موت أخوريس آخر ملوك الأسرة التاسعة والعشرين [٧٢] .

وبما أن نقطانب الأول (٣٨٠– ٣٦٢ق. م) أول ملوك الأسرة الثلاثين كان على علم بنوايا الفرس تجاه مصر، فإنه لم يتوان عن الاستعداد والتأهب، لذلك جهز عساكره وأمدهم بالمعدات الحربية متأهباً بذلك لرد الفرس عن بلاده، وفي السنة الثانية من حكمه هاجمته قوات التحالف الفارسية الأثينية براً وبحراً بقيادة فرناياز (Frnayas) الفارسي وأفيكراتيس (Afikratis) الأثيني [٧٣] ، وقد قدر الباحثين الجيش الفارسي في هذه الحملة بحوالي مائتي ألف (٢٠٠٠٠٠) جندي فارسي، وعشرين ألف (٢٠٠٠٠) من مرتزقة الإغريق الذين كان أكثرهم ممن عادوا مع خابرياس الأثيني من مصر، وبالتالي فهم على

دراية كافية بالأراضي المصرية، يضاف إلى الأعداد السابقة ثلاثمائة سفينة (٣٠٠) من ذوات الثلاث صفوف من المجاذيف، ومن البديهي أن هزيمة جيش كهذا تتطلب الاستعداد التام والتجهيزات الكثيرة، وهذا بالضبط ما فعله نقطانب الأول [٧٤].

نزلت قوات التحالف في منطقة –أشتوم– (أم فرج) عند البحر المنديسي (الفرع المنديسي للنيل) ، وعلى السواحل التقى التحالف الفارسي الأثيني بالجنود المصريين المكلفين بحماية السواحل وهزموهم، ليحدث بعدها خلاف بين القائدين بشأن احتلال مدينة منف، حيث رأى أفيكراتيس أن يزحف عليها ليحتلها، لكن فرناياز عارضه في ذلك، وهذا الأمر أتاح الفرصة لنقطانب الأول للاستعداد والزحف عليهم والانتصار فيما بعد بشكل كبير على مقربة من منديس، وحصنت مدينة منف، وطارد نقطانب الأول بقايا فلول ذلك التحالف الذي لجأ معظم جنوده للاحتماء في السفن بالنيل، وكان ذلك فترة الفيضان، فأُجبروا على الخضوع والإذعان، ويذكر أحد الباحثين بأنه قد مات منهم خلق كثير جداً وتخلصت البلاد من شرهم، وعلت كلمة نقطانب الأول، وظهر نبله وارتاحت البلاد بنهضته بعد أن ذاقت من الفرس العذاب المرير لمدة خمسة وعشرين عاماً [٧٥].

إن الإمبراطورية الفارسية كانت تعاني من اتساع رقعة أراضيها، وكان نظام السترابيات (الولايات) الذي اعتمدت عليه قد زاد الطين بلة بالنسبة للفرس، وبخاصة أن ارتاكسركسيس الثاني تقدم في السن، وبدأ عجزه يظهر في لم شمل أقاليم الإمبراطورية، مما دعى بعض الولايات أمثال كبادوكيا وكاريا وأقاليم الإمبراطورية الحدودية إلى محاولة الاتجاه نحو وضع أشبه بالحكم الذاتي مع حلول عام ٣٧٠ق. م، وكان إقليم كبادوكيا أول من أعلن التمرد عام ٣٦٨ق. م ثم بعد ذلك إقليم فريجيا، ثم إسبرطة وأثينا، وبالتالي أصبحت كل الأقاليم الغربية من الإمبراطورية والمحصورة بين أرمينيا وفينيقيا على وشك الانفصال عن جسم الإمبراطورية، وفي أقل من خمس سنوات جاءت ثورة الولايات الكبرى التي بلغت أوجها أواخر أيام أرتاكسركسيس الثاني، غير أن ذلك لا يُعد مؤشراً على انهيار الإمبراطورية الفارسية التي ما زالت حتى ذلك الحين تسيطر على الجزء الأكبر من ولاياتها، وقد استطاعت مصر في ذلك الوقت التفاوض مع كل الولايات الثائرة فأمدت بعضها بالمال، وبخاصة بعد أن أعادت اتصالاتها عام ٣٦٦ق. م بكل من إسبرطة وأثينا [٧٦].

ذكر عبد العزيز صالح أن حركة العمران قد اتسعت في عهد نقطانب الأول لتشمل المنطقة من شمال الدلتا حتى جزيرة فيلاي جنوبي أسوان [٧٧] ، وقد أشاد مهران بمجد مصر القديمة بعد انجلاء الغمة الفارسية عنها فترة حكم نقطانب الأول، فذكر أن: « الفن قد ازدهر في مصر القديمة وتقدمت التجارة الخارجية، ونشط العمران في المعابد» [٧٨] . وبعد أن توفي نقطانب الأول انفرد ابنه تاخوس بالحكم عام ٣٦١ق. م، فاتبع أسلوباً

مغايراً تماماً لأسلوب والده في علاقته مع اليونان فأعاد صلته المباشرة مع إسبرطة وأثينا، واعتمد عليهما في تجنيد أعداد هائلة من الجنود المرتزقة مقابل مبالغ مالية هائلة (٧٩) . في هذه الاثناء بدأ الفرس في العمل حثيثاً من أجل النيل منه، ففشلوا في العديد من المرات، غير أن تاخوس تعرض للخيانة من قبل أخيه الذي تركه نائباً عنه في مصر، فترة فتوحاته، هذا الذي ألب الأمور ضد تاخوس، فأراد بذلك الحكم لنفسه ولابنه من بعده، وقد علَّق مهران على حب أمراء الدلتا للحكم بقوله: «ففي مصر كان الأذى يأتي من وراء نزوة الحكم وشهوة السلطان التي أُصيب بها أمراء الدلتا في تلك الفترة الحرجة من تاريخ الكنانة –مصر– وقد دفعت مصر ثمنها غالياً» (٨٠) .

ونتيجة لكل هذه الأحداث انفصلت قوات المرتزقة اليونانية عن صفوف القوات المصرية، فتبعثرت آمال تاخوس وجيوشه وأُصيب بالخيبة، ونكاية فيما حدث لجأ تاخوس إلى عدوه اللدود الفرس بعد أن حصل على عفو من الملك الفارسي، فقيل بأنه بقى منفياً في صيدا الفينيقية، غير أن بعض الباحثين أكدوا بأن الملك الفارسي أعد تاخوس وأرسله إلى مصر ليكون نائبه فيها، غير أن الأجل وافاه في طريقه إليها (٨١) .

اعتلى نقطانب الثاني عرش مصر عام ٣٦٠ق. م، فاستغل الوقت الذي كان فيه الملك أرتاكسركسيس الثالث مشغولاً بفينيقيا، فسارع لمحاولة إقرار الأمن في أرجاء مصر القديمة، فاتجه إلى إقامة محطات أمنية في أرجاء مختلفة، وعمل على إقامة المعابد في العديد من المناطق، فنعمت بذلك مصر بالهدوء والسلام فترة ناهزت الخمسة عشر عاماً، وقيل إثنى عشر عاماً، وكانت هذه الفترة قابلة للزيادة لولا تدخل نقطانب الثاني في ثورة قامت في فينيقيا عام ٣٤٤ق. م حيث أمدها بالمتطوعين، مما أثار حقد الملك الفارسي الذي عقد العزم على غزو مصر مرة أخرى (٨٢) .

وعمد أرتاكسركسيس إلى تجنيد أعدادٍ هائلة من المرتزقة اليونان، لكي يحقق بهم مساعيه في مصر، فبدأ بصيدا فأصاب منها ما أصاب، واحتلها بعد الخيانة التي تعرض لها جيشها من ملكهم تيناس (Tinas) الذي أفشى بأسرارهم لأرتاكسركسيس الثالث فسلمهم بذلك له، ولم ينج هو أيضاً بل قُتل على يد أرتاكسركسيس الثالث، وقد استبسل أهل صيدا في الدفاع عنها حتى قِيل بأنهم أحرقوا سفنهم حتى يقطعوا على أنفسهم خط العودة فإما النصر وإما الموت بكرامة، وقد لاقت صيدا من الدمار والخراب على يد الفرس الشيء الكثير، مما دعا المدن الفينيقية الأخرى إلى التسليم (٨٣) ، ومن هنا بدا الباب مفتوحاً على مصراعيه للعودة الفارسية إلى الأمجاد باحتلالها لمصر في غزو اعتبره الباحثون غزواً ثانياً لها.

خاتمة:

توصل الباحث في بحثه الموسوم ب (مصر القديمة والغزو الفارسي الأول) إلى نتائج عدة أهمها:

١. إن طبيعة بلاد فارس منذ القدم كانت عاملاً أساسياً في تكوين شخصية الفرس، وأسهمت بشدة في توجيه سياسات الإمبراطورية الفارسية نحو الغزو وتوسيع رقعة حدودها الجغرافية.

٢. إن الشخصية السياسية الفذة أدَّت دوراً أساسياً في بناء قوة الشعب الفارسي ووحدته، وتمثلت تلك الشخصية في شخص قورش، الذي- ورغم سياساته الاستعمارية- لم نجد ما يفيد بأنه كان ينوي غزو مصر.

٣. إن ظهور ملوك بعضهم متسلط، وبعضهم الآخر ضعاف الشخصية، أدى إلى زيادة تحامل المصريين على الوجود الفارسي، وأصبحت الثورات سمة أساسية تظهر بوضوح على الساحة المصرية القديمة، تهدف في مجملها إلى التخلص من الهيمنة الفارسية، ولو باستبدالها بهيمنة أخرى، كما حدث مع الإسكندر المقدوني مثلاً.

٤. لم يكن الاستعمار الفارسي استعماراً حضارياً ثقافياً، بقدر ما كان يهدف إلى استغلال مصر أيما استغلال، باعتبار أنها مصدر مهم من مصادر الغذاء، متمثلاً في القمح، أو حتى لأجل استغلال محاجرها التي تُنقل حجارتها إلى بلاد فارس لاستغلالها في بناء القصور الملكية هناك.

٥. كان الغزو الفارسي الأول لمصر القديمة غزواً أطول بكثير من الغزو الثاني لها. وقد كان ضعف ملوك مصر سبباً رئيساً في أن أعاد الفرس غزوها مرة أخرى، غير أن طموح الإسكندر المقدوني كان جداراً منيعاً وسبباً في توقف المسيرة الاستعمارية للإمبراطورية الفارسية.

الهوامش:

(*) جبال القوقاز: اصطلح بعض المؤرخين على تسميتها باسم جبال سليمان أيضاً، راجع: علي. رمضان عبده، تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته إلى مجيء حملة الإسكندر الأكبر، ج١، إيران– العراق، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، د. ت، ص٤٧.

١. علي. رمضان عبده، المرجع نفسه، ص. ص٤٧– ٤٨.

٢. عصفور. محمد أبو المحاسن، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٧، ص٢٦٥. وكذلك دونالدولبر، إيران ماضيها وحاضرها، (تر: عبد النعيم محمد حسنين) ، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٥٨م، ص. ص١٠– ٢٠.

٣. علي. رمضان عبده، الشرق الأدنى القديم وحضاراته منذ فجر التاريخ حتى مجيء حملة الإسكندر الأكبر، إيران– الأناضول، كلية الآداب، جامعة المنيا، د. ت، ص١٠.

٤. عصفور. محمد أبو المحاسن، مرجع سابق، ص٢٦٥.

(*) مكلة ميتاني: لم يصل علماء اللغات المتخصصون إلى إجابة موحدة عن أصل الحوريين– الميتانيين حتى اليوم، فلغتهم لا نجد لها شبيهاً بأية لغة أخرى معروفة، وإن كان هناك بعض التشابه البسيط مع اللغة الأوراتية والكلدية، بهذا الخصوص، يراجع، الكاتب: سيف الدين، وآخرون، أطلس تاريخ الحضارات، أطلس التاريخ القديم، دار الشرق العربي، حلب، ٢٠٠٤م، ص١٤.

٥. عصفور. محمد أبو المحاسن، مرجع سابق، ص. ص٢٦٦– ٢٦٧.

٦. حلمي. أحمد كمال الدين، ٣٥٠٠ عام من عمر إيران، ج١، منذ أقدم العصور حتى نهاية العصر الغزنوي، مؤسسة جراج الصباح، الكويت، ١٩٧٩م، ص. ص١١٤– ١١٨.

٧. عصفور. محمد أبو المحاسن، مرجع سابق، ص٢٦٧.

٨. حسن. سليم، مصر القديمة، من العهد الفارسي إلى دخول الإسكندر الأكبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج١٣، القاهرة، د. ت، ص٥٨١.

٩. حسن. سليم، مرجع سابق، ص. ص٢٨١– ٢٨٢.

١٠. ديورانت، ول، قصة الحضارة، مج١، ج٢، الشرق الأدنى، نشأة الحضارة، (تر: زكي نجيب محمود، محمد بدران) ، القاهرة، د. ت، ص٤٠٩.

١١. سليم. أحمد أمين، دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم، العراق، إيران، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٢م، ص٣٤٠.

(*) السنسكريتية: هي اللغة الأدبية الهندية القديمة، وكان مصطلح (السنسكريت) قد أعلن عنه النحاة الهنود ويعني (المنجز والمكتمل والصحيح قواعدياً أي لغة المجتمع المتعلم وآدابه) وبالمعنى الواسع تشمل السنسكريتية كل الأشكال والصيغ الأدبية للغة الهندية القديمة ومن ضمنها لغة الأدب الفيدي، وبالمعنى الضيق هي فقط الكلاسيكية المثبتة قواعدها وأصولها في قواعد بانيني (القرن الرابع ق. م) للمزيد من المعلومات، يراجع: الملا. زياد، لغات العالم الحية والميتة، الأهالي للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، ١٩٩٩م، ص. ص١٦٥– ١٦٦.

١٢. ديورانت. ول، مرجع سابق، ص٤١٥.

١٣. سليم. أحمد أمين، مرجع سابق، ص٤١٥.

١٤. ديورانت. ول، مرجع سابق، ص٤١٠.

١٥. سليم. أحمد أمين، مرجع سابق، ص٣٤٢.

١٦. زايد، عبد الحميد، الشرقم الخالد، مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام ٣٣٢ق. م، دار النهضة العربية، القاهرة، د. ت، ص٥٩٨.

١٧. سليم. أحمد أمين، مرجع سابق، ص٣٤٢.

١٨. ديورانت. ول، مرجع سابق، ص. ص٤١١– ٤١٢.

١٩. زايد. عبد الحميد، مرجع سابق، ص٥٩٧.

٢٠. المصري. حسين مجيب، إيران ومصر عبر التاريخ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧١م، ص٥. وللمزيد من المعلومات عن العلاقات القديمة بين مصر وبلاد فارس، يراجع: آل علي، نور الدين، جوانب من الصلات الثقافية بين إيران ومصر، المركز الثقافي الإيراني بالقاهرة، ١٩٧٨م، ص. ص. ط– ص.

٢١. دونالدولبر، إيران ماضيها وحاضرها، مرجع سابق، ص٢٨.

٢٢. واكيم. سليم، إيران في الحضارة، الجامعة الليبية، بنغازي، ١٩٧١م، ص٢٨.

(*) الهخامنيشون: جاءت التسمية نسبة إلى (هخامنش) جد الفرس في عيلام، يراجع: محمد. جميلة عبد الكريم، قورينائية والفرس الإخمينيون، منذ إنشاء قوريني حتى سقوط أسرة باتوس، دار النهضة، بيروت، ١٩٩٦م، ص٤٠.

٢٣. حلمي. أحمد كمال الدين، مرجع سابق، ص١٢٠.

٢٤. خفاجة. محمد صقر، هيرودوت يتحدث عن مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٥١.

٢٥. خفاجة. محمد صقر، مرجع سابق، ص٥٢.

٢٦. واكيم. سليم، مرجع سابق، ص٢٩.

٢٧. واكيم. سليم، مرجع سابق، ص٣٠

٢٨. رافع، رفاعة بدوي، خطبة بداية القدماء وهداية الحكماء، المكتبة الدوارية، القاهرة، ١٢٨٢هـ، ص٦٧.

٢٩. حلمي، أحمد كمال الدين، مرجع سابق، ص١٢٣.

٣٠. القرآن الكريم، سورة الكهف: الآية (٨٣) .

٣١. رافع. رفاعة بدوي، مرجع سابق، ص٦٧ نقلاً عن هيرودوت.

٣٢. رافع. رفاعة بدوي، مرجع سابق، ص٨٦ نقلاً عن زنفون.

(*) كيتاسيوس (Ketasius) طبيب إغريقي ولد في كندوس (Kendos) وكان من المتحمسين لقورش وأكثر الملمين بأخباره، يراجع: خفاجة، محمد صقر، مرجع سابق، ص٥٢.

٣٣. خفاجة. محمد صقر، مرجع سابق، ص٥٢، هامش ٢.

٣٤. كامل. وهيب، ديودور الصقلي في مصر، القاهرة، ١٩٤٧م، فقرة ٧٣.

(*) دفن قورش في (بازارجاد) ويطلق على مقبرته اليوم اسم مشهد مادري سليمان (Madri sulaiman) ، يراجع بالخصوص، محمد. جميلة عبد الكريم، مرجع سابق، ص٥٠.

٣٥. حلمي. أحمد كمال الدين، مرجع سابق، ص١٢٢.

٣٦. حسن. سليم، مصر القديمة، ج١٣، مرجع سابق، ص٢.

٣٧. رافع. رفاعة بدوي، مرجع سابق، ص٦٧.

(**) أوجاحار رسن (Udjaharresne) : كان أحد كبار الموظفين في البلاط الفرعوني، وكان مثقفاً وكاهناً في سايس وطبيباً وقائداً للأسطول في عهد أحمس الثاني (٥٨٩– ٥٢٦ق. م) وبسماتيك الثالث (٥٢٦– ٥٢٥ق. م) وقد سجل سيرته الذاتية على تمثال على هيئة ناووس (موجود في متحف الفاتيكان) وقد وضح فيها أنه قام بمساعدة قمبيز على الإلمام بحضارة مصر وثقافاتها، ويقول بأنه بعد ذلك أصبح المشرف والمسؤول عن القصر الملكي، والمختص بإطلاق الألقاب في القصر، خصوصاً لقب الملك (ملك الوجهين القبلي والبحري) ويقال له (مستيورع) يراجع: جريمال، نيقولا، تاريخ مصر القديمة، تر: ماهر جويجاتي، دار الفكر، القاهرة، ط٢، ١٩٩٣م، ص٤٧٤. وكذلك يراجع: لالويت، كلير، نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، تر: ماهر جويجاتي، م١، عن الفراعنة

والبشر، دار الفكر، القاهرة، ١٩٩٦م، ص٢٥٢.

٣٨. حسين. أحمد، موسوعة تاريخ مصر، ج١، دار الشعب، القاهرة، ١٩٩٣م، ص١٦٢.

٣٩. حسن. سليم، مرجع سابق، ص٢.

(*) الفرما: تقع شرقي مدينة بور سعيد الحالية، وكانت تقع إلى الغرب من الفرع البيلوزي بحوالي ٧ كيلو مترات.

٤٠. زايد. عبد الحميد، مرجع سابق، ص٦٠٩.

٤١. رافع. رفاعة بدوي، مرجع سابق، ص٦٠٩.

٤٢. حسين. أحمد، مرجع سابق، ص١٦٢.

٤٣. Heredotus. III- 13- 15, L. C. L

٤٤. سليم. أحمد أمين، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مصر وسورية القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د. ت، ص٢٣٢.

٤٥. هاليت. بوفيل روبن، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر: الهادي بولقمة، ومحمد عزير، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ١٩٨٨، ص. ص٨١– ٨٢. وللمزيد من المعلومات عن قمبيز وواحة سيوه يراجع: فخري. أحمد، واحات مصر، المجلد الأول، واحة سيوه، تر: جاب الله علي جاب الله، سلسلة الثقافة الأثرية التاريخية، العدد ٢٠، ١٩٩٣م، ص١١٠.

٤٦. 46Heredotus. III- 13- 15, L. C. L

٤٧. زايد. عبد الحميد، مرجع السابق، ص٦١٠. ويذكر عبد العزيز صالح، بأن كلاً من فيدمان. ودريتون، وبوزنر، يرون بأن كل ما يُعرف عن موقف قمبيز إزاء أبيس هو تأخير دفنه نحو عشرة شهور، لأسباب غير معروفة، وهي فترة أطول بكثير مما تتطلبه عملية تحنيطه، يراجع: صالح. عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ج١، ط٣، د. ت، ص٣١٢، هامش ٣.

٤٨. علي. رمضان عبده، تاريخ مصر القديم، دار النهضة الشرقية، القاهرة، ج٢، ٢٠٠١ف، ص٤٣١.

٤٩. سليم. أحمد أمين، مرجع سابق، ص٣٣٢.

٥٠. علي. رمضان عبده، تاريخ مصر القديم، مرجع سابق، ص٤٣١.

(*) المن: وحدة قياس للوزن تساوي رطلاً واحداً.

٥١. محمد. جميلة عبد الكريم، مرجع سابق، ص٣١٠. وللمزيد من المعلومات يراجع: خشيم. علي فهمي، نصوص ليبية، دار الفكر، طرابلس، ١٩٧٥، ص٤٣. هامش ٣.

٥٢. مهران. محمد بيومي، مصر منذ قيام الدولة الحديثة حتى الأسرة الحادية والثلاثين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ج٣، ط٤، ١٩٨٨م، ص. ص٦٧١- ٦٧٢. وللمزيد عن حكم قمبيز وخلفائه في مصر، يراجع: المصري. حسين مجيب، إيران ومصر عبر التاريخ، مرجع سابق، ص. ص٥- ١٧.

٥٣. زايد. عبد الحميد، مرجع سابق، ص. ص٦٢١- ٦٢٢.

٥٤. المرجع نفسه، ص٦٢٢، وكذلك نور الدين. عبد الحليم، دراسات في تاريخ وحضارة مصر القديمة، ط١، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٣١٧.

وقد ذُكر داريوس الأول حتى في أسفار العهد القديم (التوراة) ، يراجع: الكتاب المقدس، المصدر السابق، سفردانيال، الإصحاح الحادي عشر، ص. ص١٢٨٢- ١٢٨٥.

٥٥. كامل، وهيب، مرجع سابق، فقرة ٩٢.

٥٦. شاروبيم بك. ميخائيل، الكافي في تاريخ مصر القديم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ج١، ط٢، ١٩٧٧م، ص. ص٢٢٤- ٢٢٥.

٥٧. مهران. محمد بيومي، مصر منذ قيام الدولة الحديثة حتى الأسرة الحادية والثلاثين، مرجع سابق، ص٦٧٣.

٥٨. سليم. أحمد أمين، مرجع سابق، ص. ص٣٣٤- ٣٣٥.

٥٩. حسين. أحمد، مرجع سابق، ص١٦٣.

٦٠. خفاجة. محمد صقر، مرجع سابق، الفقرات ١٥٨- ١٥٩، وعن تاريخ شق القناة، يراجع: جورج بوزنر وآخرون، مرجع سابق، ص. ص٢٧٧- ٢٧٨.

٦١. حياة داريوس الأول وأعماله، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية العدد ٢٥، القاهرة، ١٩٧٨م، ص. ص٣٠- ٤٢.

٦٢. نور الدين. عبد الحليم، مرجع سابق، ص٣٢١.

٦٣. إبراهيم. نجيب ميخائيل، تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم، ج١، الكتاب الثاني، القاهرة، ١٩٥٨م، ص٣٣٧.

٦٤. إبراهيم. نجيب ميخائيل، مرجع سابق، ص١٠٩، وكذلك: حتي. فيليب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، تر: جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٨، ص٢٤٦.

٦٥. Heredotus. III- 13- 15, L. C. L.

٦٦. حسن. سليم، مرجع سابق، ص١١٠.

٦٧. فخري. أحمد، مصر الفرعونية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م، ص٤٦٢، وكذلك: نور الدين. عبد الحليم، مرجع سابق، ص٣٢٣.

٦٨. مهران. محمد بيومي، مرجع سابق، ص٦٧٩.

٦٩. حلمي. أحمد كمال الدين، مرجع سابق، ص١٣٤. وكذلك: محمد. جميلة عبد الكريم، مرجع سابق، ص٩٠.

(*) للمزيد من الإيضاح عن الوضع اليهودي في العهد الفارسي في مصر القديمة، يراجع: حسن. محمد خليفة، التاريخ اليهودي القديم وعلاقته بالتاريخ الفلسطيني القديم، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م، ص. ص٥٠– ٥٣.

٧٠. الناصري. سيد أحمد علي، الشرق الأدنى في العصر الهلينستي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٥– ١٩٩٦، ص. ص٢٥– ٢٦. وكذلك: شكري. أنور، العمارة في مصر القديمة، القاهرة، ١٩٦٠ف، ص٤٤٤.

٧١. حسن. سليم، مرجع سابق، ص١٧٩.

٧٢. المرجع نفسه، ص١٧٩. نقلاً عن ديودور الصقلي.

٧٣. حسين. أحمد، مرجع سابق، ص١٦٩.

٧٤. مهران. محمد بيومي، مصر منذ قيام الدولة الحديثة حتى الأسرة الحادية والثلاثين، مرجع سابق، ص٦٨٦.

٧٥. شاروبيم بك. ميخائيل، مرجع سابق، ص٢٣٣.

٧٦. جريمال. نيقولا، مرجع سابق، ص. ص٤٨٤– ٤٨٥.

٧٧. صالح. عبد العزيز، مرجع سابق، ص٣٢٣.

٧٨. مهران. محمد بيومي، مرجع سابق، ص٦٨٧.

٧٩. سليم. أحمد أمين، مرجع سابق، ص٢٦٧.

٨٠. مهران. محمد بيومي، مرجع سابق، ص٦٨٩.

٨١. حسين. أحمد، مرجع سابق، ص١٧٠.

٨٢. نور الدين. عبد الحليم، مرجع سابق، ص٣٣٢.

٨٣. جريمال. نيقولا، مرجع سابق، ص٤٨٧.

المصادر والمراجع:

أولاً- المراجع العربية والمعربة:

١. إبراهيم. نجيب ميخائيل، تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم، ج١، الكتاب الثاني، القاهرة، ١٩٥٨م.

٢. آل علي، نور الدين، جوانب من الصلات الثقافية بين إيران ومصر، المركز الثقافي الإيراني بالقاهرة، ١٩٧٨م.

٣. جريمال. نيقولا، تاريخ مصر القديمة، تر: ماهر جويجاتي، دار الفكر، القاهرة، ط٢، ١٩٩٣م.

٤. حتي. فيليب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، تر: جورج حداد، وعبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٨م.

٥. حسن. سليم، مصر القديمة، من العهد الفارسي إلى دخول الإسكندر الأكبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج١٣، القاهرة، د. ت.

٦. حسين. أحمد، موسوعة تاريخ مصر، ج١، دار الشعب، القاهرة، ١٩٩٣م.

٧. حسين. محمد خليفة، التاريخ اليهودي القديم وعلاقته بالتاريخ الفلسطيني القديم، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م.

٨. حلمي. أحمد كمال الدين، ٣٥٠٠ عام من عمر إيران، ج١، منذ أقدم العصور حتى نهاية العصر الغزنوي، مؤسسة جراج الصباح، الكويت، ١٩٧٩م.

٩. حياة داريوس الأول وأعماله، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية العدد ٢٥، القاهرة، ١٩٧٨م.

١٠. خشيم. علي فهمي، نصوص ليبية، دار الفكر، طرابلس، ١٩٧٥م.

١١. خفاجة. محمد صقر، هيرودوت يتحدث عن مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م.

١٢. دونالدولبر، إيران ماضيها وحاضرها، تر: عبد النعيم محمد حسنين، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٥٨م.

١٣. ديورانت، ول، قصة الحضارة، مج١، ج٢، الشرق الأدنى، نشأة الحضارة، (تر: زكي نجيب محمود، محمد بدران) ، القاهرة، د. ت.

١٤. رافع، رفاعة بدوي، خطبة بداية القدماء وهداية الحكماء، المكتبة الدوارية، القاهرة، ١٢٨٢هـ.

١٥. زايد، عبد الحميد، الشرقم الخالد، مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام ٣٣٢ق. م، دار النهضة العربية، القاهرة، د. ت.

١٦. سليم. أحمد أمين، دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم، العراق، إيران، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٢م، ص٣٤٠.

١٧. سليم. أحمد أمين، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مصر وسورية القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د. ت.

١٨. شاروبيم بك. ميخائيل، الكافي في تاريخ مصر القديم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ج١، ط٢، ١٩٧٧م.

١٩. شكري. أنور، العمارة في مصر القديمة، القاهرة، ١٩٦٠ف.

٢٠. صالح. عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ج١، ط٣، د. ت.

٢١. عثمان. أحمد، تاريخ اليهود، ج١، مكتبة الشروق، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٢م.

٢٢. عصفور. محمد أبو المحاسن، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٧.

٢٣. علي. رمضان عبده، تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته إلى مجيء حملة الإسكندر الأكبر، ج١، إيران– العراق، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، د. ت.

٢٤. علي. رمضان عبده، تاريخ مصر القديم، دار النهضة الشرقية، القاهرة، ج٢، ٢٠٠١ف.

٢٥. فخري. أحمد، مصر الفرعونية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م.

٢٦. فخري. أحمد، واحات مصر، م١، واحة سيوه، تر: جاب الله علي جاب الله، سلسلة الثقافة الأثرية التاريخية، العدد ٢٠، ١٩٩٣م.

٢٧. الكاتب. سيف الدين، وآخرون، أطلس تاريخ الحضارات، أطلس التاريخ القديم، دار الشرق العربي، حلب، ٢٠٠٤م.

٢٨. كامل. وهيب، ديودور الصقلي في مصر، القاهرة، ١٩٤٧م.

٢٩. لالويت. كلير، نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، تر: ماهر جويجاتي، م١، عن الفراعنة والبشر، دار الفكر، القاهرة، ١٩٩٦م.

٣٠. المصري. حسين مجيب، إيران ومصر عبر التاريخ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧١م.

٣١. الملا. زياد، لغات العالم الحية والميتة، الأهالي للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، ١٩٩٩م.

٣٢. مهران. محمد بيومي، مصر منذ قيام الدولة الحديثة حتى الأسرة الحادية والثلاثين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ج٣، ط٤، ١٩٨٨م.

٣٣. الناصري. سيد أحمد علي، الشرق الأدنى في العصر الهلينستي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٥– ١٩٩٦.

٣٤. نور الدين. عبد الحليم، دراسات في تاريخ وحضارة مصر القديمة، ط١، القاهرة، ١٩٩٩م.

٣٥. هاليت. بوفيل روبن، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر: الهادي بولقمة، ومحمد عزير، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ١٩٨٨.

٣٦. واكيم. سليم، إيران في الحضارة، الجامعة الليبية، بنغازي، ١٩٧١م.

ثانياً ـ المصادر الأجنبية:

1. Heredotus , III. L. C L. (1)

إدارة النفايات الصلبة الصناعية في محافظتي نابلس ورام الله والبيرة*

د. عصام أحمد الخطيب**
د. عثمان شركس***

* تاريخ التسليم: ١٦/ ٥/ ٢٠١٢م، تاريخ القبول: ٥/ ٢/ ٢٠١٢م.
** أستاذ مشارك/ معهد الدراسات البيئية والمائية/ جامعة بيرزيت/ فلسطين.
*** أستاذ مساعد/ دائرة الجغرافيا/ جامعة بيرزيت/ فلسطين.

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم لمحة عامة عن الممارسات الحالية لإدارة النفايات الصلبة الصناعية في محافظتي نابلس ورام الله والبيرة في فلسطين، بما في ذلك تخزينها، وجمعها ونقلها ومعالجتها والتخلص النهائي منها.تُخَزّن النفايات الصلبة الصناعية في حاويات (٨٨,٤٪) مملوكة غالباً للبلديّات والمجالس القروية، ويُتَخَلّص نهائيّا منها بشكل يومي في (٣٩,٤٪) من الصناعات.المرحلة الأكثر إشكالية في إدارة النفايات الصلبة الصناعية هي التخلص النهائي منها، حيث تتمّ بطريقة غير صحية. وتعدّ ممارسات إدارة النفايات الصلبة الصناعية في المحافظتين غير مناسبة في كثير من جوانبها، وتشكل خطراً على السكان المحليين والبيئة، إذ لا يتم فصلها بشكل مناسب، وأنواع المركبات المستخدمة لنقلها غير لائقة، وطرق جمعها غير مناسب لبعض الصناعات، ولا بد من القيام ببعض الخطوات المهمَّة لتحسين الوضع القائم، مثل معالجة النفايات الصلبة الخطرة، والتخلص من النفايات الصلبة الصناعية في أماكن محددة مناسبة.ولا بد من تعاون اتحاد الصناعات الفلسطينية والسلطات المحلية بالتنسيق مع المؤسسات ذات الصلة في إيجاد الحلول المناسبة لإدارة النفايات الصلبة الصناعية.

Abstract:

This study aims to provide an overview of the current practices of industrial solid waste management in the governorates of Nablus and Ramallah & Al Bireh in Palestine, including its storage, collection, transport, treatment and final disposal.Industrial solid wastes are stored in containers (% 88.4) owned mostly by the municipalities and village councils) , and their final disposal is performed on a daily basis for (39.4%) of industries.The most problematic stage in the management of industrial solid waste is its final disposal, which is made in a non- healthy way.The management practices of industrial solid waste in the two governorates are inappropriate in many aspects, and pose a threat to the local population and the environment, as it is not separated properly, and the types of vehicles used to transport them are not suitable, and methods of collecting them are inappropriate for some industries.Some important actions to improve the current situation should be performed, such as the treatment of hazardous solid waste, and disposal of industrial solid waste in appropriate specific places.There should be some kind of cooperation between the Palestinian Federation of Industries and the local authorities in coordination with relevant institutions in finding appropriate solutions for industrial solid waste management.

١. مقدمة:

تعدّ الصناعات مصدراً للنفايات مثل مصادر النفايات الأخرى، وترتبط العديد من النفايات الصناعية بمشكلات بيئية متعددة.وتعدّ النفايات الصلبة الصناعية عموماً أكثر المكونات الخطرة للنفايات، ولديها تأثيرات سلبية كثيرة على الصحة العامة، بالإضافة إلى المخاطر البيئية المحتملة (Mato and Kaseva, 1999; Mbuligwe and Kaseva, 2006) .فمثلا تحتوي النفايات الناتجة عن بعض الصناعات على عناصر سامة كالألمنيوم، والكروم، والرصاص، والخارصين، والنيكل.فمثلا، صناعة الألمنيوم تنتج نفايات الألمنيوم والحوامض.أما نفايات الصناعات الإلكترونية، فتتكون من النيكل، والكروم، والحوامض، وتعد جميع هذه المواد غير العضوية خطيرة، وتؤثر بشكل سلبي على الصحة إذا ما تراكمت في جسم الإنسان (Musleh and Schmidt1,998) .

بحكم طبيعتها، تميل الصناعات إلى تركيز التلوث.إن الصناعات ينبعث منها المزيد من الملوثات المركزة، مقارنة بكمية النفايات التي تنتج عنها، وبمعدل مرتفع، مقارنة بكمية النفايات الناتجة (Petrella, et al., 2010) .وعلى هذا النحو، فإن نفايات الصناعات من المرجح أن تتجاوز عتبات الانتعاش الذاتي للطبيعة، أو قدرة النظام الإيكولوجي الذاتية في معالجة نفسها.لاسيما، حتى قبل أن تبدأ عمليات إنتاجها، فإن البنى التحتية للصناعات واسعة النطاق، يمكن أن تؤدي إلى التدهور البيئي، ويرجع ذلك أساساً إلى اتساع المكان المناسب، والاحتياجات الهائلة لإنشاء الصناعات المختلفة.إن التدهور البيئي الناجم عن الصناعات يزيد من تعرض المناطق المحيطة بها لمخاطر جدية لا رجعة فيها للآثار البيئية.وعلاوة على ذلك، فإن كل الصناعات هي في جوهرها موجودة بدافع من الأرباح، وهو الهدف الذي يتحقق جزئياً عن طريق خفض التكاليف وتحسين الكفاءة.ويبدو أنه يترتب على الإدارة السليمة للنفايات الصلبة الصناعية تكاليف إضافية، ولذلك يحدث أحيانا تصادمات بين أصحاب الصناعات والمسؤولين عن إدارة النفايات الصناعية (Stenis, 2003; Phillips et al., 2006) .

إن الإدارة غير المناسبة للمخلفات الصلبة الصناعية تؤدي إلى زيادة تلوث المياه والتربة وتلوث الجو، ولها تأثير خطير على الصحة العامة.كل هذا أدى إلى اهتمام البلدان النامية بقضية النفايات الصلبة، وفرض القوانين على كيفية التعامل معها (Sharholy et al., 2008; Olanrewaju and Ilemobade, 2009) .

ويشكل التخلص من النفايات الصناعية الصلبة تهديداً رئيساً في جميع أنحاء العالم، خاصة تلك البلدان التي تتصف بالتحضر السريع، وتمر بمرحلة التصنيع السريع (Geng, et al., 2007; Grodzinska- Jurczak, 2001)

ويمكن اعتبار إنتاج النفايات الصناعية، والتخلص منها، والحد منها من خلال استخدام التكنولوجيا التي هي أكثر كفاءة وفاعلية مشكلة على الصعيدين العالمي والمحلي (Krook, et al., 2004; Abu Qdais, 2007).كل هذه القضايا تحتاج إلى إعادة النظر فيها، والتعامل معها لإيجاد حلول دائمة ومناسبة لإدارة النفايات الصلبة الصناعية.كثيراً ما لا تكون التشريعات البيئية في حد ذاتها هي لب المشكلة في بعض البلدان النامية التي يكون فيها التشريع أكثر دقة من البلدان المتقدمة، ولكن المشكلة تكمن في عدم تنفيذ و/ أو فرض بدائل قابلة للتطبيق (Bain, et al., 2010) .

تقع إمكانات النمو الاقتصادي في فلسطين على عاتق القطاع الخاص الفلسطيني بشكل أساسي، فأصحاب المصانع الصغيرة، والمشاريع الأسرية هي التي تهيمن على مؤسسات الأعمال.وما زالت الشركات الكبيرة في فلسطين محدودة العدد للغاية.ولقد اعتاد الصناعيون من القطاع الخاص تحقيق أرباح في ظل الظروف الصعبة من الاحتلال (Ministry of National Economy, 2004) .

ونظراً للتحول الكبير في الاقتصاد الفلسطيني وتوسيعه، فقد أُنشئت شركات تكنولوجية كبيرة ومتوسطة، وعلاوة على ذلك، فقد أنشِئت المناطق الحرة الصناعية، ووضعت قوانين واعدة للاستثمار شجّعت المستثمرين على إقامة مشاريع جديدة في هذا المجال (Ministry of National Economy, 2004) .

هناك القليل من المعلومات المتاحة حول إدارة النفايات الصناعية في فلسطين، ففي دراسة لمصلح (Musleh, 2006) تبين أنه بالرغم من أن كمية النفايات الصلبة الصناعية في مدينة رام الله غير معروفة، إلا أن معرفة هذه الكمية مهمة جداً لتطوير نظام إدارة النفايات الصلبة.بالإضافة إلى ذلك، فإن خطورة هذه النفايات غير معروفة، فمعظم المعلومات المتوفرة تتعلق بنوعية الصناعات العاملة في المدينة، وإنه لمن المهم دراسة كمية النفايات الصلبة الصناعية، وأنواعها، بالإضافة إلى معرفة إمكانية فصل النفايات الخطرة عن النفايات الصناعية العادية غير الخطرة.وأضافت الدراسة أن هذه الخطوة

أساسية، ويجب القيام بها (Musleh, 2006) .خاصة أن المكب الصحي المزمع إقامته لمحافظة رام الله والبيرة لن يستقبل أية نفايات صلبة تحتوي على نفايات خطرة، إذ إنه سوف يستخدم فقط للنفايات غير الخطرة.بالإضافة إلى ذلك، فإنه إذا لم يُتَعامَل مع هذه النفايات بصورة صحيحة فسوف تؤدي إلى تلويث البيئة، وحدوث تهديدٍ جدي للصحة العامة والصحة البيئية (Huang and Lin,, 2008) .

٢. خلفية عن الدراسة:

المناطق الصناعية في محافظتي نابلس، ورام الله والبيرة هي أماكن إجراء الدراسة، حيث تقع محافظة نابلس في الجزء الشمالي من الضفة الغربية، وتحيط بها مدينة جنين من الشمال، وطولكرم من الغرب، ورام الله وأريحا من الجنوب، ونهر الأردن من الشرق.ينتمي مناخ محافظة نابلس إلى مناخ البحر التوسط الذي يتميز بحرارته وجفافه صيفاً، ودفئه وأمطاره شتاءً، ويتراوح متوسط درجة الحرارة بين ٩ م° في شهر كانون الثاني، و ٢٤ م° في شهر تموز، ومعدل الرطوبة النسبية بين ٤٦٪ في شهر نيسان، و ٧٤٪ في شهر كانون الأول. ويزيد متوسط كمية الأمطار التي تهطل سنوياً على محافظة نابلس عن ٦٣١ ملم، ولكنها تتذبذب من سنة إلى أخرى.

تقع محافظة رام الله والبيرة وسط فلسطين، وفي وسط الضفة الغربية على الطريق الواصل بين شمال الضفة الغربية وجنوبها، وتبعد عن القدس حوالي ١٦كم إلى الشمال، كما تبعد عن البحر الأبيض المتوسط حوالي ٤٨ كيلومتراً، الذي يُرى من خلال مرتفعات رام الله التي ترتفع عن سطح البحر ما بين ٨٨٠– ٧٨٠ متراً.كما تقع المحافظة على سلسلة جبال فلسطين الوسطى، وتواجه المنطقة الشرقية المطلة على جبال الأردن من منطقة البيرة، وعلى البحر المتوسط من مرتفعات رام الله، وهذا بدوره يؤثر تأثيراً كبيراً على مناخ المنطقة الذي يعدُّ مناخاً سياحياً.لمحافظة رام الله والبيرة ملامح مناخية تختلف عن باقي محافظات الضفة الغربية، فهي تتبع لمناخ البحر المتوسط، إذ إن مناخها معتدل حار صيفاً وماطر بارد شتاءً، إلا أن من يُمعن النّظر في مناخها يلاحظ أنه لطيف حار في الصيف، فقليلة هي الأيام التي ترتفع فيها درجات الحرارة في صيفها عن ٣٥ درجة مئوية، وقليلة أيام الشتاء التي تقل درجة حرارتها عن الصفر المئوي.كما أن ارتفاع جبالها يفسح المجال للهواء القادم من البحر بملامستها، وعند الوقوف في المنطقة الغربية في منطقة " بطن الهوى" نحس بهذا التلامس كثيراً، إذ إن الرياح الغربية القادمة من البحر المتوسط تلطف مناخها.والشكل رقم ١ يوضح موقع محافظتي نابلس ورام الله والبيرة في الضفة الغربية من فلسطين.



الشكل (١) موقع محافظتي نابلس ورام الله والبيرة في الضفة الغربية

تتنوع الصناعات في الضفة الغربية وقطاع غزة من فلسطين، حيث تشمل عشر فئات من الصناعات حُدّدت على أساس الأنواع الرئيسية من الصناعات التي تميز القطاع الصناعي الفلسطيني، وهي: المعادن، والمواد الغذائية، والحجر والزجاج، والجلود، والأخشاب والأثاث، والورق، والكيماويات، والمنسوجات، والبلاستيك، والمعدات الكهربائية..(Khatib and Al- Khateeb, 2009) ويوجد في محافظتي نابلس ورام الله والبيرة جميع الأصناف العشر الموجودة في الضفة الغربية وقطاع غزة، علماً بأن معظم الصناعات مملوكة للقطاع الخاص (Musleh and Schmidt, 1998; Filfil and Al- Khatib, 2000) .

تهدف هذه الدراسة إلى تحديد ممارسات إدارة النفايات الصلبة الصناعية القائمة، وتقويمها، بما في ذلك معرفة أماكن تخزينها المؤقت، ودورية جمعها، ونقلها، ومعالجتها،

والتخلص النهائي منها.ومعرفة مصادر النفايات الصلبة الصناعية، واقتراح بعض الحلول، والخروج بنتائج وتوصيات يمكن نشرها والاستفادة منها على نحو مفيد فيما بين الصناعات من أجل تحسين الإدارة البيئية.

٣.المنهجية:

١,٣ الدراسات الاستقصائية والمقابلات وأدوات البحث:

أُقيمت دراسات استطلاعية لتحديد مواقع الصناعات المختلفة بالتعاون مع وزارة الاقتصاد الوطني، وصُمّمت استبانة لأغراض المسح تُغطي الصناعات التشغيلية في محافظتي نابلس، ورام الله والبيرة.ولقد غطت الاستبانات جوانب مختلفة من الصناعات، مثل: عمر الصناعة، وموقعها، وعدد العاملين في المصنع، وعدد ساعات عمل المصنع اليومية، وعدد ساعات عمل العاملين اليومية، ومصدر المواد الخام، ودرجة الاعتماد على التقنية العالية، ودرجة اعتماد الصناعة على الكوادر المؤهلة بدرجة عالية، والجهة المالكة، بالإضافة إلى الجوانب ذات الصلة بالإدارة المتكاملة للنفايات الصلبة الصناعية الناتجة عن كل صناعة، مثل: ممارسات إدارة المخلفات الصلبة الصناعية، و تخزين النفايات الصلبة الصناعية، و جمع المخلفات الصلبة الصناعية ونقلها، و معالجة النفايات الصناعية الصلبة وإعادة تدويرها والتخلص منها.وقابلْنا ٢٧٧ شخصاً مسؤولاً عن إدارة المصنع ونظافته (شخص واحد من كل مصنع) .

٤.عرض النتائج ومناقشتها:

٤,١ بعض الخصائص المنتقاة للصناعات:

يبين الجدول (١) النسبة المئوية لتوزيع خصائص مجموعة مختارة من الصناعات التي شملها المسح.ويعدّ عدد المصانع في منطقة الدراسة في تزايد كل عام إلى جانب الإنتاج؛ وذلك من أجل تلبية الطلب في السوق المحلية، والاستفادة من الفرص التي تتوافر في بعض الأحيان إلى التصدير إلى الدول المجاورة والأوروبية.وهذا يظهر بوضوح من النتائج، فمن بين الصناعات ألـ ٢٧٧ التي شملتها الدراسة، تبين أن أعلى نسبة (٣٨,٤ ٪) أُنشئت مؤخراً في السنوات العشر الأخيرة، أما الصناعات التي مضى على إنشائها أكثر من ٢٠ سنة، فكانت أدنى نسبة (٨,٢٪) .يُعدّ عدد المنتجات وحجمها جانباً مُهمّا من جوانب الصناعة، ولكن إنتاج النفايات الصناعية خلال عمليات الإنتاج، وتصدير المنتجات، واستخدام المستهلكين لها نادراً ما يؤخذ بعين الاعتبار عند تخطيط التصنيع وتصميمه عموماً.

الجدول (١)

توزيع النسبة المئوية لخصائص مختارة للصناعات التي مُسحت					
المجموعة المستقلة	النسبة المئوية (٪)				
عمر الصناعة بالسنوات	>٢٠	١٦– ٢٠	١١– ١٥	١– ١٠	
	٨,٢	٢١,٢	٣٢,٢	٣٨,٤	
موقع الصناعة	في القرية		في المنطقة الصناعية	في المدينة داخل المنطقة السكنية	
	١٤,٨		٥٧,٠	٢٨,٢	
عدد العاملين في المصنع	>٢٥	٢١– ٢٥	١٦– ٢٠	١١– ١٥	٣– ١٠
	٨,٣	٦,٩	١٩,١	٢٥,٦	٤٠,١
عدد ساعات عمل المصنع اليومية	١٥– ٢٤		١١– ١٤	٧– ١٠	
	١,٥		٣٧,١	٦١,٥	
عدد ساعات عمل العاملين اليومية	١١– ١٤		٧– ١٠	٦	
	٧,٣		٩٠,٩	١,٨	
مصدر المواد الخام	إسرائيل، ومحلية، وبلدان أخرى	إسرائيل وبلدان أخرى	محلية وإسرائيل	إسرائيل	محلية
	١١,٢	٩,٠	١٢,٣	٥٧,٨	٩,٧
درجة الاعتماد على التقنية العالية	قليلا		جزئياً	بشكل كامل	
	٢٩,٥		٦٠,٧	٩,٩	
درجة اعتماد الصناعة على الكوادر المؤهلة بدرجة عالية	غير معتمدة	قليلا	جزئيا	كلياً	
	١,١	٢٠,٢	٦٠,٦	١٨,١	
الجهة المالكة	خيرية		جهة حكومية	القطاع الخاص	
	٠,٤		٠,٤	٩٩,٣	

ومن الجدير بالذكر أن معظم الصناعات قد أُنشئت بشكل عشوائي دون رؤية أو تخطيط واضحين.وهذا واضح من مواقع الصناعات، إذ إن حوالي ٤٣٪ منها تقع بين المنازل في المدن أو القرى، وبذلك تسهم في التلوث البيئي في هذه المناطق، في حين يقع ٥٧٪ منها في المناطق الصناعية في المدن.وفيما يتعلق بعدد العمال، فقد تبين

أن أعلى نسبة (٤٠,١٪) من الصناعات يوجد فيها من ١٠- ٣ عمال، في حين أن أدنى نسبة (٨,٣٪) فيها أكثر من ٢٥ عاملا.معظم الصناعات (٦١,٥٪) تعمل من ١٠- ٧ ساعات يومياً، ومعظم العاملين فيها (٩٠,٩٪) يعملون من ١٠- ٧ ساعات يومياً. يتميز القطاع الصناعي الفلسطيني بوجود مجموعة واسعة ومتنوعة من المنتجات والفروع ذات الصلة.ويفتقر القطاع الصناعي إلى توافر المواد الخام على أساس مستمر لاستدامتها. إذ إن أهم سمة أساسية للصناعة الفلسطينية هي اعتمادها على الاقتصاد الإسرائيلي، حيث إن (٥٧,٨٪) من الصناعات الفلسطينية تعتمد على الاحتلال الإسرائيلي فقط لتوفير المواد الخام، والباقي يعتمد على الاحتلال الإسرائيلي، بالإضافة إلى مصادر محلية وأخرى خارجية.وهذا يشكل تهديداً قاتلاً للصناعة الفلسطينية، إذ إن نجاحها يعتمد على أولويات الإسرائيلي، وليس الفلسطيني، ومن المعروف أن معظم هذه الأولويات ليست مهنية ذات صلة، وإنما هي مسيّسة للغاية.وفيما يتعلق بالاعتماد على التكنولوجيا العالية في التصنيع، وُجد أن أعلى نسبة من الصناعات (٦٠,٧٪) تعتمد جزئياً على التكنولوجيا العالية، وأن (٦٠,٦٪) من الصناعات تعتمد جزئياً على درجة عالية من الكفاءة من الموظفين المدربين جيداً.ومن الجدير بالذكر أن القطاع الخاص يمتلك جميع الصناعات تقريباً (٩٩,٣٪) .

٢,٤ واقع ممارسات إدارة المخلفات الصلبة الصناعية:

تنتج المخلفات الصلبة من خلال عمليات التصنيع، وكذلك تنتج بعض النفايات الصلبة من بقايا الطعام والأنشطة المختلفة التي يقوم بها العاملون.لوحظ من خلال المشاهدات الميدانية أن المخلفات الصلبة من المواد الغذائية بعد تناول الطعام للعاملين في الصناعات تتعرض لوجود القطط والكلاب التي تأكل بقايا الطعام، وقلب الحاويات أحياناً، وهذا يحدث بسهولة أكبر إذا كانت الصناديق صغيرة الحجم وغير ممتلئة، وبخاصة إذا كانت الأغطية ليست آمنة بما فيه الكفاية.فقط (١٢٪) من الصناعات في محافظتي نابلس ورام الله والبيرة تنتج كميات كبيرة من النفايات الناتجة من عمليات غير صناعية.ولجميع الأغراض العملية والعلمية، تبقى (٨٨٪) من الصناعات التي تنتج نفايات صناعية فقط.

٣,٤ تخزين النفايات الصلبة الصناعية:

في جميع الصناعات تقريباً (٩٩,٥٪) ، يقوم العمال الذين يعملون في المصانع بعملية تنظيف النفايات الصلبة الصناعية، وجمعها، ونقلها والتخلص منها في الحاويات المستخدمة للتخزين المؤقت للنفايات الصلبة الصناعية.وتمثل الحاويات المصنوعة من

مواد معدنية وبلاستيكية (٨٨,٤٪) من جميع مرافق التخزين المؤقت للنفايات الصلبة الصناعية.تشمل مرافق التخزين الأخرى التخلص من النفايات الصلبة الصناعية في الهواء الطلق على شكل أكوام (٤٪) ، وغرف باطون مفتوحة (١,٨٪) ، وغرف باطون مغلقة (٠,٤٪) ، وحاويات وأكوام في الهواء الطلق معاً بنسبة (٣,٣٪)، وحاويات وغرف باطون مفتوحة معاً بنسبة (١,٤٪)، وحاويات وغرف باطون مغلقة معاً بنسبة (٠,٧٪).معظم الحاويات (٩٣,٢٪) مملوكة للبلدية أو المجلس المحلي للقرية، بينما تعود ملكية (٦,٨٪) من الحاويات للمصانع.يحدث هذا بسبب قيود الميزانية للبلديات والمجالس القروية، وخاصة بالنسبة للصناعات البعيدة.معظم الحاويات (٦٧,٣٪) ليس لها غطاء، والباقي (٣٢,٧ ٪) لها غطاء. ويبين الجدول ٢ النسبة المئوية لخصائص مختارة للحاويات المستخدمة للتخزين المؤقت للنفايات الصلبة الصناعية للصناعات التي شملها المسح.وكانت أعلى نسبة من الحاويات المستخدمة بحجم يساوي ٢٠٠٠ لتر.بالنسبة لعدد الحاويات المستخدمة للتخزين المؤقت للنفايات الصلبة، فإن أعلى نسبة (٥٣,٥٪) من هذه الصناعات تستخدم حاويتن.وفيما يتعلق بقدرة تخزين مجموع الحاويات التي تستخدمها الصناعات، فإن معظم الصناعات (٣٧,٨٪) تستخدم حاويات مجموع تخزينها يساوي ٢٠٠٠ لتر، وفقط (١٤,٣٪) من الصناعات استخدمت أكثر من ٤٠٠٠ لتر.

الجدول (٢)

النسبة المئوية لتوزيع خصائص مختارة للحاويات المستخدمة في الصناعات الاستطلاع					
الخصائص المنتقاة	**النسبة المئوية (٪)**				
سعة الحاويات المستخدمة (لتر)	أكثر من ٥٠٠٠	٥٠٠٠	٢٠٠٠	١٠٠٠	٢٥٠ أو أقل
	٢,٤	٧,٥	٥٢,٠	٣٥,٣	٢,٨
عدد الحاويات التي يستخدمها المصنع	٣<	٣	٢	١	
	٢,٧	٧,٤	٥٣,٥	٣٦,٤	
مجموع أحجام الحاويات التي يستخدمها المصنع	أكثر من ٤٠٠٠	٤٠٠٠	٣٠٠٠	٢٠٠٠	١٥٠٠ أو أقل
	١٤,٣	٢٩,٩	٣,٥	٣٧,٨	١٥,٠

بداية تُخَزّن النفايات الصلبة الصناعية في مرافق التخزين الرئيسية المؤقتة بالقرب من مصادر إنتاجها.وبصفة عامة فإن النفايات الصلبة الصناعية التي تُخَزّن على هيئة

أكوام مفتوحة، وغرف باطون مفتوحة لا تتحلل بسهولة عندما تتعرض لهطول الأمطار. لكن في بعض الأحيان يتم مشاهدة مظاهر قذرة وغير مريحة بسبب التخزين غير السليم للنفايات الصناعية الصلبة في أكوام في الهواء الطلق وغرف الباطون المفتوحة.بشكل عام، فإن حجم أماكن التخزين المؤقت المستخدمة لتجميع النفايات الصناعية عند المصدر يعتمد على حجم هذه الصناعة، ومعدل توليد النفايات الصلبة، ودورية جمع النفايات والتخلص منها في وقت لاحق، وطبيعة هذه الصناعة.أعلى نسبة (٥٦,٧٪) من الصناعات لا تقوم بفصل المخلفات الصلبة الصناعية لمختلف مكوناتها، في حين أن (٣٢,٤٪ و ١٠,٩٪) من الصناعات دائما، أو أحيانا على التوالي تقوم بفصل النفايات الصلبة إلى مكوناتها بشكل جزئي في منطقة التخزين بالقرب من مصدر توليدها.وهذه الصناعات هي الصناعات الدوائية، واللدائن، والأثاث، والغذائية، والباطون، والمعادن.أما بالنسبة للصناعات التي لا تقوم بفصل النفايات الصلبة إلى مكوناتها المختلفة، فقد أفاد ٥٨,٢٪ من الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات بأنهم مستعدون لفصل النفايات الصلبة الصناعية لمكوناتها المختلفة بعد توفير البنية التحتية اللازمة لعملية الفصل، وأفاد الباقون بأنهم غير مستعدّين لذلك.

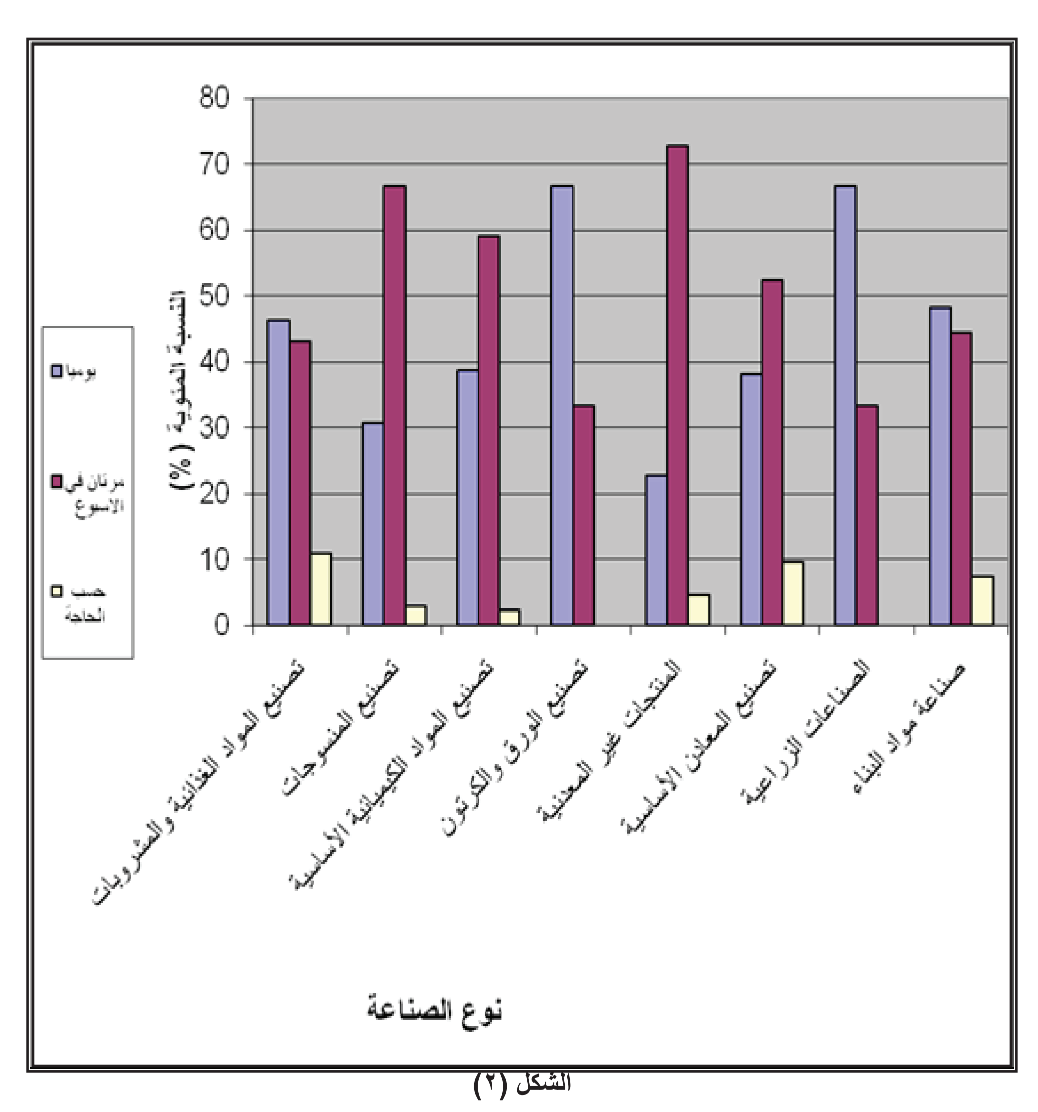
٤,٤ جمع المخلفات الصلبة الصناعية ونقلها:

وفقا للمقابلات التي أجريت مع الأشخاص العاملين في المصانع، فإن الجمع الدوري للنفايات الصلبة الصناعية من مكان التخزين المؤقت إلى موقع التخلص النهائي يتم مرتين في الأسبوع في (٥٥,١٪) من الصناعات، ويتم النقل في (٣٩,٤٪) من الصناعات على أساس يومي، وفي (٥,٥٪) يتم على أساس آخر.وسبب عدم وجود النقل اليومي للمخلفات الصلبة الصناعية تظهر مشكلات بيئية وصحية خطيرة، مثل انتشار الأكوام المفتوحة بالقرب من الحاويات، وهذا يؤدي إلى وجود أعداد كبيرة من الفئران والذباب والصراصير التي كثيراً ما تغزو المنازل المجاورة، بالإضافة إلى مشكلات الروائح، حيث تم التأكيد على وجود الحشرات والقوارض بشكل دائم في مكان التخزين المؤقت للنفايات الصلبة الصناعية بنسبة (١٥,٢٪) من الأشخاص الذين قُوبِلوا، في حين أكد وجود الحشرات والقوارض في بعض الأحيان (٦٤,٥٪) من المستطلعين.وبالإضافة إلى ذلك، أفاد (٤٠,٨٪) من الأشخاص الذين قُوبِلوا أنه توجد أحياناً أو دائماً شكاوى من السكان المجاورين للصناعات بسبب النفايات الصلبة الناتجة عنها، في حين أفاد (٥٩,٢٪) منهم بعدم وجود شكاوى.ونتيجة للأسباب المذكورة أعلاه، فقد أفاد (٥٦,٧٪) فقط من المستطلعين برضاهم عن نظام جمع

المخلفات الصلبة الصناعية.وتُجمَع المخلفات الصلبة الصناعية في منطقة الدراسة، وكذلك في أجزاء أخرى من الضفة الغربية بشكل رئيسي بطريقتين: الجمع المباشر؛ حيث تقوم مركبات جمع النفايات الصلبة الصناعية بتفريغ الحاويات صغيرة الحجم أو البراميل ذات الحجم الصغير في السيارة بشكل مباشر، وعادة ما يوجد هذا النظام في الصناعات ذات الحجم الصغير التي تولد كميات صغيرة من النفايات الصلبة الصناعية.أما الطريقة الثانية فهي تكون باستخدام حاويات كبيرة الحجم (٦- ٥ م^{٣} أو أكبر) لتجميع النفايات الصلبة الصناعية، وتقوم سيارة جمع النفايات الصلبة الصناعية بتحميل الحاوية، ومن ثم نقلها وتفريغها في الأماكن المخصصة، ومن ثم إعادتها فارغة إلى مكان التخزين المؤقت.

ومن الجدير بالذكر أن هذه المركبات نفسها تستخدم لجمع النفايات الصلبة المنزلية والتجارية، وتستخدم لجمع النفايات الصلبة الصناعية؛ وذلك لعدم وجود مركبات صممت خصيصاً لجمع النفايات الصلبة الصناعية، وعادة يُعيّن اثنان أو ثلاثة من العمال لمرافقة سيارات الجمع.

تعتمد دورية جمع النفايات الصلبة الصناعية على عوامل كثيرة أهمها: نوع الصناعة، وطبيعة النفايات، وحجم الصناعة، وعدد العمال، ومعدل توليد النفايات خاصة النفايات القابلة للتحلل الحيوي، والنقل والوسائل المستخدمة في ذلك.ويلخص الشكل ٢ بيانات عن دورية جمع المخلفات الصلبة الصناعية حسب طبيعة الصناعة، ولقد وُجدت علاقة ذات دلالة إحصائية بين نوع الصناعة من جهة، وتواتر جمع المخلفات الصلبة الصناعية من جهة أخرى.(chi- square = 23.803, df = 14, p- value = 0.48). ووجد أن أعلى نسبة مئوية للنفايات الصلبة الصناعية التي تُجمَع على أساس يومي هي للصناعات الغذائية والمشروبات، والمنتجات الورقية والصناعات الزراعية، وصناعة مواد البناء.ويمكن تفسير ذلك على النحو الآتي: تنتج هذه الصناعات كميات كبيرة من النفايات على أساس مستمر. وبالإضافة إلى ذلك، فإن معظم هذه الصناعات تنتج قدراً كبيراً من المخلفات الصلبة الصناعية، وإنّ جزءاً كبيراً منها قابل للتحلّل بسهولة، وينبغي الحفاظ على مستوى عالٍ من النظافة العامة والشخصية؛ وذلك بسبب حساسية المنتجات التي تنتجها بعض هذه الصناعات، وينبغي منع تخمير النفايات القابلة للتحلل من خلال عدم الاحتفاظ بها لفترة طويلة؛ لأنها يمكن أن تصبح بسهولة مصدر إزعاج، ومصدر جذب للذباب والحشرات الأخرى التي تشكل مخاطر صحية بسبب قدرتها على نقل الممرضات، وإنتاج الرائحة الكريهة.



الشكل (٢)

توزيع النسب المئوية للصناعات وفقا لوتيرة جمع النفايات الصلبة الصناعية في محافظتي نابلس ورام الله والبيرة.(chi- square = 23.803, df = 14, p- value = 0.48)

٥,٤ معالجة النفايات الصناعية الصلبة وإعادة التدوير والتخلص منها:

أفاد فقط (١٨,١٪) من الأشخاص الذين قوبِلوا في المصانع بأنّ النفايات الصلبة الصناعية تُفصَل بشكل دائم عن تلك التي تنتج من مخلفات الأكل وغيرها من الأنشطة البشرية غير الصناعية كما هو مبين في الجدول (٣). وفيما يتعلق بمعالجة النفايات الصلبة الصناعية،

الجدول (٣)

النسبة المئوية لتوزيع المستجيبين بشأن فصل للنفايات الصلبة الصناعية الناتجة، ومعالجتها، وإعادة استخدامها وإعادة تدويرها			
السؤال	نسبة المشاركين في المسح (٪)		
	لا	أحياناً	نعم دائماً
هل هناك أي فصل للنفايات الصلبة الصناعية الناتجة عن عمليات الإنتاج عن النفايات الصلبة الأخرى؟	٦٠,٦	٢١,٣	١٨,١
هل هناك أي علاج للنفايات الصلبة الصناعية؟	٥٤,٢	٣٣,٧	١٢,١
هل تقوم بإعادة استخدام النفايات الصناعية الصلبة في المصنع دون إعادة التدوير؟	٣٧,٧	٥٠,٧	١١,٦
هل تقوم بإعادة تدوير النفايات الصناعية الصلبة؟	٩٠,٠	٣,٣	٦,٦
هل توافق على استعمال النفايات الصلبة المعاد تدويرها كمواد خام؟	٣٥,٣	–	٦٤,٧

فإن معظم الصناعات (٥٤,٢٪) لا تعالج النفايات الصلبة الصناعية، بينما فقط (١٢,١٪) من الصناعات تُعالَج فيها المخلّفات الصلبة الصناعية.يوجد علاج بسيط للنفايات الصلبة الصناعية للاستفادة منها، أو قبل التخلص منها نهائيا.ويمارس هذا العلاج في الظروف التي تُهَيّأ فيها المخلفات الصلبة الصناعية لاستخدامها في إعادة التدوير، أو إخضاعها لإعادة الاستخدام.تشمل هذه المعاملة للنفايات الصلبة الصناعية تنظيفها، وضغطها من أجل الحد من حجمها إما يدوياً أو آلياً، أو سحقها إلى قطع صغيرة قبل استخدامها كمادة خام.ومن الجدير بالذكر أن (١١,٦٪ و ٥٠,٧٪) من الصناعات يُعاد فيها استخدام النفايات الصلبة الصناعية دائما أو في بعض الأحيان على التوالي من دون إعادة التدوير.

فقط (٦,٦٪ أو ٣,٣٪) من الصناعات يُعاد فيها تدوير النفايات الصلبة الصناعية دائماً أو في بعض الأحيان على التوالي.ومن المعروف جيداً أن إعادة تدوير النفايات الصلبة يقلل كمية النفايات، ويؤدي إلى إنتاج مواد مفيدة، وهذا يمثل عملاً تجارياً مهماً مع قدرة عالية للتنمية في المستقبل (Tsai and Chou, 2004; Monou et al., 2009; Nges et al., 2012) .وينبغي تنمية قطاع إعادة تدوير النفايات الصلبة الصناعية والبلدية في الأراضي الفلسطينية كلها، وكذلك في جميع البلدان النامية؛ لأنها عامل مهم في المساعدة على الحد من الطلب على الموارد، وتقليل كمية النفايات التي تتطلب التخلص منها عن طريق الدفن الصحي.وينبغي تشجيع إعادة التدوير بسبب الفوائد البيئية، والاقتصادية التي تجلبها مثل خلق فرص العمل، وتوفير المواد الخام للصناعة، ومنع تلويث المياه السطحية، والجوفية (Wei and Huang, 2001; Lupa et al., 2011) .

بالنسبة للصناعات التي يتم فيها تدوير المخلفات الصلبة الصناعية، فإن المخلفات المدورة تستخدم في (٢٥,٩٪) من الصناعات كمواد خام، و (٤٨,١٪) كمزيج مع المواد الخام، و (٢٥,٩٪) من الصناعات تبيع النفايات الصلبة الصناعية المعاد تدويرها.بالنسبة للمواد الرئيسية التي يعاد تدويرها في منطقة الدراسة فهي البلاستيك والخشب والأوراق، والمعادن.وما زالت هناك حاجة للعديد من الجهود من أجل تشجيع إعادة التدوير، مثل زيادة الوعي العام، وضمان التمويل المناسب.ويعدّ الفصل في المصدر عنصراً أساسياً في تعزيز إعادة التدوير.كذلك تعدّ التشريعات، والحوافز المالية، وتوعية الجمهور هي الدعائم الرئيسية للفصل عند المصدر.ومن الجدير بالذكر أن معظم الأشخاص الذين تمت مقابلتهم (٦٤,٧٪) أبدوا موافقتهم على استخدام النفايات الصلبة الصناعية المعاد تدويرها كمواد خام إن أمكن ذلك، بينما لم يوافق ٣٥,٣٪ منهم.

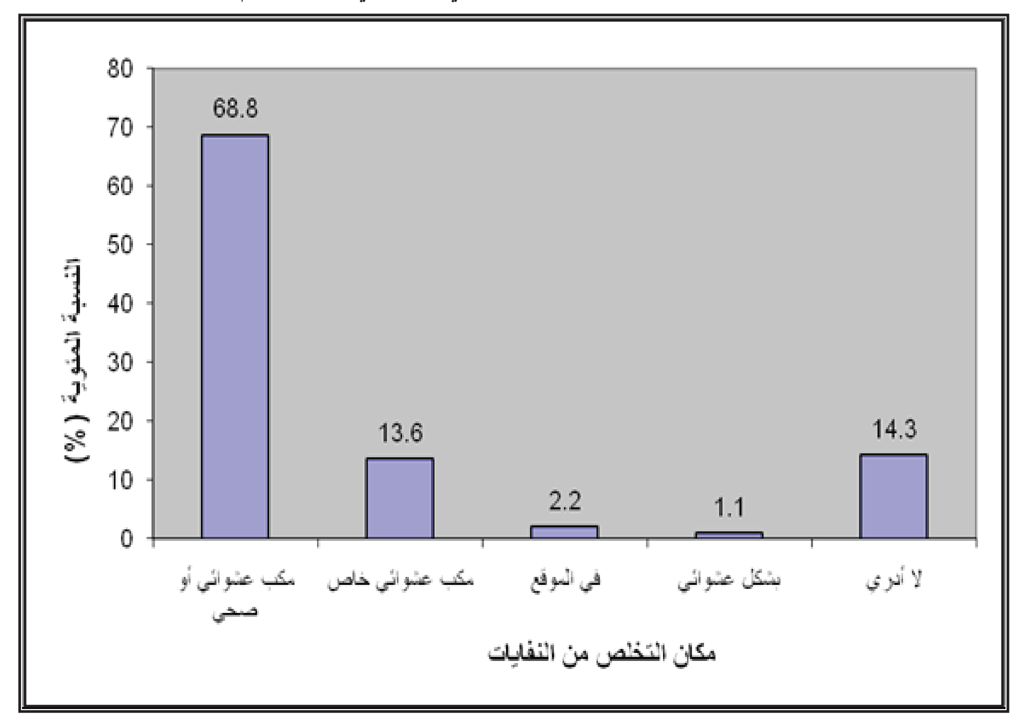
ومن الجدير بالذكر أن (٣١,٨٪) فقط من الذين أجريت معهم المقابلات قد سمعوا عن ممارسات الإنتاج الأنظف، و (٦٨,٢٪) منهم لم يسمع عن ذلك.عرّف برنامج الأمم المتحدة للبيئة في عام ١٩٩٠ مصطلح الإنتاج الأنظف على النحو التالي: «التطبيق المستمر لإستراتيجية بيئية متكاملة للعمليات، والمنتجات، والخدمات؛ لزيادة الكفاءة، وتقليل المخاطر التي يتعرض لها البشر والبيئة» الأمم المتحدة للبيئة.(UNEP, 2010) وهذا يعني أن القطاع الصناعي في محافظتي نابلس ورام **الله** والبيرة في أمسّ الحاجة لتنفيذ مبادئ الإنتاج الأنظف، نظراً لأهميتها في جميع خطوات العمليات الصناعية.فالإنتاج الأنظف يؤدي إلى الحفاظ على الطاقة، والمواد الخام، والقضاء على المواد الخام السامة، والتقليل من كمية وسموم جميع الانبعاثات والنفايات، وللمنتجات.وسوف يؤدي إلى الحد من الآثار السلبية على امتداد دورة حياة المنتج، من بداية استخراج المواد الخام، وحتى التخلص من النفايات الصلبة في نهاية المطاف.كذلك سوف يؤدي إلى إدماج الاهتمامات البيئية في تصميم الخدمات وتقديمها، ويتطلب الإنتاج الأنظف تقويم الخيارات التكنولوجية، تتغيير المواقف، والإدارة البيئية للجهات المسؤولة (Casares et al., 2005; Tas-mania Government, 2010).

بالنسبة للنفايات التي يُتَخلّص منها نهائياً، هناك وسائل رئيسة عدة للتخلص منها كما هو مبين في الشكل ٣. ويلاحظ أن أعلى نسبة (٦٨,٨٪) من النفايات الصناعية الصلبة يُتَخَلّص منها في مكب النفايات العشوائي، أو دفنها في مكب صحي.ففي محافظة رام **الله** والبيرة، يُتَخلّص من النفايات الصناعية الصلبة الخاصة بهم في مكبات غير صحية، اختِيرت بشكل غير مدروس، وهي تشكل خطراً كبيراً على البيئة، والمياه الجوفية، والصحة العامة، إذ تسهل إلى حد كبير في نقل العديد من الأمراض، وتقلق راحة المواطنين حين

تشتعل فيها النيران بشكل مقصود، أو بشكل غير مقصود.أما بالنسبة لمحافظة نابلس، فيُتَخَلّص من النفايات الصلبة الصناعية الناتجة في مكب زهرة الفنجان الصحي، وهو في الأصل مخصص للنفايات الصلبة المنزلية، ولا يوجد فيه خلايا محددة للنفايات الصلبة الخطرة.ويفضل تخصيص خلية في هذا المكب لاستقبال النفايات الصلبة الخطرة من مختلف المصادر، وخاصة الطبية منها والصناعية.

الشكل (٣)

أماكن التخلص من النفايات الصلبة الصناعية في محافظتي نابلس ورام الله والبيرة



٥.الاستنتاج والتوصيات:

هناك العديد من المشكلات المرتبطة بإدارة النفايات الصناعية الصلبة في محافظتي نابلس ورام الله والبيرة، وكذلك في بقية محافظات الضفة الغربية، وفي كثير من البلدان الأخرى النامية.وتعدّ النفايات الصلبة الصناعية واحدة من المشكلات الصحية البيئية الرئيسية في فلسطين.وينبغي إيلاء مزيد من الجهود لضمان الإدارة الآمنة والفعالة للمخلفات الصلبة الصناعية من حيث التكلفة، والفصل، والمناولة، والنقل، والمعالجة، والتخلص النهائي من النفايات الصناعية الصلبة الخطرة.ويمكن استخدام خلية خاصة

في مكب زهرة الفنجان لهذا الغرض، بالإضافة إلى وضع برامج للعلاج حيثما كان ذلك ضرورياً للحد من الأضرار البيئية والصحية.وينبغي للأطراف ذات العلاقة تنظيم حملات التوعية العامة حول إدارة النفايات الصناعية الخطرة، بما في ذلك توصيل رسائل توعية للقطاع الصناعي، والمجالس المحلية والمجتمع المحلي حول دورهم في المساهمة في تحسين عملية جمع النفايات الصناعية الصلبة في محافظتي نابلس ورام الله والبيرة.

وينبغي لسلطة جودة البيئة الفلسطينية تشجيع الصناعات على تدوير النفايات الصناعية، وإعادة استخدامها من خلال تحديد أنواع النفايات الصناعية التي يمكن إعادة تدويرها، ووضع المعايير اللازمة، لذلك بالتعاون مع مؤسسة المواصفات والمقاييس والاتحاد العام للصناعات الفلسطينية والجامعات الفلسطينية ذات الصلة، وذلك بتعميم استخدام أنواع النفايات الصناعية والإجراءات الخاصة بذلك كافّة.

References:

1. Abu Qdais, H. A. , 2007. Techno- economic assessment of municipal solid waste management in Jordan. Waste Management 207 (11) , 1666- 1672.
2. Bain, A. , Shenoy,M. , Ashton, W. , Chertow, M. , 2010. Industrial symbiosis and waste recovery in an Indian industrial area. Resources, Conservation and Recycling (article in press) .
3. Casares, M. L. , Ulierte, N. , Matarán, A. , Ramos, A. , Zamorano, M. , 2005. Solid industrial wastes and their management in Asegra (Granada, Spain) . Waste Management, 25 (10) , 1075- 1082.
4. Filfil, M. , Al- Khatib, I. (eds.) , 2000. Industrial Liquid Waste: Impact on the Environment and Public Health. Institute of Community and Public Health, Birzeit University, Palestine.
5. Geng, Y. , Qinghua Zhu, Q. , Hai, M. , 2007. Country report. Planning for integrated solid waste management at the industrial Park level: A case of Tianjin, China. Waste Management, 27, 141–150.
6. Grodzinska- Jurczak, M. , 2001. Management of industrial and municipal solid wastes in Poland. Resources, Conservation and Recycling, 32, 85–103.
7. Huang, M. , Lin, J. J. , 2008. Characteristics and management of infectious industrial waste in Taiwan. Waste Management, 28 (11) , 2220- 2228.
8. Khatib, I. , Al- Khateeb, N. , 2009. Solid waste treatment opportunities in the Palestinian authority areas. Waste Management 29, 1680–1684.
9. Krook, J. , Mårtensson, A. , Eklund, M. , 2004. Metal contamination in recovered waste wood used as energy source in Sweden. Resources, Conservation and Recycling, 41, 1- 14.
10. Lupa, C. J. , Ricketts, L. J. , Sweetman, A. , Herbert, B. M. J. , 2011. The use of commercial and industrial waste in energy recovery systems – A UK preliminary study. Waste Management, 31 (8) , 1759- 1764.
11. Mato, R. A. M. , Kaseva, M. E. , 1999. A critical review of industrial and medical waste management practices in Dar es Salaam City. Resour Conserv Recycl, 25, 271–87.
12. Mbuligwe, S. E. , Kaseva. , M. E. , 2006. Assessment of industrial solid waste management and resource recovery practices in Tanzania. Resources, Conservation and Recycling, 47, 260- 276.
13. Ministry of National Economy, 2004. Palestinian Industries. Palestinian Authority. World Web Page: http:/ / www. met. gov. ps/ DesktopDefault. aspx?tabindex=2&tabid=11&lng=1#IndustrialIndustrial Accessed: 9/ 7/ 2010.
14. Monou, M. , Kythreotou, N. , Fatta, D. , Smith, S. R. , 2009. Rapid screening procedure to optimise the anaerobic codigestion of industrial biowastes

and agricultural livestock wastes in Cyprus. Waste Management, 29 (2) , 712- 720.

15. *Musleh R. 2006. Rapid urban environmental assessment for Ramallah city. Institute of Community & Public Health, Birzeit University, Birzeit, Palestine.*
16. *Musleh, R. , Schmidt, A. (1998) . Industrialization, Urbanization and Environmental Health, the Case of Industrial Zoning: Water use and wastewater disposal in the district of Ramallah and Al- Bireh. Institute of Community and Public Health, Birzeit University, Palestine.*
17. *Nges, I. A. , Escobar, F. , Fu, X. , Björnsson, L. , 2012. Benefits of supplementing an industrial waste anaerobic digester with energy crops for increased biogas production. Waste Management, 32 (1) , 53- 59.*
18. *Olanrewaju, O. O. , Ilemobade, A. A. , 2009. Waste to wealth: a case study of the Ondo state integrated wastes recycling and treatment project, Nigeria. European Journal of Social Sciences, 8 (1) , 7- 16.*
19. *Petrella, A. , Petruzzelli, V. , Basile, T. , Petrella, M. , Boghetich, G. , Petruzzelli,D. , 2010. Recycled porous glass from municipal/ industrial solid wastes sorting operations as a lead ion sorbent from wastewaters. Reactive & Functional Polymers, 70 (4) , 203- 209.*
20. *Phillips, P. S. , Barnes, R. , Bates, M. P. , Coskeran, T. , 2006. A critical appraisal of an UK county waste minimisation programme: The requirement for regional facilitated development of industrial symbiosis/ ecology. Resources, Conservation and Recycling, 46, 242–264.*
21. *Sharholy, M. , Ahmad, K. , Mahmood, G. , Trivedi, R. C. , 2008. Municipal solid waste management in Indian cities – a review. Waste Management 28 (2) , 459–467.*
22. *Stenis, J. , 2003, Environmental optimization in fractionating industrial wastes using cost benefit analysis. Resources, Conservation and Recycling 41 (2004) 147–164*
23. *Tasmania Government, 2010. Industrial waste management. EPA Division, Department of Primary Industries, Parks, Water and Environment. World Web Page: http:/ / www. environment. tas. gov. au/ index. aspx?base=380 Accessed: 8/ 7/ 2010.*
24. *Tsai, W. T. , Chou, Y. H. , 2004. A review of environmental and economic regulations for promoting industrial waste recycling in Taiwan. Waste Management, 24 (10) , 1061- 1069.*
25. *United Nations Environment Programme (UNEP) , 2010. Resource Efficient and Cleaner Production. World Web Page: http:/ / www. unep. fr/ scp/ cp/ Accessed: 8/ 7/ 2010.*
26. *Wei, M. , Huang, K. , 2001. Recycling and reuse of industrial wastes in Taiwan. Waste Management, 21, 93- 97.*

القيم الرمزية للنجمة السداسية*

د. عدنان أحمد أبو دية**

* تاريخ الاستلام: ١٢/ ٣/ ٢٠١٢م، تاريخ القبول: ١٤/ ٥/ ٢٠١٢م.
** أستاذ مشارك/ قسم التاريخ والآثار/ كلية الآداب/ جامعة الخليل/ فلسطين.

ملخص:

يتتبع هذا البحث ظهور النجمة السداسية على الآثار في الحقبة الإسلامية، والحقب التي تليها، وبخاصة في أوروبا، ونعرض العديد من النماذج الحضارية التي ظهرت عليها نقوش النجمة السداسية من الحضارة الإسلامية وحضارة العصور الوسطى وعصر النهضة في أوروبا، ويحاول الباحث أن يبين في كل حالة الهدف من نقش النجمة السداسية ومعرفة الأبعاد الزخرفية والجمالية أو السياسية أوالأيدولوجية إن وجدت. كما اهتم البحث بالإجابة على التساؤلات المتعلقة بعلاقة اليهودية بهذه النجمة سواء من الناحية السياسية أم الإيدولوجية، وعن الظروف والحيثيات والحقبة الزمنية التي أصبحت فيها تلك النجمة علامة دالة على اليهود في العالم.

Abstract:

This research paper deals with history of hexagram star and its appearance on the artifacts of many civilizations. The author tried to illustrate the aims, the meanings and the purposes of that symbol. The paper tries to see the ideological or political relation between the Jews and the hexagram star in ancient and Islamic civilizations. On the other hand, the paper reveals the historical circumstances by which the hexagram star became a national symbol for the Jews in the world.

الهدف من الدارسة:

تهدف هذه الدارسة إلى بيان الحقيقة في موضوع القيم الرمزية من النجمة السداسية عبر التاريخ، وإزالة اللبس الحاصل حول تاريخ ظهورها، كما تهدف الدارسة إلى معرفة الظروف التي تبنَّى فيها اليهود في العالم هذا الرمز وأعطوه معاني خاصة، وتهدف كذلك إلى معرفة كيف تعامل المسلمون والمسيحيون وكثير من الحضارات الأخرى في العالم مع النجمة السداسية.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في الرد على من يحاولون أن يهودوا التراث الإنساني أو التراث الإسلامي وتحميله معاني خاصة، مستغلين بذلك عدم المعرفة الكافية بحقيقة وتاريخ ذلك التراث المهود. ويرى الباحث أنه يمكن تتبع الجذور التاريخية للنجمة السداسية وبيان مدى علاقتها وإرتباطها باليهود في العالم عبر التاريخ القديم والحديث.

فرضيات الدراسة:

هناك جملة من الفرضيات التي تحاول الدراسة التأكد منها، وهي:

١. أن النجمة السداسية موجودة في تراث جميع الأمم، وليست حكراً على قوم بعينه.

٢. أن المسلمين تعاملوا مع النجمة السداسية كشكل زخرفي بعيد عن أي معنى رمزي.

٣. أن بداية ظهور رمزية النجمة السداسية عند اليهود لا يتعدى نهايات القرن التاسع عشر ميلادي.

٤. أن الحضارة الغربية هي التي شجعت اليهود على تبني شعار النجمة السداسية في مقابل شعار الصليب عند المسيحيين.

الدراسات السابقة:

هناك عدد قليل من الدراسات والمنشورات التي تناولت موضوع النجمة السداسية بشكل غير متخصص أو مباشر، نورد منها ما يأتي:

كتاب عن أسرار النجمة المقدسة لحسام بدوي وطارق الجندي، والمقصود بالنجمة المقدسة هي النجمة السداسية، ولكن غلب على هذه الدراسة الحديثة كثير من التفسيرات

الميتافيزيقية الخاصة، والتي يصعب أن يُطلق عليه اسم بحث علمي. أما كتاب خالد الأعظمي عن الزخارف الجدارية في آثار بغداد، فهو يتناول جميع الأشكال الزخرفية الجدارية في بغداد من الحقبة الإسلامية دون أن يعطي النجمة السداسية تمييزاً خاصاً عن غيرها من الزخارف المذكورة. وهناك رسالة الماجستير للباحث العراقي علي كاظم الشيخ عن مسكوكات الخليفة الناصر لدين الله حيث وثق الباحث النجمة السداسية كأحد الأشكال الزخرفية التي نقشت على مسكوكات الخليفة الناصر دون أن يقف عند المعاني الرمزية لها. كما يتكرر الأمر في العديد من الدراسات الحديثة مثل: كتاب القيم الجمالية في العمارة الإسلامية لثروت عكاشة وكتاب تاريخ الزخرفة لسامي بشاي.

مقدمة:

لم يلتفت كثير من الناس إلى وجود النجمة السداسية في الفن الإسلامي أو غير الإسلامي قبل أن تصبح شعاراً للحركة الصهيونية المعاصرة. كما أن الناس لم يكونوا يفرقون كثيراً بين نجمة سداسية وأخرى خماسية أو غير ذلك من عدد رؤوس النجوم المنفذة في زخرفة الآثار، سواء كانت آثاراً منقولة، مثل: المشغولات المعدنية أو الزجاجية أو الفخارية أو المنسوجات وغيرها أو آثار غير منقولة مثل العمائر بمختلف أشكالها.

ولتأصيل هذا الموضوع ووضعه في إطاره الطبيعي وسياقه التاريخي كان لا بد من هذا البحث الذي يعتمد الحقيقة العلمية وطرق البحث العلمي منهجاً له بعيداً عن الانحياز والتعصب. والسبب الآخر الذي دفعني للكتابة في هذا الموضوع هو المحاولات المستمرة لتهويد تراثنا وهويتنا الحضارية والثقافية، ومحاولة السطو عليها في وضح النهار بدون أي خجل من التاريخ أو من الباحثين الذين أصبح واجباً عليهم أن يواجهوا هذا السعي المحموم والجدي لقلب الحقائق. ونحن هنا لا نطلب من الباحثين سوى أن يكشفوا الحقيقة التي أصبحت مغيبة عن الأنظار. وهي مهمة أسهل من مهمة الذين يحاولون تزوير تلك الحقائق، لأن الدليل والحجة العلمية والمنطقية موجودة ونحتاج إلى كشفها، أما المزورون فالحقيقة غير موجودة، حيث يتطلب جهداً عظيماً من أجل إقناع الآخرين بها. ومع ذلك فأنا أعجب من نشاط المزورين ومن قلة نشاط الباحثين للرد على إدعاءاتهم.

تاريخ ظهور النجمة السداسية:

أشار الدكتور عبد الوهاب المسيري في موسوعته عن اليهود واليهودية والصهيونية دون غيره من الباحثين إلى ظهور النجمة السداسية بقوله «وُجدت النجمة السداسية في النقوش المصرية القديمة والهندوكية والصينية وفي نقوش حضارات أمريكا الجنوبية.

وكانت أيضاً رمز خصب في الحضارة الكنعانية. كما وُجدت هذه النجمة على ختم عبراني يعود إلى القرن السابع قبل الميلاد، وعلى قبر عبراني في القرن الثالث، وعلى معبد يهودي في الجليل في القرن نفسه، وفي مقابر اليهود بالقرب من روما، وعلى حوائط القدس من العهد العثماني، وفي أحجبة عربية من القرن التاسع، وفي نصوص سحرية بيزنطية، وفي كتب سحر من العصور الوسطى الغربية، وفي الفلكلور الألماني، وفي آثار فرسان المعبد المسيحيين. والنجمة السداسية هي أيضاً إحدى شارات الماسونيين الأحرار، وقد وُجدت على مبنى المدينة القديمة في فيينا، وعلى كثير من الكنائس في ألمانيا. كما كانت تُوضَع على الحانات في جنوبي ألمانيا، إذ يُقال إن أتبا ع العالم فيثاغورث كانوا يستخدمون هذه النجمة السداسية حين يتسولون لينبهوا رفاقهم إلى أنهم وجدوا في هذا المكان أهل سخاء وكرم. وما زال الشكل يظهر في زخرفة بعض المباني، وإن كان هذا نادراً الآن، لأن الشكل الهندسي المجرد فَقَد براءته الزخرفية واكتسب مضموناً دنيوياً أو دينياً محدداً» [١] .

وغني عن القول إن استخدام النجمة السداسية في الأمثلة السابقة كان بوصفها شكلاً هندسياً زخرفياً، ليس له مضمون يهودي أو غير يهودي. **وهناك العديد من الأمثلة على آثار يهودية نسردها هنا للدلالة على المعنى الهندسي الزخرفي ذاته للنجمة السداسية ليس إلا، منها:**

١. كتاب مدرسي لتعليم الأبجدية العبرية من مصر، يعود للقرن الحادي عشر الميلادي، من محفوظات مكتبة كامبريدج، نرى نجمتين صغيرتين تحيطان بالشمعدان الكبير الذي يثبت تحت قنطرة يتدلى من وسطها قنديل، وهي الصورة المختزلة للهيكل المقدس في اليهودية. تعود هذه النجوم وتظهر في الإنتاج الفني اليهودي في القرون الأولى التي تلت الألفية الميلادية الأولى [٢] . حيث عُثر على أقدم نسخة من الكتاب المقدس اليهودي في سانت بطرسبرغ، ويرجع تاريخ هذا الكتاب إلى عام ١٠١٠م، وغلاف هذا الكتاب مزين بنجمة سداسية (أنظر الشكل ١) .

٢. تم العثور على مخطوطة قديمة للكتاب المقدس اليهودي المعروف بإسم التناخ في طليطلة ترجع إلى عام ١٣٠٧ م، وقد زيِّنت هذه المخطوطة بالنجمة السداسية [٣] .

٣. ظهرت النجمة السداسية في براغ التي كانت في العصور الوسطى جزءاً من الإمبراطورية النمساوية، حين تعرضت لهجوم من قبل جيش السويد، وكان من بين المدافعين عنها مجموعة من اليهود فاقترح إمبراطور النمسا آنذاك فرديناند الثالث أن يكون لكل مجموعة راية تحملها للتمييز بينها وبين القوات الغازية التي تحصنت في المدينة وبدأت تشن حرب عصابات، وعلى أثر هذا الاقتراح قام أحد القساوسة اليسوعيين بأخذ أول حرف من حروف «داود» وهو حرف الدال باللاتينية والذي هو على شكل مثلث حيث كتبه مرة بصورة صحيحة ومرة بصورة مقلوبة، ومن ثم أدخل الحرفين ببعضهما البعض ، وبهذا

حصل على الشكل الذي يعرف اليوم بنجمة داود، وأخيراً قام ذلك القسيس برسم النجمة على الراية وعرضها على الإمبراطور الذي وافق على اتخاذها شعاراً لمجموعة اليهود المدافعين عن مدينة براغ. وأعجبت الفكرة الجالية اليهودية هناك فتبنتها شعاراً، ومن ثم أصبحت النجمة رمزاً رسمياً دنيوياً لليهود. وقد اتخذها بعض طابعي الكتب اليهود في براغ علامة لهم وانتشرت منها إلى إيطاليا وهولندا. ويُلاحَظ أن النجمة السداسية كانت– حتى ذلك الوقت– مجرد علامة لا رمزاً دينياً أو قومياً. وانتشر استخدام هذه العلامة من براغ إلى الجماعات اليهودية الأخرى [٤].

٤. استخدم أعضاء الجماعة اليهودية في فيينا النجمة السداسية سنة ١٦٥٥م رمزاً لهم، وحينما طُردوا من فيينا حملوها إلى مورافيا ووصلت منها إلى أمستردام. ويُلاحَظ أنها لم تنتشر في شرقي أوروبا إلا مع بدايات القرن الثامن عشر، ففي هذا التاريخ بدأت النجمة السداسية تتحول إلى شارة لليهود [٥]. وفي أوائل القرن التاسع عشر بدأت تظهر هذه النجمة في أدبيات معاداة اليهود رمزاً دالاً عليهم.

٥. وفي عام ١٨٢٢، تبنت عائلة روتشيلد في النمسا [٦] هذه النجمة رمزاً لها، بعد أن رُفع بعض أعضائها إلى مرتبة النبلاء. كما استخدمها هايني– الشاعر الألماني المتنصِّر– للتوقيع على خطاباته [٧]. ولم يكن يحمل الشعار في ذلك الزمن الدلالة الدينية التي يحملها اليوم. حيث لم تحمل النجمة بالنسبة إلى كل هؤلاء أية دلالة دينية أو قومية أو إثنية، فليس لها امتدادات في تواريخ الجماعات اليهودية. ومن ثم، يمكن اعتبارها علامة ازدادت ارتباطاً ببعض الجماعات اليهودية في الغرب، وكان اختيار عائلة روتشيلد لها هو الذي منحها مكانة وشرعية. كما أن دراسة هذه الشواهد تثبت أن هذا العنصر لا يبرز كتعبير أساسي يختزل اليهودية كما تعتقد العامة اليوم في الشرق كما هو الحال في الغرب.

٦. ساهمت الحركة النازية بشكل أساسي في تأكيد هذا الرمز وترسيخه. وكان على اليهود ارتداؤها رمزاً للشعب اليهودي العضوي، ولتمييزهم عن الفولك أو الشعب الألماني العضوي. ولهذا، أصبحت النجمة مرتبطة في الوجدان اليهودي بالإبادة. ويرى بعض اليهود أن العلامة التي ارتبطت في الأذهان بذُلّ اليهود وإبادتهم لم تَعُد تصلح لأن تكون رمزاً لهم، في حين يرى بعضهم الآخر أنها – لذلك السبب– أصبحت رمزاً لتاريخ الشعب [٨].
وفي ظل حكم بيتان، أصدرت الحكومة الفرنسية في أيار من عام ١٩٤٢ قرارا يلزم اليهود عدم الظهور في الأماكن العامة بدون «النجمة اليهودية»، وهي بحسب تعبير هذا القرار «نجمة ذات ستة رؤوس حجمها بحجم كف اليد، خطوط حدودها سوداء، وهي من القماش الأصفر»[٩].

٧. ولعل اكتساب الرمز لبعض الإيحاءات الدينية كان سبب انتشاره في زخارف المعابد اليهودية، مع بداية القرن السادس عشر [١٠] .

٨. ويستخدم الإسرائيليون اليوم النجمة السداسية الحمراء مقابلاً للصليب الأحمر، أو الهلال الأحمر، وتُسمَّى هذه النجمة بالعبرية «ماجن ديفيد أدوم». وترفض منظمة الصليب الأحمر الدولي الاعتراف بالنجمة السداسية الحمراء رمزاً، ولذا فإنها لم تقبل إسرائيل عضواً في المنظمة الدولية، إذ إن إسرائيل تجعل انضمامها مشروطاً بذلك [١١] .

النجمة السداسية في الثقافة اليهودية:

التسمية:

١. يسميها اليهود نجمة داوود. وهذه التسمية لُفِّقت ورتِّبت دون الاستناد إلى أي دليل من التاريخ أو من الآثار أو من الكتب المقدسة، ومن المعروف أن سيدنا داود عليه السلام كان صانعاً محترفاً للدروع [١٢] ، وليس له أي علاقة بالنجوم أو صناعتها، أما القول بأن الدروع كانت على شكل النجمة السداسية؛ فهذا قول افتراضي لا يستند إلى أي دليل مادي أو أدبي. أما سيدنا سليمان فقد دلت الروايات التقليدية والموروثة أنه كان يملك خاتماً سحرياً عجيباً له قدرات سحرية كبيرة، وهذا الخاتم منقوش عليه «لا إله إلا **الله** محمد رسول **الله**»[١٣]. وأما القول بأن خاتم سليمان كان منقوش عليه نجمة سداسية فهذا قول غير مدعوم بأي دليل من الآثار أو من المصادر المكتوبة المقدسة أو غير المقدسة. وبالرغم من كل ما سبق نجد أن اليهود أطلقوا أسم «نجمة داود» على النجمة السداسية دون أن يكون لذلك أي دليل أو مسوغ مادي أو غير مادي.

٢. تسمى النجمة أيضا بخاتم سليمان، وهذه التسمية معروفة في الأدبيات الإسلامية كعلامة يختم بها الإنسان نفسه ويحميها من السوء. ووفقاً للروايات المتوارثة في الأدب الإسلامي، أنعم **الله** على سليمان بن داوود بخاتم عجيب استطاع بوساطته إخضاع الجن والعفاريت، وقد تحولت النجمة السداسية إلى رمز لهذا الخاتم، كما يستدل على ذلك من خلال عدد كبير من الأحجبة والتمائم والكتب المصورة التي وصلتنا من ديار العالم الإسلامي الواسع [١٤] . وقد كان يهود اسبانيا يطلقون اسم خاتم سليمان على النجمة السداسية الرأس[١٥]. مع ملاحظة أن المسلمين يؤمنون بأن نقش خاتم سليمان يحمل شعار التوحيد (لا إله إلا **الله** محمد رسول **الله**) . ونجد في الأدب الإسلامي بفروعه المتعددة شهادات كثيرة في ما يحمله هذا الخاتم من كلمات دينية [١٦] ، منها ما جاء في حكاية روتها شهرزاد في الليلة الثالثة والتسعين بعد الستمائة «ألف ليلة وليلة»، وفيها يقول خال الأمير بدر

للملك الذي ظن أن ابنه لن يسلم من البحر: «يا ملك البر، إنا كحّلناه بكحل نعرفه، وقرأنا عليه الأسماء المكتوبة على خاتم سليمان بن داود عليه السلام، فإن المولود إذا ولد عندنا، صنعنا به ما ذكرت لك، فلا تخف عليه من الغرق ولا الخنق ولا من سائر البحار إذا نزل فيها»(١٧) .

٣. وتسمى النجمة بالعبرية «ماجين داويد» بمعنى «درع داوود» (١٨) . ويبدو أن عبارة «درع داود» لا تُستخدَم للإشارة إلى النجمة السداسية إلا في المصادر اليهودية، إذ تستخدم المصادر غير اليهودية عبارة «خاتم سليمان». ويبدو أن التسمية الأخيرة من أصل عربي إسلامي، ويذكر عبد الوهاب المسيري أنه كان يُشار إلى النجمة الخماسية (وهي المنافس الأكبر للنجمة السداسية) باعتبارها أيضاً «خاتم سليمان» (١٩) . وتذكر الروايات أن نبي **الله** داود عليه السلام كان يصنع الدروع (٢٠) ويبيعها ويترزق من هذه الصنعة بدل الإنفاق على نفسه من بيت المال، وكانت دروعه المتقنة وذات الكفاءة العالية قد أكرمه **الله** تعالى بتعلم صناعتها كما أشار بذلك القرآن الكريم (٢١) . وتوصف بأنها دروع سابغات أي دروع كاملة واسعة، مسرودة (٢٢) ، حيث كانت الدروع قبله عبارة عن صفائح ثقيلة، فصنعها داود وقدرها فيما يجمع ما بين الخفة والحصانة (٢٣) .

ولكن هي العلاقة بين درع داود وبين النجمة السداسية؟ ، هذا ما يصعب إثباته مادياً أو أدبياً، حيث أنه في وصف الدروع التي صنعها داود عليه السلام لا يوجد أي ذكر إلى أنها كانت على شكل النجمة السداسية، بل دروع سابغات كاملات تجمع بين الخفة والحصانة كما مر أعلاه. ومن ناحية أخرى لم تشر التوراة أو أي مرجع تاريخي إلى أن داود كان يتعامل بما يشبه النجمة السداسية أو غير ذلك من الرموز.

ولكن النجمة السداسية كانت تُذكَر في الكتابات السحرية اليهودية (في الأحجبة والتعاويذ) جنباً إلى جنب مع أسماء الملائكة. وبالتدريج، أُسقطت الأسماء وبقيت النجمة درعاً ضد الشرور، واكتسبت النجمة السداسية هذه الصفة الرمزية كدرع ابتداءً من القرن الثالث عشر الميلادي. ومع هذا استمر استخدام عبارتي «درع داود» و «خاتم سليمان» للإشارة إليهما في الفترة بين القرنين الرابع عشر والسابع عشر الميلاديين، كما كانت تُستخدَم عبارة «درع داود» للإشارة إلى شمعدان المينوراه. ولكن، بمرور الوقت، اقتصر استخدام هذه العبارة على الإشارة إلى النجمة السداسية وحدها (٢٤) .

الإدعاءات اليهودية:

رأى اليهود أن هذا الشكل الزخرفي – النجمة السداسية – الذي أصبح يلازمهم ويدل عليهم؛ يمكن أن يُستغلّ استغلالاً على أسس جديدة ذات بعد ديني قومي، **فبدأ يظهر في**

الثقافة اليهودية منذ القرن التاسع عشر على أشكال وصور عدة منها:

١. كانت النجمة تُستخدَم في تميمة الباب (ميزوزاه) (٢٥) ، فكانت تُكتَب عليها أسماء سبعة ملائكة، ويصحب اسم كل ملاك النجمة السداسية (٢٦) .

٢. تتحدث القبَّالاة (٢٧) عن العالم العلوي والسفلي المتقابلين. وبهذا يصبح المثلثان (رأس أحدهما إلى أعلى ورأس الآخر إلى أسفل) رمزاً لهذا التقابل ولحركة الصعود والهبوط، ومعادلاً رمزياً لعلاقة عالم الظاهر بعالم الباطن (٢٨) .

٣. كانت النجمة ترمز أيضاً إلى ظهور الماشيَّح من صدر إبراهيم. ولذا كان يشار أحياناً إلى النجمة السداسية باعتبارها درع داود وإبراهيم (٢٩) . وكانت النجمة أيضاً رمزاً مشيحانياً يمثل برج الحوت (٢١شباط ٢٠ آذار) ، وهو الوقت الذي كان يُفترَض أن يظهر فيه الماشيَّح. وأصبح درع داود رمز درع ابن داود، أي الماشيَّح (٣٠) .

٤. إدعى اليهود أن أطراف النجمة الستة ترمز إلى أيام الأسبوع الستة. وأما المركز فهو يوم السبت (٣١) .

٥. ومن الأمور التاريخية التي أسقطوها وحمَّلوها على الشكل السداسي أنهم اعتبروها رمز لتحرير اليهودية من العبودية بعد أربعمائة سنة قضوها في مصر في العصر البرونزي المتأخر. فالشكل المثلث للهرم يدل على التصوير الشامل للسلطة أما الهرم الآخر المقلوب فيعني الخروج عن هذه السلطة (٣٢) .

علاقة الصهيونية بالنجمة السداسية:

تبنَّت الحركة الصهيونية النجمة السداسية رمزاً لها، وقد ظهر ذلك الرمز على العدد الأول من مجلة «دي فيلت» التي أصدرها هرتزل في ٤ حزيران ١٨٩٧م، ثم اختيرت رمزاً للمؤتمر الصهيوني الأول، ووضعت على عَلَم المنظمة الصهيونية (٣٣) . وهنا ظهرت الصهيونية بوصفها أهم تعبير عن أزمة اليهودية، الحاخامية، وحاولت هذه العقيدة السياسية أن تطرح نفسها بديلاً للعقيدة الدينية.

أن اختيار الصهاينة للنجمة السداسية كان اختياراً ذكياً يُعبِّر عن غموض موقف الصهيونية من اليهودية. فالصهيونية ترفض العقيدة اليهودية، ولكنها تريد في الوقت نفسه أن تحل محلها وتستولي على جماهيرها. ولإنجاز هذا الهدف، احتفظت الصهيونية بالخطاب الديني والرموز الدينية بعد أن أعطتها مضموناً دنيوياً قومياً. وقد احتفظت الصهيونية بفكرة القداسة الدينية، ولكنها خلعتها على الدولة والشعب وعلى تاريخ الأمة، أي أن ثمة تداخُلاً كاملاً بين الدنيوي والمقدَّس. والنجمة السداسية تتسم أيضاً بهذا التداخل،

فهي رمز شائع بين اليهود وعلامة دالة عليهم، أي أنها رمز قومي. ولكن هذا الرمز اكتسب إيحاءات دينية لا ترقى إلى مستوى المضمون الديني المُحدَّد، فهو يحمل قداسة ما، ولكنها قداسة مرتبطة بالرمز الدنيوي. وقد يكون غموض مصدر القداسة عيباً من المنظور الديني، ولكنه من منظور صهيوني يشكل مصدر قوة، إذ كان الصهاينة يبحثون عن رمز يجسد فكرة قداسة اليهود لا قداسة اليهودية، وهذا ما أنجزته لهم النجمة السداسية. [٣٤]

ومهما كان الأمر، فإن الدولة الصهيونية اتخذت شمعدان المينوراه [٣٥] شعاراً لها، ولم تَعُد النجمة تظهر إلا على العَلَم.

المسكوكات اليهودية:

تعدُّ المسكوكات اليهودية من أكثر الأدلة المادية الباقية الدالة على الحقب التاريخية التي حكم فيها اليهود في أرض فلسطين، مع ملاحظة أن تلك النقود أو المسكوكات لم تضرب في ظل دولة سيادية أو حكم سياسي مستقر؛ بل ضربت من قبل ثورات وحركات تمرد قامت في المنطقة عبر فترات تاريخية متباعدة ضد حكم الدولة أو الإمبراطورية التي كانت تحكم المنطقة، **وتنحصر المسكوكات اليهودية في ثلاث ثورات هي**:

١. الثورة المكابية ضد الحكم السلوقي.

٢. الثورة اليهودية الأولى ٦٦– ٧٠ م ضد الدولة الرومانية.

٣. ثورة باركوخبا ١٣٢– ١٣٥م ضد الحكم الروماني أيضاً.

وفيما عدا الثورة المكابية فلم تستمر الثورتان الأخريان سوى سنوات قليلة تمكن الرومان بعدها من قمع التمرد والقضاء عليها. وفيما يأتي عرض لنماذج مختارة من المسكوكات اليهودية ووصف لها، حيث لا تظهر أي من النجوم السداسية عليها، بالرغم من أنها أقرب عهداً لأصول الديانة اليهودية مما هي عليه في عصر الحركة الصهيونية الحديث التي تبنت النجمة السداسية شعاراً لليهود دون أي سند تاريخي أو ديني، حيث إنه لو كان هناك أدنى شك بوجود شعار «نجمة داود» في الثقافة العبرية لكان أجدر بهم أن يرسموها على نقودهم بدل من رسم أمور أخرى عديدة مثل ثمار الفاكهة أو الآنية أو الأشكال النباتية الأخرى.

١. نقود الثورة المكابية (الحشمونية) :

ضربت مسكوكات يهودية عبارة عن قطع صغيرة من البرونز، قام بسكها كل من الملك اليهودي جون هركانوس (١٣٤– ١٠٤ق. م) والملك الكسندر إليانس (١٠٣– ٧٦ق.

م) وهذا الأخير إبن اخ يهودا المكابي من سلالة الحشمونيين [٣٦] . وقد عمل ذلك هؤلاء الملوك ومن جاء بعدهم من السلالة الحشمونية بالوصية الثانية من الوصايا العشر عند اليهود التي تمنع صناعة الأصنام، أو أي رسم يشابه صناعة المخلوقات البشرية أو الحيوانية[٣٧]، ولهذا فقد ظهرت على مسكوكاتهم صور كالنخيل والمرساة والزهور وقرون الخصب والنجوم ذات الثمانية رؤوس إشعاعية [٣٨] ، وهي ليست نجمة سداسية، بل إن شكلها لا يوحي بأنها نجمة، بل هي عبارة عن نقطة مركزية تنطلق منها ثمانية خطوط في جميع الاتجاهات، وكانت الكتابة على هذه النقود باللغات اليونانية والآرامية أو العبرية القديمة. (أنظر شكل رقم١٠) .

٢. نقود الثورة اليهودية الأولى:

وقعت هذه الثورة في عام ٦٦م ضد الرومان، فأرسل الإمبراطور الروماني نيرون قائده فلاسبيس فسبيانوس الذي تمكن من خلال القائد الميداني «تيطس» من القضاء على الثورة بعد أربع سنوات من انتشارها في جبال فلسطين الوسطى، وقد أصدر اليهود خلال سنوات هذه الثورة مسكوكات فضية وبرونزية [٣٩] . أما النقود الفضية مثل الشاقل فقد حمل رموزاً مثل حبات الرمان والكأس، كما حملت النقود البرونزية أو النحاسية رموز أخرى مثل ورق العنب أو الكأس أو شجر النخيل أو سعف النخيل، إضافة إلى كلمات بالخط العبري القديم الذي لا يختلف كثيراً عن الأبجدية الأرامية (أنظر الشكل ١١) [٤٠] . ولم يكن من بين جميع هذه الأشكال أي رمز يوحي إلى الشكل السداسي.

٣. نقود ثورة باركوخبا:

وقعت هذه الثورة في الأعوام ١٣٢– ١٣٥م ضد الحكم الروماني بقيادة «شمعون باركوخبا»، وقد قمع الرومان هذه الثورة، ومنع الإمبراطور هدريان اليهود على خلفية هذه الثورة من دخول مدينة القدس وغيّر أسمها إلى « إيليا كابيتولينا» وشتت شمل اليهود في أرجاء المعمورة خاصة إلى أوروبا [٤١] . لقد ضرب اليهود في سنوات هذه الثورة نقوداً فضية وأخرى برونزية تحمل رموزاً مثل نبات اللبلاب وبوابة المعبد والكأس والجرة، وورقة العنب، وعنقود العنب، والنخلة، وسعف النخلة، والآلة الموسيقية (Lyre) ، والبوق، وكتابات باللغة العبرية القديمة (أنظر الشكل ١٢) [٤٢] . دون أن يكون من بين هذه الرموز رمز سداسي واحد.

من ناحية أخرى فقد ضُربت في مدن فلسطين والأردن أعداد كبيرة من النقود خلال العصر الروماني من قبل ولاة حكموا المنطقة بأسم الإمبراطورية الرومانية فيما يعرف في التاريخ بـ (City coins) ، ولكن أي من هذه النقود لم يحمل رمزاً أو شكلاً سداسياً، أو إشارة إلى وجود اليهود في هذه البلاد [٤٣] .

النجمة السداسية في آثار الحضارات السابقة على الإسلام:

١. وقبل البدء بتاريخ ظهور النجمة السداسية على الآثار الإسلامية لا بد من إعطاء فكرة موجزة عن ظهور تلك النجمة في آثار الحضارات المختلفة. فقد اعتبرت النجمة السداسية من أهم وأقوى الرموز في علوم وفنون السحر والشعوذة. وقد استخدمت في ممارسات قديمة لتفسير ما هو مجهول أو ما وراء الطبيعية [٤٤]. ففي مصر الفرعونية كانت النجمة السداسية رمزاً هيروغليفياً لأرض الأرواح [٤٥]. وفي الحضارة الكنعانية كانت النجمة السداسية ترمز للآلهة مولك ورمفان وزحل. كما أن تلك النجمة كانت رمزاً للخصب عند قدماء الكنعانيين [٤٦]. كما كانت رمزاً لأتحاد القوى المتضادة مثل الماء والنار، والذكر والأنثى في الثقافة الهندوسية [٤٧]، كما هو الحال في علم الكيمياء [٤٨]. وكانت النجمة السداسية من الرموز الفلكية المهمة في علم الفلك والتنجيم عند الزرادشتيين [٤٩].

يرتبط ذكر النجم في التوراة بالآلهة الكاذبة التي كرّمها اليهود تقليداً للوثنيين في الحقبة الأخيرة من تاريخ بني إسرائيل [٥٠]. ولم يكن هناك أي إشارة إلى رمز من رموز بني إسرائيل أو اليهود يشير إلى شكل النجمة السداسية.

ومن خلال تتبع النص الذي أوردته التوراة والأسفار اليهودية المقدسة في وصف الهيكل الذي بناه النبي سليمان (عليه السلام) ؛ لم يكن هناك أي إشارة إلى أي زخرفة أو رمز على شكل نجمة سداسية، بالرغم من إسهاب تلك الأسفار في وصف العمارة التي شيدها النبي سليمان سواء في الهيكل أو غيره من القصور والمباني [٥١].

ولقد كان للمسيحية دور كبير في تبني اليهود للنجمة السداسية، حيث أخذ اليهود يبحثون عن رمز لليهودية يكون مقابلاً لرمز المسيحية (الصليب) الذي كانوا يجدونه في كل مكان. ذلك أن انتشار ذلك الرمز في القرن التاسع عشر كان دليلاً على أن اليهودية الحاخامية الدينية بدأت تَضعُف وتفقد تماسكها الداخلي. فأخذت تبحث عن رمز يمكنها من خلاله أن تعيد صياغة نفسها على أسس مسيحية [٥٢].

النجمة السداسية في الآثار الإسلامية:

لم تتجاوز النجمة السداسية في الفن العربي الإسلامي كونها تعبيراً زخرفياً مجرداً من أي معنى أو دلالة. فقد تعامل العرب المسلمون مع التصوير بشكل عام إنطلاقاً مما يمليه عليهم دينهم الإسلامي الذي حرّم تصوير الكائنات التي فيها روح وتجسيمها، مثل صور الإنسان والحيوان والطير ونحوها [٥٣]، ولكن الفنان المسلم وجد مجالات كثيرة للإبداع الفني بعيداً عن تصوير الكائنات الحية، وأبدع ما أصبح يُعرف في الغرب بأسم الأرابسك

(Arabesque) أي الفن العربي أو الرقش العربي، وهو أشكال زخرفية نفذت على أنواع العمائر المختلفة من مساجد وقصور وبيمارستانات وخانات وحمامات وغيرها، أو على الآثار المنقولة من نسيج وتحف معدنية وخزفية وزجاجية وغيرها. وقوام تلك الزخرفة هي العناصر النباتية، والأشكال الهندسية وأشكال الخط العربي.

والعنصر الزخرفي الذي نود التركيز عليه في هذا البحث هو شكل النجمة السداسية كأحد الأشكال الهندسية التي أكثر الفنان المسلم من رسمه وتصويره على أصناف التحف والعمارة الإسلامية، معتبراً ذلك شكلاً زخرفياً بحتاً لا وصاية لأحد عليه، ولا يؤدي أي معنى عقائدياً أو أيديولوجي، ولا يرمز إلى أي فئة أو جماعة كانت. فالفنان المسلم كان ينفذ الزخرفة الهندسية بأشكالها المتنوعة من مربعات ومستطيلات ومعينات ونجوم ذات خمسة رؤوس أو ستة أو سبعة أو ثمانية رؤوس دون أن يكون لذلك إلا معنى واحد وهو الزخرفة التي تملأ الفراغ على الطريقة الإسلامية [٥٤] ، حيث قُسّمت المساحة المراد زخرفتها إلى وحدات هندسية متساوية في المساحة ومختلفة في زخرفتها الداخلية، مما يحقق المبدأ الفني الإسلامي المعروف في الزخرفة وهو مبدأ «الوحدة والتنوع» [٥٥] .

فيما يأتي نماذج من زخرفة النجمة السداسية على العمائر والفنون الإسلامية:

١. قصر هشام في أريحا في فلسطين من العصر الأموي (انظر الشكل ٢) : الشكل السداسي في هذا القصر عبارة عن نافذة كانت في الطابق الثاني قبل أن يُهدم القصر في الزلزال الذي ضرب المنطقة عام ٧٤٨م، وما زال هذا الشباك ماثلاً في منتصف ساحة القصر حتى يومنا هذا، وهو على شكل نجمة سداسية مبنية من الحجر الرملي [٥٦] .

٢. قصر المشتى في الأردن من العصر الأموي [٥٧] (أنظر الشكل ٧) : إن أبرز معالم الزخرفة الباقية في واجهة هذا القصر عبارة عن سلسلة من الوريدات تختلف كل منها عن الأخرى اختلافاً طفيفاً، يفصل بينها شريط متصل متعرج في زوايا حادة، بحيث يجعل كل وريدة داخل مثلث متساوي الساقين، لها خلفية ذات نقوش محفورة تزينها محاليق الكروم وأشجار وحيوانات تشرب من كؤوس مزخرفة. تلك الوريدات ذات ست بتلات تشبه النجمة السداسية، ولكن أطرافها ملوية وليست حادة.

٣. مسجد أحمد بن طولون في مصر من العصر العباسي [٥٨] (أنظر الشكل ١٣) : يمكن ملاحظة النجوم السداسية في بعض نوافذ المسجد فيما يعرف باسم القماريات التي بلغ عددها في مسجد إبن طولون ١٢٨نافذة، كل منها تختلف عن الأخرى في تصميمها وزخارفها [٥٩] ، وهي شبابيك من الجبص مفرغ بأشكال هندسية مكررة، ويتم ملء الفراغات بالزجاج الملون بألوان زاهية براقة، مما يجلب إضاءة خافتة إلى داخل المسجد،

إضافة إلى جمال تلك القماريات. ويمكن الوصف بمثل هذا الكلام لنافذة من الجبص موجودة في مسجد الحاكم بأمر الله الفاطمي في القاهرة من القرن **١١** م، قوام زخرفتها المضلعات والنجوم السداسية (أنظر شكل ٨) [٦٠] .

٤. جامع الأزهر في القاهرة من العصر الفاطمي (أنظر الشكل ٩) : حيث تظهر المضلعات والنجوم السداسية في الجزء العلوي الخارجي من الجدران فيما يعرف باسم الشرافات (Crenellations) [٦١] ، وهي عنصر معماري معروف في فنون العمارة في العراق القديم، كما في العمارة الإسلامية أيضاً، ويؤدي وظائف جمالية إضافة إلى وظيفة التخفيف عن الجدار في الأعلى، وبخاصة أنها تكون مبنية بالجبص في الغالب، كما تمكن الناظر من رؤية الخارج دون أن يتمكن من في الخارج أو على سطوح البيوت المجاورة من رؤيتك.

٥. المدرسة المستنصرية في بغداد من العصر العباسي [٦٢] (أنظر الشكل ١٤) : ما زالت بناية المدرسة المستنصرية تحتفظ بأنواع كثيرة من الزخارف الهندسية التي قوامها نجوم ومضلعات هندسية متنوعة، حيث استعملت النجوم بشتى أنواعها الرباعية والخماسية والسداسية والثمانية، وذات الرؤوس التسعة والعشرة والإثني عشر... إلخ. بل يمكن القول إن الشكل السداسي يعدُّ العنصر الزخرفي الأبرز، حيث نلاحظ وجود مسدس منتظم تحيط به ستة مسدسات صغيرة منتظمة تتعاقب مع ستة أشكال هندسية سداسية مختلفة الأضلاع[٦٣].

٦. القصر العباسي في بغداد من العصر العباسي [٦٤] : وهو من المباني التي ما زالت ماثلة وشاهدة على فن الزخرفة الجدارية الإسلامية، التي نفذت بالعناصر النباتية والهندسية والخط العربي، أما الأشكال الهندسية، فإن الأشكال النجمية والطبقية المعتمدة على المضلعات الهندسية السداسية وغير السداسية تعدُّ العنصر البارز في تلك الزخارف. ومنها على سبيل المثال شكل يمثل نجمة ثمانية الرؤوس تحيط بها نجوم خماسية تحصر بينها نجوماً سداسية الرؤوس مندمجة مع بعضها بعضاً، وكذلك الحال مع المضلعات السداسية التي تحصر بينها نجوماً سداسية الرؤوس، إضافة إلى الأطباق النجمية السداسية التي تُعد بالعشرات [٦٥] .

٧. سور مدينة القدس من الحقبة العثمانية: من المعروف أن السلطان العثماني القوي سليمان القانوني هو الذي أمر بإعادة بناء سور مدينة القدس الذي نشاهده اليوم، وبنى بواباته الضخمة في كل إتجاه، صحيح أن السور كان موجوداً في عصور سابقة على ذلك، ولكن سليمان القانوني هو آخر من عمره ورفع أركانه، إن الذي يتجول حول السور من

الجهات الخارجية يلاحظ العديد من أنواع الفنون الإسلامية سواء النباتية أم الهندسية أم اللوحات التوثيقية المكتوبة بالخط العربي، ومن بين هذه الزخارف أشكالٌ هندسية على شكل نجمة سداسية منقوشة على حجارة خاصة ومثبتة في وسط الجدار تؤدي وظيفة زخرفية (٦٦) ، وتعمل على كسر الملل في الجدار المصمت كما هو معروف في زخرفة الواجهات في العمارة الإسلامية. جدير بالذكر أنه في الآونة الأخيرة قامت ضجة إعلامية حول هذه النجمة في الجدار، وأتهمت بعض وسائل الإعلام المحلية – التي تنبهت لوجودها متأخرة– جهات يهودية بمحاولة تهويد سور القدس عن طريق استبدال حجارته الأصلية بحجارة منقوش عليها نجمة سداسية. والحقيقة أن هذه الحجارة أصلية في الجدار منذ أيام السلطان سليمان القانوني في منتصف القرن ١٦ ميلادي، وهي زخرفة إسلامية مجردة من أي معنى آخر، وهي موجودة في الجدار حتى قبل أن يتم تبنيها من قبل الحركة الصهيونية في القرن التاسع عشر. (أنظر شكل ٦) .

٨. البيوت الفلسطينية التراثية التقليدية (٦٧) : وهذه البيوت منتشرة بكثرة في العديد من المدن والقرى الفلسطينية، مثل البلدة القديمة في مدينة الخليل ونابلس والقدس، وقرى بيت أمر وسعير ودورا من قضاء الخليل والعديد من قرى قضاء رام الله ونابلس. وقد اهتم صانعو الحجر (النقّاشون) بزخرفة بعض الحجارة البارزة في البناء قدر الإمكان، وذلك حسب الحالة المادية لمالك البيت، وكان من بين تلك الزخارف زخرفة النجمة السداسية التي كانت تنقش على الحجر البارز في مفتاح العقد في المدخل الرئيسي للبناء، مما يعطيه أهميه خاصة. ويمكن ملاحظة هذا الشكل الزخرفي وغيره من الزخارف الهندسية في كثير من قرى الكراسي الفلسطينية (٦٨) . جدير بالملاحظة هنا أن زخرفة النجمة السداسية كانت تنقش على أقواس البيوت التابعة للمسلمين وللمسيحيينن على حد سواء (٦٩) ، مما يدل على أنها لا تحمل أي رمز أو معنى أيدويلوجي، سوى أنها عنصر زخرفي مجرد.

منبر المسجد الأقصى في القدس من العهد الأيوبي (٧٠) : لم تخرج زخرفة المنبر عن تقاليد المدرسة الإسلامية في الزخرفة من حيث العناصر النباتية والهندسية والخط العربي، أما بالنسبة للعناصر الهندسية والتي كان التركيز فيها على الأطباق النجمية، فيمكن مشاهدتها في باب المنبر، وعلى المثلثين المحيطين بالمنبر من اليمين واليسار. وهذه الأطباق النجمية إما أن تكون ثمانية أو سداسية، كما أنه يوجد نجمة سداسية واضحة وبارزة المعالم في منتصف زخرفة باب مدخل المنبر (أنظر الشكل ١٥) . حيث بداية ظهور الأطباق النجمية في الفنون الإسلامية في القرن ٦هـ/ ١٢م في نهاية الدولة الفاطمية، وتظهر في المنبر الخشبي لمسجد السيدة رقية والسيدة نفيسة، (٧١) .

٩. كما أننا يمكن أن نلاحظ تلك النجوم السداسية وغير السداسية بكثرة في زخرفة محراب المسجد الإبراهيمي في الخليل الذي صنعة الفاطميون الشيعة [٧٢] ، ونصبوه في مشهد عسقلان، (أنظر الشكل ١٦) إلا أن السلطان صلاح الدين الأيوبي أمر بإحضاره إلى المسجد الإبراهيمي في الخليل [٧٣] ، ليعيد الاعتبار إلى مسجدها بعد حقبة الإحتلال الصليبي كما فعل أمراً مشابهاً في مدينة القدس ومسجدها الأقصى. جدير بالذكر أن منبر المسجد الأقصى أُحرق على يد متعصب أسترالي في ٢١/ ٨/ ١٩٦٩م [٧٤] ، في حين بقي منبر المسجد الإبراهيمي الشاهد الوحيد في فلسطين على تلك الحقبة التاريخية.

١٠.نقود صلاح الدين الأيوبي: حملت نقود صلاح الدين الأيوبي المضروبة في مدينة حلب نجمة سداسية [٧٥] محاطة بمأثورات وكلمات توثيقية ودينية [٧٦] (أنظر شكل ٥) ، أما نقود السلطان صلاح الدين المضروبة في دمشق فكان يتوسطها شكل مربع في أغلب الأحيان [٧٧] . وفي الحقبة الأيوبية اللاحقة نجد أن هناك العديد من دور ضرب النقود اتخذت من النجمة السداسية شعاراً لها على فترات متباعدة منها مدن: (حلب، وماردين، ودمشق، والرها، وميفارقين، وأخلط، والحصن، ومنبج) [٧٨] في عهود كل من الملوك الأيوبيين التالية أسماؤهم: (الملك العادل بن أيوب، والملك الكامل بن أيوب، والملك الظاهر غازي، وشاه أرمن بن الملك العادل، والملك الأفضل بن الملك الظاهر) [٧٩] ، كما أن مدينة الحصن ضربت نقوداً عليها النجمة السداسية في عهد هولاكو بعد الغزو المغولي [٨٠] . وهناك نقود مغولية من القرن الرابع عشر ميلادي من ضرب مدينة بخارى تحمل النجمة السداسية أيضاً كشكل زخرفي مجرد [٨١] .

١١.دولة المغرب العربي: لقد كانت النجمة السداسية تظهر على عملة [٨٢] ومباني ورايات وجيش دولة المغرب العربي (أنظرالشكل: ٣) ، ولم تُستبدل بالنجمة الخماسية إلا بعد أن تبنت دولة الإحتلال الإسرائيلي تلك النجمة على علمها في عام ١٩٤٨م.

الخاتمة والنتائج:

في نهاية هذا البحث يمكن القول بأن النجمة السداسية لم تكن رمزاً يهودياً بل كانت شكلاً هندسياً وحسب. وهي حين ظهرت على بعض المباني اليهودية قبل القرن التاسع عشر ميلادي، لم تكن لها دلالة رمزية، وإنما كان الغرض منها أداء وظيفة زخرفية فحسب.

ونستنتج كذلك أن المسلمين قد ساهموا من خلال إنتاجهم الفني في تثبيت فكرة أن خاتم سليمان منقوش عليه نجمة سداسية، وذلك منذ القرن الثالث عشر الميلادي. دون أن

يستند مثل هذا الأمر إلى أي دليل من التاريخ أو النصوص الدينية. مع العلم أن الحديث الشريف يشير إلى أن نقش خاتم سليمان عبارة عن عبارة التوحيد "لا إله إلا **الله** محمد رسول **الله**".

ونستنتج من البحث أن النجمة السداسية قد عرفتها العديد من الحضارات والديانات ولم تكن حكراً على أحد بعينه. كما تعامل المسلمون مع النجمة السداسية كعنصر زخرفي نقشوه على العمائر والمسكوكات خاصة في عهد صلاح الدين الأيوبي. وقد كان ذلك قبل أن يتم تبنيها من قبل الحركة الصهيونية. أما المسيحية فقد أثرت بشكل مباشر على اليهود في كثير من الجوانب، منها تبنيهم للنجمة السداسية حتى تكون في مواجهة الصليب المسيحي.

ولم تكن النجمة السداسية من بين الرموز العديدة التي نقشها اليهود على مسكوكاتهم في الحقبتين اليونانية والرومانية. كما لم تذكر التوراة بجميع أسفارها أي إشارة إلى النجمة السداسية، بما في ذلك الوصف المسهب للهيكل. وقد ساهم المجتمع الأوروبي في خلق فكرة النجمة السداسية عندما طلب من اليهود أن يميزوا أنفسهم بها. وكذلك فعلت النازية في القرن العشرين.

يبدو أن وجود النجمة السداسية منقوشة على مداخل البيوت في العديد من بيوت القرى والمدن الفلسطينية أو العربية والإسلامية بشكل عام راجع إلى المعنى الأسطوري والسحري الذي اكتسبته النجمة السداسية من خلال التقاليد والموروث الثقافي الإسلامي، كوسيلة لحماية البيت من العفاريت والشياطين، وأن لها طاقة سحرية كبيرة.

وأخيرا فقد تبين أن الحركة الصهيونية قد تبنت النجمة السداسية التي تطورت مع الزمن وأصبحت رمزاً دالاً على اليهود، وأعطت هذا الرمز بعداً دينياً قومياً لتحقيق أهداف سياسية.

المصادر والمراجع:

أولاً- المراجع العربية:

♦ القرآن الكريم

١. الكتاب المقدس.

٢. ابن الأثير، محمد بن عبد الكريم. الكامل في التاريخ، ج٩، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م.

٣. إبن حجر العسقلاني. لسان الميزان. موقع الوراق على الإنترنت، ، أبو ظبي، القرية الإلكترونية، ٢٠٠٣م.

٤. إبن سيد الناس. عيون الأثر في المغازي والسير. موقع الوراق على الإنترنت، ، أبو ظبي، القرية الإلكترونية، ٢٠٠٣م.

٥. إبن سيده، علي بن إسماعيل النحوي. المخصص، ج٢، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، بيروت، دار الآفاق الجديدة د. ت.

٦. إبن كثير، الحافظ. البداية والنهاية، ط١، ج٢، بيروت، مكتبة المعارف، الرياض، مكتبة النصر، ١٩٦٦م.

٧. ابو شامة، محمد بن عبد الرحمن الشافعي. الروضتين في أخبار الدولتين، ج٢، بيروت، دار الجيل، ١٩٧٤، ص١١٢– ١١٣

٨. أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي. مجاز القرآن ط٢، مكتبة الخانجي – دار افكر، ١٩٧٠م.

٩. أبو عبيدة، مجاز القرآن، موقع الوراق على الإنترنت، ، أبو ظبي، القرية الإلكترونية، ٢٠٠٣م.

١٠. الأحمد، أحمد عبسى. داود وسليمان في العهد القديم والقرآن الكريم. رسالة دكتوراه من جامعة القاهرة ١٩٩٠م، نسخة إلكترونية.

١١. الأعظمي، خالد. الزخارف الجدارية في آثار بغداد، الجمهورية العراقية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد، ١٩٨٠م.

١٢. الباشا، حسن: التصوير الإسلامي في العصور الوسطي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩م.

١٣. بابليون، أرنست. الآثار الشرقية، ط١، ترجمة مارون عيسى الخوري، طرابلس، لبنان، دار جروس برس ودار حكمت شريف، ١٩٨٧م.

١٤. بشاي، سامي وآخرون. تاريخ الزخرفة، القاهرة، مطابع الشروق، بيروت، مطابع الشروق، د. ت.

١٥. بدوي، حسام؛ الجندي، طارق. أسرار النجمة المقدسة. ط١، دمشق، الأوائل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م.

١٦. بلانت، رتشارد. النقود العربية والإسلامية، ط١، تعريب: بسام سروج وإبراهيم سروج، سوريا، منشورات مكتبة السائح، ١٩٩٤م.

١٧. تيمور، أحمد: التصوير عند العرب، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٢م.

١٨. الجعبة، نظمي. وبشارة، خلدون. رام الله: عمارة وتاريخ. رام الله، رواق، مركز المعمار الشعبي ومؤسسة الدراسات المقدسية، ٢٠٠٢م.

١٩. جواد، مصطفى. القصر العباسي في القلعة ببغداد، سومر مجلد ١، جزء٢، ١٩٤٥م.

٢٠. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر. تاريخ الخلفاء، ط١، تحقيق محمد محيي عبد الحميد، مصر، مطبعة السعادة، ١٩٥٢م.

٢١. الشيخ، علي كاظم. مسكوكات الخليفة الناصر لدين الله، رسالة ماجستير غير منشورة من جامعة بغداد، ١٩٨٩م.

٢٢. الصايغ، سمير. الفن الإسلامي، بيروت، دار المعرفة، د. ت.

٢٣. طالو، محي الدين. الفنون الزخرفية (زخارف عبر التاريخ) ، ج٥، دمشق، دار مشق للطباعة النشر والتوزيع، ١٩٩٥م، ص.

٢٤. العامري، سعاد. عمارة قرى الكراسي، رام الله، رواق، مركز المعمار الشعبي، ٢٠٠٣م.

٢٥. العبادي، أحمد مختار. في التاريخ العباسي، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧١م.

٢٦. عكاشة، ثروت. القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، ط١، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٤م.

٢٧. العليمي، مجير الدين الحنبلي. الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل. تحقيق: عدنان نباتة، عمان، مكتبة دنديس، ١٩٩٩م.

٢٨. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. إحياء علوم الدين، بيروت، دار المعرفة، ج٤، د. ت.

٢٩. الغزالي، أبو حامد. إحياء علوم الدين. موقع الوراق على الإنترنت، ، أبو ظبي، القرية الإلكترونية، ٢٠٠٣م.

٣٠. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن ج١١، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٤١م.

٣١. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن، ج١٤، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٤٥م.

٣٢. القرطبي، تفسير القرطبي، موقع الوراق على الإنترنت، أبو ظبي، القرية الإلكترونية، ٢٠٠٣م.

٣٣. القيسي، ناهض. موسوعة النقود العربية الإسلامية. ط١، عمان، دار أسامة، ٢٠٠١م.

٣٤. مجموعة من الفنانين. موسوعة الزخرفة، ط١، بيروت، مؤسسة الإيمان ودار الرشيد، ١٩٩٤م.

٣٥. المسيري، عبد الوهاب. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. مجلد ٣، مجلد٥، نسخة إلكترونية.

٣٦. منصور، جوني. معجم الأعلام والمصطلحات الصهيونية والإسرائيلية، ط١، رام الله، مؤسسة الأيام، ٢٠٠٩م.

٣٧. ويلسون، ايفا. الزخارف والرسوم الإسلامية، بيروت، دار قابس للطباعة والنشر والتوزيع. د. ت.

ثانياً- المراجع الأجنبية:

1. *Abu Khalaf, M. F. The Early Islamic Woodwork in Egypt and the Fertile Crescent. DPhil Thesis Unpublished. Oxford. 1985. pp: 136- 138.*
2. *Abu Khalaf , Marwan. Islamic Art Through The Ages. First Publish , Jerusalem , Emerezian Graphic & Printing Est. 1998.*
3. *Balog, Paul. The Coinage of the Ayyubids , London , Stephen Austin and Sons Ltd. 1980.*
4. *Hendin, David. Guide to Biblical Coins. Third Edition , New York, Amphora , 1996.*
5. *Meshorer , Ya,akov. Ancient Jewish Coinage , volume 1 , New York , Amphora Books , 1982.*

6. *Mitchiner, Michael. The World of Islam. London. Hawkins Publications, 1977, pp: 154- 159, 180- 185*

قائمة مواقع على الإنترنت:

1. *http:/ / kalachakranet. org/ mandala_introduction. html*
2. *www. safita. cc/ VB/ upload/ userimages/ b308v. jpg*
3. *http:/ / www. telisphere. com/ ~starbird/ mandala. html*
4. *http:/ / nickbrowne. coraider. com/ 2005/ 07/ harmony- star- of- david. html*
5. *http:/ / www. revistaazogue. com/ en_index. htm*
6. *http:/ / upload. wikimedia. org/ wikipedia/ commons/ e/ e7/ Essaouira_1083. JP*
7. *www. science. co. il*
8. *http:/ / www. gilai. com/ topcat_2/ Judaica- and- Jewish- Coins*
9. *http:/ / www. jewishcoins. net*
10. *http:/ / www. forumancientcoins. com.*

قائمة الأشكال:



الشكل (١)

(نسخة من الكتاب المقدس في سان بطرسبرج ١٠١٠م.)



الشكل (٢)

شباك في ساحة قصر هشام في أريحا



الشكل (٣)

نقود دولة المغرب قبل نحو مائة عام.



الشكل (٤)

(زخرفة سقف مسجد في إيران)



الشكل (٥)

(النجمة السداسية على درهم السلطان الناصر صلاح الدين)



الشكل (٦)

(نجمة سداسية زخرفية في سور القدس العثماني)



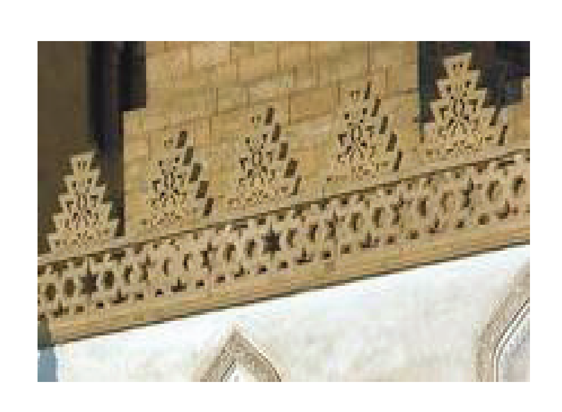
الشكل رقم ٧

(قصر المشتى)



الشكل رقم ٨

(شباك مسجد الحاكم)



الشكل (٩)

(الأشكال السداسية في شرافات جامع الأزهر) .



الشكل (١٠)

(نقود الثورة الحشمونية، فلس الأرملة) .



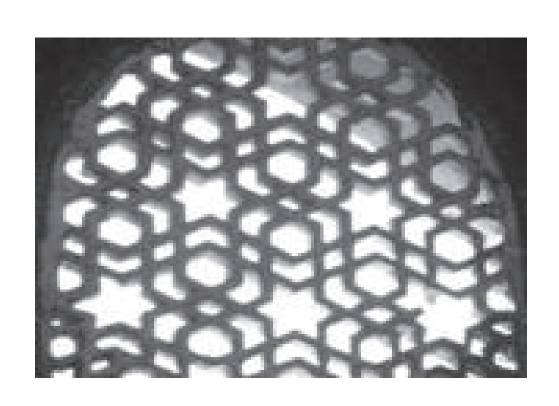
الشكل (١١)

شاقل من نقود الثورة اليهودية الأولى.



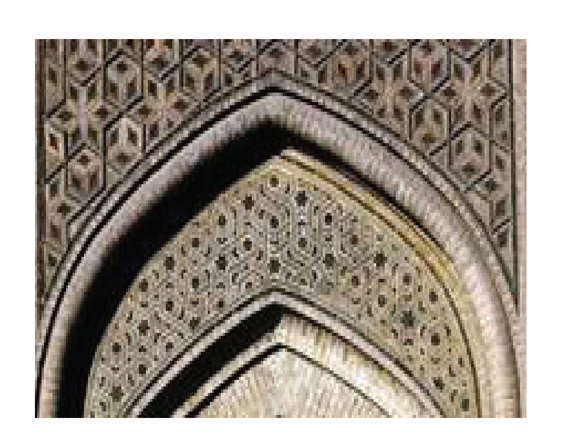
الشكل (١٢)

(من نقود ثورة باركوخبا)



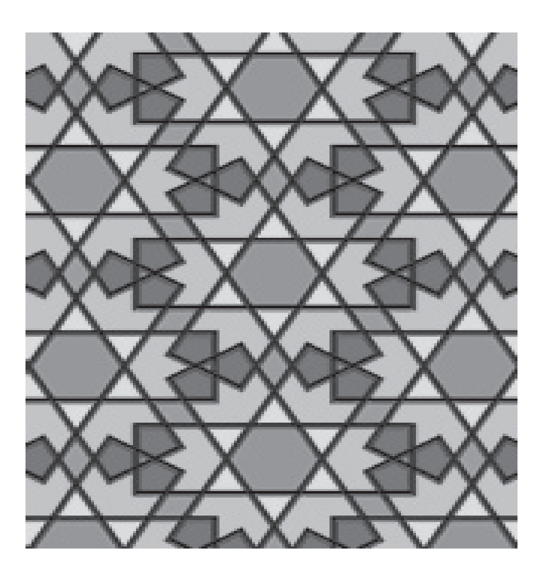
الشكل (١٣)

(شباك في مسجد أحمد بن طولون)



الشكل (١٤)

(النجوم السداسية على مدخل المدرسة المستنصرية)



الشكل (١٥)

(النجوم السداسية على مدخل منبر المسجد الأقصى)



الشكل (١٦)

(النجوم السداسية على مدخل منبر المسجد الإبراهيمي)

ملاحظة: جميع هذه الصور مأخوذة من مواقع مختلفة عن الإنترنت.

الهوامش:

١. المسيري، موسوعة، مجلد ٣، ص ١٦٢.

٢. www. safita. cc/ VB/ upload/ userimages/ b308v. jpg

٣. http:/ / upload. wikimedia. org/ wikipedia/ commons/ e/ e7/ Ess-[aouira_1083. JPG[/ BIMG

٤. منصور، معجم الأعلام والمصطلحات الصهيونية والإسرائيلية. ص ٤٧١.

٥. نفسه. ص ٤٧٢.

٦. في رواية أخرى اتخذ أجداد عائلة روتشيلد في ألمانيا من هذه النجمة شعاراً لمؤسسة تجارية في القرن التاسع عشر. (www. safita. cc/ VB/ upload/ userimages/ b308v. jpg)

٧. المسيري، موسوعة، مجلد ٣، ص ١٦٣.

٨. نفسه، ص ١٦٤.

٩. www. safita. cc/ VB/ upload/ userimages/ b308v. jpg

١٠. المسيري، موسوعة، مجلد ٣، ص ١٦٣.

١١. منصور، معجم الأعلام والمصطلحات الصهيونية والإسرائيلية. ص ٤٧٢.

١٢. قال تعالى «وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون» سورة الأنبياء، آية ٨٠؛ إبن كثير، البداية والنهاية، ط١، ج٢، ص٩.

١٣. عن جابر بن عبد **الله**، قال النبي صلى **الله** عليه وسلم «كان نقش خاتم سليمان بن داود لا أله إلا **الله** محمد رسول **الله**» (القرطبي، تفسير القرطبي، ص ٢٩٥٢) .

١٤. بدوي، أسرار النجمة المقدسة. ص١٧٧.

١٥. www. safita. cc/ VB/ upload/ userimages/ b308v. jpg

١٦. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ج١١، ص ٣٢٠– ٣٢١؛ القرطبي. تفسير القرطبي، ص ٢٩٥٢.

١٧. www. safita. cc/ VB/ upload/ userimages/ b308v. jpg

١٨. إبن كثير، البداية والنهاية، ط١، ج٢، ص٩.

١٩. المسيري، موسوعة، ح٣، ص ١٦٣.

٢٠. الغزالي، إحياء علوم الدين، بيروت، دار المعرفة، ج٤، د. ت. ؛ الغزالي، إحياء علوم الدين، موقع الوراق على الإنترنت، ص ٨١٣.

٢١. قال تعالى « وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون « سورة الأنبياء، آية ٨٠

٢٢. قال تعالى «أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير». سورة سبأ، آية ١١؛ يقال درع مسرودة أي مسمورة الحلق قال الشاعر: وعليهما مسرودتان قضاهما داودُ أو صنعُ السوابغِ تبعُ (أبو عبيدة، مجاز القرآن ط٢، مكتبة الخانجي – دار افكر، ١٩٧٠م؛ أبوعبيدة مجاز القرآن، موقع الوراق على الإنترنت، ص ١٠١) .

٢٣. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص ٣٢٠؛ القرطبي، تفسير القرطبي. موقع الوراق على الإنترنت. ص ٢٨٠٦.

٢٤. www. science. co. il

٢٥. تميمة الباب (الميزوزاة) عند اليهود: عبارة عن لفيفة من الورق بطول حوالي ١٠ سم تثبت على الباب يمين الداخل إلى البيت، مما يمكنه من لمسها وتقبيلها أو تقبيل يده بعد لمسها، ويكتب في هذه اللفيفة عادة تعاويذ يهودية خاصة (ربما الوصايا العشر وأسماء بعض الملائكة) مع النجمة السداسية. (زيارة ميدانية لبعض بيوت اليهود قام بها الباحث) .

٢٦. المسيري، موسوعة، مجلد ٣، ص ١٦٣.

٢٧. القبَّالاه: هي مجموعة التفسيرات والتأويلات الباطنية والصوفية عند اليهود. نشأت في مدينة بابل في العراق، والاسم مُشتَّق من كلمة عبرية تفيد معنى التواتر أو القبول أو التقبل أو ما تلقاه المرء عن السلف، أي «التقاليد والتراث» أو «التقليد المتوارث». وكان يُقصَد بالكلمة أصلاً تراث اليهودية الشفوي المتناقل فيما يعرف باسم «الشريعة الشفوية»، ثم أصبحت الكلمة تعني– من أواخر القرن الثاني عشر– «أشكال التصوف والعلم الحاخامي المتطورة» (إلى جانب مدلولها الأكثر عموماً باعتبارها دالاً على سائر

المذاهب اليهودية الباطنية منذ بداية العصر المسيحي) . وقد أطلق العارفون بأسرار القبَّالاه («مقوباليم» بالعبرية و«القبَّاليون» بالعربية) على أنفسهم لقب «العارفون بالفيض الرباني»، وهو علم باطني تأويلي يستخدمه الماسونيين اليهود، له قدرات سحرية عالية (بدوي، أسرار النجمة المقدسة. ص ١٨٥؛ المسيري، موسوعة، مجلد ٥، ص ١٣١– ١٣٢) .

٢٨. المسيري، موسوعة، مجلد ٥، ص ١٣١

٢٩. إبن كثير، البداية والنهاية، ط١، ج٢، ص٩.

٣٠. بدوي، أسرار النجمة المقدسة، ص ١٧٥.

٣١. المسيري، موسوعة، مجلد ٣، ص ١٦٤.

٣٢. http:/ / upload. wikimedia. org/ wikipedia/ commons/ e/ e7/ Ess-[aouira_1083. JPG[/ BIMG

٣٣. بدوي، أسرار النجمة المقدسة، ص ١٨٣

٣٤. المسيري، موسوعة، مجلد ٣، ص ١٦٣

٣٥. بابليون، الآثار الشرقية، ط١، ص ١٧٧.

٣٦. Meshorer , Ancient Jewish Coinage , p35.

٣٧. Hendin, Guide to Biblical Coins. pp 67- 85

٣٨. http:/ / www. gilai. com/ topcat_2/ Judaica- and- Jewish- Coins

٣٩. http:/ / www. forumancientcoins. com.

٤٠. Meshorer , Ancient Jewish Coinage , pp: 119- 120

٤١. Meshorer , Ancient Jewish Coinage , p. 132

٤٢. Hendin, , Guide to Biblical Coins, pp: 183- 204 ; Meshorer , Ancient Jewish Coinage, p. 138

٤٣. http:/ / www. jewishcoins. net

٤٤. www. safita. cc/ VB/ upload/ userimages/ b308v. jpg

٤٥. http:/ / upload. wikimedia. org/ wikipedia/ commons/ e/ e7/ Essaouira_1083. JP

٤٦. المسيري، موسوعة. مجلد ٣، ص١٦٢

٤٧. http:/ / www. telisphere. com/ ~starbird/ mandala. html ; http:/ / kalachakranet. org/ mandala_introduction. html

٤٨. http:/ / www. revistaazogue. com/ en_index. htm

٤٩. http:/ / upload. wikimedia. org/ wikipedia/ commons/ e/ e7/ Essaouira_1083. JP ; http:/ / nickbrowne. coraider. com/ 2005/ 07/ harmony-star- of- david. html

٥٠. الكتاب المقدس، سفر عاموس، الإصحاح ٥، آية ٢٦.

٥١. الأحمد، داود وسليمان في العهد القديم والقرآن الكريم. ص ١١١– ١١٥.

٥٢. المسيري، موسوعة، مجلد ٣، ص ١٦٣.

٥٣. يتجه أغلب العلماء المسلمين اليوم إلى تبني فتوى كراهة التصوير بعد أن كانت الفتوى في بداية الإسلام هي تحريمه، والسبب هو أن العرب كانوا قريبي عهد بالجاهلية التي كانوا يعبدون فيها الأصنام والتماثيل، أما لاحقاً حيث رسخت العقيدة في نفوس المسلمين فلم يكن هناك داعي للتشدد في الفتوى. عن موقف الإسلام من التصوير أنظر (تيمور، التصوير عند العرب، ١٩٤٢م؛ الباشا، . التصوير الإسلامي في العصور الوسطي، ١٩٥٩م.)

٥٤. طالو، الفنون الزخرفية، ص ١٢٧؛ الصايغ، الفن الإسلامي، ص ١٠٦، ٢١٥.

٥٥. ويلسون. الزخارف والرسوم الإسلامية، بدون أرقام صفحات.

٥٦. زيارة ميدانية قام بها الباحث.

٥٧. قصر المشتى من القصور الأموية الصحراوية التي بنيت في العهد الأموي في بادية الشام، وينسب قصر المشتى إلى عهد الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك أكثر خلفاء بني أمية غراماً بالترف والبذخ، جدير بالذكر أن واجهة هذا القصر نقلت إلى متحف برلين حيث أُهديت إلى القيصر ولهلم الثاني خلال زيارته إلى الشام عام ١٨٧٣م. (عكاشة. القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، ص ١٦٨– ١٦٩) .

٥٨. مسجد أحمد بن طولون: بناه إبن طولون على سفح جبل يشكر في مدينة القطائع بالقرب من الفسطاط في عام ٢٦٥هـ/ ٨٧٩م، وهو متأثر في عمارته بمسجد سامراء في العراق من العهد العباسي، خاصة مئذنته نصف الملوية (العبادي. في التاريخ العباسي، ص١٣١) .

٥٩. عكاشة، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، ص ٤٢.

٦٠. بشاي، تاريخ الزخرفة، ص٤٤٨

٦١. مجموعة من الفنانين. موسوعة الزخرفة، ص ٧٧– ٧٩

٦٢. المدرسة المستنصرية من أشهر أبنية العصر العباسي المتأخر، أمر ببنائها الخليفة العباسي المستنصر بالله في سنة ٦٢٥هـ/ ١٢٢٧م، وتكامل بناؤها بعد ست سنوات، وتقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة. ولا زالت باقية حتى اليوم. (السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٤٦٢) .

٦٣. الأعظمي. الزخارف الجدارية في آثار بغداد، ص ٧٠.

٦٤. القصر العباسي عبارة عن مدرسة بنيت في الربع الأول من القرن سابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، يطلق عليه أسم القصر العباسي ولكن تخطيطه يوحي بأنه مدرسة كما هو الحال في المدرسة المستنصرية، يعتبر من روائع الفن العباسي سواء من حيث التخطيط أو الزخرفة. (جواد، القصر العباسي في القلعة ببغداد، ص ٦٥– ٨٦) . .

٦٥. الأعظمي، الزخارف الجدارية في آثار بغداد، ص ٦٤– ٦٥.

٦٦. زيارة ميدانية قام بها الباحث.

٦٧. المقصود بالبيوت الفلسطينية التراثية هي البيوت التي عمرها يتراوح ما بين ٨٠– ٢٠٠ سنة.

٦٨. العامري، عمارة قرى الكراسي، ص: ٢٧، ٣١، ٥١، ٥٣، ٩٨، ١٢٣، ١٤٦، ١٥٠، ١٩٥.

٦٩. الجعبة، رام الله: عمارة وتاريخ. ص ٣٤، ٢٤٢.

٧٠. منبر المسجد الأقصى أحضره السلطان صلاح الدين الأيوبي من حلب بعد تحرير المسجد من الصليبيين ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، وقد أشرف على صناعته في حلب نور الدين زنكي قبل وفاته، حيث إستمر العمل به من قبل أمهر فناني الأعمال الخشبية عدة سنوات. (ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص١٥٧؛ ابو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ص١١٢– ١١٣؛ العليمي، الأنس الجليل، ج٢، ص٢٠٨) .

٧١. Abu Khalaf ,. Islamic Art Through The Ages. p. 48.

٧٢. زيارة ميدانية قام بها الباحث.

٧٣. Abu Khalaf,. The Early Islamic Woodwork in Egypt and the Fertile Crescent, p. 136- 138.

٧٤. قامت المملكة الأردنية في السنوات الأخيرة بعمل منبر مشابه للمنبر المحروق، وقامت الأوقاف الأردنية بنصبه في المسجد الأقصى.

٧٥. الشيخ، مسكوكات الخليفة الناصر لدين الله، ص ١١٢؛ بلانت، النقود العربية والإسلامية، ص ٩٣.

٧٦. القيسي، موسوعة النقود العربية الإسلامية. ص ٢٦٧.

٧٧. الشيخ، مسكوكات الخليفة الناصر لدين الله، ص ١١٣

٧٨. جميع هذه المدن كانت تضرب النقود في العصر الأيوبي، وهي تقع في سورية اليوم. (أنظر الحموي، معجم البلدان. د. ت.)

٧٩. Mitchiner,. The World of Islam , pp: 154- 159, 180- 185 ; Balog,. The Coinage of the Ayyubids , p 99 , 132 , 138 , 139 , 175 , 212, 229, 254 , 259, 269.

٨٠. Balog, The Coinage of the Ayyubids , p269.

٨١. بلانت، النقود العربية والإسلامية، ص ١١٧.

٨٢. نفسه، ص ٣٥.

أرضيات الملاط المدكوك البونيقية
تاريخها ـ تقنيتها ـ تطورها*

أ. مصطفى علي نامو**

* تاريخ التسليم: ٢٢/ ٣/ ٢٠١٢م، تاريخ القبول: ١٩/ ٦/ ٢٠١٢م.

** ماجستير في الآثار الكلاسيكية/ قسم الآثار/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية/ جامعة دمشق/ سوريا.

ملخص:

يُسلط موضوع الدراسة الضوء على أرضيات الملاط المدكوك البونيقية التي اصطلح لاتينياً على تسميتها بـ أوبوس سيجننيوم (Opus Signinum) ، والتي أُشير إليها في العديد من الدراسات الأثرية، والتاريخية المتعلقة بتاريخ الفن والعمارة الرومانية على أنها تقنية رومانية المنشأ قد عهدها الرومان منذ منتصف القرن الثاني قبل الميلاد، إلا أن بعض المصادر الأدبية الكلاسيكية القديمة، وكذلك الشواهد الأثرية قد أثبتت عكس ذلك الاعتقاد بأنها تقنية بونيقية الأصل ابتدعها البونيقيون القرطاجيون خلال العصر البونيقي منذ القرن الرابع قبل الميلاد، وذلك لغرض إعداد أرضيات مبانيهم الخاصة والعامة في كل من مدن: أوتيكا، كركوان، وبيرسة.

الكلمات المفتاحية

Sigm: Signinum

O. Sigm: Opus Signinum

X. R. D.: X- Ray Diffraction Analysis (تحليل حيود أشعة أكس)

X. R. F.: X- Ray Fluorescence Spectrometry (تحليل مطيافية وميض أشعة إكس)

Abstract:

This study sheds light on the Punic mortar floors that had been known in Latin as “Opus Signinum”. These sorts of pavements have been mentioned in many of the historical and archaeological studies as a technique of Roman origin. Thus, they were familiar with it since the middle of the second century B. C. But, some of the ancient classical art sources as well as the archaeological evidences had proved the opposite of that belief by confirming that it is a Punic technique in origin. Furthermore, the Punic Carthaginians had used this kind of technique during the Punic period since the fourth century B. C. for the purpose of preparing the floors of their public and private buildings in the Cities of Utica, Kerkouane and Byrsa.

تمهيد:

أرضيات الملاط المدكوك المعروفة في الاصطلاح اللاتيني باسم (O. Sigm) ، نوع من الأرضيات التقليدية التي ابتدعها البونيقيون في قرطاجة، ومن ثم شاع استخدامها على نطاق واسع في عمارة المدن والمناطق الواقعة في غربي المتوسط، بدءاً بمدن الشمال الأفريقي ثم شمالاً باتجاه جزيرة صقلية وانتهاءً بجنوبي إيطاليا خلال العصر الهلينستي، وهى نوع من الأرضيات التي استخدمت للأغراض الوظيفية، والتزيينية على حدٍ سواء [١] .

يتألف هذا النوع من الأرضيات من مجموعة من مواد البناء المتنوعة التي من أبرزها ملاط الكلس (Calx) ، الممزوج مع الرمل والمتضمن لأعداد لا تحصى من الفخار الأحمر المدكوك أوالتيراكوتا (Terracotta) ، والمبعثرة جميعها في شكل شظايا صغيرة الحجم [٢] ، إضافة إلى الشظايا الرخامية، وبعض الأحجار الجيرية المتنوعة ذات الألوان البيضاء، والرمادية، والخضراء، والسوداء، والبنفسجية، والصفراء، والبنية الشبيهة بلون القرميد [٣] ، هذا إلى جانب بعض الأحجار ذات اللون الأزرق، والتي من المحتمل أن يكون مصدرها الزجاج، وهي مواد استخدمت في مجموعها لأغراض الزينة، وذلك بتصميمها إما على هيئة مكعبات أو أشكال معينية أو ماسية [٤] ، تنوعت في مجملها ضمن أسطح الأرضيات إما بشكل عشوائي أو رُتّبت ضمن أشكال فنية منتظمة مع تباين واضح فيما بينها من حيث الكثافة والكمية [٥] ، كما اشتملت أسطح هذا النوع من الأرضيات في بعض الحالات على بعض الأنواع من الصخور البركانية ذات النسيج الصخري المتبلور [٦] .

إن أبرز ما تميزت به أرضيات الملاط المدكوك من ملامح فنية بصورة عامة هو لون الملاط المتفاوت بين اللون الضارب إلى الحُمرة واللون الزهري الناجمة عن استخدام شظايا الفخار [٧] ، الذي كان يدكُّ بوساطة مدكات متنوعة خصصت لهذا الغرض، الأمر الذي أكسب هذا النوع من الملاطات تسمية (الملاطات المدكوكة) [٨] .

إضافة إلى ذلك تميزت هذه الأرضيات بأسطحها الناعمة الملمس الدالة على عملية الصقل الجيد أثناء مرحلة الإنشاء [٩] ، وكذلك بما كانت تزدان به بعض أسطحها من عناصر فنية زخرفية مثلت رموز ذات مغزى ديني أو عقائدي نفذت وبشكل عرضي بوساطة مكعبات حجرية صورت بعض شخوص الآلهة أو الطقوس الطوطمية الأخرى، والتي دلت عليها بعض أرضيات الملاط المدكوك البونيقية المكتشفة في بعض مدن قرطاجة [١٠] .

لقد بدت الملامح التقنية لهذا النوع من الأرضيات مألوفة في فن العمارة القرطاجية، حيث كشفت التنقيبات الأثرية ضمن مستويات طبقية متفاوتة العمق في موقع أطلال

مدينة قرطاجة القديمة، عن أعداد كبيرة من أرضيات الملاط المدكوك تميزت بأنماطها الفنية المتنوعة من حيث التصميم الفني وطبيعة مكوناتها من المواد الإنشائية [١١] ، وتعد مدينة كركوان (Kerkouane) البحرية الصغيرة الواقعة عند شبه الجزيرة لمنطقة رأس بون (Cap Bon) من أهم المدن البونيقية الرائدة في مجال تقنية أرضيات الملاط المدكوك التي اتسمت بها بعض العناصر الفنية المعمارية في المنازل العامة، والخاصة في المدينة كالأفنية الداخلية والأروقة والأرضيات وقاعات الحمامات وأحواض الاستحمام، لتكشف بذلك النقاب عن واحدة من أهم تقنيات الزخرفة المعمارية الداخلية التي نشأت وتطورت في مباني المدينة أثناء المدة التاريخية الممتدة بين القرنين الخامس والثالث قبل الميلاد[١٢].

وقد انتقلت ملامح هذه التقنية فيما بعد من مدينة كركوان باتجاه الشمال نحو كل من جزيرتي صقلية (Sicily) وسردينيا (Sardinia) ، حيث عُثر على العديد من النماذج الفنية لأرضيات الملاط المدكوك [١٣] ، ففي مدن جزيرة صقلية على سبيل المثال والتي من بينها مورجنتينا (Morgantina) ، سيلينيوس (Selinius) ، وموتيا/ موتسيا (Motya/ Mozia) ، كانت هذه التقنية من أكثر العناصر المعمارية شيوعاً في المنازل الصقلية خلال العصر الهيلينستي، حيث عُثر على نماذج فنية يعود تاريخها إلى القرن الثالث قبل الميلاد [١٤] .

مع حلول منتصف القرن الثاني قبل الميلاد وعبر جزيرة صقلية، أخذت الملامح التقنية لهذا النوع من الأرضيات تشق طريقها كتيار فني جديد باتجاه شبه الجزيرة الإيطالية ومن ثم عمّت وبشكل تدريجي كامل المقاطعات اللاتينية [١٥] ، حيث شاع استخدام هذه التقنية في أماكن متعددة من منطقة جنوبي إيطاليا خلال العصر الهيلينستي وكانت تُصنع آنذاك من الملاط الممزوج في أحيان عدة مع شظايا من الرخام، وهي ذات التقنية من الأرضيات البونيقية التي يرى بعض الباحثين بأنها قد أُدخلت إلى روما خلال القرن الثاني قبل الميلاد[١٦].

لقد خضع هذا النوع من الأرضيات الذي نُفذ بأسلوب تقني فريد في بداية مراحله التاريخية في شبه الجزيرة الإيطالية لمتطلبات وظيفية من حيث الاستخدام أكثر منها تزيينية وتجميلية في مجال فن العمارة الرومانية [١٧] ، وتُعد مدينة سيينا (Signa) التي شتهرت بوفرة مصادرها الطبيعية من الطين الأحمر، إحدى أهم مدن إقليم لاتيوم (La-tium) الإيطالية التي شاع فيها استخدام مثل هذه التقنية والتي اشتق من اسمها الاصطلاح اللاتيني (Sigm) الذي عُرفت به لاحقاً أرضيات الملاط المدكوك، كما عُثر على نماذج فنية لهذه الأرضيات في الجزء المخصص للمشاة على طول إمتداد شوارع مدينة بومبي (Pom-peii) ، وكذلك في غرف الخدم في المنازل الخاصة التي ازدانت أرضياتها بشظايا حجرية باللون الأسود رُتبت ضمن صفوف زخرفية ذات نمط فني بسيط [١٨] ، هذا إلى جانب بعض

النماذج الفنية الأخرى التي اكتشفت في كل من مدينتي انتيوم/ انتسيوم (Antium/ Anzio) و روما (١٩).

وقد تطورت تقنية أرضيات الملاط المدكوك خلال العصر الروماني وتعددت أنماطها الفنية مثلما تنوعت طبيعة المواد الداخلة في إعدادها الإنشائي*، وسوف نتطرق ضمن هذه الدراسة إلى أبرز ملامح التطور الفني لهذا النوع من الأرضيات وذلك من خلال استعراض لبعض النماذج الفنية التي اكتشفت في موقع مدينة قرطاجة والتي يرجع تاريخها إلى فترة الاستيطان الروماني للمدينة خلال العصر الروماني (٢٠).

إشكالية الدراسة:

على الرغم من كثرة الدراسات الأثرية والتاريخية التي تناولت بالبحث والدراسة الملامح الفنية والتقنية لأرضيات الملاط المدكوك وبداياتها التاريخية باعتبارها إحدى فنون الزخرفة المعمارية الرومانية التي لا تدين بالفضل من حيث الأصالة والابتكار إلا لرومانيتها الخالصة، نجد بالمقابل ندرة ملحوظة من هذه الدراسات التي تطرقت لمسألة تحديد الأصول التقنية لهذا النوع من الأرضيات والتي عزت بداياتها التقنية والتاريخية إلى المعماريين البونيقيين في الحضارة القرطاجية الذين ابتدعوها لأول مرة كنوع من أنواع الزخرفة المعمارية التي استخدمت في عمارة المنازل الخاصة والعامة منذ القرن الرابع قبل الميلاد، وما أدته لاحقاً من دور فني وحضاري في تطور الملامح الفنية والتقنية لنظيراتها الرومانية، وذلك بدءاً من منتصف القرن الثاني قبل الميلاد وحتى القرن الثاني الميلادي.

وفيما يأتي استعراض لبعض تلك الدراسات التي كانت وما زالت تتبنى الرأي العلمي الذي يُشيد بالدور التقني الروماني الخالص في مجال إعداد أرضيات الملاط المدكوك، ومن ثم عدم إقرارها بوجود أي دور حضاري آخر، على الرغم مما أوردته بعض المصادر الأدبية الكلاسيكية القديمة من جهة، ودللت عليه بعض الشواهد الأثرية المكتشفة في بعض المواقع البونيقية من جهة أخرى.

---

* قامت الباحثة الإيطالية ماريا لويزا موريكوني (Maria Luisa Morricone) بدراسة أثرية مستفيضة حول أرضيات الملاط المدكوك الرومانية المكتشفة في غالبية مدن شبه الجزيرة الإيطالية وأقاليما، تطرقت من خلالها للبدايات التاريخية ومواقع اكتشاف هذا النوع من الأرضيات وطبيعة أنماطها الفنية وكذلك مواد البناء المختلفة التي استثمرت في إعداد تركيبها الإنشائي وذلك ضمن مباني الفيلات والحمامات والمنازل الخاصة والمعابد بدءاً من منتصف القرن الثاني قبل الميلاد وحتى القرن الثاني الميلادي.
Morricone, Maria Luisa, Scutulata Pavimenta, L'Erma di Bretschneider, Roma, 1980

الباحثة ماريون إليزابيث بليك (Marion Elizabeth Blake) أشارت من خلال دراستها للملامح الفنية للأرضيات الرومانية العائدة للعصرين الجمهوري والإمبراطوري، إلى أن تاريخ استخدام أرضيات الملاط المدكوك في روما يعود تاريخها إلى منتصف القرن الثاني قبل الميلاد وذلك دونما الإشارة إلى أية دلائل لأصولها التقنية البونيقية [٢١] .

أما الباحث بيتر فيشر (Peter Fischer) ، فقد أشار في دراسته المتعلقة بتاريخ تقنية الزخرفة المعمارية الرومانية في مجال صناعة الفسيفساء، إلى أن تقنية الملاط المدكوك هي رومانية الأصل وعليه نسبها من حيث النشأة إلى مدينة سيينا الرومانية الواقعة في إقليم لاتيوم، وقد استشهد ببعض النماذج الفنية المكتشفة في بعض شوارع ومنازل مدينة بومبي [٢٢] .

الباحث ح. ستيرن (H. Stern) أشار فيما قام به من دراسة إلى أن هذا النوع من الأرضيات قد خضع لتأثيرات فنية إغريقية، وبأنه قد أخذ يشق طريقه تدريجياً باتجاه إيطاليا منذ منتصف القرن الثاني قبل الميلاد، ليبلغ بعدها أوج ازدهاره في القرن الأول قبل الميلاد حتى عمّ كامل المقاطعات اللاتينية التي برزت من بينها مدينة سيينا الإيطالية كأهم مدينة شهدت البدايات التقنية لهذا النوع من الأرضيات التي كانت بمنزلة تيار فني جديد عرفته آنذاك شبه الجزيرة الإيطالية [٢٣] .

أما الباحثة ماريا موريكوني (Maria Morricone) ، فقد أشارت في دراستها المستفيضة لأرضيات الملاط المدكوك الرومانية المكتشفة في غالبية المدن والأقاليم الإيطالية، إلى أنها تقنية رومانية خالصة امتد تاريخ تطورها من منتصف القرن الثاني قبل الميلاد وحتى القرن الثاني الميلادي، وعرّفتها إلى جانب تسميتها المعهودة لاتينياً (Sigm) بتسمية أخرى هي (Scutulatum) ، كما أنها لم تورد في دراستها أية إشارة لأي دور حضاري قرطاجي ضمن هذا الإطار، بل إنها على العكس من ذلك قد أيدّت لفيف الباحثين القائلين بأصولها الإغريقية [٢٤] .

الباحثة عبير قاسم، في إحدى الدراسات العربية الأكاديمية التي أجرتها، والتي تناولت من خلالها بالبحث والدراسة بعض أهم معالم الفنون الزخرفية المستخدمة في مجال إعداد الأرضيات في فن العمارة الرومانية، لم تتطرق بدورها إلى الدور التقني المهم الذي أدته أرضيات الملاط المدكوك البونيقية في نشوء نظيراتها الرومانية وتطورها، واكتفت باقتباس ما ورد من معلومات في غالبية المراجع والدراسات الأثرية الأجنبية التي تبنّت مبدأ التجاهل التاريخي والحضاري الواضح لملامح تطور الفنون الزخرفية المعمارية في مجال إعداد الأرضيات في فن العمارة القرطاجية خلال العصر البونيقي [٢٥] .

الباحثة جين بيير آدم (Jean Pierre Adam) أشارت في دراستها لفنون العمارة ومواد البناء الرومانية، إلى أن أرضيات الملاط المدكوك ذات أصول رومانية دونما الإشارة إلى أي دور حضاري قرطاجي ضمن هذا الجانب التقني المعماري، كما استعرضت بدورها مجموعة الأسس الفنية التقنية التي ذكرها فيتروفيوس حول هذا النوع من الأرضيات في كتابه الثامن من كتاب فن العمارة (٢٦).

أما الباحثة أنّا لويزا فيلوسا (Ana Luisa Velosa) وبالتعاون مع االباحثين: روساريو فييجا (Rosario Veiga) ، و جو كوروادو (Joao Coroado) ، و فيكتور فيرريرا (Victor ferreira) ، و فرناندو روكا (Fernando Rocha) ، فقد تطرقوا من خلال ما قاموا به من دراسة إلى طبيعة إحدى مواد البناء التي استخدمت ضمن مكونات التركيب الإنشائي لأرضيات الملاط المدكوك الرومانية والمتمثلة في مواد الصخور البركانية المعروفة بالبوزولانا (Pozzolana) (٢٧) ، وذلك دون الإشارة إلى نظيراتها القرطاجية التي سبقتها إلى مثل هذا النوع من الاستخدام* خلال العصر البونيقي منذ القرن الرابع قبل الميلاد. على الرغم مما أوردته الدراسات الأثرية والتاريخية فيما يخص مسألة المنشأ التقني الروماني أو الإغريقي لأرضيات الملاط المدكوك، فان الباحث يرى من خلال هذه الدراسة عدم صحة مثل هذا الاعتقاد أو الرأي العلمي، وبأن هذا النوع من الأرضيات هو ذو أصل بونيقي خالص، وذلك من خلال الاستدلال ببعض المصادر الأدبية الكلاسيكية القديمة، وكذلك الشواهد الأثرية التي كشفت عنها التقنيات الأثرية التي أُجريت ضمن مواقع عدة من المدن القرطاجية من جهة، و مواقع بعض المستعمرات التي كانت تابعة لقرطاجة في منطقة غربي المتوسط من جهة أخرى.

أولاً- المصادر الأدبية الكلاسيكية القديمة:

١- ماركوس كاتو:

أشار الكاتب الروماني ماركوس بورشيوس كاتو (Marcus Porcius Cato- 234-149 B. C) في الجزأين السابع عشر والثامن عشر من كتابه (في الزراعة) إلى هذا النوع من الأرضيات، وذلك عند حديثه عن الأسس الفنية المعمارية الواجب اتباعها عند القيام

* استخدم البونيقيون في قرطاجة الصخور البركانية ذات النسيج البلوري كواحدة من المكونات الإنشائية لأرضيات الملاط المدكوك وذلك منذ القرن الرابع قبل الميلاد، وقد كان البونيقيون يستجلبون هذه الصخور من جزيرتي سردينيا وصقلية ليشكلوا منها مكعبات أو شظايا صغيرة الحجم كانت تُرصع بها أسطح أرضيات الملاط المدكوك.
فنطر، محمد حسين، الحرف والصورة في عالم قرطاج، أليف- منشورات البحر الأبيض المتوسط، مركز النشر الجامعي، تونس، ١٩٩٩، ص١٦٠.

بإنشاء غرف معاصر الزيتون التي شكلت فيها أرضيات الملاط المدكوك عنصراً فنياً إنشائياً لا يتجزأ عن باقي العناصر الإنشائية الأخرى اللازمة لإقامة مثل هذا النوع من المباني المرتبطة بفعاليات النشاط الزراعي*، وقد عّرف كاتو هذا النوع من الأرضيات بـ الأرضيات ذات النمط البونيقي (Punicanis Facito) ، والتي تنشأ حسبما أشار وفق الأسس الفنية الآتية: "اجعل نطاق الأساس الأم وبشكل متماثل على عمق قدمين، ثم قم بعد ذلك بدكّ الأساس وانثر أعلاه طبقات مؤلفة من كسر الحجارة الصغير الحجم ومسحوق الكلس، بعد ذلك قم ببناء الأرضية على النحو الآتي: بعد إجراء عملية التسوية بوساطة الشاخص، انثر الطبقة المؤلفة من مواد الجص ومسحوق الكلس وقم بدكّها باتجاه الأسفل، ثم يليها طبقة أخرى مشابهة بالمواصفات نفسها، بعد ذلك قم بغربلة مسحوق الكلس من فوقها حتى عمق إصبعين، ومن ثم اطرح الأرضية المؤلفة من شظايا القرميد، وقم بدكّها باتجاه الأسفل ومن بعد ذلك صقلها حتى يُحصل على سطح ناعم وأملس" (٢٨) . شكل- ١-

يرى الباحث أن ماتقلّده كاتو من مناصب مهمَّة في حياته السياسية، والتي من بينها منصب الكنسورية في صقيلة وأفريقيا في عام- ٢٠٤ ق. م- ، والبرينورية في سردينيا عام- ١٩٨ ق. م- ، ثم منصب القنصلية في إسبانيا عام- ١٩٥ ق. م- ، قد أتاحت له الاطلاع عن كثب على هذه التقنية، ولاسيما إذا علمنا بأن أراضي هذه المقاطعات الرومانية قد احتضنت في الماضي بعض أهم مراكز المستعمرات الفينيقية التي كانت منتشرة في الجزء الغربي من حوض المتوسط مثل: قادس (Cades) وغدير (Gadir) وايبيزا (Ebiza) في إسبانيا، وأوتيكا وكركوان وقرطاجة على الساحل الشمالي لأفريقيا، وموتيا وسيلينوس في جزيرة صقلية، ثم مستعمرة نورا (Nora) في جزيرة سردينيا.

٢ـ بليني الأكبر:

أشار الكاتب الروماني جايوس بلينيوس سكيندوس (-Gaius Plinius Secundus 23- 79 AD) والملقب بالأكبر، في كتابه الخامس والثلاثين في معرض حديثه عن الفخار

* لقد دلت الشواهد الأثرية المكتشفة في ليبيا على عدة نماذج فنية معمارية لمعاصر الزيتون التي كانت منتشرة في العصر الروماني في بعض مراكز القرى ذات الاقتصاد الزراعي الواقعة في ما يسمى بمنطقة الجبل في إقليم المدن الثلاث، وهي مبانٍ يعود تاريخها إلى المدة الممتدة بين القرن الأول والقرن الرابع الميلادي، فعلى سبيل المثال، في إحدى القرى الزراعية الواقعة في منطقة قصر الداوون (Gasr ed- Dauun) الواقعة شرقي منطقة الجبل الغربي، عُثرعلى بقايا لمعصرة رومانية اشتملت على عدة عناصر فنية معمارية من بينها أحواض وقنوات لتجميع زيت الزيتون وكذلك جدران وأرضيات مشيدة وفق تقنية الملاط المدكوك.

Oates, David, “The Tripolitania Gebel- Settelment of the Roman Period around Gasr ed- Dauun”, Papers of the British School at Rome, vol. xxi, The British School at Rome- Richard Clay and Company Ltd, Great Britain, London, 1953, pp. 85, 86, 87, 94, 105.

ذي الجودة العالية الذي اشتهرت به مدن: ريجيو (Reggio) وكوماي (Cumae) في الإقليم الساميني (Samian) ، إلى هذا النوع من الأرضيات المبتكرة المتميزة بالمتانة والصلابة والتي كانت تتألف من مجموعة كسر من الأواني الفخارية المدكوكة والمُضافة إلى ما كان يُعرف آنذاك باسم مادة كلس سيينا (Calce Signina) (٢٩) ، وفي كتابه السادس والثلاثين أشار إلى نوع آخر من الأرضيات الذي كان يتألف تارة من مواد التربة، وتارة أخرى من الطين أو الحجارة، والتي كان تُدك بوساطة مدكات متنوعة خصصت لهذا الغرض وهو ما أكسبها تسمية (المدكوكة) (٣٠) .

ويضيف بليني ضمن هذا الكتاب بأن هذا النوع من الأرضيات المدكوكة قد بدأ استخدامها من قبل الإغريق على أساس أنه نوع من أنواع االطلاءات الفنية التي كانت تنجز ببراعة وتقنية فائقة إلى أن حلت محلها لاحقاً أرضيات الفسيفساء من برجامة (Per-gamum) ، إلا أنها من حيث الأصل وحسبما كان يعتقد كانت بالنسبة للرومان بمنزلة أرضيات أجنبية (Barbarica) قد اقتصر استخدامها على الأماكن الداخلية المغلقة (٣١) .

وعلى الرغم مما ذكره بليني من أن الأرضيات المدكوكة قد شُرع في استخدامها من قبل الإغريق (Graeci) من جهة، وأنها ذات أصول تقنية أجنبية (بربرية) من جهة أخرى، نجده بالمقابل لم يحدد أي من شعوب الحضارات القديمة معنيين بمصطلح بربري، وبهذا الصدد يرى الباحث بأن في ذلك إشارة غير مباشرة إلى أصولها التقنية البونيقية، وأن الشعوب المعنية بذلك هم البونيقيون أنفسهم وذلك استناداً إلى الآتي:

إن بليني في كتابه السادس والثلاثين ذكر بأن الأرضيات المدكوكة هي إغريقية من حيث بدايات الاستخدام، وبربرية من حيث المنشأ، وذكر شعوب الإغريق اصطلاحاً بـ (Graeci) في الحالة الأولى، ومن هم سواهم تحت مصطلح (Barbarica) في الحالة الثانية، الأمر الذي يؤكد بأن ثمة جنسين من الشعوب معنيون بهذا الجانب الفني الحضاري، وإذا لم يكن الأمر كذلك وأن الشعوب المعنية بهذه التقنية في كلتا الحالين هم الإغريق، فما الداعي لأن يذكر بليني اصطلاح الإغريق فيما يخص البدايات الأولى للاستخدام التقني لهذا النوع من الأرضيات، ثم يعود ليذكرهم من جديد تحت مصطلح (البربر) فيما يخص علاقتهم بأصول هذه التقنية، هذا من جهة.

من جهة أخرى، رأى بعض الباحثين الذين اهتموا بدراسة تاريخ زخرفة الأرضيات الرومانية في إيطاليا من أمثال (Blake 1930) و (Stern 1975) ، بأن هذا النوع من الأرضيات ذو أصول إغريقية، وذلك يعد تجاهلاً متعمداً منهم- حسبما يرى الباحث- للدور الحضاري الذي أدته شعوب بعض المراكز الحضارية العربية القديمة، ولاسيما أن إحدى

شعوب تلك المراكز الحضارية على سبيل المثال كانت لهم الريادة في مجال تقنية الزخرف المعماري في مجال إعداد الأرضيات المتعلقة بفن صناعة الفسيفساء.

إضافة إلى ذلك، أن بعض نماذج أرضيات الزخرف المعماري التي كانت تحمل وسم مكعبات الامبليما (Emblema) الذي يجسد الإلهة تانيت * (Tanit) التي كانت من أكثر النماذج الزخرفية شيوعاً في قرطاجة، قد عُثر على نماذج فنية أخرى مشابهة لها في مدينة فينيقيا (Phoenicia) الواقعة على الساحل اللبناني (٣٢) .

لا شك في أن الإغريق قد نقلوا عن البونيقيين هذه التقنية وذلك نتيجة لما جرى من تواصل حضاري بين الإغريق ونظرائهم من أسلاف البونيقيين من الشعوب الفينيقية، حينما تزامن الوجود الاستيطاني الإغريقي في جزيرة صقلية مع من سبقهم من الفينيقيين** خلال القرن السابع قبل الميلاد (٣٣) ، وهو ما دلت عليه تلك النماذج الفنية العديدة لأرضيات الملاط المدكوك التي حملت وسم الإلهة تانيت والتي عثر عليها في معظم مدن الجزيرة التي من بينها: مورجنتينا، موتيا، سولونتوم، وسيلينوس (٣٤) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن وسم أرضيات الملاط البونيقية برمز الإلهة تانيت ذات المغزى الديني والسحري كانت سمة فنية متلازمة لمثل هذا النوع من الأرضيات في مجال عمارة المباني البونيقية في منطقة شمالي أفريقية، وكذلك الفينيقية في منطقة الشرق الأدنى القديم، بالمقابل فإنه في العصر الهيلينستي وخلال المدة التاريخية الممتدة بين أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الأول قبل الميلاد، برزت ظاهرة طبع الفنانين البونيقين لأسمائهم ضمن نماذج فنية من فسيفساء الأرضيات من نوع التسيلاتوم (Tesselatum)

---

* تانيت إلهة فينيقية الأصل مشهورة كانت تمثل الإلهة الأم، وهي من المعبودات التي اشتهرت في منطقة غربي البحر المتوسط وكانت تتميز بصفات سماوية وأخرى أرضية، فمن صفاتها السماوية علاقتها المتينة بالقمر الذي كثيراً ما نجده منحوتاً على سطح النُصب التذكارية، أما صفاتها الأرضية فتتمثل في علاقتها المتينة بالخصب الذي كان يُرمز له بثمرة الرمان وحبوب الغلال وشجرة النخيل، وكانت تانيت وفق المعتقد الديني تسهر على حياة المدينة وعلى رزق سكانها وخصبة أراضيها ونمو أنعامها، وهي الأم الحنون التي تمنح البونيقيين كل خير، الأمر الذي أوجب عليهم التقرّب إليها ابتغاءً لمرضاتها.

فنطر، محمد، قرطاج- لمحة تاريخية عن الحضارة البونيقية، منشورات دار الثقافة، تونس، ١٩٦٣، ص ص ٤٥، ٤٦.

** عند مجيء الإغريق إلى جزيرة صقلية، كان الفينيقيون يستوطنون السواحل الصخرية من الجزيرة وكذلك الجزر الصغيرة، ومن ثم وجدوا أنفسهم مضطرين إلى النزوح باتجاه الجزء الغربي من الجزيرة في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد واستقروا هناك حتى القرن الرابع قبل الميلاد، حيث قاموا بتأسيس ثلاث مستعمرات رئيسة هي: بانورمو (Panormo) وسولونتو (Solunto) وموتيا التي كانت أكثر المدن أهمية، بالمقابل قام الإغريق بتأسيس مستعمراتهم في الجزء الشرقي من الجزيرة والتي كان من أبرزها ناكسوس (Naxos) وسيراكوزا (Syracuse) ، وكان ذلك فيما بين عامي (٧٣٤- ٧٣٣ ق. م.) .

Audet, Maria Eugenia, The Phoenicians and the West –Politics,Colonies and Trade, .Cambridge University Press, First Published, Cambridge, 1993, p. 200

الذين كانوا على دراية فنية تامة بها، ومن ثم برعوا في تقنيتها، الأمر الذي أدى بهم في نهاية المطاف إلى تنفيذ أعمال فنية من هذا النوع خارج حدود قرطاجة، وهو ما دلت عليه الشواهد الأثرية التي عُثر عليها في جزيرة ديلوس (Delos) داخل إحدى القاعات المعمّدة في ما يُعرف بمنزل الدلافين، حيث اشتملت إحدى الأرضيات على أُطر تزيينية للوحات الفنية حملت توقيع لمنفذها تحت اسم آسكل بيادس (Askle Piades) من أرادوس (Arados) [٣٥].

إن مصطلح البربر الذي أشار إليه بليني قد ورد ذكره في الكتاب السابع عشر من كتاب (جغرافية سترابو)، وذلك حينما أطلق المؤرخ الجغرافي سترابو (Strabo) مصطلح (βàpβapoị) على بعض سكان المغرب العربي الذين كانوا يقطنون الجزء الجغرافي المواجه مباشرة لشبه جزيرة إيبيريا (Iberia) [٣٦]، ويرى الباحث بأن هذه البقعة الجغرافية كانت تضم إحدى أهم أقدم المستعمرات الفينيقية التي تأسست خلال القرن السابع قبل الميلاد في منطقة غربي المتوسط والمتمثلة في مستعمرة كواس (Kouass) الواقعة أطلالها فوق إحدى التلال عند الإنحناءة الطبيعية لنهر (Loukkos) على الساحل الغربي للمغرب عند مضيق جبل طارق والتي اشتهرت آنذاك بإنتاجاتها المتنوعة من الفخار الأحمر والكستنائي والمزجج، هذا بالإضافة إلى مستعمرة باناسا (Banasa) التي كشفت التنقيبات الأثرية ضمن موقع أطلالها عن نماذج فنية من أرضيات الملاط المدكوك البونيقية.

إن الأرضيات الإغريقية التي ذكرها بليني ووصفها بالمدكوكة هي تلك الأرضيات- حسبما يرى بعض الباحثين- ذات العلاقة بالفسيفساء الحصوية (Pebbles Mosaics) التي عهدها فن العمارة الإغريقية منذ العصور الميكينية (Mycenaean) [٣٧]، هذا من جهة. ومن جهة ثانية يرى الباحث أن بليني قد خلط بين أرضيات الملاط المدكوك وتلك المتعلقة بالفسيفساء الحصوية. وتبرز أولى الأدلة الأثرية لهذا النوع من الأرضيات من خلال بقايا إحدى الأرضيات المكتشفة في معبد أثينا برونايا (Athena Pronaia) في دلفي ببلاد الإغريق والتي يرجع تاريخها إلى القرن السادس قبل الميلاد، وقد تميزت هذه الأرضيات باستخدام مجموعات من الحصى المصقول طبيعياً والمطمور في طبقة الملاط [٣٨]، وعليه فإن كلا النوعين من الأرضيات يختلفان عن بعضهما من حيث التقنية وطبيعة مواد البناء، فالفسيفساء الحصوية تتشابه مع نظيراتها المتعلقة بفسيفساء المكعبات الحجرية وذلك من كونهما يعتمدان تقنية تثبيت القطع الحجرية ضمن طبقة رفيعة من الملاط، وذلك بخلاف أرضيات الملاط المدكوك التي استخدم فيها تقنية دكّ مواد البناء المختلفة الممزوجة مع ملاط الكلس الطري طوراً، وتلك المدمجة ضمن سطح الملاط طوراً آخر.

ثانياً- الشواهد المادية الأثرية:

تتمثل مجموعات الشواهد المادية الأثرية في العديد من النماذج الفنية لأرضيات الملاط المدكوك البونيقية التي كشفت عنها التقنيات الأثرية التي جرت ضمن مواقع أطلال بعض المدن البونيقية القرطاجية الواقعة في قرطاجة، وتلك الواقعة ضمن المستعمرات البونيقية الواقعة خارج حدود قرطاجة في منطقة غربي المتوسط في منطقة شمالي أفريقيا وجزيرة صقلية، وسوف يقتصر الباحث بالحديث عن بعض النماذج الفنية اكتشفت ضمن أشهر المدن والمستعمرات البونيقية التي من أبرزها: مدينتي كركوان وبيرسه في قرطاجة، مدينة مورجنتينا في جزيرة صقلية، ثم مدينة لبتس الكبرى (Leptis Magna) في إقليم المدن الثلاث في ليبيا.

مدينة كركوان:

اكتشف موقع مدينة كركوان في عام- ١٩٥٢م- وأقيمت أولى حفريات التنقيب بالموقع على يد الباحث الفرنسي (Pierre Cintas) ، وكان ذلك في عام- ١٩٥م، ثم أعقب ذلك الحفريات الضخمة التي قام بها المعهد القومي للفن والآثار بتونس، وقد أسفرت الحفريات عن اكتشاف كامل معالم المدينة التي شملت المنازل بمرافقها المعمارية المختلفة والجدران الحصينة والشوارع والأفنية، هذا إلى جانب العديد من العناصر الفنية المعمارية التي تضمنت أرضيات الملاط المدكوك بما تحويه من مواد بناء متنوعة كشظايا القرميد المدكوك أو الأواني الفخارية وقطع الرخام الأبيض، بالإضافة إلى مجموعة الأطيان المتنوعة التي استخدمت في عمارة المباني وقطع الحجارة والجص الذي اكتست به الجدران بألوانه المتعددة وكذلك الأعمدة (٣٩) .

لقد بُلطت أرضيات الحجرات والقاعات وصالات الاستحمام، وكذلك الأحواض في المنازل والفيلات البونيقية في قرطاجة بأرضيات من الملاط المدكوك المؤلف من شظايا القرميد التي أضفت عليه لون أحمر والمرصع إما بشظايا أو قطع صغيرة من الرخام الأبيض، إلا أن أبرز ما تميزت به هذه الأرضيات هو احتواء أسطحها على شكل زخرفي يجسد الإلهة تانيت صُمم من خلال مجموعة من المكعبات الفسيفسائية البيضاء اللون المدمجة ضمن سطح الأرضية المتكون من الملاط وشظايا القرميد (٤٠) . شكل ٢.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الرمز الديني المتمثل في تجسيد الإلهة تانيت، والذي عرف لاحقاً بـ (إمضاء تانيت) ، يعد من السمات الفنية الواضحة التي تميزت بها أرضيات الملاط المدكوك المكتشفة ضمن أسطح قيعان الأحواض وأرضيات المنازل البونيقية في

مدينة كركوان [٤١] ، إضافة إلى مباني بعض مدن المستعمرات البونيقية الأخرى في غربي المتوسط مثل مدينة سيلينوس في صقلية ومدينة نورا في سردينيا [٤٢] ، وقد كان هذا الرمز الديني الشبيه بما يعرف بـ (صولجان هرمس) الذي عثر عليه في مدينة نورا، والمعد أساساً لدرء الشرور وفق المعتقد الديني والروحي في الحضارة القرطاجية، يُنفذ في الغالب من مجموعة من القطع الحجرية البيضاء اللون (رخام- حجر جيري) ذات الشكل المكعب والمدمجة ضمن طبقة الملاط الممزوج بشظايا الفخار الأحمر، وقد جرى تأريخ هذا الرمز ضمن أرضيات مدينة كركوان إلى مرحلة القرن الرابع قبل الميلاد [٤٣] . شكل ٢

أما فيما يتعلق بالأحواض التي كانت تزخر بها عموم المنازل في مدينة كركوان، فقد صممت أسطح قيعانها بطريقة الملاط المدكوك التي شكلت البدايات التاريخية لمثل هذا الاستخدام التقني في مجال العمارة القرطاجية [٤٤] ، وقد تباين الغرض الإنشائي الكامن وراء إنشاء مثل هذه الأحواض بين الغرض الديني والصحي والاقتصادي. شكل ٣

ففي إحدى منازل المدينة عُثر على حوض اعتقد بعض الباحثين بأنه كان يستخدم لإعداد أصباغ الأرجوان*، في حين رأى بعضهم الآخر منهم بأنه قد خصص لغرض الاستحمام [٤٥] ، كما عُثر على أحد الأحواض الذي يحتمل أنه كان مخصصاً لغرض ديني، وذلك من خلال الاستدلال بالرمز الزخرفي الذي جسد الإلهة تانيت صُمم من قطع الحجر الجيري المدمجة في طبقة من الملاط المدكوك المقاوم للمياه ضمن سطح قاع الحوض [٤٦] ، إلا أنه بغض النظر عن دواعي الاستخدام الكامنة وراء إنشاء مثل هذه الأحواض، فإن ما ميَز هذه الأحواض هو أسطح قيعانها ذات الملاط المدكوك التي جرى تأريخها إلى مرحلة القرن الرابع قبل لميلاد.

مدينة مورجنتينا:

مورجنتينا مدينة تقع وسط جزيرة صقلية ضمت مبانيها خلال العصر الهلينستي أعداد كبيرة من أرضيات الملاط المدكوك التي كشفت عنها التقنيات الأثرية التي اجريت في المدة بين عامي ١٩٨٦– ١٩٨٧م، والتي تركزت بشكل أساسي ضمن مباني المنازل الواقعة فوق التلتين الشرقية والغربية من موقع المدينة، حيث جرى إعداد غالبية أرضيات المنازل

---

* لقد كان الفينيقيون سادة إنتاج وتجارة الأصباغ الأرجوانية وأول من ابتكرها من شعوب العالم القديم، وكانت كركوان على وجه التحديد واحدة من مراكز تصنيع الأصباغ الأرجوانية في العهد البونيقي، وتعد بقايا أصداف محار الموركس (Murex) التي عثر عليها خير شاهد على ذلك.

Ben Khader, Aicha Ben Abed and Soren, David, Carthage: A Mosaic of Ancient Tunisia, The American Museum of Natural History in association with W. W. Norton .and Company, New York- London, 1953, p. 113

بتقنية الملاط المدكوك التي يرجع تاريخها إلى المدة الممتدة بين القرن الثالث ومنتصف القرن الأول قبل الميلاد [٤٧] .

تتألف أرضيات الملاط المدكوك في مورجنتينا من مجموعة من مواد البناء المعهود استخدامها في إنشاء هذا النوع من الأرضيات والمتمثلة في شظايا القرميد الحجرية المتعددة الأشكال التي استخدمت لتزيين سطح الأرضية بنماذج فنية متنوعة وبألوان متباينة شملت الأخضر، والأصفر، والأسود، ثم البنفسجي. ونظراً للوفرة التي كانت تتميز بها المواد الفخارية والخزفية في ثقافة شعوب العالم القديم واستخدامها في مجال بناء الأسقف وأنابيب المياه وغيرها من المرافق المعمارية، فإن ذلك قد أسهم في شيوع أرضيات الملاط المدكوك وازدياد عددها في المدينة بالمقارنة مع عدد أرضيات الفسيفساء، إضافة إلى التكاليف غير الباهظة التي يتطلبها إنجاز مثل هذا النوع من الأرضيات [٤٨] .

من بين أبرز منازل مورجنتينا التي ضمت نماذج فنية رائعة لأرضيات الملاط المدكوك، منزل الصهريج المقنطر (Arched Cistern) ومنزل التيجان التوسكانية (Tuscan Capitals) ومنزل الصهريج المزدوج (Double Cistern) ، وهي أرضيات يرجع تاريخها إلى القرن الثالث قبل الميلاد [٤٩] .

أما فيما يتعلق بأرضيات الملاط المدكوك التي تنتمي إلى المرحلة البونيقية المتأخرة فتبرز بعض شواهدها الأثرية من خلال نماذج الأرضيات التي عثر عليها في كل من: مدينة بيرسه في قرطاجة، ومدينة لبتس الكبرى في إقليم المدن الثلاث (Tripolitania) في ليبيا.

مدينة لبتس الكبرى:

لقد عثًر بواسطة التنقيبات التي قامت بها بعثة الآثار من متحف جامعة فيلادلفيا الأمريكية خلال عامي ١٩٦٠– ١٩٦١م وذلك في أثناء تتبعها لمراحل الاستيطان الفينيقي الأولى السابقة لمرحلة الاستيطان الروماني لمدينة لبتس الكبرى، عُثر ضمن إحدى الطبقات الحضارية التي كشف عنها النقاب أسفل موقع الميدان الروماني القديم، على أرضيات مصنوعة من الملاط المدكوك يرجع تاريخها إلى المرحلة الممتدة بين– ٢٤١– ١١٨ق. م– ، تألفت من ملاط ذي لون زهري يحتوي على شظايا من الفخار وقطع حجرية بيضاء اللون صُمم بعضها على هيئة مكعبات، وبعضها الآخر على هيئة أشكال ماسية، وهي أرضيات شبيهة بتلك التي عُثر عليها في مدينة كركوان، والتي يرجع تاريخها إلى الفترة الممتدة بين القرن الرابع والقرن الثاني قبل الميلاد [٥٠] .

مدينة بيرسه:

عُثر على نماذج فنية لأرضيات الملاط المدكوك في إحدى منازل الحي البونيقي الواقع على المنحدر الجنوبي لإحدى التلال في مدينة بيرسه في قرطاجة، وهى أرضيات تنتمي للمرحلة البونيقية المتاخرة الممتدة بين- ٢٠٠- ١٤٦ق. م- ، تميزت بذات المواصفات الفنية والتقنية التي تميزت بها نظيراتها التي شاع استخدامها في القرن الثاني قبل الميلاد خلال العصر الهلينستي، ومن أبرز مميزاتها ملاطها ذو اللون الزهري والسطح الناعم الملمس، وكذلك مواد البناء المتنوعة المتمثلة في الأحجار الجيرية والرخام والفخار والخزف، والتي تفاوتت نسب توزيعها على السطح وبشكل عشوائي من حيث الكثافة والكمية [٥١].

التركيب الإنشائي لأرضيات الملاط المدكوك البونيقية:

لم يتسن للباحث الفرصة للاطلاع عن كثب على طبيعة التركيب الإنشائي العام والخاص لأرضيات الملاط المدكوك البونيقية من واقع الشواهد الأثرية المكتشفة ضمن مواقع بونيقية عدة، وأن ماسيعرض من معلومات ونماذج فنية تخطيطية لهذا النوع من الأرضيات يستند بالدرجة الأولى إلى المعلومات التي أوردتها بعض الدراسات والأبحاث الأثرية المستندة أساساً إلى ما اكتشف، إضافة إلى تلك الواردة في بعض المصادر الأدبية الكلاسيكية القديمة.

فالفكرة التقنية المتبناة في إعداد مثل هذه الأرضيات هي ذاتها التي تبناها الرومان لاحقاً في عمارة المباني الخاصة والعامة، مع وجود تباين واضح وطفيف في تقنية الإعداد وطبيعة بعض مواد البناء المستخدمة، وذلك من حيث طريقة إعدادها وتوظيفها الأمثل ضمن التركيب الإنشائي للنُطُق المختلفة التي يتألف منها هذا النوع من الأرضيات. واستناداً إلى تلك المعلومات الواردة في الدراسات الأثرية والتاريخية، وكذلك المصادر الكلاسيكية القديمة، فقد أمكن للباحث تصنيف أرضيات الملاط المدكوك البونيقية إلى أربعة أنواع، وذلك على النحو الآتي:

النوع الأول:

اكتشفت إحدى النماذج الفنية لهذا النوع من الأرضيات ضمن أطلال مدينة باناسا البونيقية في المغرب، ويتألف تركيبها الإنشائي من الأساس الأولي الذي تمثله إعدادات التربة الطبيعية للمكان المعد للإنشاء، يليها مجموعة من البلاطات الصلبة المصنوعة من القرميد، والمثبتة بشكل أفقي لتشكل طبقة إنشائية داعمة لما يعلوها من طبقات أخرى، يليها طبقة مؤلفة من الطين الأحمر بسمك يتراوح بين ٢- ٣سم، لتعلوها بعد ذلك الطبقة

النهائية التي تمثل الأرضية والمؤلفة من ملاط الكلس المخلوط مع الرمل وكذلك شظايا الفخار المطلي، أو المزجج المدمجة في سطحها بإتقان ضمن زخرفة هندسية، صممت على هيئة شبكات وأربطة افقية، إضافة إلى شظايا عدة أخرى متنوعة، تباينت ألوانها بين اللون الأحمر الكستنائي واللون القشدي القاتم، ويُعد استخدام شظايا الفخار المطلي أو المزجج أسلوباً فنياً من المحتمل أن يكون من إنتاجات مدينة كواس [٥٢]، والتي يرى الباحث بأنها المدينة التوأم لمدينة سيينا الإيطالية من حيث إنتاج الفخار. شكل ٤

ومما تجدر الإشارة إليه أن الفخار المزجج كان قد عهده الفينيقيون منذ عصور قديمة، وهو ما دلت عليه الأواني الفخارية التي عُثر عليها في مواقع فينيقية أخرى في جزيرة قبرص والتي من المحتمل أنها كانت مورّدة إليها من بعض المدن الفينيقية، أو أنها كانت مصنّعة بأيدي حرفيين فينيقيين أقاموا مصانعهم بالجزيرة، ويرجع تاريخ صناعة هذه الأواني إلى المدة الممتدة بين القرنيين السابع والرابع قبل الميلاد [٥٣].

إلا أنه بالمقابل لا يمكننا التغاضي عن دور الفخار المزجج الذي كان يستورد من منطقة جنوبي إيطاليا، أو ما كان يسمى ببلاد اليونان الكبرى بجنوبي إيطاليا، ولاسيما ذلك النوع المعروف بالفخار الأتروسكي العالي الجودة، والذي كانت قرطاجة تستورد منه بكميات هائلة خلال مرحلة العلاقات التجارية القرطاجية الاتروسكية منذ القرن السابع قبل الميلاد، والتي تمخض عنها صادرات هائلة من هذا الفخار باتجاه بعض المراكز الفينيقية وقرطاجة وجزيرة صقلية [٥٤]، وهو ما دلَّت عليه الحفائر العديدة التي أجريت في كل من مدينيتي كركوان وديدو (Dido) بقرطاجة، ففي منطقة ميناء مدينة ديدو على سبيل المثال، عُثر على أرضيات من الملاط المدكوك مؤلفة من شظايا الجرار الفخارية المستوردة من منطقة جنوبي إيطاليا يرجع تاريخها إلى القرن الرابع قبل الميلاد [٥٥].

مجمل القول في هذا الجانب، أن تقنية الفخار المطلي أو المزجج في قرطاجة والعالم البونيقي، كانت في الأصل قد استمدت روحها الفنية من تقاليد عريقة بعضها ذو سمة فينيقية كنعانية، وبعضها الآخر ذو سمة محلية عكست معها الملامح الفنية للشعوب التي اصطبغت بثقافة الحضارة الفينيقية القرطاجية في منطقة غربي البحر المتوسط [٥٦].

النوع الثاني:

كشفت حفريات مدينة مورجنتينا بجزيرة صقلية عن نماذج فنية لمثل هذا النوع من الأرضيات الذي يتألف من طبقة الأساس المؤلفة إما من التربة أو الرمل، يليها مجموعة من الحجارة بقطر٥ سم، ويعرف هذا النطاق بـ طبقة الأساس التي تليها طبقة من الملاط يتراوح سمكها بين ٧– ١٠سم، ومن ثم توضع أعلاها طبقة الأرضية المؤلفة من شظايا القرميد

ًو الفخار الممزوجة مع الملاط المخلوط مع المسحوق الناتج عن عملية دك القرميد (Ter-racotta Mortar) ، ويجرى إعداد طبقة الأرضية حتى المستوى المقترح أو المطلوب، ومن ثم تخضع للتسوية النهائية بالطريقة التقنية نفسها التي تُسوّى بها أرضيات الفسيفساء، لتصبح بعد ذلك جاهزة للاستعمال، وذلك عقب عملية الصقل النهائي لسطح الأرضية، أما فيما يخص قطع المكعبات الحجرية المعدَّة لأغراض الزينة فيجري إقحامها ضمن طبقة الملاط الطري لسطح لأرضية وذلك قبل أن يجف بشكل نهائي، ثم يلي ذلك المرحلة النهائية المتمثلة في عملية صقل السطح وتنعيمه. وتعد المكعبات الحجرية البيضاء اللون من أكثر المواد شيوعاً من حيث الاستخدام ضمن هذا النوع من الأرضيات (٥٧) . شكل ٥.

النوع الثالث:

يرى الباحث أن الملامح التقنية لهذا النوع من أرضيات الملاط المدكوك البونيقية، تتجسد من خلال الوصف الفني العام الذي نقله إلينا الكاتب الروماني لوكيوس جونيوس مودوراتوس كولوميلا (Lucius Junius Moderatus Columella, 04- 70- AD) ، في الكتاب الأول من كتابه (في الزراعة) ، وذلك عند حديثه عن أرضيات أماكن تخزين غلال الحبوب أو مايسمى بـ (هُري القمح) ، وعلى الرغم من أن كولوميلا لم يُشر صراحة إلى الأصول التقنية البونيقية لمثل هذه الأرضيات التي وصفها بالرومانية (٥٨) ، فإن الباحث يميل إلى أن غالبية المعلومات المتعلقة بمجال الزراعة والواردة في المصادر الأدبية اللاتينية هي ترجمة لما ورد في مؤلفات الكاتب القرطاجي ماجو (Mago) المؤلفة من ثمانيةٍ وعشرين كتاباً في مجال الزراعة، هذا إلى جانب أن كولوميلا فبل تمتعه بميزة حق المواطنة الرومانية كان مواطناً إسباني الأصل، ولد وترعرع في مدينة قادس التي كانت إحدى أقدم المستعمرات الفينيقية في منطقة جنوبي إسبانيا، والتي تأسست نحو عام ١١١٠ق. م، الأمر الذي يجعله من المطلعين عن كثب على تقنية الملاط المدكوك البونيقية، رغم تجاهله لأصولها التقنية، وذلك حينما انتقل للعيش لاحقاً في مزرعته الواقعة على مقربة من العاصمة روما.

وبغض النظر عن ذلك، فإن التركيب الإنشائي لهذا النوع من الأرضيات يتألف من طبقة الأساس المؤلفة من التربة المدكوكة بشدة باتجاه الأسفل بوساطة المداميك، ثم تعلوها طبقة أخرى مؤلفة من كسر القرميد الممزوجة مع الملاط المتشكل من مادة الكلس والرمل والرواسب الناتجة عن زيت الزيتون وذلك عوضاً عن الماء، ثم يدك خليط هذه الطبقة بشدة بمدكات خاصة حتى درجة الصلابة المطلوبة ومن ثم ينعم السطح العلوي بعد ذلك حتى درجة النعومة المطلوبة (٥٩) . شكل ٦.

إن أهم ما يلفت النظر من مواد البناء المستخدمة ضمن هذا النوع من الأرضيات، هو عملية مزج الرواسب الناتجة عن زيت الزيتون مع ملاط الكلس عوضاً عن الماء، وهو ما يُعد من وجهة نظر الباحث استثناءً تقنياً اختصت به أرضيات مباني تخزين الحبوب، وذلك لأن مادة الزيت – حسبما أشار كولوميلا في كتابه الأول– من شأنها أن تحمي أرضيات مخازن الحبوب من التلف الذي قد تسببه الآفات البيولوجية التي من بينها الحشرات (سوس الحبوب) ، إضافة إلى تأثير بعض العوامل الطبيعية مثل الرطوبة (٦٠) .

كما نوّه المهندس الروماني ماركوس فيتروفيوس بوليو (Marcus Vitruvius Pollio, 01 B. C) ضمن هذا الإطار في الفصل الأول من الكتاب السابع من كتابه (في العمارة) ، بالدور الذي يؤديه استخدام الزيت منفرداً طوراً، وممزوجاً مع ملاط الكلس طوراً آخر، في حماية أساسات بعض الأرضيات، وكذلك ملاطاتها الخارجية من بعض التأثيرات الطبيعية التي من أبرزها الصقيع* والمياه والرطوبة (٦١) ، حيث أثبتت نتائج التحاليل العلمية لبعض العينات المأخوذة من ملاطات (Sigm) المؤرخة للعصر الروماني الإمبراطوري والمكتشفة في جنوبي البرتغال، أنها ذات قابلية عالية للنفاذية المتعلقة بقدرتها على امتصاص المياه بوساطة خاصية الامتصاص الشعرية (capillary absorption) (٦٢) .

أما على الصعيد البونيقي فإنه ليس ثمة مجال للشك – حسب ما يرى الباحث– في أن عملية مزج ملاطات الكلس برواسب زيت الزيتون قد استخدمت في إعداد أرضيات مباني تخزين غلال الحبوب، إضافة إلى إعداد البطانات المتعلقة بالأحواض والآبار وصهاريج المياه، وبخاصة إذا ما علمنا بأن قرطاجة تميزت بوفرة منتجاتها الزراعية التي من أبرزها غلال القمح والزيتون والشعير التي جعلت منها واحدة من أهم مصادر الغلال بالنسبة لروما في العالم القديم، وقد بلغ من وفرة هذه الغلال أن القائد الروماني سكيبيو الأفريقي (Scipio Africanus) حينما غزا الساحل القرطاجي في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد (٢٠٣ ق. م) قد اقترح صلحاً ينص على أن تقدم قرطاجة لروما (٥٠٠،٠٠٠) كيل من القمح و (٣٠٠،٠٠٠) كيل من الشعير (٦٣) .

---

* سبق وأن قام الباحث كجزء من التوجهات العلمية التي تبنتها أطروحة الماجستير- ٢٠٠٩م- ، بإجراء تحاليل كيميائية لعينات من الملاط الرابط بين قطع فسيفساء أرضيات عدد من الفيلات الرومانية الواقعة في إقليم المدن الثلاث في ليبيا، وذلك للتأكد من وجود مادة الزيت التي استخدمت لحماية ملاط الأرضيات من التضرر بفعل الصقيع في فصل الشتاء وذلك حسبما أشار فيتروفيوس في الفصل الأول من الكتاب السابع، وقد أثبتت نتائج التحاليل العلمية وجود آثار لبقايا مادة عضوية ذات خاصية دهنية ناتجة كأقرب احتمال عن استخدام مادة الزيت، على الرغم من تعذر تحديد ماهيتها الطبيعية وذلك نظراً لتفكك بنيتها التركيبية من الناحية الكيميائية بفعل العوامل المناخية المختلفة التي مرت بها عبر الزمن.
نامو، مصطفى علي محمد، دراسة أثرية لفسيفساء أرضيات بعض الدارات في منطقة المدن الثلاث، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، الطبعة الأولى، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ٢٠٠٩، ص ٢٥٨.

من جهة ثانية، فإن الكنعانيين قد برعوا منذ عصر الحديد في إعداد بطانات من ملاط الجص الذي كان يمزج بطريقة ما جعلت منه مادة عازلة لمنع أي تسرب للمياه من داخل الصهاريج، كما حرص البونيقيون في قرطاجة على إقامة خزانات هائلة لتجميع المياه على مقربة من ينبوع المياه الرئيس الذي عرف باسم ينبوع (الألف وعاء) (٦٤) .

النوع الرابع:

أرضيات الملاط المدكوك البونيقية هو ذلك النوع الذي أشار إليه كاتو في الجزأين السابع عشر والثامن عشر من كتابه (في الزراعة) . (On (Agriculture (XVII. i- xviii. 4) , (XVIII. 4- 9;9- xxi. i)

لقد تطورت أرضيات الملاط المدكوك البونيقية لاحقاً خلال العصر الروماني، سواء من حيث الملامح التقنية للتركيب الإنشائي العام، أم من حيث طبيعة بعض مواد البناء والتي لم تشهد تغيراً جدرياً ملحوظاً، إلا أن أبرز ملامح ذلك التطور تمثلت- حسبما يرى الباحث- في أن هذا النوع من الأرضيات قد ألهم البنائين الرومان لاختراع ما يعرف بالخرسانة الرومانية (Roman Concrete) الذي شكل طفرة تقنية في مجال تطور فن العمارة الرومانية، وذلك على صعيد تشييد الأسقف والقباب والجسور وقناطر المياه ثم الأرضيات، وفيما يتعلق بمجال الأرضيات أو خرسانة الأرضيات، أشار فيتروفيوس في الفصل الأول من كتابه السابع إلى مجموعات من الأسس الفنية والتقنية الواجب اتباعها عند القيام بإعداد التركيب الإنشائي لمختلف أنواع الأرضيات، والذي يرتكز في أساسه التقني على ذات الفكرة الفنية المتبناة في إعداد أرضيات الملاط المدكوك البونيقية التي شكلت من خلالها مواد البناء المتمثلة في ملاط الكلس والرمل ومسحوق القرميد وشظايا الفخار، نواة تقنية لعملية الإنشاء (٦٥) ، إضافة إلى بعض أنواع الصخور البركانية التي استخدمت ضمن مزيج الملاط المعد لتشييد قناطر المياه والآبار وصهاريج وأحواض المياه، وذلك حسبما أشار فيتروفيوس في كتابه السادس (٦٦) .

يتألف التركيب الإنشائي لأرضيات الملاط المدكوك في مرحلته التطورية التي شهدها خلال العصر الروماني، ووفقاً للمنظور التقني الذي أشار إليه فيتروفيوس في كتابه السابع، من نطاق الأرضية الأساس الذي تمثله التربة الطبيعية المدكوكة جيداً، يليها طبقة مؤلفة من حجارة صغيرة لا يقل حجمها عما يملأ اليد والمخلوطة بنسب متفاوتة مع عجينة الكلس المخمَد، ومن ثم يدك الخليط بمطارق خشبية× حتى درجة الصلابة الكافية وبسمك

---

* هي مطارق أو مدقات خشبية مغطاة بالحديد مثلما يصفها فيتروفيوس في كتابه الثامن.
Vitruvius, On Architecture, Book, VIII. C. I. , Translated into English by Frank Granger- D. Lit, A. R. I. B. A. , WILLIAM HEINMANN LTD, Loeb Classical Library, Printed in Great Britain, (No Date) .

لا يقل عن تسع بوصات (٢٢. ٥ سم) ، ثم توضع طبقة ما يسمى بالنواة* (Nucleus) والمؤلفة من كسر القرميد الممزوج مع عجينة الكلس المخمَد والرمل**، وهي طبقة صلبة لا يقل سمكها عن ست بوصات ١٤. ٧سم (٦٧) . شكل ٧.

هذا على صعيد ما ورد في المصادر الأدبية الكلاسيكية من ملامح فنية تطورية شهدتها أرضيات الملاط المدكوك خلال العصر الروماني، أما على صعيد الشواهد الأثرية التي عكست بعض تلك الملامح التطورية، فقد كشفت أعمال التنقيب التي أجرتها بعثة جامعة ميشيغان (Michigan) الأمريكية في موقع مدينة قرطاجة عام ١٩٧٥م، النقاب عن عدد من النماذج الفنية لأرضيات الملاط المدكوك المؤرخة إلى العصر الروماني والتي يتراوح تاريخها بين القرن الأول و القرن الخامس الميلادي (٦٨) ، **وقد تجسدت هذه النماذج من خلال خمسة أنواع فنية وذلك على النحو الآتي**:

♦ النوع الأول: يتألف من قطع حجرية بيضاء اللون عادةً ما تكون من الرخام، وبأشكال غير اعتيادية مثبتة بشكل متقارب بعضها إلى بعض ضمن طبقة من الملاط الأبيض، وهي تعكس في أحيان عدة نمطاً فنياً شبيهاً بنمط البدايات التقنية الأولى لفن صناعة الفسيفساء وذلك من خلال ما تضمنته من قطع حجرية أخرى ذات شكل شبه مكعب، كما تحتوي الأرضيات من هذا النوع في أحيان أخرى على رقائق (chips) لقطع حجرية ذات أشكال لا حصر لها (٦٩) . شكل ٨.

♦ النوع الثاني: يتألف من مجموعة من القطع الحجرية الملونة والمدمجة ضمن ملاط متباين اللون، وهي قطع حجرية متقاربة بعضها إلى بعض وتتخللها بعض الرقائق الحجرية المتفاوتة فيما بينها من حيث الحجم والشكل (٧٠) . شكل ٩.

♦ النوع الثالث: يتألف من قطع حجرية ذات شكل اعتيادي على هيئة مكعبات مبعثرة بشكل عشوائي ضمن سطح الملاط (٧١) . شكل ١٠.

♦ النوع الرابع: يتألف من ملاط غني بالقرميد وأعداد كبيرة من الكسر الفخارية، وهو ما انعكس على اللون العام للأرضية، إضافة إلى وجود بعض القطع الحجرية المتعددة

* النواة هي الطبقة التي تمثل (Signinum) ، و هي ذات التسمية التي أطلقها بليني على هذه الطبقة في كتابه السادس و الثلاثين.
Pliny, Natural History, Book, XXXVI. LXI. 185- LXII. 187, with an English Translation by D. E. Eichholz, Loeb Classical Library, Harvard University Press, Cambridge-Massachusetts, London, 1962.

** لم يُشر فيتروفيوس في كتابه السابع إلى مادة الرمل ممزوجة مع الكلس، وإنما أشار إليها لاحقاً في كتابه الثامن وذلك عند حديثه عن تقنية (Signinum) المستخدمة في الأحواض والصهاريج والآبار وقناطر المياه، وقد أسهب فيتروفيوس ضمن هذا الإطار في الحديث عن نوعية الرمل الجيدة ونسب توزيعه ضمن ملاط الكلس.
Vitruvius, Op. cit, Book. VIII. C. VI.

الألوان التي تباينت بين الأحمر، الزهري، اللون الضارب إلى الأخضر، ثم اللون الأصفر الضارب إلى اللون البرتقالي، وهو قطع مدمجة ضمن ملاط متباين، مع وجود بعض القطع أو الشظايا الحجرية الأصغر حجماً (٧٢) . شكل ١١.

♦ النوع الخامس: يتألف من قطع الحجارة وشظايا القرميد المختلطة مع بعضها بعضاً بنسب متفاوتة من حيث الحجم والكثرة، ويغلب على هذا النمط التعددية اللونية التي تشمل كلا النوعين من القطع الحجرية (٧٣) . شكل ١٢.

التحاليل العلمية الحديثة لمكونات أرضيات الملاط المدكوك:

لم يكن لدى الباحث حتى تاريخ إنجاز هذه الدراسة دراية فيما إذا كان هناك دراسات علمية حديثة، تبنّت في دراستها لأرضيات الملاط المدكوك البونيقية أية تقنيات لتحاليل علمية، من شأنها تسليط الضوء على طبيعة العناصر الكيميائية والمعدنية المختلفة لمواد البناء التي يتألف منها التركيب الإنشائي لمثل هذا النوع من الأرضيات، وكذلك الدور الذي أدته في تشكيل بنية الملاط، وذلك من حيث إضفاؤها لخاصيتي التماسك والمتانة اللتين أسهمتا في ديمومة هذه الأرضيات على مرّ العصور.

وعليه، سيتطرق الباحث ضمن هذا الإطار إلى بعض النتائج التي توصلت إليها إحدى الدراسات العلمية الحديثة التي تعرضت بالفحص والتحليل الكيميائي لطبيعة المكونات الصخرية للملاطات التي استخدمت في إعداد أرضيات (O. Sigm) الرومانية، وذلك نظراً للتشابه الملحوظ بين المكونات الإنشائية لأرضيات الملاط البونيقية ونظيراتها الرومانية، والذي دلت عليه بعض الملامح التقنية التي أشارت إليها بعض المصادر الأدبية الكلاسيكية القديمة، وكذلك الشواهد الأثرية المكتشفة ضمن بعض المواقع البونيقية.

لقد شملت الدراسة نماذج لعينات من مكونات الملاطات المكتشفة في بعض المواقع الرومانية في البرتغال (Portugal) في وسط مدينة (Conimbriga) ، وفي مدن: (، (Algave (Frielas) ، (Troia)) ، الواقعة في جنوبي البرتغال، وقد شملت العينات المستهدفة بالتحليل عينات منتقاة من مباني الحمامات، الأحواض، شبكة أنابيب المياه، مباني السدود، وهي منشآت يتراوح تاريخ إنشائها بين القرنين الأول والرابع الميلادية (٧٤) ، حيث أُخضعت هذه العينات لجملة من تقنيات التحاليل المعملية التي من أبرزها تحليل مطيافية وميض أشعة اكس (X. R. F) ، وكذلك تحليل حيود أشعة اكس (X. R. D) ، هذا إلى جانب الاستعانة ببعض تقنيات التحاليل الأخرى التي وُظفت كل منها وفق الغاية العلمية التي تطلعت تلك الدراسة إلى الوصول إليها من خلال أهداف البحث (٧٥) .

أظهرت نتائج التحاليل الكيميائية لعينات الملاط المتعلق بأرضيات (O. Sigm) ، المأخوذة من إحدى مواقع (Troia) المفتقرة للمصادر الصخرية من نوع البوزولان، احتواءه على مكونات لمواد ذات قابلية عالية للتحلل وذلك بنسبة تتراوح بين (٣٠- ٢٦٪) ، وقد تمثلت هذه المكونات في شظايا صخرية متنوعة شمل بعضها مزيجاً من القرميد المهروس وسليكات الرمل، واحتوى بعضها الآخر على كتل لمكونات متدلمتة* (Dolomitic) ، وأخرى متكلسنة (Calcitic) ، وهي تفسر في مجموعها تلك النسبة العالية من التحلل لمكونات البناء التي حُصِل عليها ضمن موقع هذه المدينة [٧٦] .

بالمقابل فإن بعض عينات الملاط المأخوذة من إحدى السدود الرومانية في منطقة (Alamo) ، قد اظهرت من خلال التحاليل العلمية افتقارها إلى مكونات ذات علاقة بمادة القرميد على وجه التحديد، وكذلك تميزها بنسبة تحلل تصل إلى (٣٣٪) ، وهي نسبة متقاربة تماماً مع تلك التي حُصِل عليها من نتائج تحليل الملاط الحاوي لشظايا القرميد، الأمر الذي فسره لاحقاً إحتواء الملاط على مكونات لمواد ذات خصائص بوزولانية (Pozzolanic) [٧٧] .

وأكد تحليل مطيافية وميض أشعة اكس (X. R. F) لعينات الملاط وجود نسبة عالية من عنصر الكالسيوم (Calcium, CaO) في غالبية العينات، وفي بعض الحالات وجود نسبة من عنصر المغنيسيوم (Magnesium, MgO) تعادل (٥٪) ، والذي دلّ على وجود مكونات لمواد لاحمة قوامها كتل متدلمتة وأخرى متكلسنة [٧٨] .

أما تحليل حيود أشعة اكس (X. R. D) ، فقد بينت وجوداً لمكونات عناصر كل من الكلسايت (Calcite) والدولومايت (Dolomite) ، وفي حالات أخرى كربونات المغنيسيوم (Magniesite) ، والألومنيوم، إضافة إلى نسبة عالية من السليكات، بالمقابل فإن مكونات الكلس كانت متدنية النسبة، وقد تراوحت نسب كل من كربونات الكالسيوم والمغنيسيوم بين- ١٧- ٢٣٪- كحدٍ أقصى [٧٩] .

كما أظهر تحليل (X. R. D) لعينات البوزولان الطبيعية، إحتواءها على نسبة عالية من معدن الفلدسبار (Feldspars) ومعادن البيروكسين (Pyroxenes) التي قوامها سليكات الكالسيوم والمغنيسيوم والحديد وغيرها، هذا إلى جانب مجموعة سليكات الألومنيوم المائية (Zeolites) الناتجة عن تفاعل مواد البوزولان [٨٠] .

---

* مكونات لأحجار جيرية في طور التحول إلى صخور ذات خصائص شبيهة بتلك التي تتميز بها صخور الدولومايت.

الدور الوظيفي لمواد البناء المستخدمة في أرضيات الملاط المدكوك:

القرميد (Brick):

يعد القرميد واحداً من مواد البناء الأقدم تاريخياً والأكثر صلابة التي استخدمها الإنسان، حيث شكل في الماضي مادة أساسية في حياة شعوب الحضارات القديمة في منطقة بلاد الرافدين ومصر القديمة، وقد ازداد معدل استخدام طين القرميد في العصر الروماني وأصبح مفضلاً كمادة بناء، وذلك نظراً لأهميته القصوى (٨١) .

إن القوة الضاغطة لطين القرميد عادةً ما تكون ذات علاقة ببعض الخصائص الأخرى التي من بينها المسامية ودرجة الحرارة، والتي تعد مفتاح خصائص الصلابة التي يتميز بها طين القرميد، غير أننا نجدها في المقابل نجدها ذات تأثير في ميكانيكية الصلابة لمادة القرميد، كما أن حسن اختيار المواد الخام الطينية يعد أساساً جوهرياً لتحسين أداء القرميد، ومن ثم تحسين خاصية الصلابة (٨٢) .

يُظهر طين القرميد خصائص ذات أهمية بالغة في تقويم قوة القرميد وصلابته، وهي خصائص ذات علاقة وطيدة بنوعية خام المادة الطينية وبشكل مباشر بمواصفات التصنيع، فالخصائص الفيزيائية والكيميائية والميكانيكية والمعدنية لطين القرميد ذات علاقة بعملية تقويم خاصيتي الصلابة والديمومة لأطيان القرميد القديمة، وهي خصائص جدّ مألوفة في الدراسات الأثرية المتعلقة بتحديد ماهية المكونات الكيميائية والمعدنية التي تشكل بنية الفخار والخزفيات القديمة، وكذلك خصائص بنية الملاط (٨٣) .

إن من شأن تحديد طبيعة المكون الكيميائي للقرميد القديم أن يتيح لنا التعرف إلى مظاهر الضعف التي برزت أثناء عملية التصنيع والمتمثلة في العُقد الكلسية، والمواد العضوية، والأملاح الذائبة الضارة، وغيرها من الشوائب التي تتسبب في أضرار بالغة في بنية القرميد، وعليه تؤدي إلى تفسخه (٨٤) ، كما يسهم تحديد المكون الكيميائي للقرميد في تحديد معدل درجة الحرارة، وكذلك في تفسير خاصية التعدد اللوني الواسع لأطيان القرميد، وذلك من خلال إظهار طبيعة العناصر الطبيعية المتسببة في تغير اللون، وكذلك المواد المضافة لهذا الغرض (٨٥) .

من الأكاسيد الكيميائية الشائعة التي أظهرتها التحاليل ضمن مكونات طين القرميد: السليكا (SiO2) ، أكسيد الألومنيوم (Al2O2) ، أكسيد التيتانيوم (TiO2) ، أكسيد الصوديوم (Na2O) ، أكسيد الكالسيوم (CaO) ، أكسيد المغنيسيوم، أكسيد الحديد (Fe2O3) ، أكسيد البوتاسيوم (K2O) ، وتشكل كل من السليكا وأكسيد الألومنيوم أساس العناصر ضمن بنية

الطين، حيث تصل نسبتها المئوية إلى نحو- ٥٠٪- بالنسبة للسليكا، وما بين (١٥- ٢٠٪) لأكسيد الألومنيوم، هذا إلى جانب بعض العناصر الأخرى التي تظهر ضمن مكونات الطين بنسب ضئيلة تعادل جزءاً من المليون، والتي من بينها: الباريوم (Ba) ، أكسيد الزركونيوم (Zr) ، أكسيد الأسترنتيوم (St) ، الروبيديوم (Rb) ، أكسيد المنجنيز (Mn) [٨٦] .

إن وجود كل من أكاسيد الصوديوم والكالسيوم ضمن مكونات الطين عادةً ما يكون السبب في تلوث ملاطات الكلس، في حين أن أكسيد الحديد وأكسيد التيتانيوم يعدان ملوّنان طبيعيان لطين القرميد مُضفيان عليه خاصية لونية ضاربة إلى الحُمرة والصُفرة، وذلك في حال ما برزت كميتها بنسب قليلة، بالمقابل فإن انخفاض نسبة كمية أكسيد الحديد من شأنها أن تمنحه خاصية لونية لبياض ناصع [٨٧] ، وهو ما يمكن لحوظه في أرضيات الملاط المدكوك البونيقية في مدينة كركوان، التي بدت من خلالها شظايا القرميد والفخار متفاوتة الألوان.

الكلس (Calx):

يعد ملاط الكلس بشكل عام من الملاطات غير الهيدروليكية، إلا أنه في الإمكان اكتساب الخاصية الهيدروليكية عند مزجه مع مواد البوزولان أو مع كمية من مواد الأطيان أو مع مواد السليكات وذلك بنسب تتعدى (١٠٪) من باقي مكونات المادة الأصل التي تتألف من الحجر الجيري أو الرخام أو الأصداف البحرية، ويمثل الكلسايت ($CaCO_3$) المادة الأساس للأحجار الجيرية، كما أنها تحتوي على الدولومايت، وكربونات المغنيسيوم، وبعض التنوع في مواد الشوائب [٨٨] .

يُنتج الكلس من الأحجار الجيرية مع نسبة قليلة من كربونات المنغيسيوم تعادل (٥٪) ، ويسمى هذا النوع بالكلس الغني بالكالسيوم، في حين أن الأحجار الجيرية ذات النسبة العالية من كربونات المنغيسيوم التي تتعدى (٢٠٪) تُنتج ما يُعرف بالكلس الدولومايتي الشائع استخدامه في مجال البناء، وذلك نظراً لما يمتاز به من خاصية اللزوجة العالية ودرجة احتفاظه بكمية الماء [٨٩] .

بعد عملية حرق الأحجار الجيرية يُخمّد الكلس الناتج بالماء لينتج عنه ما يُعرف بالكلس الرخو الذي يمثل عجينة بلاستيكية القوام ($Ca(OH)_2$) ذات خاصية التصاق تصبح بعد عملية مزجها مع الرمل سهلة التمدد، وحينما يتعرض هذا الخليط للهواء الجوي وبشكل تدريجي يتماسك ومن ثم يتصلب نتيجة امتصاصه لثاني أكسيد الكربون (CO_2) [٩٠] .

إن إضفاء الرمل بمعدل ثلاث وحدات قياسية مقابل وحدة من عجينة الكلس، من شأنه تحسين الخصائص الميكانيكية للكلس، والتي من أبرزها اكتسابه للخاصية الهيدروليكية،

الأمر الذي من شأنه التقليل من ظاهرة الإنكماش ويتيح للكلس الاستقرار في وضعية أفضل للتعرض لظاهرة التكربن بفعل الهواء الجوي [٩١] .

وتقسم ملاطات الكلس تبعاً لتركيز عنصر المغنيسيوم ضمن محتوى الكلس إلى نوعين: الكلس المُشبع (Calx Pinguis) ، والكلس غير المشبع* (Calx Macra)، فالكلس المشبع مصدره أنقى أنواع الحجر الجيري التي تنتج عجينة ذات خاصية التصاق عالية تؤهلها بفاعلية لإعداد ملاطات أفضل، أما الكلس غير المشبع فمصدره الأحجار الجيرية المشتملة على شوائب أو المفتقرة إلى درجة احتراق كافية داخل الأفران، إضافة إلى أنها تتميز في أثناء عملية الإخماد بقلة امتصاصها للماء ومن ثم عدم تعرضها للانتفاخ واكتمال عملية التمّية [٩٢] .

أما فيما يتعلق بالشوائب التي من أبرزها أكسيد الحديد، فهي تؤدي إلى شبه قتامة في لون الكلس، وذلك باكتسابه للون رمادي أكثر من اكتسابه للون الأبيض، ونتيجة لذلك فإن استخدام حجر الرخام لإنتاج ملاطات الكلس قد انتشر على نطاق واسع في أنحاء الإمبراطورية الرومانية، وذلك نظراً لخلوّه على وجه التحديد من الشوائب [٩٣] .

البوزولانا (Pozzolana):

إن الحاجة لزيادة معدل المقاومة في بنية ملاطات الكلس الحي وتحسين أداء الصلابة فيها ضمن بيئات إنشائية رطبة ومائية بغية استخدامها ضمن مواد بناء أساسات الجسور وقناطر المياه، قد دفع بالبنائين الرومان إلى تطوير ملاطات تحتوي على مادة البوزولان، أو أية مواد أخرى تتسم بذات الخصائص والفاعلية مثل القرميد على سبيل المثال [٩٤] .

إن إضافة مواد محددة ذات منشأ بركاني كالحمم (Lava) والصخور البركانية (Tuffs) السابقة الإحتراق إلى خليط الملاط، من شأنها أن تؤثر في بنيته، ومن ثم جعله يكتسب خاصية هيدروليكية، وتعد مثل هذه المواد في طبيعتها الصخرية فاقدة للخواص الإسمنتية، إلا أنها بمزجها مع الكلس والماء تشكل ما يعرف بالاسمنت البوزولاني وذلك نسبة لمادة البوزولان الموجودة مصادرها بكثرة بالقرب من منطقة بوزولي (Pozzoli) الواقعة عند خليج نابولي (Naples) والتي تمثل انموذجاً فريداً من حيث وفرة هذا النوع من الصخور [٩٥] .

---

* تطرق فيتروفيوس في الفصل الثاني من الكتاب السابع إلى عملية إنتاج الكلس المشبع وغير المشبع بدءاً من عملية الحرق في أفران الأحجار الجيرية وإنتهاءً إلى إعداد عجينة الكلس وطريقة اختبار فعاليتها من حيث درجة الالتصاق من عدمها وفيما إذا ما كانت صالحة للاستخدام كملاطات في مباني المنشآت العمرانية أم أنها تحتاج إلى مزيد من العناية والإعداد.
.Vitruvius, Op. cit, Book, VII. C. II

تحتوي البوزولان على كمية عالية من السليكات التفاعلية تتراوح نسبتها بين (٧٠-٤٠٪) والمتشكلة من خلال المواد البركانية المتفجرة، حيث جسيمات الصهارة المتدفقة بفعل الغازات الأرضية والمتعرضة للتبريد العالي الذي أدى إلى تحولها إلى كتل مزججة ذات خاصية تفاعلية مع مادة الكلس المميّه (Lime Hydrate) [٩٦] .

إن قابلية الكلس لخاصية الالتصاق متوقفة- وبدرجة أقل- على بقية المواد الأخرى مثل الحجر البركاني والأطيان المحروقة، فمواد السليكا والألومينا التفاعلية وُجدت في صورة مواد ضمن نشاط بوزولاني، يتفاعل مع الكلس والماء لينتج عن ذلك بنية تركيبية مشابهة للاسمنت الحديث، ونتيجة لهذه القابلية للكلس على الالتصاق وتشكل البنية الإسمنتية التي من بينها القدرة على التفاعل ضمن ظروف مناخية رطبة، لجأ الرومان إلى استخدام البوزولان على نطاق واسع في الأغراض الإنشائية [٩٧] .

النتائج والتوصيات:

١. ارتباط تقنية أرضيات الملاط المدكوك في بداياتها التاريخية، ولفئة محدودة بمنشآت المرافق الخدمية الريفية المرتبطة بالإنتاج الزراعي البونيقي، ومن ثم الروماني لتصبح لاحقاً متلازمة معمارياً مع الغرض الوظيفي والزخرفي.

٢. إن أرضيات الملاط المدكوك قد خضعت لأسس فنية ومعايير إنشائية ثابتة على مر العصور والأزمان بدءاً من العصر البونيقي وانتهاءً بالعصر الروماني الذي شهدت خلاله استخدام تقني واسع النطاق.

٣. إن أرضيات الملاط المدكوك قد جمعت بين السِّمتين الوظيفية والزخرفية ضمن مجال فن العمارة البونيقية والرومانية.

٤. إن ملاطات الأرضيات البونيقية المدكوكة قد شكلت نواة الإبداع الروماني في مجال ابتكار الخرسانة الرومانية التي شكلت طفرة تقنية حضارية مهمَّة في مجال العمارة الرومانية شمل القباب والسدود والأحواض والخزانات وقناطر جر المياه والأرضيات.

٥. توصي الدراسة بضرورة إعادة النظر في التسمية الفنية لأرضيات الملاط المدكوك البونيقية فيما يخص الدراسات الأثرية والتاريخية، وتقترح تبني تسمية جديدة تعكس الأصول التقنية البونيقية والتي من المفترض أن تكون (Opus Punicum) ، وذلك عوضاً عن التسمية الحالية (Opus Signinum) .

٦. توصي الدراسة الباحثين المهتمين بمثل هذا النوع من الأرضيات، بضرورة التركيز في دراساتهم العلمية على التحليلات العلمية التي من شأنها تسليط الضوء على

طبيعة الخصائص الكيميائية والفيزيائية لمكونات الملاطات المتعلقة بأرضيات الملاط المدكوك البونيقية.

خاتمة:

على الرغم مما أورده الكاتب الروماني ماركوس كاتو في كتاب الزراعة من معلومات متعلقة بملامح التركيب الإنشائي العام لأرضيات الملاط المدكوك ومكوناته من مواد البناء المختلفة، فإنه يُعد الكاتب اللاتيني الوحيد االذي تفرَّد بذكر الأصل التقني البونيقي لمثل هذا النوع من الأرضيات. إلا أن التقنيات الأثرية التي أُجريت ضمن مواقع بعض المدن القرطاجية مثل: كركوان، وبيرسه، وأوتيكا، وكذلك مواقع بعض المستعمرات التي كانت ااضعة للسيادة القرطاجية في منطقة غربي المتوسط ومن بينها: لبتس الكبرى (Lep-tis Magna) ، وصبراتة (Sabratha) في ليبيا، وروسادير/ مليلة (Rusadir) ، وروسيبيز (Rusibis) ، وزيلي (Zili) ، وقادس/ قادير (Gadiz/ Gadir) ، وتامودا (Thamuda) ، وطنجة (Tingis) ، وديدو (Dido) ، وباناسا (Banasa) ، و كواس (Kouass) في المغرب، وسيكسي (Sexi) ، ومالقا (Malga) ، وأبدير (Abder) ، وليكسوس (Lixus) في شبه جزيرة أيبيريا، وايبيزا (Ibiza) في جزر البليار، ونورا (Nora) في جزيرة سردينيا، وسيلينوس (Selinus) ، وموتيا (Motya) ، ومورجنتينا (Morgantina) ، وميجارا هيبلايا (Megara Hyblaia) في جزيرة صقلية، وبيرجي (Pyrgi) في أترورريا، وكايري (Caere) في توسكانا في منطقة جنوبي إيطاليا، قد كشفت عن العديد من الشواهد الأثرية التي برهنت بما لا يدع مجالاً للشك عن الأصول الحضارية البونيقية لأرضيات الملاط المدكوك، وذلك منذ القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد.

وبالنظر إلى البدايات الإنشائية البسيطة التي اتسمت بها الملامح الفنية لأرضيات الملاط المدكوك البونيقية وارتباطها الوظيفي بعمارة الإنتاج الزراعي، إلا أنها قد شهدت لاحقاً تطوراً فنياً ملحوظاً أضفى عليها جمالية أكسبتها سمة فنية، جعلت منها واحدة من بين عناصر التزيين المعماري القديمة، وأصبح كلا الغرضين الإنشائي والتزييني متلازمين معاً كسمة فنية أساسية لمثل هذا النوع من الأرضيات. بالمقابل لم تشهد مواد البناء الصخرية المكونة لهذه الملاطات أية تغيرات تُذكر من حيث طبيعتها الأساسية، باستثناء تفاوت نسب معدلاتها، وكذلك مدى كبر أحجامها أو صغرها ضمن خليط الملاطات شهدت بدورها بعض التغيرات التي أملتها طبيعة الغرض الإنشائي الذي وظَفت له، الأمر الذي أكسبها مرونة ثقنية من حيث تعدد استخداماتها وتنوعها، ضمن المباني والمرافق المعمارية، وشكَل قفزة نوعية في تطور تقنيات مواد البناء ومن ثم تقنيات الإنشاء االعُمراني الذي برز أثره جلياً واضحاً في بعض حضارات العالم القديم وامتد ليشمل حضارات العصر الحديث.

الهوامش:

1. *Dunbabin,1999, PP. 101, 102*
   ; Tsakirgis,1990, PP. 425, 426
2. *Lancel,1985, PP. 161, 162*
   ; Ben Abed, 2006, PP. 12, 31
3. *Tsakirgis, 1990,P. 436.*
   ; Dunbabin, 1990,P. 102.
4. *Carter, 1965 , P. 128,.*
   ; Tsakirgis, 1990, PP. 430, 432, 435, 436
5. *Lancel, 1985,P. 161.*
6. فنطر، ١٩٩٩. ص١٦٠
7. *Lancel, 1985, P. 161.*
8. *Pliny, Book, XXXVI. Lix. 182- Lxi. 185 ; Lxi. 185- Lxii. 187.*
9. *Lancel, 1985, P. 161.*
10. *Dunbabin, 1999, P. 105.*

.؛ فنطر، ١٩٩٩، ص١٦٠

11. *Cintas, 1976, P. 96.*
    ; Dunbabin, 1999, PP. 101, 102.
12. *Fantar,1995, P. 45.*
    ; Ben Abed, 2006, P. 31.
13. *Dunbabin, 1999, P. 105.*
14. *Holloway,1991, PP. 155, 156.*
15. *Stern,1975, P. 46*
16. *Dunbabin,1979, P. 267*
    ; Terccani,196,P. 543
17. *Stern, 1975, P. 46.*
18. *Fisher, 1971, P. 45.*
19. *Morricone,1980, PP. 105, 180.*
20. *Dunbabin,1976, P. 46*
21. *Blake, 1930, P. 24*
22. *Fisher, 1971,P. 45*
23. *Stern, 1975, PP. 46, 47*
24. *Morricone, 1980, PP. 25, 67, 85*

25. قاسم، ١٩٩٨، ص ص ٢٧، ٢٨، ٢٩.
26. *Adam,1999, PP. 252, 253.*
27. *Velosa, Veiga, Coroado, Ferreira and Rocha, 2010, PP. 235, 236, 237*
28. *Cato, Books. XVII. I- XVIII. 4 ; XVIII. 9- XXI. I*
29. *Pliny, Book. XXXV. XLVI. 165- XLVII. 167*
30. *Pliny, XXXVI. LIX. 182- LXI. 185 ; LXI. 185- LXII. 187*
31. *Ibid, XXXVI. LIX. 182- LXII. 185 ; LXI. 185- LXII. 187*
32. *Dunbabin, 1999, P. 33*
33. *Audet, 1993,P. 200*
34. *Holloway, 1991, PP. 155, 156*
35. *Dunbabin, 1999, PP. 33, 102*
36. *Strabo, Book. 17. 3. 1- 2 ; 2- 3*
37. *Blake, 1930, P. 24*
38. *Fisher, 1971, P. 39*
39. *Ben Khader, and Soren 1953, PP. 111, 112*
40. *Fanter, 1995, PP. 45, 46*
41. *Dunbabin, 1999, P. 102*
42. *Holloway, 1991, P. 156*
    ; Cintas, 1976, P. 96
43. *Ben Abed, 2006, Op. cit, P. 33*
    ; Cintas, 1976, P. 96
44. *Ben Abed, 2006, PP. 13, 31*
45. فنطر، ١٩٦٣، ص٣٢.
46. *Dunbabin, 1999, P. 102*
47. *Tsakirgis, 1990, PP. 425, 426*
48. *Ibid, PP. 425, 426, 435, 436.*
49. *Tsakirgis,1989, PP. 404,405,406,408,409*
50. *Carter, 1965, PP. 127, 128, 129*
51. *Lancel, 1985, PP. 158, 159, 161, 162*
52. *Arharbi, Lenoir and Alii 2004, P. 2155*
53. فنطر، ١٩٩، ص ص ٢٦٢، ٢٦٤
54. بورونية و الطاهر، ١٩٩٩، ص ص ٢٢٩، ٢٣١
    ; Ben Khader and Soren, 1953, P. 113

55. *Mackendrick, 1980,pp. 13,14,15*
56. فنطر، ١٩٩٩، ص ٢٦٤
57. *Tsakirgis, 1990, PP. 435, 436*
58. *Columella, Book. I. VI. 9- 14*
59. *Ibid, Book. I. V- 9- 14*
60. *Ibid, Book. I. VI. 9- 14 ; 14- 17*
61. *Vitruvius, Book. Vll. C. I*
62. *Velosa, Veiga, Coroado, Ferreira and Rocha, 2010, PP. 239, 246*
63. عصفور، ١٩٨١، ص ١٢٧
64. المرجع نفسه، ص ص ١٠٢، ١٢٧
65. *Vitruvius, Book. Vll. C. I*
66. *Ibid, Book, VIII. C. VI*
67. *Ibid, Book, VII. C. I*
68. *Dunbabin, 1967, PP. 45- 46*
69. *Ibid, P. 46*
70. *Ibid, P. 46*
71. *Ibid, P. 46*
72. *Ibid, P. 46*
73. *Ibid, P. 46*
74. *Velosa, Veiga, Coroado, Ferreira and Rocha, 2010, P. 237*
75. *Ibid, P. 239*
76. *Ibid, P. 242*
77. *Ibid, P. 243*
78. *Ibid, PP. 244, 245*
79. *Velosa, Veiga, Coroado, Ferreira and Rocha, 2010, P. 245*
80. *Ibid, P. 246*
81. *Fernandes, Lourenco and Castro 2010, P. 29*
82. *Ibid, P. 30*
83. *Ibid, PP. 30, 32, 38*
84. *Ibid, P. 38*
85. *Ibid, P. 38*
86. *Ibid, P. 38*
87. *Ibid, P. 38*

88. *Elert, Navarro, Pardo, Hansen and Gazalla 2002, P. 61*
89. *Ibid, P. 61*
90. *Nawrocka, Goslar and Pazdur 2010, P. 280*
; Giavarini 2010, P. 218
91. *Ibid, 2010, P. 218*
92. *Ibid, P. 218*
93. *Ibid, P. 218*
94. *Ibid, P. 219*
95. *Searle, 1914, PP. 14, 15*
96. *Giavarini, 2010, P. 218*
97. *Ibid, P. 219*

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً- المراجع العربية:

١. بورونية، الشاذلي و الطاهر، محمد، قرطاج البونية- تاريخ حضارة، مركز النشر الجامعي، تونس، ١٩٩٩

٢. عصفور، محمد ابو المحاسن، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية والنشر، بيروت، ١٩٨١

٣. فنطر، محمد، قرطاج- لمحة تاريخية عن الحضارة البونيقية، منشورات دار الثقافة، تونس، ١٩٦٣

٤. فنطر، محمد حسين، الحرف والصورة في عالم قرطاج، أليف- منشورات البحر الأبيض المتوسط، مركز النشر الجامعي، تونس، ١٩٩٩

٥. قاسم، عبير، فن الفسيفساء الروماني، دار ملتقى الفكر، الإسكندرية، ١٩٩٨

٦. نامو، مصطفى علي محمد، دراسة أثرية لفسيفساء أرضيات بعض الدارات في منطقة المدن الثلاث، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، الطبعة الأولى، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ٢٠٠٩

ثانياً- المراجع والمصادر الأجنبية:

1. *Adam, Jean Pierre, La Construction Romaine- Materiaux et Techniques, Grands Manuels Picard, Paris, 1999*
2. *Audet, Maria Eugenia, The Phoenicians and the West- Politics, Colonies and Trade, Cambridge University Press, First Published, Cambridge, 1993*
3. *Arharbi, Richid, Lenoir, Elaine. and Alii, "Recherches Sur Le quartile Méridional de Banasa", L'Africa Romana, Volume quarto, P. 2155, Carocci editore, Roma, 2004*
4. *Ben Abed, Aicha, Tunisian Mosaics- Treasures from Roman Africa, The Getty Conservation Institute, Los Angeles, 2006*
5. *Blake, Marion Elizabeth, The Pavements of The Roman Building of The Republic and Early Empire, Vol. VIII, American Academy in Rome, Istituto Italiano D'art Grafiche- Bergamo, 1930*

6. *Ben Khader, Aicha Ben Abed and Soren, David, Carthage: A Mosaic of Ancient Tunisia, The American Museum of Natural History in association With W. W. Norton and Company, New York- London, 1953*
7. *Columella, Lucius Junius Moderatus, On Agriculture, Book. I. VI. 9- 14, with an English Translation by Harrison Boyd Ash, Loeb Classical Library, Harvard University Press, First Published, Cambridge- Massachusetts, London, 1941*
8. *Carter, Theresa Howard, "Western Phoenicians At Lepcis Magna", American Journal of Archaeology, Vol. 69, No. 2, PP. 127, 128, 129,Archaeological Institute of America, ASTOR, 1965*
9. *Cintas, Pierre, Manuel D' Archéologie Punique II, Editions A. et J. Picard, Paris, 1976*
10. *Cato, Marcus Porcius, On Agriculture, Books. XVII. I- XVIII. 4 ; XVIII. 9- XXI. I, with an English Translation by William Davis Hooper, Loeb Classical Library, Harvard University Press, First Published, Cambridge- Massachusetts, London, 1934.*
11. *Dunbabin, Katherine M. D. , Mosaics of The Greek and Roman World, Cambridge University Press, First Published, Cambridge, UK,1999*
12. *Dunbabin, Katherine M. D, "The Mosaics and Pavements", Excavation at Carthage 1975- Conducted by the University of Michigan, Vol. 1,PP. 45,46,American Schools of Oriental Research, Cérés Productions, Tunis, 1976*
13. *Dunbabin, Katherine M. D. , "Technique and Materials of Hellenistic Mosaics", American Journal of Archaeology, Vol. 83, No. 3,P. 267, Archaeological Institute of America, JSTOR, 1979*
14. *Elert, Kerstin, Navarro, Carlos Rodriguez, Pardo, Eduardo Sebastian, Hansen, Eric, Gazalla, Olga, "Lime Mortars for the Conversation of Historic Buildings" Studies in Conservation, vol. 47, No. 1,P. 61, International Institute for Conservation of Historic and Artistic Works, JSTOR, 2002*
15. *Fernandes, Francisco M. , Lourenco, Paulo B. and Castro, Fernando,"Ancient Clay Brick: Manufacture and Properties", Materials- Technologies and Practice in Historic Heritage Structures, Springer Science and Business Media B. V. ,PP. 29,30,32,38, Springer Dordrecht Heidelberg- London –New York, 2010*
16. *Fantar, M'hamed Hassine, Carthage- La Cité Punique, Alif- les Ēditions De la Méditerranée, CNRS EDITIONS,Tunis, 1995*

17. *Fisher, Peter, Mosaic- History and Technique, Thames and Hudson Ltd- London, Switzerland, 1971*
18. *Giavarini, Carlo, "The Basilica of Maxentius and its Construction Materials", Materials- Technologies and Practice in Historic Heritage Structures, Springer Science and Business Media B. V. , pp. 218,219,Springer Dordrecht Heidelberg- London- New York, 2010*
19. *Holloway, R. Ross, The Archaeology of Ancient Sicily, Routledge- Taylor and Francis Group, First Published, London and New York, 1991*
20. *Lancel, Serge, "Les Pavimenta Punica Du Quartier Punique Tardif De La Colline De Byrsa", Cahiers Des Etudes Anciennes XVll- Carthage Vll, PP. 158, 159, 161, 162 Universite Du Québec A Trois- Etudes, Québec, 1985*
21. *Morricone, Maria Luisa, Scutulata Pavimenta, L'Erma di Bretschneider, Roma, 1980*
22. *Mackendrick,Paul,The North African Stones Speak, Croom Helm Ltd,London,1980*
23. *Nawrocka, Danuta, Goslar, Tomasz and Pazdur, Anna, "Historic Mortars and Plasters as a Material for Age Determination", Materials- Technologies and Practice in Historic Heritage Structures,Springer Science and Business Media B. V. , P. 280,Springer Dordrecht Heidelberg- London- New York, 2010*
24. *Oates, David, "The Tripolitania Gebel- Settelment of the Roman Period around Gasr ed- Dauun", Papers of the British School at Rome, vol. xxi, PP. 85,86,87,94,105,The British School at Rome- Richard Clay and Company Ltd, Great Britain, London, 1953*
25. *Pliny, Natural History, Book, XXXVI. LIX. 182- LXI. 185 ; LXI. 185- LXII. 187, with an English Translation by D. E. Eichholz, Loeb Classical Library, Harvard University Press, First Published, Cambridge- Massachusetts, London, 1962*
26. *Pliny, Natural History, Book. XXXV. XLVI. 165- XLVII. 167, with an English Translation by H. Rackham, Loeb Classical Library, Harvard University Press, First Published, Cambridge- Massachusetts, London, 1952*
27. *Searle, Alfred B. , Cement- Concrete and Bricks, D. Van Nostrand Co. , Twenty- Five Park Place, New York, 1914*
28. *Stern, H, "Terminologia Del Sistemi Di Pavimentazione", Antichita, Altoadriatiche VIII- Mosaici in Aquileia e Nell' Alto Adriatico, P. 46, Arti*

Grafiche Friulane, Centro Di Antichita Altoadriatiche, Aquileia, 1975

29. *Strabo, The Geography of Strabo, Book. 17. 3. 1- 2 ; 2- 3, with an English Translation by Horace Leonard Jones- PH. D.- LL. D, Loeb Classical Library, William Heinemann Ltd, Harvard University Press, First Printed, Cambridge- Massachusetts, Great Britain,1932*
30. *Terccani, Giovanni, Istituto Della Enciclopedia Italiana, Instituto Poligrafico Dello stato, Roma, 1965*
31. *Tsakirgis, Barbara, "The Decorated Pavements of Morgantina II: The Opus Signinum", American Journal of Archaeology, Vol. 94, No. 3,P. 425,426,435,436, Archaeology Institute of America, Massachusetts, 1990*
32. *Tsakirgis, Barbara, "The Decorated Pavements of Morgantina I: The Mosaics", American Journal of Archaeology,Vol. 93,No. 6,404,405,406,408,409, Archaeological Institute of America, Massachusetts, 1989*
33. *Velosa, Ana Luisa, Veiga, Rosario, Coroado, Joao, Ferreira, Victor M. and Rocha, Fernando, "Characterization of Ancient Pozzolanic Mortars from Roman Times to the 19th Century: Compatibility Issues of New Mortars with Substrates and Ancient Mortars", Materials-Technologies and Practice in Historic Heritage Structure, PP. 235,236,237,239,242,243,244,245,246,Springer Science and Business Media B. V. , Springer Dordrecht Heidelberg- London- New York, 2010*
34. *Vitruvius, On Architecture, Book. Vll. C. I. , Translated into English by Frank Granger- D. Ltd- A. R. I. B. A. , Loeb Classical Library, William Heinemann Ltd, G. P. Putnam's Sons, London- New York, Great Britain, (No Date)*

الأبحاث

باللغة الإنجليزية

REFERENCES:

1. C. K. Kim, K. Lee, and Y. S. Cho, “Adaptive beamforming algorithm for OFDM systems with antenna arrays”, IEEE Trans. on Consumer Electronics, Vol. 64, No.4, Nov. 2000, pp. 1052-1058.

2. Lingyan Fan, Haibin Zhang and Chen He,” Minimum bit error beamforming for Pre-FFT OFDM adaptive antenna array”, IEEE International Conference, 28-25 Sept. 2005.

3. Saeid Seydnejad and Sadegh Akhzari “A combined time-frequency domain beamforming method for OFDM systems”, 2010 International ITG Workshop on Smart Antennas, IEEE, 23-24 Feb. 2010.

4. S. Chen, N. N. Ahmad, and L. Hanzo, “Adaptive minimum bit-Error rate beamforming”, IEEE Trans. on Wireless Comm., Vol. 4, No. 2 March 2005, pp.341-348.

5. T. A. Samir, S. Elnoubi, and A. Elnashar, “Class of minimum bit error rate algorithms,” in Proc. 9th ICACT, Feb. 12–14, 2007 vol. 1, pp. 168–173.

6. Said Elnoubi, Waleed Abdallah, Mohamed M. M. Omar, “Minimum bit error rate beamforming combined with space-time block coding”, The International Conf. on Com. and information Tech.-ICCIT 2011, March 2011-Aqaba, Jordon.

7. Z. Lei and P. S. Chin, “Post and Pre-FFT beamforming in an OFDM system” Proc. of IEEE Vehicular Tech. Conf., pp. Vol. 1, 17-19 May 2004, pp.39-43.

8. Shinsuke Hara, Montree Budsabathon, and Yoshitaka Hara, “A Pre-FFT OFDM adaptive antenna array with eigenvector combining”, 2004 IEEE International Conference on comm. Vol. 4, June 2004, pp. 2412 - 2416.

9. J. Via´ , V. Elvira, I. Santamari´a, and R. Eickhoff, “Minimum BER beamforming in the RF domain for OFDM transmissions and linear receivers,” in IEEE Int. Conf. on Acoustics, speech and signal Proc. (ICASSP 2009), Taipei, Taiwan, Apr. 2009.

10. Chong-Yung Chi, Chun-Hsien Peng, Kuan-Chang Huang, Teng-Han Tsai and Wing-Kin Ma ,” A block-by block post-FFT multistage beamforming algorithm for multiuser OFDM systems based on subcarrier averaging”, IEEE Trans. on wireless comm. Vol.7, No. 8, August 2008, pp.3238-3251.

CONCLUSION:

In this paper, we studied that MBER beamformer for Pre-FFT OFDM adaptive antenna array. A multipath (frequency selective fading) channel model is considered. The MBER algorithm and MMSE algorithm are compared. The MBER beamformer has advantageous characteristics such as better BER performance, less computational complexity and shorter training symbols.

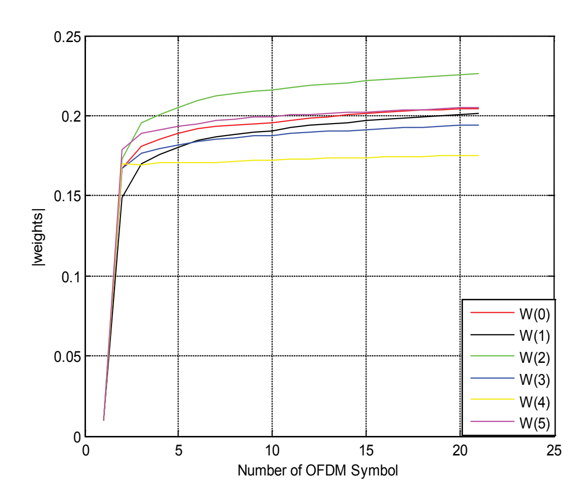


Fig. (8):

Convergence of the MBER beamforming to obtain the optimum weights on the Pre-FFT performance.

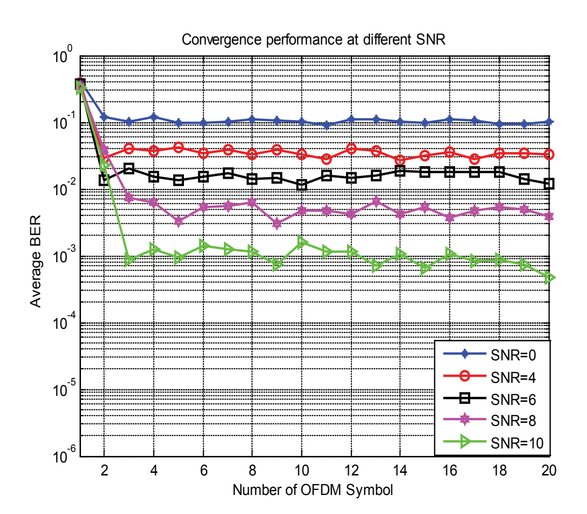


Fig. (9):

Convergence performance at different SNR.

Fig. 7 illustrates the effect of channel length, the number of paths were increased from three (coefficients 0.864, 0.435, 0.253), to five (coefficients 0.864, 0, 0.435, 0, 0.253), to seven (coefficients 0.864, 0, 0, 0.435, 0, 0, 0.253), and finally to nine (coefficients 0.864, 0, 0, 0, 0.435, 0, 0, 0, 0.253). The channels were kept normalized and their lengths remained less then the CP length to avoid ISI. Fig.7. shows the impact of channel length for the same system with 6 antennas, SNR=10dB, angle spread $\pm 15^0$ degrees. It is observed from the figure that the performance of the Pre-FFT scheme is not affected by the channel length for both MMSE and MBER techniques.

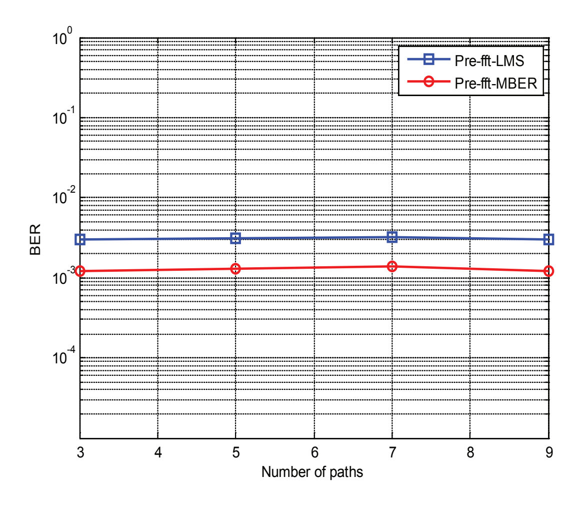


Fig. (7):

The effect of the channel length on the Pre-FFT performance.

Fig. 8 and Fig. 9 illustrate the convergence performance of MBER Pre-FFT beamformer. The Fig. 8 and Fig. 9, show that the optimum weights and the steady state BER performance, respectively, require about 5 OFDM symbols under the condition of SNR=10dB and step size $\mu = .01$.

array. With more interference sources and delayed paths, the Pre-FFT scheme requires more antennas to put nulls at their angles.

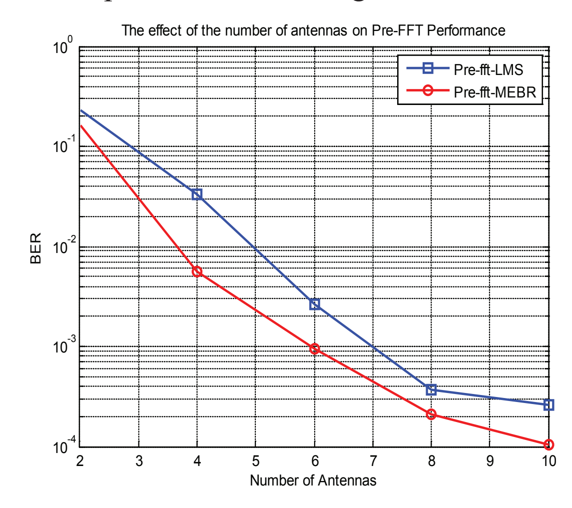


Fig. (5):

The effect of the number of antennas on the Pre-FFT performance.

Fig.6. illustrates the effect of the signal separation between the desired user and the two interferers. It is clearly seen that the Pre-FFT scheme encounters performance degradation when the signal separation decreases. The Pre-FFT scheme shows better results with wider angle separation.

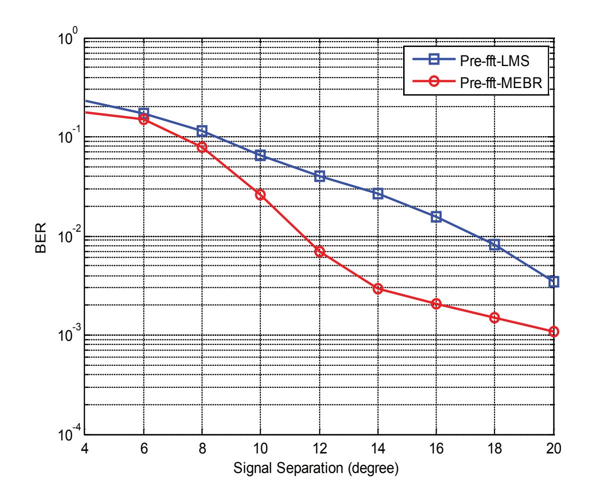


Fig. (6):

The effect of the angular separation between signals on the Pre-FFT performance.

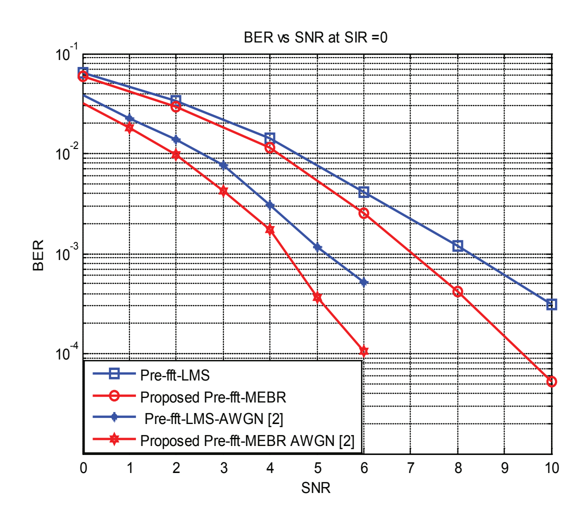


Fig. (3):

Comparison of the bit error performance when using 6 antenna elements and 3 users with SIR= 0 dB.

Fig.4 illustrates the beam pattern of the MBER and LMS beamformers for Pre-FFT OFDM adaptive antenna array. It shows that the MBER pre-FFT beamformer has lower sidelobe levels.

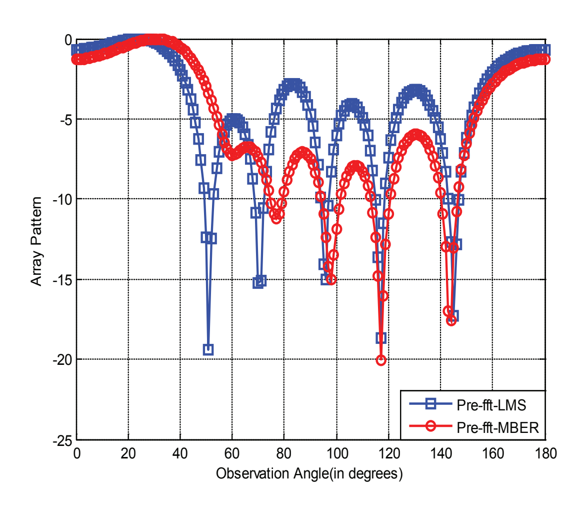


Fig. (4):

Beampattern of the LMS and MBER beamformer using 6 antenna elements and 3 users with SIR= -3dB.

Fig.5. illustrates the effect of the number of antennas. As it is expected, the BER performance increase with large number of antennas and this is because of high resolution of antenna beam, hence, a better control for the desired sources separation and interference rejection can be obtained in an

IV. SIMULATIONS RESULTS:

The computer simulations are performed for implementing the Pre-FFT LMS and MBER beamformer in 64 subcarriers (16 + 48). OFDM system perfectly synchronized, with a CP length larger than the channel length (v=16), BPSK modulation is used in the system with six ULA elements antenna and half-wavelength spacing. The example used in our computer simulation study considers one desired user with DOA of 30° and two interferers with SIR = -3dB. We further assumed normalized channels with different lengths and with real coefficient 0.864, 0.435, 0.253 and 0 for all sources, and an angle spread of $\pm 15^{o}$ (for all sources).

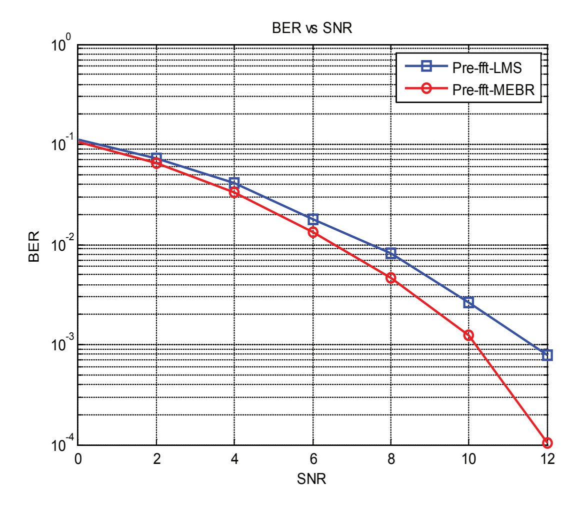


Fig. (2):

Comparison of the bit error performance when using 6 antenna elements and 3 users with SIR= -3 dB.

Fig.2 and Fig. 3 compare the BER performance of the MBER beamformer with that of the MMSE beamformer for SIR = -3 dB and 0 dB, respectively. In Fig. 2, the effect of changing the channel model on the proposed algorithm is illustrated. It is observed that the BER of the MBER beamformer is superior to that of LMS under moderate SNR.

In the main loop, we formulate a block of data (64 bits) from the output of the antenna array. In the inner loop the gradient vector is determined from (34) at pilot locations (Np =16). Then, we compute the weight update vector from (35). After the end of the inner loop, we determine the detected signal by multiplying the computed optimized weight vector with the received signal in order to use it in calculating the BER the last update at the end of each OFDM block $(W(K)$ which is used as an initial value in the next block. Then, we back to the main loop and form another block of data and so on. These processes iterate until we finish all the incoming data.

Table I.:

MBER algorithm summary.

Initialization
$i = 1, \mu = .01$, Block size $K = 64$ Calculate variance of noise σ_n Initial weight vector $W = .01 * ones(N,1)$
Outer loop (1: floor (all bits/Block))
Form a block of data from the received signals.
Inner loop (while $k < K_p$)
Calculate the gradient matrix over the block from equations (34). Update the weight matrix as $W(k) = W(k-1) + \mu(k)\nabla\hat{P}_E$ from equation (35). Normalize the solution $W(k+1) = W(k+1) / \lVert W(k+1) \rVert$
end of inner loop Determine the detected signals in order to be used for calculating the BER. Increment the block number $i = i + 1$
end of outer loop

$$\hat{P}_E(W) = \frac{1}{K_p} \sum_{k=0}^{K_p-1} Q(\hat{q}_k(W)) \quad (31)$$

where $$\hat{q}_k(W) = \frac{\operatorname{sgn}(b_1(k \times \Delta p + 1)) \Re(W^H \bar{R} F_p(k \times \Delta p + 1))}{\rho_n \sqrt{W^H W}} \quad (32)$$

and $F_p(k \times \Delta p + 1)$ is the $(k \times \Delta p + 1)^{th}$ column of F_p. From this estimated conditional pdf given the channel coefficients $\alpha_{m,l}$, the gradient of the estimated BER is given by [4]

$$\nabla \hat{P}_E(W) = -\frac{1}{\sqrt{2\pi}\rho_n \sqrt{W^H W}} \sum_{k=0}^{K_p-1} \exp\left(-\frac{\left(\operatorname{Re}(\hat{z}(k \times \Delta p + 1))\right)^2}{2\rho_n^2 W^H W}\right) \times \operatorname{sgn}(b_1(k \times \Delta p + 1)) \bar{R} F_p(k \times \Delta p + 1) \quad (33)$$

Now a block-data adaptive MBER algorithm is obtained by the gradient of $\hat{P}_E(W)$. For each OFDM symbol, we can find the optimum weight vector W by the steepest-descent gradient algorithm [4]

$$\nabla \hat{P}_E(W) = -\frac{1}{\sqrt{2\pi}\rho_n} \exp\left(-\frac{(\Re(\hat{z}(k \times \Delta p + 1)))^2}{2\rho_n^2}\right) \times \operatorname{sgn}(b_1(k \times \Delta p + 1)) \bar{R} F_p(k \times \Delta p + 1) \qquad 1 \le k \le K_p \quad (34)$$

That is to say, W weight vector can be updated K_p times in one OFDM symbol. Thus complexity is reduced and consequently, the update equation is given by

$$\begin{aligned} W(k+1) &= W(k) - \mu \nabla \hat{P}_E(W) \\ &= W(k) + \frac{\mu}{\sqrt{2\pi}\rho_n} \cdot \exp\left(-\frac{(\Re(\hat{z}(k \times \Delta p + 1)))^2}{2\rho_n^2}\right) \\ &\times \operatorname{sgn}(b_1(k \times \Delta p + 1)) \bar{R} F_p(k \times \Delta p + 1) \qquad 1 \le k \le K_p \end{aligned} \quad (35)$$

where μ is a step size.

The proposed MBER algorithm is summarized in Table I.

The proposed MBER algorithm is composed of two main loops. The outer loop is for each block of data and the inner loop is repeated over the same block of data until certain number of iterations reached.

$$q_k(W) = \frac{\operatorname{sgn}(b_1(k))\,\Re(\hat{z}'(k))}{\sigma_n\sqrt{W^H W}} \quad (26)$$

In OFDM system as described in section II, it is assumed that in every symbol there are pilot signals in order to perform channel estimation. The pilot signals are also used in the adaptive update of the beamformer weight vector. So the transmitted pilot signal vector of the desired user, $\bar{x}_{1p}$, and the received pilot signal vector, $\bar{\hat{z}}_p$, in frequency domain can be written as follow [2]

$$\bar{x}_{1p} = [x_1(1), 0.., x_1(\Delta p+1), 0,.., x_1((K_p-1)\Delta p+1)),0,..] \quad (27)$$

$$\begin{aligned}\bar{\hat{z}}_p &= [\hat{z}(1), 0.., \hat{z}(\Delta p+1), 0,.., \hat{z}((K_p-1)\Delta p+1), 0,..] \quad (28)\\ &= W^H \bar{R} F_p\end{aligned}$$

where
$$F_p = \begin{bmatrix} 1 & 0 & \cdots & 1 & \cdots & 1 & 0\cdots \\ 1 & 0 & \cdots & e^{-j2\pi(1)(\Delta p)/K} & \cdots & e^{-j2\pi(1)(K_p-1)\Delta p/K} & 0\cdots \\ \vdots & 0 & & \vdots & \ddots & \vdots & 0\cdots \\ 1 & 0 & \cdots & e^{-j2\pi(K-1)(\Delta p)/K} & \cdots & e^{-j2\pi(K-1)(K_p-1)\Delta p/K} & 0\cdots \end{bmatrix} \quad (29)$$

representing FFT operation matrix at the pilot locations and Δp represents the frequency spacing between consecutive pilot symbols. The first pilot symbol is assumed to be positioned at the first subchannel. For each OFDM symbol, K_p pilot signals in the frequency domain are required to obtain the optimum weight vector.

The method of approximating a conditional pdf known as a kernel density or Parzen window-based estimate, [9], is used to estimate the conditional error probability given the channel coefficients $\alpha_{m,l}$ is used on OFDM systems. Given an OFDM symbol of K_p training samples $\{\bar{r}(k), b_1(k)\}$, a kernel density estimate of the conditional pdf given the channel coefficients $\alpha_{m,l}$ at pilot locations which was defined in (22), is given by

$$\begin{aligned}\hat{p}_z(\hat{z}_s) &= \frac{1}{K_p\sqrt{2\pi}\rho_n\sqrt{W^H W}} \times \\ &\sum_{k=0}^{K_p-1} \exp\left(-\frac{(\hat{z}_s - \operatorname{sgn}(b_1(k\times\Delta p+1))\,\Re(\hat{z}(k\times\Delta p+1)))^2}{2\rho_n^2 W^H W}\right)\end{aligned} \quad (30)$$

Therefore, the block cost function could be derived from the kernel density estimate of conditional pdf given the channel coefficients $\alpha_{m,l}$ as follows [4], [7], [12]:

$$\hat{z}'(k) = W^{H}[\bar{r}(k) - \eta(k)]\, F(k) \qquad (20)$$

and

$$\eta'(k) = \mathrm{sgn}(b_1(k))\, \mathrm{Re}\,(W^{H}\eta(k)F(k)) \qquad (21)$$

$\hat{z}_s(k)$ is a very good error indicator for the binary decision, i.e., if it is positive, then the decision is correct, else if it is negative, then an error occurred, F(k) is the kth column of F. Notice that F is unitary matrix, so $\eta'(k)$ is still Gaussian with zero mean and variance $\sigma_n^2 \cdot W^{H}W$.

The conditional probability density function (pdf) given the channel coefficients $\alpha_{m,l}$ of the error indicator, $\hat{z}_s(k)$, is a mixed sum of Gaussian distributions [12], i.e.,

$$p_z(\hat{z}_s) = \frac{1}{K\sqrt{2\pi}\sigma_n\sqrt{W^{H}W}} \cdot \sum_{k=1}^{K} \exp\left(-\frac{(\hat{z}_s - \mathrm{sgn}(b_1(k))\, \mathrm{Re}\,(\hat{z}'_s(k)))^2}{2\sigma_n^2 W^{H} \cdot W}\right) \qquad (22)$$

and it is the best indicator of a beamformer's BER performance. Deriving a closed form for the average error probability is not easy.

Therefore, we use the gradient conditional error probability to update the weight vector.

The conditional error probability given the channel coefficients $\alpha_{m,l}$ of the beamformer, $P_E(W)$, is given by [4] :

$$\begin{aligned} P_E(W) &= \frac{1}{K\sqrt{2\pi}\sigma_n\sqrt{W^{H}W}} \cdot \sum_{k=1}^{K} \int_{q_k(W)}^{\infty} \exp\left(-\frac{u^2}{2}\right) du \\ &= \frac{1}{K}\sum_{k=1}^{K} Q(q_k(W)) \end{aligned} \qquad (23)$$

where

$$u = \frac{(\hat{z}_s - \mathrm{sgn}(b_1(k))\, \mathrm{Re}\,(\hat{z}'_s(k))}{\sigma_n\sqrt{(W^{H}W)}} \qquad (24)$$

where $Q(\cdot)$ is the Gaussain error function and is given by

$$Q(u) = \frac{1}{\sqrt{2\pi}} \int_{u}^{\infty} \exp\left(-\frac{y^2}{2}\right) dy \qquad (25)$$

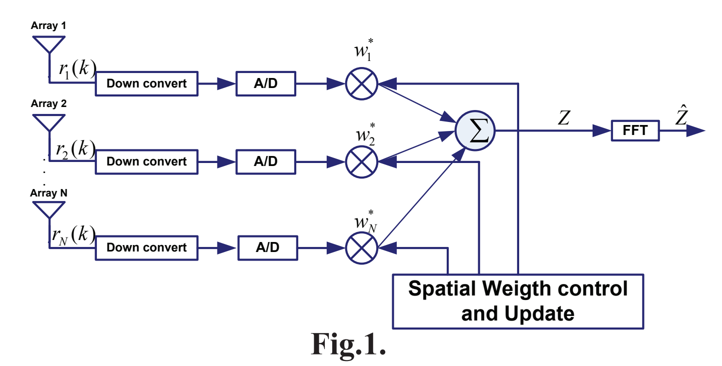


Fig.1.

Block diagram of the Pre-FFT OFDM adaptive receiver.

The estimate of the transmitted bit $b_1(k)$ is given by

$$\hat{b}_1(k) = \begin{cases} +1, & \mathrm{Re}(\hat{z}(k)) > 0 \\ -1, & \mathrm{Re}(\hat{z}(k)) \le 0 \end{cases} \quad (16)$$

where $\Re(\hat{z}(k))$ denotes the real part of $\hat{z}(k)$.

III. PRE-FFT OFDM SYSTEM BASED ON MBER CRITERIA:

In this section, Pre-FFT adaptive beamforming based on MBER criteria is introduced to obtain the optimum weight set. The theoretical MBER solution for the Pre-FFT OFDM beamformer is obtained in [2] where, the channel is assumed to be non-dispersive with additive Gaussian noise. The error probability (BER cost function) of the frequency domain signal of the beamformer is given by

$$P_E(W) = \mathrm{Prob}\{\mathrm{sgn}(b_1(k)\Re(\hat{z}(k)) < 0\} \quad (17)$$

where sgn(.) is the sign function. The weight vector that minimize the BER is then defined as

$$W = \arg\min_{W} P_E(W) \quad (18)$$

From equation (17), define the signed decision variable

$$\begin{aligned} \hat{z}_s(k) &= \mathrm{sgn}(b_1(k)\,\Re(\hat{z}(k)) \\ &= \mathrm{sgn}(b_1(k)\,\Re(\hat{z}'(k)) + \eta'(k) \end{aligned} \quad (19)$$

where

for an OFDM block will be given as follow:

$$r_n(k) = \sum_{m=1}^{M}\sum_{l=0}^{L-1}\alpha_{m,l}\widetilde{y}_m(k+v-l)e^{-j\frac{2\pi}{\lambda}(n-1)d\cos(\theta_{m,l})} + \eta_n(k) \quad (8)$$

$$1 \le n \le N \quad , \quad 1 \le k \le K$$

where N denotes the total number of antennas, λ represents the wavelength of the carrier, d denotes the inter-element spacing, and $\eta_n(k)$ represents the channel noise which enter the n^{th} antenna. $\theta_{m,l}$ denotes the direction of arrival (DOA) of the l^{th} path and m^{th} source. Without loss of generality, we assume here that the channels of all sources have the same length L.

At the receiver, the received signal with a spatial domain for n^{th} array element is multiplied by the n^{th} weight (w_n) of adaptive beamformer.

$$\overline{Z} = W^H \cdot \overline{R} \quad (9)$$

where

$$W = [w_1\, w_2 \quad \cdots w_N]^T \quad (10)$$

$$\overline{R} = [\overline{r}(1)\,\overline{r}(2) \quad \cdots \overline{r}(K)] \quad (11)$$

$$\overline{r}(k) = [r_1(k)\, r_2(k) \quad \cdots r_N(k)]^T \quad (12)$$

$$\overline{Z} = [z(1)\, z(2) \quad \cdots z(K)]^T \quad (13)$$

The sum of this signals ($\overline{Z}$) is transformed back into frequency-domain symbols ($\hat{Z}$) by applying the FFT operator. This process can be written as follows:

$$\hat{Z} = F \cdot \overline{Z} \quad (14)$$

where $\hat{Z}$ is the estimated frequency-domain symbols (data and pilot), and is given by

$$\hat{Z} = \left[\hat{z}(1), \hat{z}(2), \ldots, \hat{z}(K)\right]^T \quad (15)$$

and $\hat{z}(k)$ denotes the corresponding received sample at the k^{th} subcarrier .

to be a frequency-domain data and subsequently converted to a time-domain signal by an IFFT operation. This process can be written as,

$$\bar{y}_m = \frac{1}{K} F^H \bar{x}_m \qquad 1 \le m \le M \quad (2)$$

where

$$\bar{y}_m = [y_m(1),\ y_m(2),\ \ldots, y_m(K)]^T \quad (3)$$

$$F = \begin{bmatrix} 1 & 1 & \cdots & 1 \\ 1 & e^{\frac{-j2\pi(1)(1)}{K}} & \cdots & e^{-\frac{j2\pi(1)(K-1)}{K}} \\ \vdots & \vdots & \ddots & \vdots \\ 1 & e^{\frac{-j2\pi(K-1)(1)}{K}} & \cdots & e^{-\frac{j2\pi(K-1)(K-1)}{K}} \end{bmatrix} \quad (4)$$

representing the FFT operation matrix,

$$\bar{x}_m = [x_m(1),\ x_m(2),\ \ldots, x_m(K)]^T \quad (5)$$

and H denotes the Hermitian transpose of a matrix. The output of the IFFT is transmitted to the channel after the addition of cyclic prefix (CP). In order to add the CP, $\bar{y}_m$ is cyclically extended to generating $\tilde{y}_m$ by inserting the last v element of y_m at its beginning, i.e.

$$\tilde{y}_m = \begin{bmatrix} J_v \\ I_K \end{bmatrix} \bar{y}_m \quad (6)$$

where J_v contains the last v rows of a size K identity matrix I_K.

Finally, the OFDM time signal is transformed to the analog form through D/A converter before transmission in the wireless channel. A multipath channel model (frequency selective fading) is assumed to include maximum of L paths and is assumed that the m^{th} source (desired or interference) and the receiving antenna array in the form of

$$h_m(k) = \sum_{l=0}^{L-1} \alpha_{m,l}\,\delta(k-l) \qquad m = 1, \cdots, M \quad (7)$$

where $\alpha_{m,l}$ denotes a complex random number representing the l^{th} channel coefficient for the m^{th} source and $\delta(.)$ is delta function.

Fig.1 illustrates the architecture of Pre-FFT beamforming at the receiver of an OFDM system. Assuming that the CP is longer than the channel length (v > L), the received signal on the nth antenna of a uniform linear array (ULA)

MBER beamformers for Pre-FFT OFDM are presented, respectively, without investigating several factors affecting performance. The channel is assumed to be non-dispersive with additive Gaussian noise, which is not a practical channel. Since new wireless standards, such as IEEE 802.11 and 802.16, use the pilot subcarriers in their structures, our focus in this paper will be given to suppress co-channel interference and mitigate the multipath interference in pilot-assisted OFDM systems. In [3], the MMSE beamforming algorithm for Pre-FFT OFDM system is applied on a channel assumed to be frequency selective fading.

The main contribution in this paper is to analyze the MBER algorithm in a practical channel model which is assumed to be

multipath frequency selective fading channel as described in [3]. Comparative studies are conducted between the MMSE algorithm, to [3], and the proposed MBER algorithm in terms of several factors: presence of multiuser interference with different powers; the number of antenna elements; the number of paths and the signal separation (angle difference between the desired and the interferences).

Simulation results showed that the MBER algorithm structure had the lowest computational complexity, and the best BER performance than MMSE algorithm.

This paper is organized as follow: Section II describes the Pre-

FFT OFDM system model. In Section III, Pre-FFT adaptive beamforming to based on MBER criteria is introduced. Section IV provides simulation results and comparative studies. Finally, conclusions and possible directions for future work are presented in section V.

II. PRE-FFT OFDM System model:

If we consider that M-user OFDM system uses K subcarriers for parallel transmission, [2]. The sample modulated by the kth subcarrier of the mth user is given by

$$x_m(k) = b_m(k) \qquad 1 \le m \le M \qquad 1 \le k \le K \quad (1)$$

where $b_m(k) \in \{\pm 1\}$ for BPSK signals. We assume that user 1 is the desired user and the other sources are interfering users. This data can be interpreted

I. Introduction:

It is well known that the orthogonal frequency division multiplexing (OFDM) can be considered as an efficient technique for high speed digital transmission over severe multipath fading channels where the delay spread is larger than the symbol duration. When the inserting guard time is longer than the delay spread of the channel this makes the system robust against inter-symbol interference (ISI). In addition to that, channel estimation and compensation can be achieved by inserting known pilot symbols between data symbols [1]-[3].

Over the last few years, adaptive antenna array (AAA) has gained much attention due to its ability to increase the performance of wireless communication system, in terms of spectrum efficiency, network scalability, and operation reliability. Adaptive beamforming can separate signals transmitted in the same carrier frequency, provided that they are separated in the spatial domain. The beamformer combines the signal received by the different element of an antenna array to form a single output. The adapted weight set of each element of the antenna array is obtained by the processor achieving certain criteria to suppress the co-channel interference; thus improving coverage quality.

The main motivation behind Pre-FFT scheme is reducing the cost due to FFT processing [1, 7]. The weight obtained for each pilot subcarrier can be identically applied on all data subcarriers in the same OFDM symbol; thereby reducing the number of frequency domain narrow-band beamformers. Post FFT is not always better in performance than pre-FFT [1]. In[3], a pre-FFT least mean square (LMS) beamforming for OFDM systems was analyzed in additive Gaussian noise channel. An adaptive MBER beamforming was analyzed in [4] for single carrier modulation and in [2] for OFDM systems in additive Gaussian noise channel. A class of MBER algorithms were studied in [5] and combined with space time coding in [6]. Eigenvector combining was considered in [8]. MIMO MBER beamforming for OFDM was studied in [9]. A block-by block post-FFT multistage beamforming was considered in [10].

The MMSE technique does not guarantee the minimum of the

BER, but the MBER technique is characterized by its good performance and amenability to adapt on implementation. In [1] and [2] the MMSE and

Abstract:

In broadband wireless communication, the adaptive antenna array (AAA) is combined with orthogonal frequency division multiplexing (OFDM) to combat the inter-symbol interference (ISI) and the directional interferences. One of the two main techniques which are used in OFDM systems is called Pre-FFT, where an optimum beamformer weight set is obtained in time domain before Fast Fourier Transform (Pre-FFT). In this paper, the optimum weight set is obtained based on minimum bit error rate (MBER) criteria in pilot-assisted OFDM systems under multipath fading channel. Here, the development of the block-data adaptive to implementation of the MBR beamforming solution is based on the Parzen window estimate of probability density function (pdf). The simulation results show that the MBER technique utilizes the antenna array elements more intelligently than the standard minimum mean square error (MMSE) technique. The MBER technique can be used to achieve excellent performance since it directly minimizes the BER and requires shorter training symbols.

Index Terms: MBER beamforming, OFDM systems, Pre-FFT, MMSE beamforming, probability density function (pdf), smart antenna.

ملخص:

نستخدم في الاتصالات اللاسلكية ذات النطاق الواسع، مصفوفة التكيف الهوائي، مع تقسيم الترددات المتعامدة، فباستخدامها نستطيع التغلب والتخفيف من وطأة التداخلات الناتجة عن المستخدمين من التردد الواحد نفسه، وكذلك التداخلات ما بين الرموز، وهناك طريقتان رئيستان تستخدمان مع تقسيم الترددات المتعامده وقد تم التركيز في هذا البحث على نوع واحد وهو Pre-FFT بحيث يُستخدم لحساب الوزن في مجال الزمن الذي يعمل على تشكيل الأشعة وتركيزها باتجاه الإشارة المرغوبة فيها وإزالة التداخلات الناتجة من اتجاهات عدة.

وقد اُستخدمت خوارزمية جديدة وطُوِّرت كي تعمل عل تقليل معدل الخطأ إلى أدنى مستوى ما بين قوة الإشارة إلى قوة الضوضاء، وقد تبين لنا أن هذه الخوارزمية كانت أقل تعقيداً، وأحسن أداء مقارنة بالنظم السابقة التي اُستخدمت حيث دُرست الخوارزمية السابقة المذكورة فيه وقورنت بالخوارزمية المقترحة في هذا البحث، حيث تبين بأن الخوارزمية الجديدة المقترحة أفضل في الأداء وأقل تعقيداً وقدرتها على تخفيف وطأة تعدد المسارات الناتجة عن بث الإشارات والتداخلات الناتجة عن المستخدمين للتردد الواحد.

Minimum Bit Error Rate Pre-FFT Beamforming for OFDM Communication Systems*

Waleed Abdallah**

* **Received: 11/12/2012, Accepted: 4/5/2013.**

** **Assistant Prof., Technology and Applied Sciences Collage, Al-Quds Open University, Ramallah & Al-Bireh Branch, Palestine.**

Journal of
Al-Quds Open University
for Research & Studies

Contents

9. References should follow rules as follows:

   (a) If the reference is a book, then it has to include the author name, book title, translator if any, publisher, place of publication, edition, publication year, page number.

   (b) If the reference is a magazine, then it has to include the author, paper title, magazine name, issue number order by last name of the author.

10. References have to be arranged in alphabetical order by last name of the author.

11. The researcher can use the APA style in documenting scientific and applied topics where he points to the author footnotes.

Guidelines for Authors

The Journal of Al-Quds Open University For Research & Studies Publishes Original research documents and scientific studies for faculty members and researchers in Alquds Open University and other local, Arab, and International universities with special focus on topics that deal with open education. The Journal accepts papers offered to scientific conferences.

Researchers who wish to publish their papers are required to abide by the following rules:

1. Papers are accepted int both English and Arabic.
2. each paper should not exceed 32 pages or 7500 words including footnotes and references.
3. Each paper has to add new findings or extra knowledge in its field.
4. Papers have to be on a “CD” or “E-mail” accompanied by three hard copies. Nothing is returnable in either case: published or not.
5. An abstract of 100 to 150 words has to be included. The language of the abstract has to be English if the paper is in Arabic and has to be Arabic if the paper is in English.
6. The paper will be published if it is accepted by at least two revisers. The Journal will appoint the revisers who has the same degree or higher than the researcher himself.
7. The researcher should not include anything personal in his paper.
8. The owner of the published paper will receive one copy of the Journal in which his paper is published.

FOR CORRESPONDENCE AND SENDING RESEARCH USE THE FOLLOWING ADDRESS:

Chief of the Editorial Board of the Journal of Al-Quds Open University for Research & Studies

Al-Quds Open University

P.O. Box ; 51800

Tel: 02-2984491

Fax: 02-2984492

Email: hsilwadi@qou.edu

Deanship of Scientific Research & Graduate Studies

Email: sprgs@qou.edu

Tel: 02-2952508



Al-Quds Open University

Design By: Deanship of Scientific Research & Graduate Studies

Journal of
Al-Quds Open University
for Research & Studies